

النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بَرْد، الأتابك

٨١٣ - ٨٧٤

قدم له وعلق عليه
محمد حسين شمس الدين

الجزء الحادي عشر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص: ١١/٩٤٢٤ تليكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

ذكر سلطنة الملك المنصور محمد (١) على مصر

السلطان الملك المنصور، أبو المعالي، ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المظفر حاجي ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون المنصوري، الحادي والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية. جلس على تخت الملك صبيحة قبض على عمه الملك الناصر حسن، وهو يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وكان عمره يومئذ نحواً من أربع عشرة سنة، بعد أن اجتمع الخليفة المعتضد بالله والقضاة والأعيان. ثم فوض عليه خلع السلطنة، وهو التشریف الخليفتي، في يوم الخميس عاشر الشهر المذكور، ولقبوه الملك المنصور، وحلفت له الأمراء على العادة. وركب من باب الستارة من قلعة الجبل إلى الإيوان وعمره ست عشرة سنة. قاله العيني. والأصح ما قلناه.

ثم خلع على الأمير يلبغا العمري الناصري الخاصكي وصار مدبر مملكته، ويشاركه^(٢) في ذلك خشداشه^(٣) الأمير طيغا الطويل، على أن كلا منهما لا يخالف الآخر في أمر من الأمور. ثم خلع على الأمير قطلوبغا الأحمدي وأستقر رأس نوبة النوب. وخلع على قشتمر المنصوري بناية السلطنة بالديار المصرية ونظر^(٤)

(١) ترجمته وأخباره في: السلوك: ٩٤/١/٣؛ وبدائع الزهور: ٥٨/١/١؛ والجواهر الثمين: ٢١٦/٢؛

والبداية والنهاية: ٢٩١/١٤ وما بعدها؛ وشذرات الذهب: ١٩٦/٦ و١٠/٧؛ والأعلام: ٧٥/٦.

(٢) لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى مشاركة طيغا للأمير يلبغا العمري في تدبير المملكة. وجاء في السلوك وبدائع الزهور أن الأمير طيغا الطويل استقر على عادته أمير سلاح.

(٣) الخشداش: الزميل في الخدمة. ويكون الخشداشية من أصل واحد. وقد سبق الكلام عليه: انظر فهرس الألفاظ الاصطلاحية.

(٤) في الأصل: «وناظر».

البيمارستان المنصوريّ عوضاً عن الأمير آقتمر عبد الغني، وخلع على الشريف عز الدين عجلان بإمرة مكة على عادته.

ثم كتب بالإفراج عن جماعة من الأمراء من الحُبوس وهم الأمير جركتمر المارديني، وطشتمر القاسمي، وقطلوبغا المنصوري.

وخلع على طشتمر القاسمي بناية الكرك من يومه، وعلى ملكتمر المحمدي بناية صفد، ونفى أطقتمر^(١) المؤمني إلى أسوان، وخلع على الأمير أُلجاي اليوسفي حاجب الحجاب وأستقرّ أمير جاندار، وأفرج عن الأمير طاز اليوسفي الناصري من اعتقاله بثغر الإسكندرية بعد أن حُبس بها ثلاث سنين وزيادة، وكان السلطان الملك الناصر حسن قد أكحله، وأفرج أيضاً عن أخويّ طاز: الأمير جتتمر وكُلثاي، و[عن] قراوغا وحضروا الجميع إلى بين يدي السلطان، وحضر طاز، وعلى عينيه شعريّة،^(٢) فأخلع عليه، وسأل أن يُقيم بالقدس، فأجيب، وسافر إلى القدس وأقام به إلى أن مات، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ولما بلغ خبرُ قتل الملك الناصر حسن إلى الشام عَظُم ذلك على بيدمر نائب الشام وخرج عن الطاعة في شعبان سنة اثنتين وستين وسبعمائة وعصى معه أسندمر الزينيّ، ومنجك اليوسفي، وحصّنوا قلعة دِمَشق. فلما بلغ ذلك يلبغا العمري استشار الأمراء في أمرهم، فاتفقوا على خروج السلطان إلى البلاد الشامية. وتجهّز يلبغا، وجهّز السلطان الملك المنصور إلى السفر، وأنفق في الأمراء والعساكر. وخرج السلطان ويلبغا بالعساكر المصرية إلى الرّيّدانية في أواخر شعبان.

ثم رحّل الأمير يلبغا جاليش^(٣) العسكر في يوم الاثنين مستهلّ شهر رمضان. ورحّل السلطان الملك المنصور في يوم الثلاثاء، الثاني منه، ببقية العساكر وساروا حتى وصلوا دِمَشق في السابع والعشرين من شهر رمضان المذكور، فتحصّن الأمراء

(١) في السلوك والجواهر الثمين: «بكتمر المؤمني».

(٢) الشعرية: نسبة إلى الشعر، وهي غشاء أسود رقيق.

(٣) هنا بمعنى طليعة العسكر. — وانظر فهرس الألفاظ الاصطلاحية.

المذكورون بمن معهم في قلعة دمشق، فلم يقاتلهم يلبغا، وسير إليهم في الصلح. وترددت الرسل إليهم، وكان الرسل قضاة الشام، حتى حلف لهم يلبغا أنه لا يؤذيهم وأمنهم، فنزلوا حينئذ إليه، فحال وقع بصره عليهم أمر بهم، فقبضوا وقيدوا، وحملهم إلى الإسكندرية إلى الاعتقال بها. وخلع يلبغا على أمير عليّ المارديني نيابة دمشق على عاداته أولاً - وهذه ولاية أمير عليّ الثالثة على دمشق - وتولى الأمير قُطلوُبغا الأحمدي رأس نوبة نيابة حلب عوضاً عن الأمير شهاب الدين أحمد بن القشتمري.

وأقام السلطان ويلبغا مدة أيام، ومهد يلبغا أمور البلاد الشامية حتى استوثق له الأمر. ثم عاد إلى جهة الديار المصرية وصحبته الملك المنصور والعساكر حتى وصل إليها في ذى القعدة من سنة اثنتين وستين وسبعمائة.

وصار الأمر جميعه ليلبغا. وأخذ يلبغا في عزل من آختر عزله وتولية من اختاره، فأخلع على الطواشي سابق الدين مثقال الأنوكي زمام^(١) الدار، واستقر في مقدمة المماليك السلطانية عوضاً عن الطواشي شرف الدين مخلص^(٢) الموفقى.

ثم في شهر رجب استقر الأمير طُعَيْتَمَر^(٣) النظامي حاجب الحجاب بالديار المصرية، وكانت شاغرة منذ وُلِّيَ أَلجاي اليوسفي أمير جاندار^(٤).

ثم في شعبان استقر الأمير قُطْلُقْتَمَر العلائي الجاشنكير أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر.

(١) هذا المصطلح وغيره من المصطلحات المتعلقة بالألقاب والوظائف وغيرها سبق التعريف بها. ولن ننقل الكتاب بإعادة الكلام عليها، فليرجع القارئ إلى فهرس الألفاظ الاصطلاحية للاهتمام إلى مظان شرحها. وقد وضعنا رقم الصفحة المطلوبة بين هلالين () إشارة إلى أنه يجد ضالته فيها.

(٢) في السلوك وبدائع الزهور: «عوضاً عن شرف الدين مختص الطقتمري». وهذا الخبر وما بعده وردت في المرجعين المذكورين في حوادث سنة ٧٦٣هـ.

(٣) في السلوك وبدائع الزهور: «طغاي تمر».

(٤) عبارة السلوك: «... استقر حاجب الحجاب عوضاً عن الأمير أَلجاي اليوسفي. واستقر أَلجاي أمير جاندار».

ثم في شَوال أخلع على الأمير إشقتمَر الماردِيني أمير مجلس نيابة طرابُلس، واستقر طغيتمر النظامي عوضه أمير مجلس، واستقر الأمير أسنبغا الأوبكري حاجب الحجاب عوضاً عن طغيتمر النظامي. ثم أخلع على الأمير عزّ الدين أيذمر الشيخي نيابة حماة. ثم استقرّ الأمير منكلي بغا الشمسي في نيابة حلب عوضاً عن قطلوبغا الأحمدي بحُكم وفاته. ثم أمسك الأمير شرف الدين موسى بن الأزكُشي الأستادار ونفي إلى حماة واستقرّ عوضه في الأستادارية أروس المحمودي.

ثم تزوّج الأمير الكبير يلغا بطُولوييه^(١) زوجة أستاذه الملك الناصر حسن. وفي هذه السنة^(٢) بوع المتوكّل على الله أبو عبد الله محمد بالخلافة بعد وفاة أبيه المعتضد بالله أبي بكر بعهد من أبيه في يوم الأربعاء^(٣) ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

ثم أشيع في هذه السنة عن السلطان الملك المنصور محمد أمور شنة نفرت قلوبّ الأمراء منه. واتفقوا على خلعه من السلطنة، فخلع في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة. وتسلطن بعده ابن عمه الملك الأشرف شعبان بن حسين. وحسين المذكور لم يتسلطن، غير أنه كان لُقّب بالأمجد من غير سلطنة. وأخذوا الملك المنصور محمداً وحبسوه داخل الدور السلطانية بقلعة الجبل. وكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام، وليس له فيها من السلطنة إلا مجرد الاسم فقط. والأتابك يلغا هو المتصرف في سائر أمور المملكة.

وسبب خلعه - والذي أشيع عنه - أنه بلغ الأتابك يلغا أنه كان يدخل بين نساء الأمراء ويمزح معهن، وأنه كان يعمل مكارياً للجواري ويركُبهن ويجري هو وراء الحمار بالحوش السلطاني، وأنه كان يأخذ زنبيلاً فيه كعك ويدخل بين النساء ويبيع ذلك الكعك عليهن على سبيل المماجنة، وأنه يفسّق في حريم الناس، ويخلّل

(١) كذا أيضاً في بدائع الزهور. وفي السلوك والجوهر الثمين: «طولويه»

(٢) يعني سنة ٧٦٣هـ.

(٣) في السلوك: «يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى».

بالصلوات، وأنه يجلس على كرسي المُلْك جُنْباً، وأشياء غير ذلك^(١). فَاتَّقِ الأَمْرَاءَ عند ذلك على خلعه، فخلعوه، وهم يَلْبِغُوا العِمْرِي الخَاصَكِي وَطَبِيغَا الطَوِيلِ وَأَرْغُونَ الإِسْعَرْدِي وَأَرْغُونَ الأَشْرَفِي وَطَبِيغَا العِلَائِي وَأَلْجَايَ اليُوسُفِي وَأَرْوَسَ المَحْمُودِي وَطَبِيذْمُرَ البَالَسِي وَقُطْلُوبُغَا المَنْصُورِي، وغيرهم من المَقْدَمِينَ وَالتَّطْبَلْخَانَاتِ وَالعَشْرَاتِ.

وَاسْتَمَرَ المَلِكُ المَنْصُورُ مَحْبُوساً بِالدُّورِ السُلْطَانِيَّةِ مِنَ القَلْعَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ تَاسِعِ المَحْرَمِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِمِائَةٍ. وَزَوْجُ المَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ الوَالِدِ^(٢) بِابْنَتِهِ خَوْنَدِ فَاطِمَةَ فِي حَيَاةِ وَالدِّهَا المَلِكِ المَنْصُورِ المَذْكُورِ، وَاسْتَوْلَدَهَا الوَالِدُ عِدَّةَ أَوْلَادٍ، وَمَاتَتْ تَحْتَهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ. وَلَمَّا مَاتَ المَلِكُ المَنْصُورُ صَلَّى عَلَيْهِ المَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوقُ بِالحَوْشِ السُلْطَانِي مِنَ القَلْعَةِ، وَدُفِنَ بِتَرْبَةِ جَدَّتِهِ أُمِّ أَبِيهِ بِالرُّوْضَةِ^(٣) خَارِجَ بَابِ المَحْرُوقِ بِالقَرَبِ مِنَ الصَّحْرَاءِ. وَكَانَ مُحِبّاً لِلهَوِّ وَالتَّطْرِبِ رَاضِياً بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ العَيْشِ الطَّيِّبِ. وَكَانَ لَهُ مَغَانٍ^(٤) عِدَّةٌ، جُوقَةٌ كَامِلَةٌ زِيَادَةً عَلَى عَشْرِ جَوَارٍ يُعْرَفْنَ بِمَغَانِي^(٥) المَنْصُورِ، اسْتَحْدَمَهُنَّ الوَالِدُ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَكَانَتْ العَادَةُ تِلْكَ الأَيَّامِ أَنَّ كُلَّ سُلْطَانٍ أَوْ مَلِكٍ يَكُونُ لَهُ جُوقَةٌ مِنَ المَغَانِي عِنْدَهُ فِي دَارِهِ. وَلَمْ يَخْلَفِ المَلِكُ المَنْصُورُ مَالاً لَهُ صُورَةً، وَخَلَّفَ عِدَّةَ أَوْلَادٍ ذَكَورٍ وَإِنَاثٍ. رَأَيْتُ أَنَا جَمَاعَةً مِنْهُمْ. انْتَهَى وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) يذكر المقرئ في السلوك أن خلعه من السلطنة كان بسبب اختلال عقله.

(٢) يعني والد المؤلف، وهو الأمير تغري بردي الشيبغاوي.

(٣) الروضة هي المنطقة التي تعرف اليوم بقرافة المجاورين. (محمد رمزي).

(٤) أي مغنيات.

(٥) في بدائع الزهور: «يعرفن بجوقة المنصور». وذكر ابن إياس نبذة مفيدة عن حال هذه المغنيات، قال: «وكان عنده جوقة مغاني نحو عشرة جوار، يزفون بالطارات عند الصباح وعند المساء؛ وكانت هذه عادة رؤساء أهل مصر، يقتنوا عندهم الجوار المغاني. وآخر من كان يفعل ذلك الأمير جمال الدين محمود الأستادار. ثم بطل ذلك من مصر مع جملة ما بطل من محاسن عيشة الأكابر، ولأجل ذلك اتخذوا الأغاني التي تشرف على الدور، وجعلوها برسم الجوار المغاني، التي يزفون عند الصباح وعند المساء. ولما مات الملك المنصور استمرت جواريه المغاني يعملون الأفراح للناس، وكانوا يعرفون بجوقة المنصور». (بدائع الزهور: ٥٩٣/١/١، وقد نقلنا النص كما جاء بأخطائه وسقم عباراته).

السنة الأولى [من سلطنة الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي على

[مصر]

وهي سنة اثنتين وستين وسبعمائة، ومدبر الممالك يَبُغَا العُمَرِيّ. على أن الملك الناصر حسناً حَكَمَ منها إلى تاسع جُمادى الأولى، ثم حكم في باقيها الملك المنصور هذا.

فيها كان خَلَع الملك الناصر حسن وقتله، حسب ما تقدّم، وسلطنة الملك المنصور هذا.

وفيها تُوفِّي الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عليّ بن محمد، المعروف بابن أبي طُرْطُور، الشاعر المشهور، بحماسة عن بضع وسبعين سنة. وكان - رحمه الله - شاعراً ماهراً حسن العِشْرَة. مدح الأكابر والأعيان، ورَحَلَ إلى الشام، ثم استوطن حَمَاة إلى أن مات. رحمه الله. ومن شعره في مَلِيح اسمه يعقوب، وهو هذا: [الرمل]

يا مليحاً حاز وجهاً حسناً أورث الصَّبَّ البكا والحزنا
غَلِطُوا في آسَمِك إذ نادُوا به يوسفُ أنت ويعقوبُ أنا

وتُوفِّي الحافظ المفتنُّ علاء الدين أبو عبد الله مُغَلْطَاي بن قليج بن عبد الله البَكْجَرِيّ الحنفيّ الحافظ المصنف المحدث المشهور في شعبان، ومولده سنة تسعين وستمائة، قاله ابن رافع، وغيره في سنة تسع وثمانين. وسمع من التاج أحمد ابن دَقِيق العيد وابن الطَّبَّاح والحسن بن عمر الكُرْدِيّ، وأكثر عن شيوخ عصره. وتخرّج بالحافظ فتح الدين ابن سيد الناس وغيره، ورَحَلَ وكتَب وصنَّف، وشرح «صحيح البخاريّ»، ورتب «صحيح ابن حَبَّان»، وشرح «سنن» أبي داود» ولم يكمله، وذَيَّل على «المشْتَبَه لابن نقطة»، وذَيَّل على «كتاب الضعفاء لابن الجَوْزِيّ» وله عدّة مصنّفات أخرى. وكان له اطلاع كبير وباع واسع في الحديث وعلومه، وله مشاركة في فنون عديدة. تغمّده الله برحمته.

وتُوفِّي الشيخ الإمام البارِع المحدث العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف الرِّيلَعِي الحنفيّ في الحادي والعشرين من المحرم. وكان - رحمه الله - فاضلاً بارِعاً في الفقه والأصول والحديث والنحو والعربية وغير ذلك. وصنّف وكتب وأفتى ودرّس، وخرّج أحاديث «الكشاف»^(١) في جزء، وأحاديث الهداية [في الفقه على مذهب أبي حنيفة]^(٢) في أجزاء وأجاد، أظهر فيه على اطلاع كبير وباع واسع. رحمه الله تعالى.

وتُوفِّي السيّد الشريف شهاب الدين حسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن زيد الحُسَيْنِي المصريّ الشافعيّ، الشهير بأبن قاضي العسكر، نقيب الأشراف بالديار المصرية عن أربع وستين سنة. وكان كاتباً بارِعاً أديباً بليغاً. كتب الإنشاء بمصر، وباشر كتابة السّر بحلب، وله ديوان خُطب وتعاليق ونظم ونثر. ومن شعره قوله: [المتقارب]

تَلَقَّ الأُمُورَ بِبَصَرٍ جَمِيلٍ وَصَدَرَ رَحِيْبٍ وَخَلَّ الحَرَجَ
وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ فَأَيُّمَا المَمَاتِ وَإِنَّمَا الفَرَجَ

وتُوفِّي القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر، المعروف بابن بنت الأعزّ العَلَامِيّ^(٣)، الفقيه الشافعيّ في يوم الخميس ثامن عشر شهر ربيع الآخر. وكان فقيهاً بارِعاً فاضلاً. وَلِيَ نظر الأحباس بالقاهرة ووكالة بيت المال وعدّة وظائف دينية - رحمه الله تعالى .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين بَلْبَانَ بن عبد الله السَّنَانِي الناصريّ الأستاذ وأحد أمراء المقدمين بالقاهرة. وكان من أعيان أمراء الديار المصرية، وفيه شجاعةٌ ومروءة وكرم. تغمّده الله برحمته.

وتُوفِّي القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عيسى [بن عيسى]^(٤) بن

(١) الكشاف في التفسير للزخشي.

(٢) زيادة عن السلوك.

(٣) في السلوك: «العلاني».

(٤) زيادة عن السلوك.

محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب الأمدي الدمشقي الشافعي، المعروف بابن قاضي شُهْبَة، رحمه الله. كان إماماً بارعاً أديباً ماهراً. باشر الخطابة بمدينة غزّة سنين، ثم كتب الإنشاء بدمشق، وكان له نظم ونثر وخطب.

وتُوفِّي الشيخ شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى بن محمود [بن عبد اللطيف البعلبكي] (١) المعروف بابن المجد الموسوي في سلخ صفر. وكان فقيهاً فاضلاً، إلا أنه كان غلب عليه الوسواس، حتى إنه كان في بعض الأحيان يتوضأ من فسقية الصالحية بين القصرين، فلا يزال به وسواسه حتى يُلقي نفسه في الماء بشيابه.

وتُوفِّي الفقيه الكاتب المنشيء كمال الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين أحمد بن يعقوب بن فضل بن طرخان الزينبي الجعفري العبّاسي الدمشقي الشافعي بضواحي القاهرة. كان معدوداً من الرؤساء الفضلاء الأديباء

وتُوفِّي الشيخ المعمر المعتقد أبو العباس أحمد بن موسى الزرعي الحنبلي، أحد الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، في المحرم بمدينة حبراص من الشام. وكان قوياً في ذات الله جريئاً على الملوك والسلطين. أبطل عدّة مكوس ومظالم كثيرة، وقدم إلى القاهرة أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وله معه أمور يطول شرحها. وكان يُخاطب الملوك كما يُخاطب بعض الحرافيش، وله على ذلك قوّة وشدة بأس (٢). رحمه الله تعالى.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين بُرناق بن عبد الله، نائب قلعة دمشق بها في شعبان. وكان مشكور السيرة في ولايته.

وتُوفِّي قاضي الكرك محي الدين أبو زكريا يحيى بن عمر الزكي الشافعي - رحمه الله - في أوائل ذي القعدة وهو معزول.

(١) زيادة عن السلوك.

(٢) روي أنه لما قدم على الناصر محمد بن قلاوون، قال له: «يا شيخ، ما جئتنا هدية؟» فقال: «نعم، جراب ملان حيات وعقارب». وأخرج جراباً فيه قصص مظالم، فرسم السلطان بإجابته إلى جميع ذلك.

(السلوك: ٧١/١/٣).

وتُوفِّي قتيلاً صاحب فاس من بلاد المغرب السلطان أبوسالم إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني في ليلة الأربعاء ثامن عشر ذي القعدة - رحمه الله تعالى - وكان من أجل ملوك الغرب.

وتُوفِّي الخوaja عز الدين حسين بن داود بن عبد السيد بن علوان السلامي التاجر في شهر رجب بدمشق، وقد حدث، وكان مثرياً، وخلف مالا كبيراً. أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع واثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعاً وعشر أصابع. والله أعلم.

السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي

على مصر

وهي سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

فيها تُوفِّي الشيخ الإمام العالم الخطيب شمس الدين أبو أمانة محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم الذكالي المصري الشافعي، الشهير بآبن النقاش - رحمه الله تعالى - في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الأول، ودُفن آخر النهار بالقرب من باب البرقية^(١) خارج القاهرة عن ثلاث وأربعين سنة. وكان إماماً بارعاً فصيحاً مفوهاً، وله نظم ونثر ومواعيد. وخطب بجامع أصلم^(٢)، ودرس به وبالأنوكية^(٣)، وعمِل عدّة مواعيد بالقاهرة والقدس والشام، واتصل بالملك الناصر حسن وحظي عنده. وهو الذي كان سبباً لخراب بيت الهرماس^(٤) الذي كان عمره في زيادة جامع الحاكم وساعده في ذلك العلامة قاضي القضاة

(١) أحد أبواب القاهرة في سورها الشرقي.

(٢) جامع أصلم: هذا الجامع داخل الباب المحروق من القاهرة، أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلاحدار سنة ٥٧٤٦هـ. (خطط المقرئبي: ٣٠٩/٢).

(٣) أي الخانقاه الأنوكية. وذكرها المقرئبي باسم خانقاه أم أنوك. وهي الخاتون طغاي أم أنوك زوجة الناصر محمد بن قلاوون. أنشأت تلك الخانقاه سنة ٥٧٤٥هـ. (خطط المقرئبي: ٤٢٥/٢).

(٤) هو قطب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن هرماس بن ماضي المعروف بالهرماس المقدسي. توفي سنة ٥٨٠هـ.

سراج الدين الهندي الحنفي . وكان له نظم ونثر وخطب، ومن شعره قصيدته التي أولها: [الكامل]

طَرَقَتْ وقد نامتْ عيُونُ الحُسَيدِ وتوارت الرقباء غير الفرقدِ

وتُوفِّي قاضي القضاة تاج الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي علم الدين محمد بن أبي بكر عيسى بن بدران السعدي الإخنائي المالكي - رحمه الله - بالقاهرة. وكان فقيهاً فاضلاً رئيساً ولي نظراً الخزانة السلطانية، ثم باشر الأحكام الشرعية إلى أن مات.

وتُوفِّي الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله، أبو الفتح ثم أبو بكر، ابن الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن ابن الخليفة الراشد بالله منصور ابن الخليفة المسترشد بالله الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدي بالله عبيد الله ابن الأمير ذخيرة الدين محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير الموفق طلحة ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدي محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي الهاشمي المصري - رحمه الله - بالقاهرة في ليلة الأربعاء ثامن عشر شهر جمادى الأولى، وعهد بالخلافة لولده من بعده المتوكل محمد.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين طاز بن عبد الله الناصري، المقدم ذكره في عدّة أماكن من تراجم أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهو بطل بالقدس. وكان

= ٥٧٦٩. وبيت الهرماس كان بجوار الجامع الحاكمي. وكان الهرماس مقرباً من السلطان الناصر حسن وللسلطان اعتقاد كبير فيه، فلما سعى به عنده ابن النقاش ركب السلطان في سنة ٥٧٦١هـ إلى باب النصر ووقف تجاه دار الهرماس وأمر بهدمها فهدمت. (انظر خطط المقرئزي: ٧٦/٢، والسلوك: ١٦٨/١/٣).

من خواصّ الملك الناصر محمد، ثم تَرَقَّى بعد موته إلى أن صار مدبّر الديار المصرية. ثم وُلِّي نيابة حلب بعد أمور وقعت له، ثم قُبِضَ عليه وحُجِسَ وَسُمِلَ، إلى أن أطلقه يَلْبُغًا في أوائل سلطنة الملك المنصور محمد هذا وأرسله إلى القدس بطّالاً فمات به. وكان من الشجعان.

وتُوفِّي القاضي أمين الدين محمد بن جمال الدين أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله، المعروف بآبن القلانسيّ التميمي الدمشقي بها. كان أحد أعيان دِمَشق، معدوداً من الرؤساء. باشر بها عدّة وظائف، ثم وُلِّي كتابة سِرِّ دِمَشق أخيراً. وكان فاضلاً كاتباً.

وتُوفِّي القاضي ناصر الدين محمد آبن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم الحلبي الشافعي، كاتب سِرِّ حلب ثم دِمَشق. وُلِدَ سنة سبع وسبعمئة بحلب ونشأ بها، وبرّع في عدّة علوم، وأُذِنَ له بالإفتاء والتدريس. وولِّي كتابة السّرّ والإنشاء بحلب عوضاً عن القاضي شهاب الدين آبن القطب، وأُضيف إليه قضاء العسكر بها. ثم نُقِلَ إلى كتابة سِرِّ دِمَشق بعد وفاة تاج الدين بن الزين خِضِر. وكان ساكناً محتملاً مُدارياً كثير الإحسان إلى الفقراء. وكان يكتب خطّاً حسناً، وله نظمٌ ونثر جيّد إلى الغاية. وكان مستحضراً للفقهِ وأصوله وقواعد أصول الدين والمعاني والبيان والهيئة والطب. ومن شعره رحمه الله: [الرمل]

وكأنَّ القَطْرَ في ساجي الدُّجَى لُوْلُوْ رَصَع ثَوْباً أسوداً

فإذا جادَت على الأرض غداً فِضَّة تُشْرِق مع بُعْد المَدَى

وتُوفِّي الأمير سيف الدين أَيْنَبَك بن عبد الله، أخو الأمير بَكْتَمُر الساقِي. وكان من جُملة أمراء الطبلخانات.

وتُوفِّي الأمير الطواشي صفيّ الدين جوهر الزُمُردي بَقُوص في شعبان. وكان من أعيان الخدّام، وله رياسة ضخمة.

وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم شمس الدين محمد بن مُفْلِح بن محمد بن مفرّج الدمشقي الحنبلي بِدِمَشق في شهر رجب. وكان فقيهاً بارعاً مصنفاً. صنّف «كتاب الفروع» وهو مفيد جدّاً، وغيره.

وتُوفِّيَ الشيخُ المعتمد فتح الدين يحيى بن عبد الله بن مروان الفارقيّ الأصل
الدمشقي الشافعي في شهر ربيع الأول بدمشق، ومولده بالقاهرة في سنة اثنتين
وسبعين وستمائة. رحمه الله تعالى. وكان صالحاً عالماً صُوفياً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الثالثة من سلطنة الملك المنصور محمد على مصر

وهي سنة أربع وستين وسبعمائة. وهي التي خُلِعَ فيها الملك المنصور
المذكور بأبن عمه الأشرف شعبان بن حسين في شعبان منها.

فيها كان الطاعون بالديار المصرية والبلاد الشامية ومات فيه خَلَقٌ كثير، لكنه
كان على كلِّ حال أخفَّ^(١) من الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين
وسبعمائة المقدم ذكره.

وفيها تُوفِّيَ الشيخُ عماد الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن^(٢) بن علي بن عمر
القرشي الإسناي^(٣) الشافعي في ثامن عشرين جُمادى الآخرة ودفن خارج باب النصر
من القاهرة. كان إماماً عالماً مفتياً مدرّساً.

وتُوفِّيَ الشيخُ سراج الدين، أبو حفص، عمر بن شرف الدين عيسى^(٤) بن عمر
البَارِينِيّ الشافعي الحلبي بحلب عن ثلاث وستين سنة. وكان من الفقهاء
الأفاضل - رحمه الله.

(١) ذكر المقرئ أن هذا الطاعون تزايد في الديار المصرية حتى بلغ في شهر رجب عدة من يموت في
اليوم الواحد ثلاثة آلاف. (السلوك: ٨٢/١/٣).

(٢) في السلوك: «الحسين».

(٣) هذه النسبة إلى إسنا (أسنا) بمصر. ويقال في النسبة إليها: الإسناي والأسناي والإسنوي والأسنوي.

(٤) كذا في السلوك والدرر الكامنة. وفي الأصل: «موسى».

وتُوفِّي القاضي كمال الدين، أبو العباس، أحمد ابن القاضي تاج الدين محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر^(١) بن هبة الله بن عبد القادر^(١) بن عبد الواحد بن هبة الله بن طاهر بن يوسف الحلبي، الشهير بابن النصيبي، بحلب عن تسع وستين سنة. كان كاتباً بارعاً. سمع الحديث وحدث، وعلّق بخطه كثيراً، وباشر كتابة الإنشاء بحلب، ثم ترك ذلك كله ولزم العزلة إلى أن مات.

وتُوفِّي صاحب تقيّ الدين سليمان بن علاء الدين عليّ بن عبد الرحيم^(٢) بن أبي سالم بن مَراجِل الدَّمشقي بِدمشق وهو من أبناء الثمانين. وكان كاتباً رئيساً. ولي نظر الدولة بمصر، ثم ولي وزارة دِمَشق ونظر قلعته وغيرها وغير ذلك من الوظائف، ونُقِل في عِدَّة خَدَم؛ ومن إنشاده لوالده: [الطويل]

أحبابنا شوقِي إليكم مضاعفٌ وذكركم عندي مع البعدِ وافرٌ
وقلبي لما غبتم طار نحوكم وأعجب شيءٍ واقعٌ وهو طائرٌ

وتُوفِّي القاضي شمس الدين عبد الله بن شرف الدين يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السَّفاح الحلبي بالقاهرة عن نيّف وخمسين سنة، رحمه الله. كان جليلاً، باشر كتابة الإنشاء بحلب وعِدَّة من الوظائف الديوانية، وتنقّل في الخدم. وقال في مرض موته: [مجزوء الخفيف]

إن قَضَى اللهُ مَوْتِي وفراقي أحبّتي
فعلّهم تأسُفي وإليهم تَلْفُتي
أو يَكُنْ حانَ مَضْرَعِي وتَدانَتْ مَنِيّتي
رَجِمَ اللهُ مُسْلماً زارَ قَبْرِي وحُفْرَتِي

وتُوفِّي الشيخ الإمام البارِع الأديب المفتنّ صلاح الدين، أبو الصفاء، خليل ابن الأمير عز الدين أيّك بن عبد الله الألبكي الصَّفدي الشاعر المشهور بِدمشق في ليلة الأحد عاشر شوال. ومولده سنة ستّ وتسعين وستمائة. وكان إماماً بارعاً كاتباً

(١) في الدرر الكامنة: «عبد القاهر».

(٢) في السلوك: «عبد الرحمن».

ناظماً ناثراً شاعراً. وديوان شعره مشهور بأيدي الناس، وهو من المكثرين. وله مصنفات كثيرة في التاريخ والأدب والبديع وغير ذلك وتاريخه المُسمَّى: «الوافي بالوفيات» في غاية الحسن، وقفت عليه وأنتقيته ونقلت منه أشياء كثيرة في هذا المؤلف وفي غيره. وله تاريخ آخر أصغر من هذا سماه «أعوان»^(١) النصر في أعيان العصر» في عدة مجلدات.

وقد استوعبنا من أحواله وشعره ومكاتباته نُبذة كبيرة في ترجمته في تاريخنا «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي». وتسميتي للتاريخ المذكور «المستوفى بعد الوافي» إشارة لتاريخ الشيخ صلاح الدين هذا، لأنه سَمَى تاريخه: «الوافي بالوفيات» إشارة على تاريخ ابن خَلْكَان أنه يُوقِي بما أخلَّ به ابن خَلْكَان، فلم يحصل له ذلك، وسَكَت هو أيضاً عن خلائق، فخشيتُ أنا أيضاً أن أقول: «المستوفى على الوافي» فيقع لي كما وقع له؛ فقلت: «المستوفى بعد الوافي» انتهى.

قلت: وقد خرجنا عن المقصود ولنعد لترجمة الشيخ صلاح الدين ونذكر من مقطعاته ما تُعرَف به طبقته بين الشعراء على سبيل الاختصار. فمن شعره بسندنا إليه: أنشدنا مُسِنِدُ عصره ابن الفرات^(٢) الحنفيّ إجازةً، أنشدنا الشيخ صلاح الدين خليل الصَّفديّ إجازةً: [السريع]

المُقْلَةُ السوداءُ أجفانها ترشُقُ في وَسَطِ فؤادي نبالاً
وتَقَطُّعُ الطُّرُقَ على سَلَوَاتِي حتى حَسِبْنَا في السُّوَيْدَا رجالاً

قال - وله أيضاً - رحمه الله تعالى: [الوافر]

مُحْيَاهُ له حُسْنُ بديع غدا رَوْضُ الخُدودِ به مُزَهَّرُ
وعارِضُهُ رأى تلك الحواشي مُذَهَّبَةٌ فَرَمَكَهَا^(٣) وشَعْرُ

(١) التسمية الصحيحة: «أعيان العصر في أعوان النصر».

(٢) هو ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم الحنفي المتوفى سنة ٨٠٧هـ. وهو صاحب تاريخ ابن الفرات. (الأعلام: ٢٠٠/٦).

(٣) التزميك والتشعير: من ضروب التزيين بماء الذهب.

وله - عفا الله عنه: [مخلع البسيط]

بَسَّهْمِ أَلْحَاطِهِ رِمَانِي فذُبْتُ مِنْ هَجْرِهِ وَيَيْنِهِ
إِنْ مَتُّ مَا لِي سِوَاهِ خَصْمٍ فَإِنَّهُ قَاتِلِي بَعَيْنِهِ

وقال: [المتقارب]

كُؤُوسِ الْمُدَامِ تُجِبُّ الصَّفَا فَكُنْ لِتَصَاوِيرِهَا مُبْطَلَا
وَدَعَّهَا سَوَادِجَ مِنْ نَقْشِهَا فَأَحْسِنُ مَا ذُهِبَتْ بِالطَّلَا

وله: [الطويل]

أَقُولُ لَهُ مَا كَانَ خَدُّكَ هَكَذَا وَلَا الصُّدُغُ حَتَّى سَأَلَ فِي الشَّفَقِ الدُّجَى
فَمَنْ أَيْنَ هَذَا الْحَسَنُ وَالظَّرْفُ قَالَ لِي تَفْتَحُ وَرِدِّي وَالْعِذَارُ تَخْرَجَا

وله: [الكامل]

أَنْفَقْتُ كَنْزَ مَدَائِحِي فِي ثَغْرِهِ وَجَمَعْتُ فِيهِ كُلَّ مَعْنَى شَارِدِ
وَطَلَبْتُ مِنْهُ جِزَاءَ ذَلِكَ قُبْلَةً فَأَبَى وَرَاحَ تَغْزُلِي فِي الْبَارِدِ

وله: [المنسرح]

أَفْدِيهِ سَاجِي الْجُفُونِ حِينَ رَنَا أَصَابَ مِنِّي الْحَشَا بِسَهْمَيْنِ
أَعْدَمَنِي الرَّشْدَ فِي هَوَاهُ وَلَا أَفْلَحَ شَيْءٌ يَصَابُ بِالْعَيْنِ

وله: [مخلع البسيط]

سَأَلْتُمْ عَنْ مَنَامِ عَيْنِي وَقَدْ بَرَّاهُ جَفَاً وَبَيْنُ
وَالنُّوْمُ قَدْ غَابَ حِينَ غِبْتُمْ وَلَمْ تَقْعَ لِي عَلَيْهِ عَيْنُ

وتُوفِّي الأمير بدر الدين حسين، المنعوت بالملك الأمجد، ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون بالقلعة في ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر. وهو آخر من بقي من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من الذكور، وهو والد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين، وموته قبل سلطنة

ولده الأشرف بنحو خمسة شهور وأيام، ولو عاش لما كان يَعْدِلُ عنه يَلْبُغا إلى غيره . وكان حسين هذا حريصاً على السلطنة فلم يَنْلُها دون إخوته، على أنه كان أمثلاً لإخوته .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين بَزْدَار الخليلي أمير شكار أحد مقدمي الألوفا بالديار المصرية بها؛ وكان من أعيان الأمراء، عُرف بالشجاعة والإقدام .

وتُوفِّي شيخ القراءات مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن يوسف بن محمد الكُفَّي في نصف شعبان، رحمه الله . وكان إماماً في القراءات، تصدَّى للإقراء سنين وانتفع الناس به .

وتُوفِّي السيد الشريف غياث الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشريف صدر الدين حمزة العراقيّ والد الشريف مُرتَضَى، تغمده الله تعالى . وكان رئيساً فاضلاً نبيلاً .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين جركس بن عبد الله النوروزي أحد أمراء الطلبخانات^(١) بالقاهرة . وكان من أعيان المماليك الناصرية .

وتُوفِّي الشيخ المُعتَقَد مُسلم^(٢) السلمي المقيم بجامع القبلة^(٣)، رحمه الله . كان صالحاً مجاهداً عابداً قائماً في ذات الله تعالى . وكان يُجاهد [الفرنج]^(٤) بطرابلس الغرب ويُقيم حاله وفقراءه من الغنائم . وله كراماتٌ ومناقبٌ؛ فمن ذلك كان عنده

(١) أمراء الطلبخانات: من أمراء الأجناد، وهم دون أمراء المثين مقدمي الألوفا . وكان تحت إمرة أمير الطلبخانة عدد من الجنود يتراوح بين ثمانين وأربعين . (انظر صبح الأعشى: ٤٨٠/٣ و١٥/٤، ٦١).

(٢) في السلوك: «حسن بن مسلم المسلمي» .

(٣) جامع القبلة: هذا الجامع بناه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي سنة ٤٧٨ هـ . وقيل له جامع القبلة لأن في قبلته سبع قباب ذات قناطر إذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمدرعين على قبلة كالتي كانت تعمل في المواكب والأعياد وعليها السرير وفوقها المدرعون أيام الخلفاء . (خطط المقرئ: ٢٨٩/٢) وكان موقع هذا الجامع على الجرف المطل على بركة الحبش والمعروف بالرصد . وهو الجبل الذي يشرف اليوم على قرية أثر النبي الواقعة على النيل جنوبي مصر القديمة . (محمد رمزي).

(٤) زيادة عن السلوك .

سَبَّعَ رَبَّاهُ حَتَّى صَارَ بَيْنَ فِقْرَائِهِ كَالْهَرِّ^(١) يَدُورُ الْبَيْوتُ. فَلَمَّا مَاتَ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللهُ - أَخَذَهُ السَّبَّاعُونَ فَتَوَحَّشَ عِنْدَهُمْ إِلَى الْغَايَةِ، حَتَّى أَبَادَهُمْ^(٢) وَعَجَزُوا عَنْهُ.

وَتُوفِّيَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطْلُوْبُغَا بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَحْمَدِيِّ النَّاصِرِيِّ نَائِبَ حَلَبَ بِهَا. وَكَانَ مِنْ خَوَاصِّ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ، وَتَرَقَّى مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى صَارَ أَمِيرَ مَائَةِ وَمَقْدَمَ أَلْفِ بَدْيَارٍ مِصْرَ. ثُمَّ وَلِيَ حِجْوِيَّةَ الْحِجَابِ بِهَا، ثُمَّ أَمِيرَ مَجْلِسِ، ثُمَّ وَلِيَ نِيَابَةَ حَلَبَ فِي أَوَائِلِ سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمِظْفَرِ حَاجِيٍّ صَاحِبِ التَّرْجُمَةِ، فَلَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ بِحَلَبَ وَمَاتَ بِهَا. وَكَانَ مِنَ الْأَمَائِلِ. رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَتُوفِّيَ الطَّوَّاشِيُّ صَفِيِّ الدِّينِ جَوْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ اللَّالِئِ. وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْخُدَّامِ، وَلَهُ عِزٌّ وَوَجَاهَةٌ.

وَتُوفِّيَ خَطِيبُ دِمَشْقَ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الشَّائِءِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جُمَّلَةَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. وَكَانَ فَصِيحًا، مَفْوَهًا. وَلِيَ خِطَابَةَ دِمَشْقَ سَنِينَ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم لم يُحَرَّرَ. مَبْلَغُ الزِّيَادَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَأَرْبَعَ أَصَابِعَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

(١) عبارة السلوك: «حتى صار بين فقرائه بمنزلة الهر في البيوت».

(٢) في السلوك: «فتوحش عندهم وعاد إلى ما جبل عليه».

ذكر سلطنة الملك الأشرف شعبان^(١) بن حسين على مصر

السلطان الملك الأشرف أبوالمفاخر^(٢) زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد آبن السلطان الملك المنصور قلاوون. تسلطن باتفاق الأمير يَلْبُغا العُمري وطَيُّغا الطويل مع الأمراء على سلطته بعد خلع آبن عمه الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي. وهو السلطان الثاني والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية.

ولمّا اتَّفَقَ الأمراء على سلطته أحضِر الخليفة المتوكِّل على الله أبو عبد الله محمد والقضاة الأربعة، وأُفِيضَ عليه الخِلافة الخليفَتية السوداء بالسلطنة، وجلس على تخت الملك وعمره عشر^(٣) سنين في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة من غير هَرَج في المملكة ولا اضطراب في الرعية، بل في أقل من قليل وَقَعَ خَلْعُ المنصور وسلطنة الأشرف هذا وأنتهى أمرهما. ونزل الخليفة إلى داره وعليه التشريف، ولم يَعْرِفِ الناس ما وقع إلا بدقِّ البشائر والمناداة باسمه، وزُيِّنَت القاهرة وتمَّ أمره على أحسن الأحوال.

ومولد الأشرف هذا في سنة أربع وخمسين وسبعمائة بقلعة الجبل. وأستقرَّ

(١) ترجمته وأخباره في: السلوك: ٨٣/١/٣؛ وبدائع الزهور: ٣/٢/١؛ والجواهر الثمين: ٢٢٠/٢؛
والبداية والنهاية: ٣١٦/١٤، والخطط التوفيقية: ١٠٦/١؛ والدرر الكامنة: ١٩٠/٢؛ وحسن
المحاضرة: ١٠٤/٢؛ وإنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني: ابتداء من سنة ٧٧٣هـ؛ والأعلام:
١٦٣/٣.

(٢) كذا أيضاً في حسن المحاضرة؛ وفي أكثر المراجع الأخرى: «أبو المعالي».

(٣) يوافق هذا ما جاء في السلوك والجواهر الثمين وخطط علي مبارك وحسن المحاضرة. وفي بدائع الزهور:
«نحو اثني عشرة سنة». وفي البداية والنهاية: «وله من العمر قريب العشرين».

الأتابك يلبغا العمري الخاصكي مدبّر الممالك ومعه خجداشه الأمير طيبيغا الطويل أمير سلاح على عاداتهما.

وعندما ثبت قواعد الملك الأشرف أرسل يلبغا بطلب الأمير علي المارديني نائب الشام إلى مصر، فلما حضر أخلع عليه نيابة السلطنة بديار مصر، وتولى عوضه نيابة دمشق^(١) الأمير منكلي بغا الشمسي نائب حلب. وتولى نيابة حلب عوضاً عن الشمسي الأمير إشتقمر المارديني. وتولى نيابة طرابلس عوضاً عن إشتقمر الأمير أزدمر الخازن نائب صغد. وتولى نيابة صغد عوضاً عن أزدمر الخازن الأمير قشتمر المنصوري الذي كان نائباً بالديار المصرية لأمر وقع منه في حق يلبغا العمري الأتابكي. وأستقر الأمير أرغون الأحمدي الخازن دار «لالا» الملك الأشرف شعبان. وأستقر الأمير يعقوب شاه السيفي [تابع]^(٢) يلبغا الحيواوي خازن داراً عوضاً عن أرغون الأحمدي. ثم أستقر الأمير أرنبغا الخاصكي في نيابة غزة عوضاً عن تمان تمر العمري بحكم وفاته. ثم ولي الأمير عمر شاه حاجب الحجاب نيابة حماة عوضاً عن أيدمر الشخي. وأستقر الشريف بكتمر في ولاية القاهرة عوضاً عن علاء الدين علي بن الكوراني بحكم أستعفاؤه عنها. ثم أستقر الأمير أحمد بن القشتمري في نيابة الكرك.

ثم ورد الخبر بوقوع الوباء بمدينة حلب وأعمالها وأنه مات بها خلق كثير، والأكثر في الأطفال والشبان.

ثم نزل السلطان الملك الأشرف شعبان إلى سرياقوس بعساكره على عادة الملوك.

ثم سمر الأتابك يلبغا خادمين من خدام السلطان الملك المنصور لكلام بلغه عنهما، فشفع فيهما، فخلياً ونفياً إلى قوص.

(١) عبارة السلوك: «واستقر الأمير منكلي بغا الشمسي في نيابة الشام عوضاً عن الأمير قشتمر».

(٢) زيادة من طبعة دار الكتب.

ثم في سنة خمس وستين أنعم على الأمير طيَدمر البَلسيِّ بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية .

ثم أخلع على الأمير آسن^(١) قُجا نبياة مَلْطية في ثالث صفر . واستقرَّ الأمير عمر بن أرغون النائب في نياية صغد عوضاً عن قشتمر المنصوري ، وحضر قشتمر المذكور إلى مصر على إقطاع عمر بن أرغون المذكور . وأستقرَّ الأمير طيَنال المَارِدِينِيّ نائب قلعة الجبل عوضاً عن أَلْطَنبُغا الشمسي بحكم استعفائه .

ثم أنعم [السلطان] على جماعة بإمرة طَبْلَخاناه وهم : تَمْرُبُغا^(٢) العُمريِّ ، ومحمد بن قماري أمير شكار ، وأَلْطَنبُغا الأحمدي . وأقبغا الصَّفويِّ^(٣) . وأنعم أيضاً على جماعة بإمرة عشرات وهم : إبراهيم بن صَرَعْتَمِش ، وأرَزَمَك من^(٤) مصطفى ، ومحمد بن قشتمر ، وأقبغا الجوهري ، وطَشْتَمُر العلائِيّ خازندار طيَينغا الطويل ، وطاجار من^(٤) عوض ، وآروس بُغا الخليليِّ ، ورجب بن كلبك^(٥) التركماني .

ثم وقع الفناء في هذه السنة في البقر حتى هَلَكَ منها شيء كثير ، وأصَرَ ذلك بحال الزرّاع .

ثم في هذه السنة فتح الأمير مَنكَلِيّ بغا الشمسيِّ نائب الشام باب كيسان^(٦) ، أحد أبواب دِمَشق بحضور أمراء الدولة وأعيان أهل دِمَشق ، وذلك بعد بروز المرسوم الشريف إليه بذلك ، وعَقَدَ عليه قَنطرة كبيرة ومدَّ له إلى الطريق جِسراً ، وعمَّر هناك جامعاً . وكان هذا [الباب] مُغَلَقاً من مدَّة تزيد على مائتي سنة ؛ كان سدّه الملك العادل نور الدين محمود الشهيد لأمر آقتضى ذلك ، فيه مصلحة للإسلام .

(١) في السلوك : «آسن قجا علي بك الجوكندار» .

(٢) في السلوك : «تمرقبا» .

(٣) في السلوك : «الصفدي» .

(٤) كذا بالميم والنون . وهي صيغة نسبة مستعملة في العصر المملوكي . وهي غير صيغة «ابن» .

(٥) في السلوك : «كلفت» .

(٦) باب كيسان : أحد أبواب سور دِمَشق ، ويقع في الزاوية الشرقية الجنوبية منه . وينسب إلى كيسان مولى معاوية فيما قيل . ويسميه النصارى باب يونس ، وهو على بعد خطوات من مدافن المسيحيين بالقرب من قبر بلال الحبشي . (انظر خطط الشام : ١٥٧/٦) .

ثم رُسم في هذه السنة بإبطال الوكلاء المتصرفين في أبواب القضاة^(١). وفي هذا المعنى يقول الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب، رحمه الله تعالى: [السريع]

يقولُ ذو الحقِّ الذي عالَهُ خصمُ ألدِّ ولسانُ كليلِ
إن صيروا أمرَ وكيلي سُديَّ فحسبي اللهُ ونعم الوكيلِ

ثم استقرَّ الأمير يعقوب شاه أمير آخور عوضاً عن الأمير جرجي الإدريسي بحكم انتقال جرجي إلى نيابة حلب عوضاً عن إشقتمر المارديني.

ثم في سنة ست وستين وسبعمائة استقرَّ الأمير قُطْلُقْتَمَر العِلائيَّ أمير جاندار في نيابة صَفَدَ عوضاً عن الأمير عمر بن أرغون النائب، وحضر عمر بن أرغون إلى مصر على إقطاع قُطْلُقْتَمَر المذكور في سابع شهر رجب. ثم استقرَّ الأمير عبد الله ابن بَكْتَمَر الحاجب أمير شِكار عوضاً عن الأمير ناصر الدين محمد بن أَلْجِيغَا، وأستقرَّ أَسْنَدَمَر العِلائي الحُرْفُوش حاجباً عوضاً عن عبد الله بن بَكْتَمَر المذكور.

ثم أنعم السلطان على الأمير أسندمر المظفري بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية في سلخ شهر رمضان. ثم أنعم على الأمير شعبان ابن الأتابك يَلْبُغَا العمري بإمرة مائة وتقدمة ألف.

ثم استقرَّ الأمير قشتمر المنصوري في نيابة طرابُلُس، واستقرَّ الأمير أَرْدَمَر الخازن في نيابة صَفَدَ عوضاً عن الأمير قُطْلُقْتَمَر العِلائي.

ثم استقرَّ الأمير أَلْطَنْبُغَا البَشْتَكِي في نيابة غَزَّة عوضاً عن أَرْنَبَا الكاملي بحكم وفاته.

ثم أخلع على الأمير مَنجَك اليوسفي باستقراره في نيابة طَرَسُوس بعد تلك الرُتَب العالية من تحكمه لَمَّا ولي الوَزَر بالديار المصرية ونيابة طرابُلُس والشام، وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه في عدة أماكن، وإنما أردنا التعريف به هنا لَمَّا تقدّم له ولَمَّا هو

(١) علل لذلك المقريري في السلوك بقوله: «لكثرة خداعهم ومكرهم وتحذلقهم في تنوع الشرور».

آت. وكانت ولاية منجك اليوسفي لنيابة طرسوس عوضاً عن قماري أمير شكار بحكم وفاته في سلخ ذي القعدة.

ثم أنعم السلطان على جماعة بإمرة طلبخانا وهم: قُطْلُوْبُغا البلباني، وكمُشْبُغا الحموي أحد مماليك الأتابك يلبغا العمري، وأقبغا الجوهري أحد اليلبغاوية أيضاً، وعلى جماعة بإمرة عشرات وهم: سلجوق الرومي، وأروس السيفي بشتاك، وسنقر السيفي أرقطاي، ثم أنعم السلطان على الأمير ألجاي اليوسفي في حادي عشرين شهر رجب بإمرة جاندار.

وفي هذه السنة وهي سنة ست وستين وسبعمائة عزّل قاضي القضاة عزّ الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة نفسه من قضاء الديار المصرية في سادس عشر جمادى الأولى، ونزل إليه الأتابك يلبغا بنفسه إلى بيته وسأله بعوده إلى المنصب فلم يقبل ذلك، وأشار على يلبغا بتولية نائه بهاء الدين أبي البقاء السبكي، فولي بهاء الدين [قضاء] القضاة الشافعية عوضه. ثم استقرّ قاضي القضاة جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القونوي الحنفي قاضي قضاة دمشق بعد موت قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن أحمد الكفري (بفتح الكاف)

وفي هذه السنة أسلم صاحب شمس الدين المقسي، وكان نصرانياً يباشر في دواوين الأمراء؛ فلما أسلم استقرّ مستوفي المماليك السلطانية.

وفي سنة سبع وستين وسبعمائة أخذت الفرنج مدينة إسكندرية في يوم الجمعة ثالث^(١) عشرين المحرم. وخبر ذلك أنه لما كان يوم الجمعة المذكور طرّق الفرنج مدينة الإسكندرية على حين غفلة في سبعين قطعة، ومعهم صاحب قبرس، وعدة الفرنج تزيد على ثلاثين ألفاً. وخرجوا من البحر المالح إلى بر الإسكندرية، فخرج أهلها إليهم، فتقاتلوا، فقُتِلَ من المسلمين نحو أربعة آلاف نفس؛ واقتحمت الفرنج

(١) كذا أيضاً في الجوهر الثمين. وفي السلوك: «يوم الأربعاء حادي عشرين المحرم». وفي البداية والنهاية لابن كثير - وهو معاصر للحدث، وكان بالشام - «أنهم - أي الفرنج - وصلوا إليها يوم الأربعاء الثاني والعشرين من المحرم.. ودخلوها يوم الجمعة بكرة النهار».

الإسكندرية وأخذوها بالسيف، وأستمروا بها أربعة أيام وهم يقتلون وينهبون ويأسرون. وجاء الخبر بذلك إلى الأتابك يلبغا، وكان السلطان بسرياقوس، فقام من وقته ورجع إلى القلعة، ورسم للعساكر بالسفر إلى الإسكندرية. وصلى السلطان الظهر وركب من يومه ومعه الأتابك يلبغا والعساكر الإسلامية في الحال، وعدوا النيل، وجدوا في السير من غير ترتيب ولا تعبئة حتى وصلوا إلى الطرانة^(١)، والعساكر يتبع بعضها بعضاً. فلما وصل السلطان إلى الطرانة أرسل جاليشاً^(٢) من الأمراء أمامه في خفية، وهم قطلوبغا المنصوري، وكوندك، وخليل بن قوصون، وجماعة من الطبلخانات والعشرات وغيرهم، وجدوا في السير؛ وبينما هم في ذلك جاء الخبر بأن العدو المخدول، لما سمعوا بقدوم السلطان، تركوا الإسكندرية وهربوا، وفرح الناس بذلك. ورسم السلطان بعمارة ما تهدم من الإسكندرية وإصلاح أسوارها.

وأخلع السلطان على الشريف بكتمر نيابة الإسكندرية وأعطاه إمرة مائة وتقدمة ألف. وبكتمر هذا هو أول نائب ولي نيابة الإسكندرية من النواب، وما كانت أولاً إلا ولاية، فمن يومئذ عظم قدر نوابها وصار نائبها يُسمى ملك الأمراء.

ثم أمر يلبغا فنودي بمصر والقاهرة بأن البحارة والنفاطة كلهم يحضرون إلى بيت الأتابك يلبغا للعرض والنفقة ليسافروا في المراكب التي تُنشأ. وبدأ يلبغا في عمارة المراكب، وبعت مراسيم إلى سائر البلاد الشامية والحلبية بإخراج جميع التجارين وكل من يعرف يمسك منشاراً بيده، ولا يترك واحداً منهم، وكلهم يخرجون إلى جبل شغلان، وهو جبل عظيم فيه أشجار كثيرة من الصنوبر والقرو^(٣) ونحو ذلك، وهذا الجبل بالقرب من مدينة أنطاكية، وأنهم يقطعون الألواح وينشرون الأخشاب للمراكب ويحملونها إلى الديار المصرية. فامتثل نائب حلب ذلك، وفعل

(١) الطرانة: هي اليوم إحدى قرى مركز كوم حمادة بمديرية البحيرة.

(٢) الجاليش والشاليش: الراية العظيمة، ومقدمة أوطليعة الجيش. - راجع فهرس المصطلحات.

(٣) القرو: شجر حرجي، خشبه له ألياف قصيرة مزركشة، متين جداً، يشيع استعماله في صنع الأثاث. (المعجم الوسيط).

ما أَمَرَ به، وَوَقَعَ الشروع في عمل المراكب^(١).

هذا، وقد ثُقُلَ على يَلْبُغا وطأةُ خُشداشه طَيِّبغا الطويل، فأراد أن يَسْتَبِدَّ بالأمر وحده، وأخذ يَلْبُغا يدبُّ عليه في الباطن. ولقد حَكَى لي بعضُ من رآهما قال: «كانا ينزلان من الخِدمة السلطانية معاً، فتقول العامة: يا طويل! حِسِّك^(٢) من هذا القصير! فكان طيِّبغا يلتفت إلى يلبغا ويقول له وهو يضحك: ما يقولون هؤلاء! فيقول يلبغا: هذا شأن العامة يثيرون الفتن.» إنتهى.

وأستمرَّ يلبغا على ذلك أن خرج طيِّبغا الطويل إلى الصيد بالعباسة، فأرسل إليه يلبغا جماعةً من مُقَدَّمي الألف وهم: أرغون الإسعُردِي الدوادار، والأمير آروس المحمودي الأستادار، وأرغون الأزقي، وطيِّبغا العلائي حاجب الحجاب، ومعهم تشریفٌ له بناية دِمَشق. فساروا حتى قَدِموا على طَيِّبغا الطويل، وأخبروه بما وَقَعَ؛ فلما سَمِعَ طيِّبغا ذلك غَضِبَ، وأبى قبول الخلعة، وخامر. وأتفق معه أرغون الإسعُردِي الدوادار، وآروس المحمودي. وهَرَبَ طيِّبغا العلائي وأرغون الأزقي ولَحِقًا بالأتابك يلبغا وأعلماه بالخبر؛ فركب يلبغا في الحال، ومعه السلطان الملك الأشرف شعبان، بالعساكر في صبيحة اليوم المذكور. وقد ساق طيِّبغا الطويل من العباسية حتى نَزَلَ بقبة النصر خارج القاهرة ليأتيه من له عنده غَرَضٌ، فوافاه يلبغا في حال وصوله بالعساكر، وقَاتَلَه؛ فاقتتلا ساعة، وأنكسر طيِّبغا الطويل بمن معه، وأمسيك هو وأصحابه من الأمراء وهم: أرغون الإسعُردِي، وآروس المحمودي، وكَوْنُدُك^(٣)

(١) ذكر كل من المقرزي وابن كثير تفصيلات وافية عن غزو الفرنج للإسكندرية وما أحدثوه فيها من نهب وتنكيل. وكذلك الإجراءات التي اتخذتها السلطات الملكية على أثر ذلك ضد النصارى في بلاد مصر والشام. كما أشار ابن كثير إلى تقاعس السلطات وقتئذٍ عن حماية ذلك الثغر الهام، في حين أشار المقرزي إلى أن تلك الواقعة كانت من «أشنع ما مرَّ بالإسكندرية من الحوادث، ومنها اختلت أحوالها، واتضع أهلها، وزالت نعمهم». - انظر السلوك: ١٠٤/١/٣ - ١٠٨، والبداية والنهاية: ٣٢٨/١٤ - ٣٣٢.

(٢) لفظ عامي مصري بمعنى: حذار.

(٣) في السلوك: «الأمير كونداي أخو طيِّبغا الطويل».

أخو طيغا الطويل، وجَرَكَتْمُر السَّيْفِي مَنَجَك، وأرغون من عبد الله^(١)، وجُمَق الشَّيخُونِي، وكَلِيم أخو طيغا الطويل وتُلك أخو بيغا الصالحي، وأقبغا العُمري البالسي، وجُرْجِي بن كَوْنُدُك^(٢)، وأرْزَمَك^(٣) من مصطفى، وطُشْتَمَر العِلائي، وأرْسَلُوا الجَمع إلى سجن الإسكندرية. وأخذ يلغا إقطاع ولَدَي طيغا الطويل، وهما علي وحمزة، وكانا أميرَي طبلخاناه.

ثم في يوم الاثنين خامس عشرين شعبان من سنة سبع وستين وسبعمائة، باست الأمراء الأرض للسلطان، ويلغا الأتابك معهم، وطلبوا من السلطان الإفراج عن الأمراء المسجونين بئثر الإسكندرية المقدم ذكرهم؛ فقَبِلَ السلطان شفاعتهم، ورسم بالإفراج عن طيغا الطويل خاصة، فأفرج عنه، ورسم بسفره إلى القدس بطالاً؛ فسافر إلى القدس وأقام به إلى ما يأتي ذكره.

ثم بعد ذلك في يوم عيد الفطر رَسَمَ السلطان بالإفراج عن بقي في الإسكندرية من أصحاب طيغا الطويل، فأفرج عنهم، وحضروا، فأخرجوا إلى الشام متفرقين بطالين. وصفا الوقت ليلبغا العُمري، وصار هو المتكلم في الأمور من غير مُشارك، والسلطان الملك الأشرف شعبان معه آلة في السلطنة. وأنعم يلغا بإقطاعات أصحاب طيغا الطويل على جماعة من أصحابه، فأنعم على الأمير أرغون بن بلبك الأزقي بتقدمة ألف عوضاً عن قُطْلُوغَا المنصوري، وأنعم على طيغا العِلائي السيفي بزلاز بتقدمة ألف عوضاً عن مَلِكْتَمَر المارديني بحكم وفاته، وأنعم على أَيْنَبَك البدري أمير آخور يلغا العمري بإمرة طبلخاناه واستقرَّ أستاذار أستاذه يلغا.

ثم استقرَّ الأمير إِشْقَتَمَر المارديني المعزول عن نيابة حلب قبل تاريخه في نيابة طرابلس، عوضاً عن قشتمر المنصوري وطلب قشتمر المذكور إلى مصر.

ثم استقرَّ الأمير طَيْدَمَر البالسي أمير سلاح عوضاً عن طيغا الطويل في سابع

(١) في السلوك: «والأمير أرغون عبد الملك»

(٢) في السلوك: «جرجي بن كونداي».

(٣) في السلوك: «أرزمق بن مصطفى».

جمادى الأولى . ثم استقرّ طبيغا الأبوبكري دواداراً كبيراً بإمرة طبلخاناه عوضاً عن الإسعردى ، فأقام دواداراً إلى حادي عشرين شعبان وعُزل بأمير بيغا دوادار أمير علي المارديني بإمرة طبلخاناه أيضاً .

ثم استقرّ الأمير أرغون طَطَّرَ رأس نُوْبَة الثُوبِ عوضاً عن مَلِكْتُمَر العمري المارديني في آخر جمادى الآخرة . واستقرّ أرغون الأزقي أستاذاراً عوضاً عن آروس المحمودي . واستقرّ يعقوب شاه أمير آخور مقدّم ألف وحاجباً ثانياً عوضاً عن قُطْلُوْبُغَا المنصوري . واستقرّ طُقْتُمَر الحَسَنِي أمير آخور كبيراً عوضاً عن يعقوب شاه المُنتَقَل إلى الحُجُوبِيَّة الثانية . واستقرّ قُطْلُوْشَاه الشَّعْبَانِي أمير طبلخاناه وشادّ الشراب خاناه عوضاً عن أرغون بن عبد الملك . واستقرّ تَمْرَقْبَا العُمَرِي جوكنداراً عوضاً عن جَرِكْتُمَر السَّيْفِي مَنَجَك . وأنعم على آقبغا الأحمدي المعروف بالجلب بتقدمة ألف ، وعلى أَسَنْدُمَر الناصري بتقدمة ألف أيضاً ، وكلاهما بالديار المصريّة . واستقرّ حُسين بن الكُورَانِي فِي ولاية القاهرة ، وهذه أوّل ولايته .

ثم فرق على جماعة كبيرة بإمرة طبلخاناه وهم : طَغَيْتُمَر العثماني ، وآقْبُغَا الجوهري ، وقجماس السيفي طاز ، وأَلْطُنْبُغَا العزي ، وأرغون كتك العزي ، وقراتمر المحمدي - والشهابي هذا قراتمر ، رأيته وقد شاخ ، وكان بطّالاً يسكن بالقرب من الكيش بعد سنة عشرين وثمانمائة . انتهى - وآروس بغا الكاملي^(١) ، وطاجار من عوض ، وآقبغا اليوسفي ، وألطنبغا المارديني (وهو غير صاحب^(٢) الجامع ، ذاك متقدّم على هذا) ورسالان الشيخوني^(٣) - واستقرّ حاجباً بإسكندرية على إمرة طبلخاناه - وعليّ بن قَشْتُمَر المنصوري ، وسُوْدُون القُطْلُقْتُمَرِي ، وقُطْلُوْبُغَا الشَّعْبَانِي ، ومحمد المهندس التُّرْكَمَانِي^(٤) . و[أنعم] على جماعة بعشرات ، وهم : تنبک

(١) في السلوك : «آروس بغا الخليلي» .

(٢) راجع الجزء التاسع ، ص ٨٨ .

(٣) في السلوك : «رسالان السيفي» .

(٤) في السلوك : «محمد الترجمان» .

الأزقي، وأرغون الأحمدي، وطيبغا^(١) السيفي، يلبغا^(٢)، وأرغون الأرغوني، وسودون الشيخوني - وهو الذي صار نائب السلطنة في دولة الملك الظاهر برقوق كما سيأتي ذكره - وأزدمر العزي أبو ذقن، ويونس العمري، وذرت بغا الباسي، وقرابغا الصرغتمشي، وطاز الحسني، وقرقماس الصرغتمشي، وطيبغا العلائي، وقماري الجمالي.

ثم في هذه السنة أبطل يلبغا المكوس من مكة والمدينة ورتب عوض ذلك من بيت المال مائتي ألف وستين ألفاً.

ثم في سنة ثمان وستين طلب السلطان الأمير منكلي بغا الشمسي نائب الشام إلى الديار المصرية، فلما حضره أكرمه وأخلع عليه نيابة حلب عوضاً عن جرجي الإدريسي لعجزه عن القيام بمصالح حلب مع التركمان؛ فامتنع منكلي بغا من نيابة حلب كونه نائب دمشق، ثم ينتقل منها إلى نيابة حلب، فأضيف إليه أربعة آلاف نفر^(٣) من عسكر دمشق لتكون منزلته أكبر من منزلة نائب دمشق؛ فأذعن عند ذلك وليس الخلعة وتوجه إلى حلب. وتولّى نيابة دمشق عوضه الأمير آقتمر عبد الغني حاجب الحجاب بالديار المصرية، وتولّى عوضه حجويّة الحجاب طيبغا العلائي. وأما جرجي الإدريسي المعزول عن نيابة حلب فإنه ولي نيابة طرابلس بعد عزل منجك اليوسفي عنها.

وفي ثامن عشر شهر ربيع الأول من سنة ثمان وستين المذكورة استقرّ أرغون الأزقي الأستاذار في نيابة غزة عوضاً عن ألطنبغا البشتكي. وفي الشهر أيضاً استقرّ آقبا الأحمدي المعروف بالجلب لآلا السلطان الملك الأشرف عوضاً عن أرغون الأحمدي بحكم نفيه إلى الشام لأمر اقتضى ذلك، ونفي معه تمرّبغا العمري.

ثم في آخر الشهر المذكور أمسك الأتابك الأمير يلبغا الطواشي سابق الدين

(١) في السلوك: «ككبغا السيفي».

(٢) كذا! وهو غير وارد في السلوك.

(٣) في السلوك: «أربعة آلاف فارس».

مِثْقَالاً الْآنُوكِي مَقْدَمَ الْمَمَالِيكِ السُّلْطَانِيَّةِ وَضَرَبَهُ دَاخِلَ الْقَصْرِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ سِتْمَائَةَ عَصَاةً وَنَفَاهُ إِلَى أَسْوَانَ - وَسَبَبُهُ ظَهُورُ كَذِبِهِ لَهُ - وَوَلَّى مَكَانَهُ مَخْتَارَ الدَّمَنْهَوْرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِشَاذِرَوَانَ، وَكَانَ مُقَدِّمَ الْأَوْجَاقِيَّةِ بِيَابِ السُّلْسَلَةِ.

كُلُّ ذَلِكَ وَالْعَمَلُ فِي الْمَرَكَبِ مُسْتَمَرٌّ إِلَى أَنْ كَمَلَتْ عِمَارَةُ الْمَرَكَبِ مِنَ الْغُرْبَانَ^(١) وَالطَّرَائِدِ^(٢) لِحَمْلِ الْغَزَاةِ وَالْخِيُولِ. وَكَانُوا نَحْوَ مِائَةِ غُرَابٍ وَطَرِيدَةٍ، عُمِّرَتْ فِي أَقَلِّ مِنْ سِنَةٍ مَعَ عَدَمِ الْأَخْشَابِ وَالْأَصْنَافِ يَوْمَ ذَلِكَ^(٣).

وَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي ذَلِكَ قَتِيلٌ يَلْبُغَا الْعُمَرِيَّ بِيَدِ مَمَالِيكِهِ فِي وَاقِعَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ. وَخَبِرُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي مُسْتَهْلِ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ نَزَلَ السُّلْطَانُ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَعَدَى إِلَى بَرِّ الْجِيْزَةِ لِيَتَوَجَّهَ إِلَى الصَّيْدِ بِالْبَحِيرَةِ، بَعْدَ أَنْ أَلْزَمَ الْأَمْرَاءُ أَنْ يَجْعَلُوا - فِي الشُّوَانِي^(٤) الَّتِي نَجَزَ عَمَلُهَا بِرَسْمِ الْغَزَاةِ - الْعُدَدَ وَالسَّلَاحَ وَالرِّجَالَ عَلَى هَيْئَةِ الْقِتَالِ لِيَنْظُرَ السُّلْطَانُ وَالنَّاسُ ذَلِكَ. فَامْتَثَلُوا الْأَمْرَاءَ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ، وَأَشْحَنُوا الْمَرَكَبَ الْعُدَدَ وَالسَّلَاحَ وَالرِّجَالَ الْمُلْبَسَةَ، وَضَرَبُوا الطَّبْلَخَانَاهَا بِهَا، وَصَارَتْ فِي أَيْمَى زَيْيٍّ، وَلَعَبُوا بِهَا فِي الْبَحْرِ قَدَامَ السُّلْطَانِ وَالْأَتَاكِ يَلْبُغَا. وَخَرَجَ النَّاسُ لِلتَّفْرُجِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ، وَكَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ الْمَشْهُودَةِ الَّذِي لَمْ يَرِ مِثْلَهُ فِي سَالِفِ الْأَعْصَارِ.

ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ وَالْأَتَاكِ يَلْبُغَا بِالْعَسَاكِرِ مِنْ بَرِّ الْجِيْزَةِ يُرِيدُونَ الْبُحَيْرَةَ حَتَّى نَزَلُوا فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسِ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سِتَّةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةَ

(١) الغربان: جمع غراب، وهي من المراكب الحربية شديدة البأس. سميت بذلك لرقه حركتها وطولها وسوادها بالأظلية المانعة للواء عنها - كالزفت وغيره - فصارت تشبه في سوادها الغربان من الطير، أولان مقدم هيكلها كان على شكل رأس الغراب. وهي تسير بالقلاع والمجاديف. وقد تفاوتت أحجامها ومجاديفها. (الجواهر الثمين: ٢٢٥/٢، حاشية: ١).

(٢) الطرائد والطرادات: جمع طريدة وطرادة وطراد وطرطيدة، وهي سفينة صغيرة سريعة السير والجري، مفتوحة المؤخرة بباب يفتح ويغلق؛ وهي معدة لحمل الخيل بسبب الحرب. وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً. (المرجع السابق).

(٣) وكان القصد من ذلك مهاجمة قبرس رداً على غزو الإسكندرية - انظر تفصيل ذلك في السلوك: ١٢٩/١/٢، وبدائع الزهور: ٢٧/٢/١ - ٤٤.

(٤) سبق التعريف بها. - راجع فهرس الألفاظ الاصطلاحية.

بالطَّرانة وباتوا بها، وكانت ممالكك يَلْبُغا قد نَفَرَت قلوبُهُم منه لكثرة ظُلْمه وَعَسْفه وتنوعه في العذاب لهم على أدنى جُرْم، حتى إنه كان إذا غَضِب على مملوك ربما قَطَعَ لسانه. فَاتَّفَق جماعةٌ من ممالكك يلبغا تلك الليلة على قتله من غير أن يُعْلِمُوا الملكَ الأشرف هذا بشيء من ذلك، وركبوا عليه نصف الليل، ورؤوسُهُم من الأمراء: أقبغا الأحمدي الجلب، وأسندمُر الناصري، وقجماس الطازي، وتغري برمش العلائي، وأقبغا جاركس أمير سلاح، وقرأبغا الصرغتمشي، في جماعة من أعيان اليَلْبُغاوية. ولبسوا آلة الحرب وكبسوا في الليل على يلبغا بخيَّمته بَغْتة وأرادوا قتله، فأحسَّ بهم قبل وصولهم إليه، فركب فرَسَ النَّوْبَة بخواصِّه من ممالكه، وهَرَبَ تحت الليل، وعدى النيلَ إلى القاهرة، ومنع سائر المراكب أن يعدّوا بأحد. واجتمع عنده من الأمراء طيِّبغا حاجب الحُجَاب، وأينبك البدري أمير آخور، وجماعةُ الأمراء المقيمين بالقاهرة. وأما ممالكك يَلْبُغا فإنهم لما علموا بأن أستاذهم نجا بنفسه وهَرَب، اشتدَّ تخوُّفُهُم من أنه إذا ظَفِرَ بهم بعد ذلك لا يُبْقِي منهم أحداً. فاجتمعوا الجميعُ بمن أنضاف إليهم من الأمراء وغيرهم وجاءوا إلى الملك الأشرف شعبان - تغمَّده الله برحمته - وهو بمخيَّمه أيضاً بمنزله بالطَّرانة وكلموه في موافقتهم على قتال يَلْبُغا فامتنع قليلاً ثم أجاب لمافي نفسه من الحَزَازة من حجر يلبغا عليه، وعدم تصرُّفه في المملكة. وركب [السلطان] بممالكك^(١) يَلْبُغا وخاصكيته، فأخذوه وعادوا به إلى جهة القاهرة، وقد اجتمع عليه خلائقٌ من ممالكك يَلْبُغا وعساكر مضر، وساروا حتى وصلوا إلى ساحل النيل بببلاق التُّكْروري تُجَاه ببلاق والجزيرة الوسطى. فأقام الملك الأشرف بببلاق التُّكْروري يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة فلم يجدوا مراكب يُعدّون فيها.

وأما يلبغا فإنه لما علم أن الملك الأشرف طأوع ممالكه وقرَّبهم، أنزل من قلعة الجبل سيدي أنوك آبن الملك الأمجد حسين أخي الملك الأشرف شعبان وسلطنه ولقبه بالملك المنصور، وذلك بمخيَّمه بجزيرة أرؤى المعروفة بالجزيرة

(١) في الأصل: «وركب بممالكه وخاصكيته» والتعديل والزيادة للتوضيح.

الوسطانية، تُجاه بولاق التُّكروري حيث الملك الأشرف نازل بممالكك يَلْبُغا بالبرّ الشرقي والأشرف^(١) بالبر الغربي، فسَمَّته العوامَ سلطان الجزيرة^(٢).

ثمّ في يوم الجمعة حضر عند الأتابك يلبغا الأمير طَغَيْمَر النظامي والأمير أرغون طَطَّر، فإنهما كانا يتصيّدان بالعباسة وأنصافاً بمن معهما إلى يلبغا فقوي أمره بهما. وعدى إليه أيضاً جماعة من عند الملك الأشرف، وهم: الأمير قرأبغا البدري، والأمير يعقوب شاه، والأمير بَيْبُغا العلائي الدوادار، والأمير خليل بن قَوْصون، وجماعة من ممالكك يلبغا الذين أمرهم مثل: آقْبغا الجوهري، وكمَشْبُغا الحموي، ولبغا شُقَيْر، في آخرين.

وآستمرَّ الأتابك يلبغا وأنوك بجزيرة الوسطى، والملك الأشرف وممالكك يلبغا ببولاق التُّكروري، إلى أن حضر إلى الأشرف شخص يُعرف [بمحمد]^(٣) ابن بنت لبطة رئيس [شواني]^(٤) السلطان وجَهَّز للسلطان من الغُرَبان التي عَمَّرها برسم الغَزاة نحو ثلاثين غُراباً برجالها وكسَّر بُرُوقها، وجعلها مثل الفلاة لأجل التَّعدية. فنزل فيها جماعة من الأمراء ومن ممالكك يلبغا ليُعدوا فيها إلى الجزيرة فرمى عليهم يلبغا بمكاحل النَّفط، وصار هؤلاء يرمون على يلبغا بالسُّهام فيزدونهم على أعقابهم. وأخذ يلبغا ومن معه يرمون أيضاً النفط والنُّشاب، والأشرفية لا يلتفتون إلى ذلك، بل يزيدون في سبِّ يلبغا ولَعْنه وقتاله. وأقاموا على ذلك إلى عصر يوم السبت، وقد قوي أمر الملك الأشرف وضعف أمر يلبغا.

ثمّ اتَّفَق رأي عساكر الملك الأشرف على تَعْدية الملك الأشرف من الوَرَّاق^(٥)، فعَدَى وقت العصر من الوَرَّاق إلى جزيرة الفيل^(٥) وتتابعته عساكره. فلما

(١) لعل الصواب: «ولبغا بالبر الغربي» كما يقتضيه السياق.

(٢) الجزائر المذكورة أعلاه يجمعها كلها جزيرة أروى، وهي التي تعرف اليوم بالجزيرة أو الجزيرة الكبرى أو جزيرة بولاق الواقعة وسط النيل تجاه بولاق القاهرة، ويتوصل إليها بواسطة كوبري قصر النيل وكوبري بولاق. (محمد رمزي).

(٣) زيادة عن المنهل الصافي.

(٤) الوراق. بلدة واقعة على شاطئ الغربى للنيل بمركز إمبابة، تجاه ساحل روض الفرج (محمد رمزي).

(٥) مكانها اليوم الأرض التي عليها مساكن قسيمي شبرا وروض الفرج من أقسام مدينة القاهرة. (محمد رمزي).

صاروا الجميع في برّ القاهرة، وبلغ ذلك يلبغا، هرب الأمراء الذين كانوا مع يلبغا بأجمعهم وجاؤوا إلى الملك الأشرف وقبّلوا الارض بين يديه. فلما رأى يلبغا ذلك رجع إلى جهة القاهرة، ووقف بسوق الخيل من تحت قلعة الجبل، ولم يبق معه غير طيبيغا حاجب الحجاب الذي كان أولاً أستاذاره. فوقف يلبغا ساعة ورأى أمره في إدبار، فنزل عن فرسه بسوق الخيل تجاه باب الميدان، وصلّى العصر، وحلّ سيفه وأعطاه للأمير طيبيغا الحاجب. ثم نزل وقصد بيته بالكبش فرجمته العوام من رأس سويقته^(١) منعم إلى أن وصل حيث اتجه.

وسار الملك الأشرف شعبان بعساكره، حتى طلّع إلى قلعة الجبل في آخر نهار السبت المذكور. وأرسل جماعة من الأمراء إلى يلبغا، فأخذوه من بيته ومعه طيبيغا الحاجب، وطلّعوا به إلى القلعة بعد المغرب، فسجن بها إلى بعد عشاء الآخرة من اليوم المذكور. فلما أذن للعشاء جاء جماعة من ممالك يلبغا مع بعض الأمراء وأخذوا يلبغا من سجنه وأنزلوه من القلعة. فلما صار بحدرة القلعة أحضروا له فرساً ليركبه، فلما أراد الركوب ضربته مملوك من ممالكه يسّمى قراتمر فأرّمى رأسه، ثم نزلوا عليه بالسيوف حتى هبّروه تهبيراً، وأخذوا رأسه وجعلوها في مشعل [النار]^(٢) إلى أن انقطع الدم؛ فلما رآه بعضهم أنكروه وقال: «أخفيتموه وهذه رأس غيره» فرفعوه من المشعل، ومسحوه ليعرفوه أنه رأس يلبغا بسلة^(٣) كانت خلف أذنه؛ فعند ذلك تحقّق كل أحد بقتله، وأخذوا جثته فغيبوا بين العروستين^(٤). فجاء الأمير طشتمر الدوادر فأخذ الرأس منهم في الليل، وأستقصى على الجثة حتى أخذها، وحطّ الرأس على الجثة، وغسلها وكفنها وصلّى عليه في الليل، ودفنه بترته التي أنشأها بالصحراء بالقرب من تربة خوند طغاي أم أنوك زوجة الناصر محمد

(١) تبين للأستاذ محمد رمزي أن سويقته منعم هي بذاتها الطريق التي تسمى اليوم شارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة.

(٢) زيادة عن المنهل الصافي.

(٣) السلة: زيادة تحدث في البدن كالغدة. وقد تصغر أو تكبر.

(٤) العروستان: كان اسماً للمكان الذي عليه الآن مبنى دار المحفوظات العمومية بالقلعة بالقاهرة. وكان هذا المكان بعض القبور المهجورة. (محمد رمزي).

ابن قلاوون. وفيه يقول بعض الشعراء [مخلع البسيط]:

بدا شقا يَلْبُغَا وَعَدَّتْ عَدَاهُ فِي سُفْنِهِ إِلَيْهِ
وَالكَبْشُ لَمْ يَفِدِهِ وَأُضْحَتْ تَنُوحُ غِرْبَانُهُ عَلَيْهِ

قلت: لاجرم أن الله سبحانه وتعالى عامل يَلْبُغَا هذا من جنس فعله بأستاذه الملك الناصر حسن، فسَلَطَ عليه مماليكَه فقتلوه كما قَتَلَ هو أستاذه الناصر حسناً. فالقصاص قريب، والجزاء من جنس العمل.

ولمّا أصبح نهار الأحد عاشر شهر ربيع الآخر، وهو صبيحة ليلة قُتِلَ فيها يَلْبُغَا العُمَرِيُّ الخاصِّكي المقدم ذكره، وطلع جميعُ الأمراء إلى القلعة، وأستقرَّ الأمير طُعَيْتَمِرُ النِّظَامِيُّ هو المتحدِّث في حلِّ المملكة وعَقْدِهَا، ومعه آقبغا جلب الأحمديّ وأسنَدَمِرُ الناصريّ وقجماس الطازيّ، وقَبَضُوا من الأمراء على تَمْرِبِغَا^(١) البَدْرِيّ ويعقوب شاه وبييغا العلائيّ الدوادار، وقُيِّدُوا وأرسلوا عشيةَ النهار إلى الإسكندرية. ورُسِمَ للأمير خليل بن قوصون أن يلزم بيته بطالاً.

وفي يوم الاثنين حادي عشرة أستقرَّ قَشْتَمِرُ المنصوريّ حاجب الحجاب عوضاً عن طيبيغا العلائي. وأستقرَّ أَيْدَمِرُ الشاميّ دوداراً بامرة مائة وتقدمة ألف وناظر الأحباس ولم يُعلم قبله دوادار أمير مائة ومقدم ألف.

ثمّ قُبِضَ على جماعة من الأمراء وهم: أزدَمِرُ العزّيّ، وآقبغا الجوهريّ، وأرغون كنتك العزّيّ أيضاً، وأرغون الأرغونيّ، ويونس الرّمّاح العُمريّ، وكَمَشْبِغَا الحمويّ، وأرسلوا الجميع في القيود إلى نغر الإسكندرية فحُجِسُوا^(٢) بها.

ثمّ أستقرَّ طَيْدَمِرُ البالسيّ أستاذار العالية. ثمّ أُخْلِعَ على قجماس الطازيّ وأستقرَّ أمير سلاح عوضاً عن طيدمر البالسيّ المنتقل إلى الأستادارية. وأنعم على قرأبغا الصرغتمشيّ بتقدمة ألف دفعة واحدة من إمرة عشرة.

(١) في السلوك: «قرايبغا البديري».

(٢) عبارة السلوك: «... وسجنوا بالقلعة، ما عدا كمشبغا الحموي وآقبغا الجوهري فإنها سجنوا بخزانة شمائل».

ثم في العشرين من الشهر استقرّ أسنبغا القوضوني لالا السلطان، عوضاً عن أقبغا جلب. وأستقرّ قرأتمر المحمديّ خازنداراً، عوضاً عن تكتتمر المحمديّ. وحضر سابق الدين مثقال [الأنوكي]^(١) من قوص بطلب من السلطان وقبل الأرض ونزل إلى داره.

وفي [يوم الخميس]^(١) ثاني [عشر]^(١) جمادى الأولى قبض على فخر الدين ماجد بن قروينة وسلم لقرابغا [الصرغتمشي] ليستخلص منه الأموال، وأستقرّ عوضه في الوزارة صاحب جمال الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر، وأضيف إليه نظر الخاص أيضاً، وكان أولاً صاحب ديوان يلبغا.

وفي سادس عشر جمادى الأولى أعيد [الطواشي]^(٢) سابق الدين مثقال إلى تقدمة المماليك السلطانية وصرف الدمنهوري المعروف بشاذروان.

وفي يوم الخميس سادس عشر رجب قبض على قرابغا الصرغتمشي. وعندما قبض على قرابغا المذكور ركب الأمير تغري برمش بالسلاح ومعه عدة من الأمراء والخاصكية. فرسم السلطان بركوب الأمراء والخاصكية، فركبوا في الحال وقبضوا عليه، وأمسكوا معه الأمير أئبك البدري وإسحاق الرجبي وقرابغا العزي ومقبل الرومي، وأرسلوا إلى الإسكندرية. ثم أنعم السلطان على كل من قطلوبغا جركس وأقطاي بتقدمة ألف.

ومن هذا الوقت أخذ أسندمر الناصري في التعاضم وأنضمام الناس عليه. فاتفق جماعة من الأمراء العزية مع طغيتمر النظامي وأقبغا جلب على قبض أسندمر، ودبروا عليه. إلى أن كانت ليلة الأحد سابع شهر شوال من سنة ثمان وستين المذكورة، ركبوا نصف الليل. وضربوا الكوسات، وأنزلوا الملك الأشرف إلى الإسطبل السلطاني، وقصدوا مسك أسندمر الناصري وبعض ممالك يلبغا العمري الأشرار. وبلغ ذلك أسندمر، فمكث في بيته إلى طلوع الشمس. ثم ركب من بيته

(١) زيادة عن السلوك.

(٢) زيادة عن السلوك.

بالكبش، فإنه كان سَكَنَ فيه بعد قتل يَلْبُغا، وتوجَّهَ بَمَنْ معه إلى قُبَّةِ النَّصْرِ ومنها إلى القرافة^(١) إلى باب الدَّرْفِيلِ^(٢) من وراء القلعة، فلم يَفْطَنَ به الأمراء إلا وهو تحت الطبلخاناه السلطانية من القلعة؛ وكَبَسَ عليهم من الصَّوَّةِ^(٣) فهَرَبَ أكثرُ الأمراء، وكان غالبهم قد استَخدمَ عنده جماعةً من مماليك يَلْبُغا. فلما رأى مماليك يَلْبُغا أُسْنَدْمَرُ ومن معه من خُشْداشيتهم توجَّهوا إليهم وتركوا أمراءهم. ثم خرج إلى أُسْنَدْمَرِ آقْبغا جلب، وطرَدوا الحاجب آبن اخي آل ملك، فقَوِيَ أُسْنَدْمَرُ بهم على الأمراء وصدَمَهم صَدْمَةٌ هائلة كسرهم فيها كَسْرَةً شَنِيعَةً، وهربوا الجميع إلَّا أَلْجاي اليوسفي وأرغون طَطَّرَ فإنهما ثبتا وقاتلا أُسْنَدْمَرَ، وليس معهما غير سبعين فارساً. فقاتلوا أُسْنَدْمَرَ وجماعته إلى قريب الظهر، فلم يرجع إليهما أحد من أصحابهما، فأنكسرا، وانتصر أُسْنَدْمَرُ الناصري عليهم؛ وطلع إلى القلعة، وقبَّل الأرض بين يدي الملك الأشرف شعبان، فأخلع عليه الأشرف باستقراره أتابكاً ومدبِّر المماليك كما كان يلعب العُمريَّ الخاصكي.

ثم قبض أُسْنَدْمَرُ على جماعة من الأمراء وقبدهم وأرسلوا إلى ثغر الإسكندرية فحبسوا بها وهم: أَلْجاي اليوسفي، وطغيتمر النظامي وأيدمر الشامي، وآقْبغا جلب، وقطلوبغا جركس، وأقْطاي، وأرغون طَطَّرَ، وقجماس الطازي، وجميع هؤلاء مقدِّمو أَلوف. ثم قبض على جماعة من الأمراء الطبلخانات وهم: طاجار من عَوْض، وبلغا شَقِيرَ، وقْرَابغا شادَّ الأحواش، وقْرَابغا الأحمدي، وقطلوبغا الشعباني، وأيدمر الخطائي، وتمراز الطازي، وآسن الناصري، وقْرَاتْمَرُ المحمدي.

ثم أصبح أُسْنَدْمَرُ في يوم حادي عشر شوال أنعم على جماعة من الأمراء وأستقروا مقدِّمي أَلوف بالديار المصرية وأصحاب وظائف؛ فأخلع على أَرْدْمَرِ العزري

(١) أي قرافة المماليك المعروفة الآن بجبانة أبي سبحة في الجهة الجنوبية من قلعة الجبل. (محمد رمزي).

(٢) باب الدرفيل: أحد أبواب القلعة في سورها الشرقي المشرف على جبل المقطم. (خطط المقرزي: ٢٠٥/٢).

(٣) الصوة: اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية البحرية من قلعة القاهرة. (انظر خطط المقرزي: ٢١٣/٢، ٤٠٨).

وَأَسْتَقَرَّ أَمِيرَ مِائَةِ وَمَقْدَمِ أَلْفٍ وَأَمِيرَ سِلَاحٍ؛ وَأَسْتَقَرَّ جَرَكْتُمُرَ السِّيفِيِّ مَنْجَكَ أَمِيرَ مِائَةِ وَمَقْدَمِ أَلْفٍ وَأَمِيرَ مَجْلِسٍ؛ وَأَسْتَقَرَّ أَلْطُنْبُغَا الْيَلْبَغَاوِيِّ رَأْسَ نَوْبَةِ النُّوبِ مِنْ إِمْرَةِ عَشْرَةِ دَفْعَةٍ وَاحِدَةٍ؛ وَأَسْتَقَرَّ قَطْلُقْتُمُرَ الْعِلَاثِيِّ أَمِيرَ جَانْدَارٍ؛ وَأَسْتَقَرَّ سُلْطَانَ شَاهِ أَمِيرَ مِائَةِ وَمَقْدَمِ أَلْفٍ وَحَاجِباً ثَانِياً. وَأَسْتَقَرَّ بَيْرَمُ الْعِزِّيِّ دَوَادِرَاً بِتَقْدِمَةِ أَلْفٍ، وَكَانَ جَنْدِيّاً قَبْلَ ذَلِكَ، فَانْعَمَ عَلَيْهِ بِإِقْطَاعِ طُعَيْتُمُرِ النِّظَامِيِّ وَوُضِيفَتْهُ وَجَمِيعَ مَوْجُودِهِ وَمَمَالِكِهِ وَحَوَاصِلِهِ. وَأَنْعَمَ عَلَى خَلِيلِ بْنِ قَوْصُونَ بِتَقْدِمَةِ أَلْفٍ، وَعَلَى قَبْقِ الْعِزِّيِّ بِتَقْدِمَةِ أَلْفٍ، وَعَلَى أَرْغُونَ الْقَشْتُمُرِيِّ بِتَقْدِمَةِ أَلْفٍ، وَعَلَى مُحَمَّدِ بْنِ طَيْطِقِ الْعِلَاثِيِّ بِتَقْدِمَةِ أَلْفٍ.

ثُمَّ أَنْعَمَ عَلَى جَمَاعَةِ بِيَامِرَةِ طَبْلَخَانَاهِ وَهُمْ: بُزْلَارُ الْعُمَرِيِّ، وَأَرْغُونَ الْمُحَمَّدِيِّ الْأَنْوَكِيِّ الْخَازِنِ، وَأَرْغُونَ الْأَرْغُونِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ طَقْبُغَا الْمَاجَرِيِّ، وَبَاكِيشُ السِّيفِيِّ الْيَلْبُغَا، وَأَقْبُغَا آصَ الشَّيْخُونِيِّ، وَسُودُونَ الشَّيْخُونِيِّ وَجُلْبَانَ السَّعْدِيِّ، وَكَبْكَ الصَّرْغْتَمِشِيِّ، وَإِينَالُ الْيُوسُفِيِّ، وَكَمْشَبُغَا الطَّازِيِّ، وَبَكْتُمُرُ الْعِلْمِيِّ، وَقُمَارِيُّ الْجَمَالِيِّ، وَأَرْسَلَانُ خَجَا، وَمِبَارَكُ الطَّازِيِّ، وَتَلْكَتُمُرُ الْكُشْلَاوِيِّ، وَأَسْنَبُغَا الْعِزِّيِّ، وَقَطْلُوبُغَا الْحَمُويِّ^(١)، وَمَأْمُورُ الْقَلْمَطَاوِيِّ.

ثُمَّ أَنْعَمَ عَلَى جَمَاعَةِ بِيَامِرَةِ عَشْرَاتٍ وَهُمْ: كُرْكَ الْأَرْغُونِيِّ، وَالْأَطْنُبُغَا الْمُحَمَّدِيِّ، وَقَرَابُغَا الْأَحْمَدِيِّ - وَهَذَا غَيْرُ قَرَابُغَا الْأَحْمَدِيِّ الْجَلْبِ - وَحَاجِي مَلِكِ بْنِ شَادِي، وَعَلِيُّ بْنُ بَاكِيشٍ^(٢)، وَرَجَبُ بْنُ خَضِرٍ، وَطَيْطِقُ الرَّمَاحِ.

ثُمَّ خَلَعَ عَلَى جَمَاعَةٍ وَأَسْتَقَرَّتْ جُوكَنْدَارِيَّةٌ وَهُمْ: مِبَارَكُ الطَّازِيِّ الْمَقْدَمِ ذَكَرُهُ، وَقَرْمِشُ الصَّرْغْتَمِشِيِّ، وَإِينَالُ الْيُوسُفِيِّ. وَأَخْلَعَ عَلَى تَلْكَتُمُرِ الْمُحَمَّدِيِّ وَأَسْتَقَرَّ خَازِنِدَاراً عَلَى عَادَتِهِ، وَبِهَادِرِ الْجَمَالِيِّ شَادَّ الدَّوَاوِينِ، عَوْضاً عَنْ خَلِيلِ بْنِ عَرَامٍ بِحُكْمِ أَنْتِقَالِ أَبِي عَرَامٍ إِلَى نِيَابَةِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ. وَأَسْتَقَرَّ أَسْنَدُمُرُ الزَّيْنِيِّ فِي نِيَابَةِ طَرَابُلُوسَ، عَوْضاً عَنْ إِشْقَتُمُرِ الْمَارْدِينِيِّ، وَأُمَسِكُ إِشْقَتُمُرِ وَحُسُوسِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ.

(١) فِي السُّلُوكِ: «قَطْلُوبُغَا الْخَلْبِيِّ».

(٢) فِي السُّلُوكِ: «عَلِيُّ بْنُ بَكْتِاشٍ».

وَأَسْتَقَرَّ طَبِيعًا الطَّوِيلُ النَّاصِرِيُّ - رَفِيقٌ يَلْبِغَا العَمْرِيَّ الخَاصِكِيَّ المَقْدَمَ ذَكَرَهُ - فِي نِيَابَةِ حِمَاةٍ، وَكَانَ بَطَالًا بِالقُدْسِ، فِي تَاسِعِ صَفَرٍ؛ فَلَم تَطَّلْ مَدَّتُهُ وَقَبِضَ عَلَيْهِ مِنْهَا فِي ذِي القَعْدَةِ وَأَعْتَقَلَ بِالإِسْكَندَرِيَّةِ ثَانِيًا. وَتَوَلَّى نِيَابَةَ حِمَاةِ عُمَرَ شَاهٍ عَلَى عَادَتِهِ. وَأَسْتَقَرَّ بَيْبِغَا القَوُصُونِيَّ أَمِيرَ آخُورِ كَبِيرًا، عَوْضًا عَنِ آقْبِغَا الصَّفْوِيِّ بِحُكْمِ وَفَاتِهِ. وَأَرْسَلَ إِلَى الأَمِيرِ مَنكَلِيِّ بَغَا الشَّمْسِيِّ نَائِبَ حَلْبِ خِلْعَةَ الإِسْتِمْرَارِ.

وَقَدْ كَمَلَ جَامِعُ (١) مَنكَلِيِّ بَغَا الَّذِي أُنشِئَهُ بِحَلْبِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِقَنَسْرِينَ.

وَأَسْتَهَلَّتْ سَنَةٌ تَسَعٌ وَسِتِينَ وَالْمَلِكُ الأَشْرَفُ شَعْبَانُ كَالْمَحْجُورِ عَلَيْهِ مَعَ أَسَنْدَمُرٍ، غَيْرَ أَنْ أَسَمَهُ السُّلْطَانُ، وَخَلِيفَةَ الوَقْتِ المَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ، وَأَسَنْدَمُرَ النَّاصِرِيِّ أَمِيرَ كَبِيرِ أَتَابِكِ العَسَاكِرِ وَمُدَبِّرِ المَمْلَكَةِ وَنَائِبِ السُّلْطَنَةِ مَعَ أَمِيرِ عَلِيِّ المَارِدِينِيِّ آلَةَ يَتَعَاطَى الأَحْكَامِ لَا غَيْرَ، وَنَائِبِ دِمَشْقَ أَقْتَمَرَ عَبْدِ الغَنِيِّ، وَنَائِبِ حَلْبِ مَنكَلِيِّ بَغَا الشَّمْسِيِّ وَهُوَ يَوْمئِذٍ يُخْشَى شَرَّهُ، وَنَائِبِ طَرَابُلُسَ مَنجَكَ اليُوسُفِيِّ، وَنَائِبِ حِمَاةِ عَمَرَ شَاهٍ صَاحِبِ القَنْظَرَةِ عَلَى الخَلِيجِ خَارِجِ القَاهِرَةِ، وَنَائِبِ صَفْدَ أَرْغُونَ الأَزْقِيِّ.

وَأَسْتَمَرَ الأَتَابِكُ أَسَنْدَمُرُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الجُمُعَةِ سَادِسِ صَفَرٍ أَتَفَقَّتْ عَلَيْهِ مَمَالِيكَ يَلْبِغَا الأَجْلَابِ، وَرَكَبُوا مَعَهُمُ الأَمْرَاءَ وَوَقْتُ صَلَاةِ الجُمُعَةِ، وَدَخَلُوا عَلَى أَسَنْدَمُرِ النَّاصِرِيِّ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُمَسِكَ جَمَاعَةَ مِنَ الأَمْرَاءِ، فَمَسَكَ أَزْدَمَرَ العَزِيَّيَّ أَمِيرَ سِلَاحٍ وَجَرَكَتَمَرَ المَنجَكِيَّ أَمِيرَ مَجْلِسِ وَبِيرَمِ العَزِيَّيَّ الدُّوَادَارِ الكَبِيرِ وَبَيْبِغَا القَوُصُونِيَّ وَالأَمِيرِ آخُورِ كَبِكِ الصَّرغْتَمِشِيِّ الجُوكَنْدَارِ. وَأَسْتَمَرَّتِ المَمَالِيكَ لِابْسِينَ السِّلَاحِ، وَأَصْبَحُوا يَوْمَ السَّبْتِ وَمَسَكُوا خَلِيلَ بَنِ قَوُصُونَ ثُمَّ أَطْلَقُوهُ، وَأَنْكَسَرَتِ الفِتْنَةُ إِلَى عَشِيَّةِ النَّهَارِ وَهِيَ لَيْلَةُ الأَحَدِ وَقَالُوا لِأَسَنْدَمُرَ: «نَرِيدُ عَزْلَ المَلِكِ الأَشْرَفِ»، وَكَانَ أَسَنْدَمُرٌ مَقْهُورًا مَعَهُمْ.

(١) أُنشِئَ سَنَةَ ٧٦٨ هـ حِينَ كَسَرَ الإِفْرَنْجُ عَلَى آيَاسٍ فِي غُرَةِ شَهْرِ صَفَرٍ. وَكَانَ يَوْمئِذٍ أَتَابِكُ الجَيْشِ المَنْصُورَةِ بِالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ. وَهَذَا الجَامِعُ يَعْرِفُ فِي حَلْبِ بِاسْمِ جَامِعِ الرُّومِيِّ. (مُحَمَّدُ رَمَزِي) - وَفِي الدَّرِ المُنْتَخَبِ لِابْنِ الشُّحْنَةِ (ص ٧٣) أَنَّ عِمَارَةَ هَذَا الجَامِعِ كَانَتْ سَنَةَ ٧٧٨ هـ.

وبلغ الخبرُ الملكَ الأشرف، فأرسل في الحال إلى [خليل] بن قَوْصُونِ فحضر؛ وركب الملك الأشرف وركب ابن قوصون ومماليك الأشرف الجميع مع أستاذهم، وكانوا نحو المائتين لا غير، وكان الذين اجتمعوا من مماليك يَلْبُغا فوق الألف وخمسمائة. وركب مع الملك الأشرف جماعة من الأمراء الكبار مثل أَسْنَبُغا ابن الأبوبكري وقَشْتَمَر المنصوري في آخرين، وضربت الكوسات، واجتمع على السلطان خلقٌ كثيرٌ من العوام.

ولما بلغ أسندمر الناصري ركوب الملك الأشرف، أخذ جماعة من مماليك يَلْبُغا، وطلع من خلف القلعة كما فعل أولاً في واقعة آقبا الجلب، وتقدمت مماليك يَلْبُغا وصدموا المماليك الأشرفية وتقاتلوا. وبينما هم في ذلك جاء أسندمر بمن معه من تحت الطبلخاناه كما فعل تلك المرة، فعلم به الأشرفية والأمراء، فمالوا عليه فكسروه أقبح كسرة وهرب أسندمر، ثم أمسك وتمزقت المماليك اليلبغاوية. فلما جيء للأشرف بأسندمر وحضر بين يديه شفعت فيه الأمراء الكبار، فأطلقه السلطان ورسم له أن يكون أتابكاً على عاداته. ورسم له بالنزول إلى بيته بالكيش، ورسم للأمير خليل بن قوصون أن يكون شريكه في الأتابكية. فنزل أسندمر إلى بيته ليلة الاثنين، وأرسل السلطان معه الأمير خليل بن قوصون صفة الترسيم، وهو شريكه في وظيفة الأتابكية، ليحضره في بكرة نهار الاثنين. فلما نزلوا إلى الكيش، تحالفا وخامرا ثانياً على السلطان. واجتمع عند أسندمر وخليل بن قوصون في تلك الليلة جماعة كبيرة من مماليك يلبغا، وصاروا مع أسندمر كما كانوا أولاً. وأصبح يوم الاثنين وركبا إلى سوق الخيل. فركب السلطان بمن معه من الأمراء والمماليك الأشرفية وغيرهم، فالتقوا معهم وقاتلوهم وكسروهم، وقتلوا جماعة كبيرة من مماليك يَلْبُغا. وهرب أسندمر وابن قوصون وأشتغل مماليك السلطان والعوام بمسك مماليك يَلْبُغا، يُمسكونهم ويحضرونهم عرايا مكشفي الرؤوس. وتوجه فرقة من السلطانية إلى أسندمر وابن قوصون فقبضوا عليهما وعلى الطنبغا اليلبغاوي وجماعة آخر من الأمراء اليلبغاوية، فقيدوا وأرسلوا إلى سجن الإسكندرية.

وفي هذه الواقعة يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار: [البيسط]

هلال شعبان جَهْرًا لاح في صَفَرٍ
وأهل كَبْشٍ كاهلِ الفِيلِ قد أُخِذُوا
بالنصرِ حتى أرى عيداً بِشعبانِ
رغمًا وما انتطحتُ في الكَبْشِ شاتانِ

ثم جلس الملك الأشرف شعبان في الإيوان وبين يديه أكابر الأمراء، ورسم بتسمير جماعة من مماليك يلبغا نحو المائة وتوسيطهم، ونفى جماعة منهم إلى الشام وأخذ مال أسندمُر وأنفق على مماليكه لكل واحد مائة دينار، ولكل واحد من غير مماليكه خمسون دينارًا. ورسم للأمير يلبغا المنصوري باستقراره أتابك العساكر هو والأمير مَلِكْتَمِر الخازندار، وأنعم على كل منهما بتقدمة ألف. وأنعم على تَلَكْتَمِر بن بركة بتقدمة ألف عوضاً عن خليل بن قوصون، وكان ذلك في سادس عشر صفر.

ثم أصبح السلطان من الغد في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر قبض على يلبغا المنصوري المذكور ورفيقه تَلَكْتَمِر المحمديّ لأنهما أرادا الإفراج عن مماليك يلبغا [العمرى]، وقصد يلبغا المنصوري أن يسكن بالكَبْش؛ فمسكهما الملك الأشرف وأرسلهما إلى الإسكندرية. ثم أرسل السلطان بطلب الأمير منكلي بغا الشمسيّ نائب حلب إلى الديار المصرية، فحضرها بعد مدة وأخلع عليه السلطان خلعاً النيابة بديار مصر، فأبى أن يكون نائباً، فأنعم عليه بتقدمة ألف وجعله أتابك العساكر؛ وتولى نيابة حلب عوضه طيغنا الطويل، وكان أخرجه من سجن الإسكندرية قبل ذلك.

ثم زوج السلطان أخته^(١) للأمير منكلي بغا الشمسي المذكور، فتزوجها، وأولدها بنتاً تزوجها الملك الظاهر برقوق، وعاشت بعد الملك الظاهر إلى أن ماتت في سنة ثلاث وثلاثين [وثمانمائة]^(٢) بقاعتها بخط الكعكين من القاهرة.

ثم رسم الملك الأشرف أن يفرج عن طغيتم النظامي وأيدمر الخطائي وألجاي اليوسفي، وكانوا محبوسين بالإسكندرية؛ فحضروا إلى بين يدي السلطان، وقبلوا الأرض بين يديه.

(١) هي خوند سارة بنت حسين بن محمد بن قلاوون. (السلوك: ١٥٧/١/٣).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

وخلع [السلطان] على بَكْتَمُر المؤمني وأستقرَّ أمير آخور كبيراً بتقدمة ألف، وهو صاحب المصلاة والسبيل بالرُميلة.

ثم رسم السلطان بإحضار الأمير أقتمر عبد الغني؛ فلما وصل أقتمر إلى مصر أخلع عليه السلطان بأستقراره حاجب الحجاب بالديار المصرية. وكان أقتمر هذا قد ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية قبل نيابة الشام، وتولى نيابة دمشق بعده بِيَدْمُر الحُوَارُزْمِي قليلاً، ثم عُزِلَ وأستقرَّ عوضه في نيابة دِمَشْق منجك اليوسفي نائب طرابُلُس، وأستقرَّ في نيابة طرابلس بعد منجك أيدْمُر الأنوكي.

ثم أخلع السلطان على الأمير الأكرز الكشلاوي بأستقراره شاذ الدواوين، عوضاً عن بهادر الجمالي. ثم أفرج عن الأمير أرغون طَطَّرَ وأخلع عليه وأستقرَّ أمير شكار بتقدمة ألف. ثم رسم بإحضار قطلوبغا الشعباني من الشام فحضر بعد مدة.

ثم في ثامن عشر جمادى الآخرة أستقرَّ الأمير أقتمر الصاحبى دواداراً عوضاً عن آقبا بن عبد الله بإمرة طبلخاناه. وأستقرَّ طُغَيْتَمُر العثماني شاذ الشراب خاناه. وأستقرَّ بَشْتَك العُمري رأس نوبة ثانياً.

ثم أخلع الملك الأشرف في تاسع عشرين شهر رمضان على الأمير أرغون الأزقي بأستقراره رأس نوبة كبيراً عوضاً عن تُلُكْتَمُر بن بركة، وأستقرَّ تُلُكْتَمُر المذكور أمير مجلس عوضاً عن طُغَيْتَمُر النظامي.

ثم أستقرَّ الأمير أُلجاي اليوسفي أمير سلاح برانياً عوضاً عن أزدْمُر العزّي. وأستقرَّ آقبا بن عبدالله دواداراً كبيراً بإمرة طبلخاناه. ثم استقرَّ الأكرز أستاذاراً عوضاً عن أُلْطُنْبُغا بحكم وفاته.

وفي سابع شوال أستقرَّ الأمير عمر بن أرغون النائب في نيابة الكرك، عوضاً عن ابن القشُمري. وأستقرَّ طيدمر البالسي في نيابة الإسكندرية، عوضاً عن صلاح الدين خليل بن عرام. وأستقرَّ خليل بن عرام حاجباً بثغر الإسكندرية. ثم استقرَّ أيدمر الشبخي في نيابة حماة عوضاً عن عمر شاه. وأخلع على شمس الدين ابن المقسي بأستقراره ناظر الخواص الشريفة بالقاهرة عوضاً عن ابن أبي شاعر

في ثالث عشر ذي القعدة. وأستقر العلامة سراج الدين عمر بن إسحاق الغزنوي الهندي الحنفي قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية، بعد موت قاضي القضاة جمال الدين التركماني. وأستقر الشيخ سراج عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكِناني البلقيني الشافعي في قضاء دمشق عوضاً عن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكي، فلم تطل مدة البلقيني في قضاء دمشق وعزل، وأعيد تاج الدين السبكي. وأستقر القاضي بدر الدين محمد أبن القاضي علاء الدين علي أبن القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله العمري في كتابة السر بالديار المصرية بعد وفاة والده. وأستقر فتح الدين محمد بن الشهيد في كتابة سر دمشق عوضاً عن جمال الدين بن الأثير.

ثم وقَعَ الوباء بالديار المصرية حتى بلغت عدّة الموتى في اليوم أكثر من ألف نفس، وأقام نحو الأربعة أشهر وأرتفع.

وفي هذه السنة أيضاً وهي سنة تسع وستين وسبعمائة قصدت الفرنج مدينة طرابُلُس الشام في مائة وثلاثين مركباً من الشواني والقراقير^(١) والغربان والطرائد وصحبتهم صاحب^(٢) قُبُرس، وهو المقدم ذكره عليهم، وكان نائبها وأكثرُ عسكرها غائبين عنها. فاغتنمت الفرنج الفرصة وخرجوا من مراكبهم إلى الساحل، فخرج لهم من طرابُلُس بقية عسكرها بجماعة من المسلمين، فتراموا بالنبال ثم اقتتلوا أشد قتال. وتقهقر المسلمون، ودخل المدينة طائفة من الفرنج، فنهبوا بعض الأسواق. ثم إن المسلمين تلاحقوا، وحصل بينهم وبين الفرنج وقائع عديدة استشهد فيها من المسلمين نحو أربعين نفراً، وقُتل من الفرنج نحو الألف، وألقى الله تعالى الرعب في قلوب الفرنج فرجعوا خائبين.

(١) القراقير: جمع قرقور أو قرقورة، نوع من السفن الكبيرة التي كانت تستعمل في تموين الأسطول بالزاد والمتاع والذخيرة. وهي متعددة الشرع والصواري، ومنها ما كان يحتوي على ثلاثة ظهور. وكانت تحتوي على ساحات قتال في المقدمة أو في المؤخرة. (السلوك: ١٤٩/١/٣، حاشية).

(٢) سماه المقرئ: «ربير بطرس بن ريوك» وهو تحريف لاسم بطرس لوزنيان ملك قبرص ابن هيو الرابع. (السلوك: ١٠٦/٣/١، وحاشية رقم: ٥ في نفس الصفحة) - وفي نفس المصدر أنه كان على رأس تلك القوة الفرنجية متملك قبرص ومتملك رودس والإسبتار.

وفي هذه السنة قوي أمر الملك الأشرف في السلطنة، وصار تديبُ ملكه إليه: يعزل ويؤلّي من غير مشورة الأمراء، وصار في الملك من غير مُنازع ولا مُعاند، وحسنت سيرته، وأحبته الرعية إلى الغاية، وصار يقصد المقاصد الجميلة مما سيأتي ذكره.

ثم في أول جمادى الآخرة عزّل الأشرف أسنبغا بن الأبوبكري عن نيابة حلب بالأمير قشتمر المنصوري. ثم قبض السلطان على أرغون العجمي الساقى أحد المماليك السلطانية بسبب أنه سرّق أحجاراً مثمّنة من الخزانة السلطانية وباعها على الفرنج، وفيها حجر يُعرف بوجه الفرس؛ فجاء به الفرنج إلى منجك اليوسفي نائب الشام فعرفه وأرسله إلى السلطان، وأخبره بخبر أرغون العجمي وكيف باعه للفرنج، فصفح السلطان عنه ونفاه إلى الشام.

ثم في يوم السبت العشرين من شهر رمضان نفى السلطان الأمير أقتمر صاحبّي الدوادر الكبير إلى الشام لأمر وقّع بينه وبين الأمير ألجاي اليوسفي.

وفي تاسع عشر ذي القعدة أحضر الأمير بيّدمر الخوارزمي المعزول عن نيابة الشام قبل تاريخه وأدخل إلى قاعة صاحب بقلعة الجبل، وطُلب منه ثلاثمائة ألف دينار؛ وكان متولّي أمره عليّ بن محمد بن كلبك التركماني، فعصر يوم الثلاثاء حادي عشرين ذي القعدة، ثم أفرج عنه ونُفي إلى طرابلس بعد أن أخذ منه مائة ألف دينار.

ثم قديم الخبر على السلطان بقتل الأمير قشتمر المنصوري نائب حلب. وخبره أنه لما ولي نيابة حلب في جمادى الآخرة من هذه السنة وتوجّه إلى حلب، فلم يُقم بها إلا يسيراً، وخرج منها وكبس أمير آل فضل بعربيه بتل السلطان. فركب العربُ وقاتلته، فقتل في المعركة هو وولده محمد بن قشتمر. وكان الذي قتله حيار (١) أمير

(١) هو حيار بن مهنا بن عيسى. آلت إليه إمارة آل فضل في بادية الشام بعد موت أخيه فياض سنة ٧٦٢هـ. وكان موالياً لسلاطين مصر والشام وتابعا لهم. فنقض طاعتهم سنة ٧٦٥هـ وابتعد في القفر يعيش وينهب، وشفع به نائب حماة فعفي عنه وعاد إلى ولائه. ثم انتقض سنة ٧٧٠هـ، وعاد سنة ٧٧٥هـ معفواً عنه، فاستقر إلى أن مات سنة ٧٧٧هـ. (الأعلام: ٢/٢٨٩).

آل فضل وولده نُعَيْرُ بن حَيَّار، وكان ذلك يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة. ولما بلغ الملك الأشرف [ذلك] عَظُمَ عليه، وأرسل تقليداً للأمير اشِقْتَمُرَ المارديني بنبابة حلب على يد الأمير قطلوبغا الشعباني، وعزل حَيَّاراً عن إمرة العرب وولآها لزامل^(١).

ثم أنعم الملك الأشرف في هذه السنة على ألوف بتقاد^(٢) وطبلخانات وعشرات فممن أنعم عليهم بتقدمة ألف: الأمير بهادر الجمالي، وبشتك العمري. وممن أنعم عليه بإمرة طبلخاناه: صراي الإدريسي، وبييغا القوصوني، وأحمد بن آقْتَمُرَ عبد الغني، وأحمد بن قنغلي، وخليل بن قماري الحموي، وطُغَيْتَمُرَ^(٣) الحُسَيْنِي، وحسين بن الكوراني، وأرغون شاه الأشرفي.

وكان أمير الحاج في هذه السنة بهادر الجمالي. وحجّت في هذه السنة أيضاً خَوْنَدُ بركة، والدة السلطان الملك الأشرف صاحب الترجمة، بتجمُلَ زائد ورَحْت^(٤) عظيم وبرك هائل، وفي خدمتها من الأمراء الألوف: بشتك العمري وبهادر الجمالي أمير الحاج ومائة مملوك من المماليك السلطانية الخاصكية. وكان من جملة ما معها بدرب الحجاز كوسات^(٥)، وعصائب سلطانية، وعدة محفّات بأغطية زُرُكش، وعدة محايير^(٦) كثيرة بأفخر زينة. وحُجِلَ معها أشياء كثيرة يطول الشرح في ذكرها من

(١) هوزامل بن موسى بن مهنا. توفي سنة ٥٧٩١هـ. (السلوك: ٦٨٩/٢/٣) - وأورد المقرئ خبر مقتل

نائب حلب بأوضح مما هنا - انظر السلوك: ١٧٥/١/٣ حوادث سنة ٥٧٧٠هـ.

(٢) سياق العبارة مضطرب. والمراد أنه أنعم بتقاد على أمراء ألوف وطبلخانات وعشرات. والمراد بأمير ألف: أمير مائة مقدم ألف. ويكون عادة أمير مائة في أيام السلم، ويتقدم ألفاً من العساكر في أيام

الحرب.

(٣) في السلوك: (طقتمر الحسني).

(٤) الرخت والبرك بمعنى واحد، وهو متاع البيت من أثاث ورياش، والمتاع الخاص من ثياب الأمراء والسلطين وقماشهم. (تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي: ١١٣).

(٥) الكوسات: نوع من الصنوج. والعصائب السلطانية: الأعلام - راجع فهرس الألفاظ الاصطلاحية.

(٦) المحايير: جمع محارة، وهي المحفة - راجع فهرس الألفاظ الاصطلاحية. وانظر خطط المقرئ:

ذلك: قطر جمال عليها مَزْرُوع خضر^(١) وغير ذلك. وحجّت وعادت إلى الديار المصرية، بعد أن احتفل جميع أمراء الدولة إلى ملاقاتها. ولما وصلت إلى القلعة أثنت على بهادر الجمالي فأخلع السلطان عليه.

ثم بعد مدة في يوم حادي عشرين المحرم من سنة إحدى وسبعين وسبعمائة [خلع السلطان على الأمير بهادر الجمالي و]^(٢) استقرّ به أمير آخور كبيراً عوضاً عن الأمير بكتمر المؤمني بعد موته، واستقرّ الأمير تُلُكْتُمُر [من بركة]^(٢) أستاذاراً عوضاً عن بهادر [الجمالي]^(٢) المذكور، واستقرّ أرغون شاه الأشرفي أمير مجلس عوضاً عن تُلُكْتُمُر المنتقل إلى الأستادارية، ثم نُقل أرغون شاه المذكور بعد مدة يسيرة من وظيفة أمير مجلس^(٣) إلى وظيفة رأس نوبة النوب، بعد موت بشتك العمري. واستقرّ أرغون [الأحمدي]^(٢) اللالا أمير مجلس عوضاً عن أرغون شاه المذكور.

ثم أنعم السلطان على الأمير طينال المارديني بتقدمة ألف، وعلى علم دار أيضاً بتقدمة ألف واستقرّ أستاذار العالية عوضاً عن تُلُكْتُمُر.

ثم في سنة اثنتين وسبعين استقرّ الأمير طشتمر العلاني دواداراً كبيراً بإمرة طبلخانا، إنتقل إليها من الجندية عوضاً عن منكوتمر من عبد الغني. واستقرّ يلبغا الناصري اليلبغاوي خازنداراً كبيراً، عوضاً عن يعقوب شاه.

قلت: والناصرى هذا هو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برفوق الآتي ذكرها في ترجمة الظاهر المذكور.

ثم في سنة ثلاث وسبعين عزل السلطان الأمير إشقتمر المارديني عن نيابة حلب بالأمير عز الدين أيدير الدوادار.

(١) كذا هي عبارة الأصل، ولا يخفى اضطرابها. وعبارة المقرئ أوضح وهي: وعدة جمال تحمل الخضر المزروعة.

(٢) زيادة عن السلوك للتوضيح.

(٣) أمير مجلس وغيرها من الوظائف الواردة هنا مثل الأستادار أو رأس نوبة سبق التعريف بها، فليرجع إلى فهرس الألفاظ الاصطلاحية. وكذلك يرجع إلى الفهرس المذكور عند وقوع مصطلح غير مشروح فيها يأتي. ويمكن الاهتداء إلى الصفحة المطلوبة من خلال الهلالين اللذين وضعنا بينهما رقم الصفحة.

قلت: وإشقتُم المارديني هذا ومنجك اليوسفي نائب الشام ويذمر الخوارزمي هؤلاء الثلاثة لا أعلم أحداً في الدولة التركية ولي ولايتهم من الأعمال والوظائف، ولا طال مكثه في السعادة مثلهم، على ما ذكرناه فيما مضى، وما سنذكره فيما يأتي إن شاء الله تعالى. على أن اشقتمر هذا طال عمره في السعادة حتى ولي نيابة الشام عن الملك الظاهر برقوق، وبرقوق يومئذ في خدمة منجك اليوسفي نائب الشام؛ وإلى الآن لم يتصل بخدمة السلطان ولا صار من جملة المماليك السلطانية. وقد تقدم أن اشقتمر ولي الأعمال الجليلة من سلطنة الملك الناصر حسن الأولى، وكان يلبغا العمري أستاذ برقوق يوم ذاك خاصكياً، فأنظر إلى تقلبات هذا الدهر ونيل كل موعود بما وعد. انتهى.

وفي سنة ثلاث وسبعين المذكورة رسم السلطان الملك الأشرف أن الأشراف بالديار المصرية والبلاد الشامية كلهم يسمون عمائمهم بعلامة خضراء بارزة للخاصة والعامّة إجلالاً لحقهم وتعظيماً لقدرهم، ليُقَابَلُوا بالقبول والإقبال، ويمتازوا عن غيرهم من المسلمين. فوقع ذلك ولبسوا الأشراف العمائم الخضراء، التي هي الآن مستمرة على رؤوسهم. فقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الشهير بالمرزبان في هذا المعنى: [الكامل]

أطراف تيجانٍ أتت من سُندسٍ خُضِرَ كإعلامٍ على الأشرافِ
والأشرفُ السلطانُ خَصَّصَهُمْ بِهَا شرفاً ليعرفهم من الأطرافِ

وقال أيضاً في المعنى الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن جابر الأندلسي: [الكامل]

جَعَلُوا لِأبناءِ الرُّسولِ علامةً إنَّ العَلامةَ شأنٌ منْ لم يُشهرِ
نُورَ النُّبوةِ في كَرِيمِ وُجُوهِهِمْ يُعني الشَّرِيفَ عن الطُّرازِ الأَخضرِ

وقال أيضاً في المعنى الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي: [الرجز]

عمائمُ الأشرافِ قد تميّزت بخُضرةِ رَقَّتْ وراقتْ منظرًا
وهذه إشارةٌ أنْ لهم في جَنَةِ الخُلْدِ لباساً أخضرا

وقال ولده أبو العزّ طاهر بن حسن بن حبيب في المعنى أيضاً: [الطويل]

ألا قُلْ لِمَن يَبْغِي ظَهْرَ سِيَادَةِ تَمَلَّكَهَا الزَّهْرُ الْكِرَامُ بَنُو الزُّهْرَا
لِئَن نَّصَبُوا لِلْفَخْرِ أَعْلَامَ خُضْرَةٍ فَكَمْ رَفَعُوا لِلْمَجْدِ أَلْوِيَّةَ حُمْرَا

وقال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني الحنفي - تغمده الله

تعالى - في المعنى أيضاً: [الطويل]

لَا لِرَسُولِ اللَّهِ جَاءٌ وَرَفَعَةٌ بِهَا رُفِعَتْ عَنَّا جَمِيعُ النَّوَابِ
وَقَدْ أَصْبَحُوا مِثْلَ الْمَلُوكِ بَرْنِكِهِمْ^(١) إِذَا مَا بَدَّوْا لِلنَّاسِ تَحْتَ الْعَصَابِ

قلت: وبهذه الفعلة يُدَلُّ على حُسن اعتقاد الملك الأشرف المذكور في آل بيت النبوة وتعظيمه لهم؛ ولقد أحدث شيئاً كان الدهرُ محتاجاً إليه، ولا^(٢) ألهم الله تعالى الملوك ذلك من قبله؛ والله درّ القائل: «كم ترك الأول للآخر».

وفي أول سنة أربع وسبعين وسبعمائة استقرّ الأميرُ ألجاي اليوسفي أمير سلاح أتابك العساكر بالديار المصرية عوضاً عن منكلي بغا الشمسي بحكم وفاته - إلى رحمة الله تعالى - وأخلع عليه أيضاً بنظر البيمارستان المنصوري؛ فعند ذلك عَظُمَ قَدْرُ ألجاي المذكور من كونه زَوْجَ أُمِّ السلطان وصار أتابك العساكر، وبهذا استطال ألجاي في المملكة، فإنه قبل زواجه بأَمِّ السلطان خَوْنَدَ بَرَكَةَ كان من جملة الأمراء المقدمين لا غير انتهى.

ثم أخلع السلطان على الأمير كُجُك من أرطق شاه باستقراره أمير سلاح برانياً^(٣) عوضاً عن ألجاي اليوسفي المذكور. وأستقرّ يلبغا الناصري شاد الشراب خاناه عوضاً عن كجك. وأستقرّ تُلُكْتَمُرُ الجمالي خازنداراً عوضاً عن يلبغا الناصري.

(١) الرنك: الشعار، فارسية.

(٢) الصواب أن يقول «ما» بدلاً من «لا».

(٣) البرانيون من الأمراء والمالِك الذين لا يكونون من خاصية السلطان، ويقال لهم أيضاً الخرجية. أما الخاصكية فهم المقربون إلى السلطان والذين يلازمونه، أو الذين يكونون من مشترواته. وكانوا يسمون أيضاً الجوانية.

ثم توجه السلطان إلى سرحة الأهرام بالجيزة، وعاد بعد أيام، وعند عودته إلى قلعة الجبل أخلع على الطواشي سابق الدين ميثقال مقدم المماليك السلطانية قباء حرير أزرق صاف بطرزرركش عريض أسوة بالأمراء الخاصكية، وهذا شيء لم يلبسه مقدم قبله. وكان السلطان الملك الأشرف قبل ذلك قد استجد في كل سنة عند طلوعه من هذه السرحة، وهي توجه السلطان إلى ربيع الخيل، أن يلبس الأمراء الخاصكية مقامي الألف أقيبة حرير بفرو سمور بأطواق سمور بطرزرركش، والطبلخانات والعشرات أقيبة حرير بطرزرركش منها ما هو بفرو قاقم ومنها ما هو بفرو سنجاب.

ثم بعد ذلك نزل السلطان في يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة سنة أربع وسبعين، ووالدته معه وهي متمرصة، إلى الروضة^(١) تجاه مصر القديمة بمنظرة الأمير طشتمر الدوادار، فأقام فيها يوم الثلاثاء والأربعاء وصحبته جميع الأمراء، وطلع يوم الخميس إلى القلعة. وأستمرت أم السلطان متمرصة إلى أن ماتت في ذي الحجة وهي في عصمة ألبجاي اليوسفي، وصلى عليها ابنها السلطان الملك الأشرف، ودُفنت بمدرستها^(٢) التي عمّرتها بخط التبانة خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير. ووجد عليها ولدها الملك الأشرف وهداً عظيماً، لأنها كانت من خيار نساء عصرها ديناً وخيراً وصدقة ومعروفاً. ومن الاتفاق العجيب بعد موتها البيتان اللذان عمّلهما الأديب شهاب الدين السعدي الأعرج وتفاعل بهما على ألبجاي اليوسفي وهما: [الكامل]

في مستهل العشر من ذي الحجة كانت صبيحة موت أم الأشرف
فإنه يرحمها ويُعظم أجرها ويكون في عاشور موت اليوسفي

فكان الأمر على ما ذكر؛ وهذا من الاتفاق الغريب، وهو أنه لما ماتت خوند بركة المذكورة، وأستهلت سنة خمس وسبعين، وقع بين الملك الأشرف وبين زوج أمه ألبجاي اليوسفي كلام من أجل التركة المتعلقة بخوند بركة المذكورة، وكان ذلك

(١) أي جزيرة الروضة.

(٢) ذكرها المقرئ باسم مدرسة أم السلطان. - انظر الخطط: ٣٩٩/٢.

يوم الثلاثاء سادس المحرم من السنة المذكورة. وكثر الكلام بين السلطان وبين أُلجايي اليوسفي، حتى غَضِبَ أُلجايي، وخرج عن طاعة الملك الأشرف، ولبس هو ومماليكه آلة الحرب، وليست ممالك السلطان أيضاً. وركب السلطان بمن معه من أمرائه وخاصكَيْته، وباتوا الليلة لابسين السلاح إلى الصبح. فما كان نهار الأربعاء سابع المحرم كانت الوقعة بين الملك الأشرف شعبان وبين زَوْجِ أمه الأتابك أُلجايي اليوسفي، فتواقعا إحدى عشرة مرة، وعظُم القتال بينهما حتى كانت الوقعة الحادية عشرة إنكسر فيها أُلجايي اليوسفي وأنهزم إلى بركة الحَبَش.

ثم تراجع أمره وعاد بمن معه من على الجبل الأحمر إلى قُبة النصر، فطلبه السلطان الملك الأشرف، فأبى، فأرسل إليه خَلْعَة بنياية حماة فقال: «أنا أروح، بشرط أن يكون كل ما أملكه وجميع ممالكه معي»، فأبى السلطان ذلك، وباتوا تلك الليلة. فهرب جماعة من ممالك أُلجايي في الليل وجاؤوا إلى الملك الأشرف.

فلما كان صباح يوم الخميس ثامن المحرم أرسل السلطان الأمراء والخاصكية وممالك أولاده وبعض الممالك السلطانية إلى قُبة النصر إلى حيث أُلجايي، فلما رآهم أُلجايي هرب، فساقوا خلفه إلى الخرقانية^(١). فلما رأى أُلجايي أنه مُدْرَك رمى بنفسه وفرسه إلى البحر، ظناً أنه يُعَدِّي به إلى ذلك البر؛ وكان أُلجايي عَواماً، فنقل عليه لُبسه وقماشه، فغرق في البحر وخرج فرسه. وبلغ الخبر السلطان الملك الأشرف فشق عليه موته وتأسف عليه. ثم أمر بإخراجه من النيل، فنزل الغواصون وطلعوا به وأحضره إلى القلعة في يوم الجمعة تاسع المحرم في تابوت وتحت لُبَادٍ أحمر، فغسل وكفن، وصلى عليه الشيخ جلال الدين التَّبَّاني، ودُفِن في القُبة التي أنشأها بمدرسته^(٢) برأس سُوَيْقَة^(٣) العزِّي خارج القاهرة، والمدرسة معروفة وبها خُطبة. وكان أُلجايي من أجل الأمراء وأحسنها سيرة.

(١) الخرقانية: من القرى القديمة بمصر، وهي إحدى قرى مركز قلوب بمديرية القليوبية بمصر. (محمد رمزي).

(٢) مدرسة أُلجايي: خارج باب زويلة، بالقرب من قلعة الجبل. أنشأها أُلجايي اليوسفي سنة ٧٦٨هـ. (خطط المقريري: ٣٩٩/٢).

(٣) تعرف اليوم باسم شارع سوق السلاح. (محمد رمزي).

ثم قبض السلطان على ممالك أَلْجاي، ونُودِي بالمدينة أن كل من لَقِي أحداً منهم يحضره إلى السلطان ويأخذ له خِلعة. ثم أخذ السلطان أولاد أَلْجاي وهم إخوته لأمه ورتب لهم ما يكفيهم، واحتاط على سائر موجود أَلْجاي، وأخذ جميع ممالكه وصَفَح عنهم وجعلهم في خدمة ولديه: أمير عليّ وأمير حاج.

ثم قبض السلطان على جماعة من الأمراء ممن كان يَلُوذ بالأمير أَلْجاي وهم: صَرَاي العَلَاثِيّ، وسلطان شاه بن قراجا^(١)، وطَقْتُمُر الحَسَنِي، وعليّ بن كلبك^(٢) وصادره. ثم أمسك بِييغا القَوْصُونِي وخليل بن قُمَارِي الحَمَوِي، فشفَع فيهما الأمير طَشْتُمُر الدَوَادار.

ثم في آخر صفر رَسَم السلطان بنفي جماعة إلى البلاد الشامية، وهم: محمد شاه دوادار أَلْجاي، وخليل بن عَرَام المعزول عن نيابة الإسكندرية، وعليّ بن كلبك^(٢)، وأقْبغا البَشْمَقْدَار خازن دار أَلْجاي.

وكان السلطان في تاسع المحرم رَسَم لبُوري الحلبي الخازن دار أن يتوجّه إلى طرابُلُس لإحضار نائبها الأمير عزّ الدين أيّدمر الدوادار الناصري إلى مصر، فتوجّه بُوري إليه وأحضره. فلَمّا مثل بين يدي السلطان أخلَع عليه باستقراره أتائبك العساكر بالديار المصرية، عوضاً عن أَلْجاي اليوسفي، وتولّى عوضه نائب طرابلس الأمير يعقوب شاه.

وبعد موت أَلْجاي أنعم السلطان على جماعة من الأمراء بإقطاعات ووظائف، فأخلَع على الأمير صَرَعْتُمَش الأشرفي باستقراره أمير سلاح خاصّكياً يجلس بالإيوان في دار العدل، وآسْتَقَرَّ أرغون الأحمدي اللّالا أميراً كبيراً برانياً وأجْلِس بالإيوان، قاله العيني في تاريخه ووافقه غيره.

قلت: فيكون على هذا الحكم تلك الأيام أمير كبير خاصّ وأمير كبير براني،

(١) في السلوك: «سلطان شاه بن قرا الحاجب».

(٢) في السلوك: «علاء الدين علي بن كلفت».

وأمر سلاح خاص وأمير سلاح برّاني، وهذا شيء لم يُسمع بمثله^(١). إنتهى
ثم أنعم السلطان على قَطْلُوْبِغَا الشَّعْبَانِي بِتَقْدِمْةِ أَلْفٍ وَأَسْتَقْرَّرَ رَأْسَ نَوْبَةٍ ثَانِيًا.
قُلْتُ: وهذه الوظيفة الآن هي وظيفة رأس نوبة النُوب. ورأس نوبة نوب تلك
الأيام قد بَطَلت من الدولة الناصرية فَرَجَ بن بَرْقُوق. وكانت تسمى رأس نوبة
الأمراء؛ وَأَخْرَجُ مَنْ وَلِيَهَا أَقْبَايَ الطُّرُنْطَاوِي الْحَاجِبِ.
ثم أَخْلَعُ عَلَى جَمَاعَةٍ وَأَنْعَمُ عَلَيْهِمْ بِإِمْرَةِ طَبْلِخَانَاتٍ وَهُمْ: أَحْمَدُ بن يَلْبُغَا
العُمَرِي الخَاصَكِي، وَأَقْتَمُرُ الصَّاحِبِي، وَتَمْرَبَايَ الْحَسَنِي، وَإِينَالُ الْيُوسُفِي وَعَلِي بن
بِهَادِرُ الْجَمَالِي، وَبَلُوطُ الصَّرْعَتْمَشِي، وَمُخْتَارُ الطَّوَّاشِي الْحَسَامِي مَقْدَمُ الرَّفْرِفِ^(٢).

(١) لعل هذه الثنائية في الوظيفة الواحدة ما بين خاص وبراني كانت تعكس واقعاً نامياً في وضع الأمراء
والممالك وعلاقتهم بالسلطان. فبعد موت الناصر محمد بن قلاوون أخذت الفوضى تعم تدريجياً في
النظام العسكري المملوكي لوجود سلاطين ضعفاء في رأس السلطة. وفي نفس الوقت كان الأمراء الكبار
يتجاوزون سلطاتهم ويتطلعون دائماً للوصول إلى السلطنة. من هنا كان الأمراء يزيدون دائماً من أعداد
ممالكهم ليكونوا لهم عوناً في الشدائد. فقرا سنقر النائب كان في خدمته ستمائة مملوك، وأسندمر ملك
خمسائة مملوك، وقوصون الناصري سبعمائة مملوك، ويلبغا الناصري ألف وخمسائة مملوك. وزادت
ممالك يلبغا العمري عن ثلاثة آلاف مملوك. هذا في حين أن النظام المملوكي كان يحدد عدد الممالك
الخاص بكل أمير، وهذا العدد لا يتجاوز المائة لأعلى رتبة وهي أمير مائة مقدم ألف. أي يحق له اتخاذ
مائة مملوك خاص يكونون بمثابة الحرس الخاص له ويحكم في الحرب على ألف فارس. وفي ذلك الخضم
من الفوضى ازدادت أعداد الفرق المملوكية وتنازعت على النفوذ والبقاء ولا أدل على ذلك من تعاقب اثني
عشر سلطاناً ما بين سنتي ٧٤٢ و٧٨٤هـ. وفي تلك الفترة قلت مكانة ومهابة الممالك السلطانية
(الخاصكية - الجوانيون) تجاه طغيان ممالك الأمراء (البرانيون - الخرجية) الذين زادت أعدادهم أضعافاً
عن أعداد الممالك السلطانية، وفتح أساندهم أبواب التسلط والترقية، فحققت الفرقتان
الواحدة على الأخرى. من هنا فإن تقديراً أن ثنائية أمير كبير خاص وأمير كبير براني، أو ثنائية أمير سلاح
خاص وأمير سلاح براني، إنما تعكس رغبة السلطان في الاحتفاظ لخاصكيتيه بنفوذ هذه الوظيفة، كما أنها
من جهة ثانية تعكس واقعاً فرضه نفوذ الأمراء البرانيين وازدياد عدد ممالكهم مما جعلهم يقرضون وجود
وظائف موازية تكون بيد أتباعهم مقابل تلك التي بيد أتباع السلطان. وهذا الأمر لا يخلو من الصراع،
بل يشير إلى استخدامه. لذلك نرى مثلاً أن الظاهر برقوق سوف يسارع إلى اقتناء الممالك السلطانية.
بحيث بلغ عدد مملكته خلال فترتي حكمه حوالي خمسة آلاف مملوك.

(٢) الرفرف: من جملة دور القلعة عمره الأشرف خليل بن قلاوون. وكان مجلساً يجلس فيه السلطان حتى
هدمه الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠هـ وعمل بجواره برجاً نقل إليه الممالك. ولعل المقصود بمقدم
الرفرف مقدم هذا البرج وما به من ممالك، بمعنى أن التسمية القديمة للرفرف انسحبت على البناء
الجديد. (انظر خطط المقرزي: ٢١٣/٢، ٢١٤. والسلوك: ٢١٥/١/٣، حاشية).

قلت: وأيضاً هذا شيء لم يُسمع بمثله من أن يكون بعضُ خُدّام الأَطباق^(١) أميرَ طبلخاناه. وأغربُ من ذلك أنَ مقدّم المماليك في زماننا هذا إقطاعه إمرةً عشرة ضعيفة. انتهى

و[خلع] على أُلجيينا المحمدي وحاجي بك بن شادي. وأنعم على اثنين بعشرات وهم أُلطبُغا من عبد الملك وطشتمر الصالحي.

ثم في عاشر شهر ربيع الآخر استقرَّ أحمد بن آل ملك في نيابة غزة عوضاً عن طشُبغا المظفّري. وأنعم على مُبارك الطّازي بتقدمة ألف، وعلى سُودون جرّكس المنجكي بتقدمة ألف. وأرتجع السلطان من طينال المارديني تقدمته وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ثم استقر منكلي بغا البلدي الأحمدي في نيابة الكرك. واستقر ناصر الدين محمد بن أقبغا أص أستاذاراً بتقدمة ألف. ثم أنعم السلطان على أُلطبُغا ططّق العثماني بتقدمة ألف واستقر أمير سلاح برانياً عوضاً عن طيدمُر البالسي. وأنعم على طُعيتمُر اليلبغاوي الدوادار الثاني بإمرة طبلخاناه، وهو أول من لبس الدوادارية الثانية. ثم نُقل منكلي بغا البلدي من نيابة الكرك إلى نيابة صَفد. واستقر آقتمر عبد الغني النائب بديار مصر في نيابة طرابُلُس، وقد تقدّم أن آقتمر هذا كان ولي نيابة الشام سنين.

وفي رابع عشرين ذي القعدة استقرَّ يلبُغا الناصري اليلبغاوي، صاحب الوقعة مع برقوق الآتي ذكرها، حاجباً ثانياً بإمرة مائة وتقدمة ألف. ثم عزل السلطان سابق الدين مثقالاً الأنوكي مقدّم المماليك وأمره أن يلزم بيته، واستقرَّ عوضه في تقدمه المماليك الطواشي مختار الحسامي مقدّم الرّفرف المقدّم ذكره.

ثم ندب السلطان الأمير يلبُغا الناصري للسفر إلى دِمشق لإحضار نائبها الأمير منجك اليوسفي؛ فسار من وقته إلى أن وصل إلى دمشق، وأحضر الأمير منجك المذكور. ووصل منجك إلى الديار المصرية وصحبته أولاده ومملوكه جرّكتمر وصهره

(١) الأَطباق والطباق: كانت بمثابة بيوت سكن وثكنات عسكرية لإيواء وتربية وتدريب المماليك السلطانية

— راجع فهرس المصطلحات.

أروس المحمودي بعد أن احتفل أهل الدولة لملاقاته وخرجت إليه الأمراء إلى بين الحوضين^(١) خارج قبة النصر. وطلع إلى القلعة من باب السر، وسائر الأمراء والخاصكية مشاة بين يديه في ركابه، مثل أيذمر الدوادر ومن دونه بإشارة السلطان. فلما دخل منجك على السلطان وقبل الأرض، أقبل عليه السلطان إقبالاً كلياً وخلع عليه باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية خاصكياً عوضاً عن آقتمر عبد الغني المنتقل إلى نيابة طرابلس، وفوض إليه السلطان النظر في الأحباس والأوقاف والنظر في الوزارة - فإنه كان وليها بعد موت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون كما تقدم ذكره - والنظر على ناظر الخاص، وقراءة تقليده بالإيوان^(٢)، وأن السلطان أقامه مقام نفسه في كل شيء، وفوض إليه سائر أمور المملكة، وأنه يخرج الإقطاعات التي عبرتها^(٣) سبعمائة دينار إلى مادونها، وأنه يعزل من شاء من أرباب الدولة، وأنه يخرج الطبلخانات والعشرات بسائر الممالك الشامية، ورسم للوزير أن يجلس قدامه في الدركاه^(٤) مع الموقعين.

ثم بدأ الغلاء بالديار المصرية في هذه السنة وتزايد سعر القمح إلى أن أبيع بتسعين^(٥) درهماً الإردب، وزاد النيل بعد أن نقص في شهر هاتور، وهذا أيضاً من الغرائب. وهذه السنة تسمى سنة الشراقي كما سنبينه في حوادث السنين من سلطنة الملك الأشرف هذا.

ثم في أول سنة ست وسبعين عزل السلطان الأمير آقتمر عبد الغني عن نيابة طرابلس بالأمير منكلي بغا البلدي نائب صفد وولاه نيابة صفد.

(١) هما حوضان للمياه مخصصان لشرب الناس والدواب. وكانا من ضمن بناء قبة النصر. (محمد رمزي).

(٢) هو الإيوان الكبير أودار العدل بالقلعة.

(٣) أي متحصل خراجها.

(٤) الدركاه: لفظ فارسي بمعنى الساحة أو الفناء أو الحوش المؤدي إلى بناء كبير مثل قصر السلطان أو القلعة.

(٥) في السلوك: «وبيع الإردب من القمح بستة وثلاثين درهماً سوى كلفه». - وقد أورد المقرئزي تفصيلات هامة عن ذلك الغلاء الذي وقع بسبب توقف ماء النيل عن الزيادة، كما قدم وصفاً حياً لما كان يفعله الناس في مثل هذه الأحوال. وكان المقرئزي نفسه ممن شهد تلك الحالة وخرج مع الناس - انظر السلوك: حوادث سنة ٧٧٥هـ. وفي حوادث سنة ٧٧٦هـ. أورد أيضاً مشاهداته من آثار الجوع الذي حل بالديار المصرية.

قلت: درجة إلى أسفل.

ثم مَرَضَ الأمير منجك اليوسفيّ النائب فنزل السلطان لعيادته، ففَرَشَ منجك تحت رجلي فرسه الشُّقُقَ الحرير، وقَدَّمَ له عشرة مماليك وعشرة بقج وعدة خيول، فقبلها السلطان ثم أنعم بها عليه. وكان ذلك في يوم الثلاثاء سابع عشرين ذي الحجة. ومات منجك بعد يومين.

ثم ورد الخبر على السلطان بأن القان حسين أبْن الشيخ أويس أبْن الشيخ حسن بن حسين بن آقبا بن أيلكان، تولى مملكة تَبْرِيْز وبغداد بعد^(١) وفاة أبيه.

وفي هذه السنة فُتِحَت سِيس - وهي كرسي الأرمن - على يد الأمير إِشْقَتْمَر المارديني نائب حلب، بعد أن نازلها مدّة ثلاثة شهور حتى فُتِحَها وأنقرضت منها دولة الأرمن - والله الحمد - فدُقَّت البشائر لذلك وفَرِحَ الملك الأشرف فرحاً عظيماً بهذا الفتح العظيم.

وفي هذه السنة - أيضاً وهي سنة ست وسبعين المذكورة - وقع الفناء بالديار المصرية من نصف جُمَادَى الآخرة وتزايد في شعبان، ثم في شهر رمضان حتّى صار يموت في كلِّ يوم من الحَشْرِيَّة^(٢) نحو خمسمائة نفس ومن الطَّرْحَى^(٣) نحو الألف. وأبيع كلُّ فَرُوجٍ بخمسة وأربعين درهماً، وكلُّ سَفْرَجَلَةٍ بخمسين درهماً، وكلُّ رُمَانَةٍ بعشرة دراهم، والعشرة دراهم يوم ذلك كانت أزيد من نصف دينار وكلُّ رمانَة حُلُوة بستة عشر درهماً، وكلُّ بطيخة صيفية بسبعين^(٤) درهماً.

ولماتُوفِيَّيْ منجك شَغَرَت نياية السلطنة بديار مصر إلى العشرين من شهر ربيع الأوّل وأستقرَّ فيها الأمير أَقْتَمَرُ الصاحبِي الحنبلي.

(١) في السلوك أنه تولى الحكم في حياة والده.

(٢) الحشرية: هم الذين توفوا ولم يكن لهم وارث شرعي فترد أموالهم إلى ديوان الموارث الحشرية. (انظر

صبح الأعشى: ٤٦٠/٣، وخطط المقرئ: ١١١/١).

(٣) الذين يطرحون في الطرقات وليس من يتكفل دفتهم.

(٤) في السلوك: «بتسعين درهماً». ويستحسن المقارنة بما ذكره المقرئ، فقد كان شاهد عيان على ذلك.

وفي محرّم سنة سبع وسبعين ختن السلطان أولاده وعمِل المهّم سبعة أيام .
وفي العشر الأوسط من صفر هذه السنة أبتدأ الملك الأشرف بعمارة مدرسته^(١)
التي أنشأها بالصوّة تجاه الطبلخاناه السلطانية التي موضعها الآن بيمارستان^(٢) الملك
المؤيد شيخ، وهو كلا شيء، فاشترى الملك الأشرف بيت الأمير شمس الدين
سنقر الجمالي وشرع في هدمه .

وفي هذه السنة تزايد الغلاء بالبلاد الشامية، حتى جاوز الحدّ وجعل الغني
فقيراً، وأبيع فيه الرطل الخبز بدرهمين . وفي هذا المعنى يقول بدر الدين بن
حبيب: [الخفيف]

لا تُقيمن بي على حلب الشّهْ بَاء وأرحل فأخضر العيش أدهم
كيف لي بالمقامِ والخبزُ فيها كلُّ رطلٍ بدرهمينِ ودرهم

وفي سنة ثمان وسبعين عزّل السلطان الملك الأشرف أقمتر الصاحبّي
الحنبلّي عن نيابة السلطنة بالديار المصرية وأستقرّ به أتابك العساكر، وعزّل الأمير
أقمتر عبد الغني عن نيابة صَفد وأستقرّ به أمير^(٣) مائة ومقدّم ألف بالقاهرة .

ثم في العشرين من شهر ربيع الآخر غرقت الحسينية^(٤) خارج القاهرة وخرّب
فيها أزيد من ألف بيت . وكان سببُ هذا الغرق أنّ أحمد بن قايماز أستاذار محمد
ابن آقبغا أص أستأجر مكاناً خارج القاهرة بالقرب من آخر الحسينية وجعله بركة
[ليجتمع فيه السمك]^(٥) وفتح له مجرى من الخليج، فتزايد الماء وغفلوا عنه،
فطفّح على الحسينية فغرّقها . فقبض السلطان بعد ذلك بمدة على محمد بن آقبغا
أص وصادره وعزّله عن الأستاذارية؛ هذا والسلطان في تأهب سفر الحجاز .

(١) المدرسة الأشرفية: انظر خطط المقرئزي: ٤٠٨، ٤٠١/٢ .

(٢) المارستان المؤيدي: انظر خطط المقرئزي: ٤٠٨/٢ .

(٣) عبارة السلوك: «وخلع على الأمير أقمتر عبد الغني واستقر حاجب الحجاب». ولا تناقض بين العبارتين
لأن حاجب الحجاب كان عادة من بين كبار الأمراء ورتبته أمير مائة مقدم ألف .

(٤) الحسينية: من الحارات الكبيرة بالقاهرة ويحترقها اليوم شارع الحسينية .

(٥) زيادة عن السلوك .

فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان (١) سَفَرُ السلطان إخوتَه وأولاد أعمامه إلى الكرك صُحبة الأمير سودون الفخري الشيخوني لِيُقيم عندهم بالكرك مدة غَيِّبة السلطان في الحجاز. كلُّ ذلك والسلطان متضعَّف، وحركة الحجاز عمَّالة، وحواشيه وخواصه يَنْهونه عن السفر في هذه السنة وهو لا يلتفت إلى كلامهم.

ثم توجه السلطان إلى سِرْيَاقوس على عادته في كل سنة، وعاد وقد نصل عن ضعفه إلى يوم السبت الثاني عشر من شَوَّال خرجت أطلاب الأمراء المتوجَّهين صحبة السلطان إلى الحجاز.

وفي الأحد ثالث عشره خرج السلطان بتجمُّل زائد وطُلب عظيم إلى الغاية، جُرَّ فيه عشرون قطاراً من الهُجُن الخاص بقماش ذهب، وخمسة عشر قطاراً بقماش حرير، وقطارٌ واحد بلبس (٢) خليفتي، وقطار آخر بلبس أبيض يرسم الإحرام، ومائة فرس مُلبسة، وكجاواتان (٣) بأغشية زُرْكش وتسع محفَّات، غِشاء خمس منهن زُرْكش، وستة وأربعون زَوْجاً من المَحَاير، وخِزانة (٤) عشرون جملاً، وقطاران من الجمال مُحمَّلة خضر مزروعة كالبَقْل والشَّمار والنَّعناع والسلق والكُسبرة وغير ذلك. وأما أحمال المطاعم والمشارب والمآكل فلا تدخل تحت حَصْر كثرة: منها ثلاثون ألف عُلْبَة حلاوة في كل عُلْبَة خمسة أرتال كلُّها معمولة من السكر المكرر المصري وطُيِّت بمائة مثقال مسك، سوى الصَّنْدل والعود؛ هذا خلاف ما كان للأمراء والخاصِّكية. وإنما كان هذا للسلطان خاصَّة نفسه، وأشياء من هذا النُمُودَج كثيرة؛ ومع هذا كلُّه لم يتغيَّر سعرُ السكر بمصر.

وسار السلطان بأمرائه في أبهة عظيمة حتى نزل سِرْيَاقوس، فأقام بها يوماً. وفي هذا اليوم أخلع السلطان على الشيخ ضياء الدين القرمي الحنفي باستقراره

(١) في السلوك: «شعبان».

(٢) في السلوك: «بقماش أسود خليفتي».

(٣) الكجاوة: هودج النساء. فارسية.

(٤) عبارة السلوك: «وخزانة المال على عشرين جملاً».

شيخ شيوخ المدرسة التي أنشأها بالصوة وقد أشرفت على الفراغ وجاءت من أحسن البناء.

ثم رحل السلطان من سرياقوس حتى نزل بالبركة على عادة الحجاج، فأقام بها إلى يوم الثلاثاء ثاني عشرين شوال. ورحل [منها] بعساكره وأمرائه إلى جهة الحجاز، وكان الذي صحبه من أمراء الألو ف تسعة وهم: الأمير صرغتمش الأشرفي، وأرغون شاه الأشرفي، ويلبغا الشامي - وهؤلاء الثلاثة أشرفية مماليكه - والأمير بهادر الجمالي، وصراي تمر المحمدي، وطشتمر العلائي الدوادار، ومبارك الطازي، وقطلقتمر العلائي الطويل، وبشتك من عبد الكريم الأشرفي أيضاً. ومن أمراء الطبلخانات خمسة وعشرون أميراً وهم: بوري الأحمدي، وأيدمر الخطائي من صديق، وعبد الله بن بكتمر الحاجب، وبلوط الصرغتمشي، وأروس المحمودي، ويلبغا المحمدي، ويلبغا الناصري - على أنه كان أنعم عليه بتقدمة ألف، غير أنه أضيف إلى الطبلخانات كونه كان حاجباً ثانياً - وأرغون العزي الأفرم، وطغيتمر الأشرفي، ويلبغا المنجكي، وكزل الأزرغوني، وقطلوبغا الشعباني، وأمير حاج بن مغلطاي، وعلي بن منجك اليوسفي، ومحمد بن تنكز بغا، وتمرباي الحسني الأشرفي، وأسندمر العثماني، وقرابغا الأحمدي، وإينال اليوسفي، وأحمد بن يلبغا العمري، وموسى بن دندار بن قرمان، ومغلطاي البدري وبكتمر العلمي وآخر. ومن العشرات خمسة عشر أميراً وهم: آقبغا بوز الشيخوني، وأبوبكر بن سنقر الجمالي، وأحمد بن محمد بن بيبرس الأحمدي، وأسنبغا التلكي، وشيخون، ومحمد بن بكتمر الشمسي، و [محمد بن] ^(١) قطلوبغا المحمدي، وخضر بن عمر بن أحمد بن بكتمر الساقبي، وجوبان الطيدمري، وألطنبغا من عبد الملك، وقطلوبغا البزلاري، وطوغان العمري الظهيري، وتلكتمر العيسوي، ومحمد بن سنقر المحمدي.

وعين الملك الأشرف جماعة من الأمراء ليقيموا بالديار المصرية. عين الأمير أيدمر الشمسي نائب الغيبة بالقلعة وأميرين آخر تسكن بالقلعة أيضاً، وعين الأمير

(١) زيادة عن السلوك.

آقتمر عبد الغني نائب الغيبة وأن يسكن بالقاهرة للمحكم بين الناس. وعين أيضاً للإقامة بالديار المصرية من الأكاير: الأمير طشتمر اللّفاف، وقُرطاي الطازي، وأسندمر الصرغتمشي، وأينبك البدري.

وسافر السلطان وهو متوعك في بدنه، بعد أن أشار عليه جماعة من الصلحاء والأعيان بتأخير الحج في هذه السنة فأبى إلا السفر لأمر يريده الله تعالى. وأمر السلطان لنائب الغيبة وغيره أن يطلعوا القلعة في كل يوم مؤكب ويدخلوا إلى باب الستارة^(١) ويخرج الأسياد أولاد السلطان الملك الأشرف ساعة ثم يعود كل واحد إلى محله فأمثلوا ذلك. فكانوا لما يطلعون إلى القلعة ويخرج عليهم الأسياد وأكبرهم أمير عليّ، يقوم الأمراء ويوسون أيديهم ويقعدون ساعة لطيفة، فيقوم أمير عليّ ويشير بيده أمراً «باسم الله» فيقوم الأمراء وينصرفون بعد أن يسقون^(٢) مشروباً. ووقع ذلك في غيبة السلطان مدة يسيرة.

فلما كان يوم السبت ثالث ذي القعدة أتفق طشتمر اللّفاف، وقُرطاي الطازي، وأسندمر الصرغتمشي، وأينبك البدري، وجماعة من المماليك السلطانية، وجماعة من مماليك الأسياد أولاد السلطان الملك الأشرف، وجماعة من مماليك الأمراء المسافرين صحبة السلطان الملك الأشرف، ولبسوا السلاح، وأتفق معهم من الأطباق من المماليك السلطانية، وهجموا الجميع القلعة، وقصدوا باب الستارة فغلق سابق الدين مثقال الزمام باب الساعات، ووقف داخل الباب ومعه الأمير جُلبان اللّالا - لالا أولاد السلطان - وأقبغا جرّكس اللّالا أيضاً. فدقت المماليك الباب وقالوا: «أعطونا سيدي أمير عليّ» فقال لهم اللّالا: «من هو كبيركم حتى نسلم لهم^(٣) سيدي عليّاً! وأبى أن يسلمهم سيدي عليّاً. وكثر الكلام بينهم ومثقال الزمام يصمّم على منع أمير عليّ فقالوا له: «السلطان الملك الأشرف مات؛ ونريد أن نسلطن ولده أمير عليّ» فلم يلتفت مثقال إلى كلامهم. فلما علموا المماليك

(١) أحد أبواب القلعة.

(٢) كذا بالأصل. وصوابه «يسقوا».

(٣) كذا. وصوابه: «له».

ذلك، طَلَعُوا جميعاً وكَسَرُوا شُبَّاكَ الرِّمَامِ الْمُطَّلَّ على باب الساعات، ودخلوا منه ونَهَبُوا بَيْتَ الرِّمَامِ وقماشه. ثم نزلوا إلى رَحْبَةِ باب السَّتَارَةِ ومسكوا مثقالاً الرِّمَامِ وَجُلْبَانَ اللَّالِاِ وفتحوا الباب. فدَخَلَتْ بِقِيَّتِهِمْ وقالوا: «أخْرِجُوا أمير عليّ، حتى نسلطنه، فإن أباه تُوفِّيَ إلى رحمة الله تعالى» فدخل الرِّمَامِ على رغم أنفه، وأخرج لهم أمير عليّ، فأقعد في باب السَّتَارَةِ. ثم أحضر الأميرُ أيدمر الشمسي فبوسه الأرض لأمير عليّ. ثم أركبوا أمير عليّ على بعض خيولهم وتوجَّهوا به إلى الإيوان الكبير. وأرسلوا خلف الأمراء الذين بالقاهرة، فركبوا إلى سوق الخيل وأبوا أن يطلعوا إلى القلعة، فأنزلوا أمير عليّ إلى الإسطلب السلطاني حتى رأوه الأمراء؛ فلما رأوه طلعوا وقبلوا له الأرض وحلَّفوا له. غير أن الأمير طَشْتَمُرَ الصالحي وبلاط السيفي الجايي^(١) الكبير وحطط رأس نوبة النوب لم يوافقوا ولا طلعوا فنزلوا إليهم المماليك ومسكوهم وحبسوهم بالقصر، وعقدوا لأمير عليّ بالسلطنة ولقبوه بـ «الملك المنصور» على ما يأتي ذكره في محله، ونسوق الواقعة على جليتها.

ثم نادوا بالديار المصرية بالأمان والبيع والشراء، بعد أن أخذوا خطوط سائر الأمراء المقيمين بمصر. فأقاموا ذلك النهار وأصبحوا يوم الأحد رابع ذي القعدة من سنة ثمانٍ وسبعين وسبعمئة وهم لابسون آلة الحرب، واقفون بسوق الخيل، يتكلمون في إتمام أمرهم. وبينما هم في ذلك جاءهم الخير أن شخصاً يُسمى قازان اليرقشي كان مسافراً صحبة السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز الشريف وجدوه متنكراً، فمسكوه وأتوا به إلى الأمراء فسألوه عن خير قدومه وعن أخبار السلطان، فأبى أن يخبرهم بشيء، وأنكر أنه لم يتوجه إلى الحجاز. فأوهموه بالتوسيط فأقر وأعلمهم الخبر بقدوم السلطان الملك الأشرف شعبان وكسرتة من ممالিকে بالعقبة فقالوا له: «وما سبب هزيمة السلطان من عقبة^(٢) أيلًا؟» قال: «لما نزل السلطان الملك الأشرف بمن معه من أمرائه وعساكره إلى العقبة، وأقام بها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء سلخ

(١) في السلوك: «الأمير بلاط الكبير السيفي». وفي الجوهر الثمين: «بلاط الألباري».

(٢) أو عقبة أيلة وهي بلدة العقبة المعروفة اليوم.

شوّال، فطلب المماليك السلطانية العليق، فقيل لهم اصبروا إلى منزلة الأزلّم؛^(١) فغَضِبُوا وامتنعوا من أكل السَّمَّاط عصر يوم الأربعاء واتفقوا على الركوب. فلما كانت ليلة الخميس المذكورة ركبوا على السلطان ورؤوسهم الأمير طَشْتَمُر العلائِيّ ومبارك الطازِيّ وصَرَاي تَمُر المحمديّ وقُطْلَقَتَمُر العلائِيّ الطويل وسائر مماليك الأسياد وأكثر المماليك السلطانية. فلما بلغ السلطان أمرهم ركب بأمرائه وخاصّكَيْته وتواقعوا فانكسر السلطان وهَرَب هو ومن كان معه من الأمراء وهم: صرغتمش الأشرفيّ وأرغون شاه الأشرفيّ ويبيغا الأشرفيّ وبَشْتَك الأشرفيّ وأرغون كتك وبلغا الناصريّ. وصار السلطان بهؤلاء إلى بركة عجرود^(٢)، فنزل بها، وهو مقيمٌ بها. فقالوا له: «كَذَبْتَ قُل لَنَا حَقِيقَةَ أَمْرِهِ»، فامتنع وحلّف. فأرادوا توسيطه حقيقة، فقال: «أطلقوني أنا أدلّكم عليهم». فأطلقوه، فأخذهم وتوجّه بهم إلى قُبّة النصر خارج القاهرة إلى محل كان الأشرف نزل فيه بجماعته، فوجدوا بالمكان أرغون شاه وصرغتمش ويبيغا وبَشْتَك وأرغون كتك. وكان الذي توجّه مع قازان اليرقشيّ من القوم أسندمر الصرغتمشيّ وطولو الصرغتمشيّ ومعهما جماعة كبيرة من المماليك الذين ثاروا بالقاهرة. فقبضوا على الأمراء المذكورين وسألوهم عن الملك الأشرف، فقالوا: «فارقنا وتوجّه هو ويلبغا الناصريّ إلى القاهرة ليختفي بها» فقتلوا الأمراء المذكورين في الحال، وحزوا رؤوسهم، وأتوا بها إلى سوق الخيل، ففرح بذلك بقيّة الأمراء الذين هم أصلُ الفتنة وعلموا أنّ الأشرف قد زال مُلْكُهُ. وأمّا الملك الأشرف فإنه لما وصل إلى قُبّة النصر توجّه منها نحو القاهرة ومعه يلبغا الناصريّ، وأختفى عند أستاذار يلبغا الناصريّ، فلم يأمن على نفسه، فتوجّه تلك الليلة من عند أستاذار يلبغا الناصريّ إلى بيت آمنة زوجة المشتوليّ^(٣) فاختفى

(١) منزلة الأزلّم: كانت محطة من محطات الحجاج في الطريق بين القاهرة ومكة المشرفة. بها قلعة خربة وآبار غير صالحة للشرب. (الخطط التوفيقية: ٢٦/٩).

(٢) بركة عجرود: المراد بها المنطقة الصحراوية الواقعة عند محطة عجرود إحدى محطات الحاج القديمة على الطريق ما بين القاهرة والسويس. (محمد رمزي).

(٣) كذا أيضاً في السلوك. وفي الجواهر الثمين: «زوجة ابن المشتولي». وفي إنباء الغمر لابن حجر العسقلاني: ١٩٤/١ «استخفى السلطان عند آمنة بنت عبد الله امرأة ابن المستوفي المغنية. كان يعرفها قبل ذلك فأخفتها».

عندها. ففَلِقَ عند ذلك الأمراء الذين أثاروا الفتنة وخافوا عاقبة ظهور الأشرف، وهم: قُرطاي الطازي وطَشْتَمُر اللّاف وأسندمر الصرغتمشي وقُطْلُوبغا البدري وألْطُنْبغا السلطانيّ وبِلَاط الصغير ودِمْرَاش اليوسفيّ وأيْنَبك البدريّ ويَلْبغا النظاميّ وطُولو الصرغتمشيّ - وهؤلاء الأمراء، وأمّا الأجناد فكثير - فاشتد قلقهم. وبينما هم في ذلك في آخر نهار الأحد يوم قتلوا الأمراء المذكورين بقُبة النصر، وقبل أن يَمْضي النهار، جاءت امرأة إلى الأمراء وذكرت لهم أن السلطان مُخْتَفٍ عند آمنة زوجة المشتوليّ في الجُودرية^(١) فقام ألْطُنْبغا^(٢) من فورهِ ومعه جماعةٌ وكَبَسوا بيت آمنة المذكورة، فَهَرَب السلطان وأختفى في بادهنج^(٣) البيت فطلّعوا فوجدوه في البادهنج وعليه قماش النساء. فمسكوه وألْبَسوه عِدّة الحرب، وأحضره إلى قلعة الجبل، فتسلّمه الأمير أيْنَبك البدريّ وخلا به. وأخذ يُقرّره على الذخائر، فأخبره الملك الأشرف بها وقيل إنَّ أيْنَبك المذكور ضَرَبه تحت رجله عِدّة عصي^(٤). ثم أصبحوا في يوم الاثنين^(٥) خنقوه، وتولّى خنقه جاركس شادّ عمائر ألجاي اليوسفيّ، فأعطى جاركس المذكور إمرة عشرة وأستقرّ شادّ عمائر السلطان.

ثم بعد خنق الملك الأشرف لم يدفنه، بل أخذوه ووضعوه في قُفّة وخيَطوا عليها ورَمَوْه في بئر. فأقام بها أياماً إلى أن ظهرت رائحته؛ فاطلّع عليه بعض خُدّامه من الطواشيّة، ثم أخرجوه ودَفَنَوْه عند كيمان السيدة نفيسة، وذلك الخادِم يتبعهم من بُعد حتى عرف المكان. فلما دخل الليل أخذ جماعة من إخوته وخدمه ونقلوه في تلك الليلة من موضع دَفَنَوْه المماليك ودفنوه بترية والدته خُوند بركة بمدرستها التي بَحْطُ التَّبانة في قُبة وحدّه، بعد أن غسّلوه وكفّنوه وصلوا عليه.

(١) كذا أيضاً في الجواهر الثمين. وفي السلوك: «بحارة المحمودية» وكلاهما من أحياء القاهرة.

(٢) في السلوك: «فركب الأمير قرطاي في عدة وافرة..» وفي الجواهر الثمين: «فتوجه صحبتها ألطبيغا السلطاني ومعه جماعة...».

(٣) البادهنج: كلمة فارسية تعني منفذ التهوية الذي يوجد وسط المبنى.

(٤) في الجواهر الثمين وإنباء الغمر: «ضربه تحت رجله نحواً من سبعين ضربة بالعصي».

(٥) كذا أيضاً في الجواهر الثمين وإنباء الغمر. وفي السلوك وبدائع الزهور: «يوم الثلاثاء سادس ذي القعدة».

وقيل غير ذلك، وهو أنهم لما وجدوه في البيت المذكور وعليه قماش النسوة أركبوه على هيئة بازار^(١) خَلَفَ مملوك، ومَشَوْا خَلْفَهُ، وطلَعوا به من على قنطرة باب الخرق^(٢) وطلَعوا به على معدية^(٣) فُريج، وطلَعوا به من على الصليبية وقت الظهر. وكان من رآه يحسبه أميراً من الأمراء؛ وفعلوا ذلك خوفاً من العامة، فإنهم لو عَلِموا أنه السلطان خَلَصوه منهم، ولو ذَهَبَت أرواحهم الجميع، لمحبة الرعية في الأشرف المذكور.

ثم دخلوا بالأشرف إلى إسطنبول بالقرب من الصليبية، مخافةً من العامة لا يعرفون به لما تكاثروا لِلْفُرْجَةِ عليه، فأقام بالإسطنبول ونزل إليه قُرْطاي وقرره على الذخائر، فقرّر له. ثم قتله ودفنه بمصطبة بالإسطنبول المذكور. فهذه رواية أخرى غير ما ذكرنا أولاً، والأول أشهر، وأظنه الأصح والأقوى.

وأما الذين تخلفوا بالعقبة من الذين وثبوا على الملك الأشرف وكسروه وهرب الأشرف إلى جهة الديار المصرية ولم يُدركوه، فإنهم آتَفَقوا الجميع - الأمراء وغيرهم - وتوجّهوا إلى الخليفة المتوكّل على الله، وكان أيضاً في صحبة السلطان الملك الأشرف وقالوا له: «يا أمير المؤمنين تَسَلْطَنُ ونحن بين يديك»، وكانت العصائب السلطانية حاضرة فامتنع الخليفة من ذلك.

هذا وهم لا يعلمون بما وقع بالديار المصرية من ركوب هؤلاء وسلطنة أمير علي، فإنّ كلّ طائفةٍ وثبتت على السلطان، وليس للأخرى بها علم ولا كان بينهم اتّفاقيّة على ذلك، وهذا من غريب الاتفاق، كون الواقعة تكون في العقبة وينكسر السلطان.

(١) كذا. والبازار هو السوق. ولا نرى وجهاً لاستعمالها هنا. ولعله: «على هيئة بازيار» أو «بازدار» أي الذي يتولى تربية طيور السلطان والعناية بها، فتأمل.

(٢) هذه القنطرة إحدى قناطر الخليج المصري بالقاهرة. وقيل لها قنطرة باب الخرق لأنها كانت تجاه أرض زراعية تخترقها الرياح لاستوائها. وكان الميدان الذي فيه القنطرة يعرف بميدان باب الخرق. (خطط المقرئبي: ١٤٧/٢). وفي أيام الخديوي إسماعيل أطلق على الميدان اسم ميدان باب الخلق لكثرة ازدحام الناس المارين فيه، كما أطلق على القنطرة اسم قنطرة باب الخلق. (محمد رمزي).

(٣) هذه المعدية كانت واقعة في الخليج المصري بين قنطرة باب الخلق وقنطرة سنقر بالقاهرة. وعرفت هذه القنطرة في عصرنا الحاضر باسم قنطرة «اللي كفر» أي «الذي كفر». (محمد رمزي).

ثم بعد ثلاثة أيام أو أقل تكون بمصر أيضاً ويُخَلَع الملك الأشرف ويتسلطن ولده وكلاهما من غير مواعدة الأخرى، فنعود بالله من زوال النعم.

ثم إن الأمراء والمماليك أقاموا بالعقبة بعد هروب السلطان يومين، وقد جهزوا للخليفة قماش السلطنة وآلة الموكب، وألحوا عليه بالسلطنة وهو يمتنع. وتوجهت القضاة إلى القدس للزيارة، وردّ الحاج بأسره إلى أبيار^(١) العلائي، وقد قصدوا العود إلى القاهرة وإبطال الحاج في تلك السنة، فنهض الأمير بهادر الجمالي أمير الحاج وردّهم وحجّ بهم. ولما تحققت الأمراء والمماليك أن الخليفة أمتنع من السلطنة، رجّعوا نحو الديار المصرية حتى وصلوا إلى عجرود، فأتاهم الخبر بما جرى من مسك السلطان الملك الأشرف وقتله، فاطمأنوا. فإنهم كانوا على وجل، ومنهم من ندم على ما فعل، فإنه كان سبباً لزوال دولة الملك الأشرف ولم ينله ما أمل، وخرج الأمر لغيره. ثم ساروا الجميع من عجرود إلى أن وصلوا إلى بركة الحاج، فسار إليهم جماعة من القائمين بمصر بآلة الحرب فتعبوا لقتالهم. فأرسل طشتمر العلائي الدوادر طليعة عليها قطلقتمر الطويل، فقاتلوه المصريون فكسرهم قطلقتمر، وسار خلفهم إلى قلعة الجبل. فلما قرب إلى القلعة تكاثروا عليه ومسكوه. وفي ذلك الوقت حضر إلى الديار المصرية الأمير آقتمر صاحب نائب السلطنة بالديار المصرية، وكان قد توجه إلى بلاد الصعيد قبل توجه السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز، فتلقاها أمراء مصر وعظّموه وقالوا له: «أنت نائب السلطنة على عادتك وأنت المتحدث وكلنا مماليكك»، فلم يسعه إلا مطاوعتهم على ما أرادوا. وكان كلام الأمراء لآقتمر صاحب نائب السلطنة بهذا القول، خوفاً ممن أتى من الأمراء والخاصكية من العقبة.

ثم اتفق المصريون على قتال طشتمر الدوادر ومن أتى معه من العقبة من المماليك الأشرفية وغيرها، فنزلوا إليهم من القلعة بعد المغرب في جمع كبير والتقوا معهم على الصوة من تحت القلعة، تجاه الطبلخاناه السلطانية. وتقاتلوا،

(١) أبيار العلائي أو أبار العلائي: محطة من محطات الحجاج بعد نخل والقرنص وقيل نقب العقبة في وادي التيه على بعد ٤٠ ميلاً شرقي نخل (محمد رمزي).

فانكسر طشتهم وَمَنْ معه من الأمراء والمماليك الأشرفية، وانهمزوا بعد المغرب إلى ناحية الكيمان. فلما كان الليل أرسل طشتهم طلب الأمان لنفسه، فأرسلوا له الأمان. فلما حضر مسكوه وقيدوه هو وجماعته وحبسوهم بالقلعة. وفيه يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار: [مجزوء الكامل]

إِنْ كَانَ طُشْتَمُرُ طَفَى وَأَتَى بِحَرْبٍ مُسْرِعٍ
وَبَغَى سَيُؤْخَذُ عَاجِلاً وَلِكُلِّ بَاغٍ مِصْرَعٍ

قلت: ما أشقى هؤلاء القوم العصاة بالعقبة، فإنهم كانوا سبباً لزوال مُلْكِ أستاذهم الملك الأشرف وذهاب مُهْجَتِهِ من غير أن يحصل أحدُهم على طائل. بل ذهب عنهم الدنيا والآخرة، فإنهم عصوا على أستاذهم وخلعوا طاعته من غير موجب. وشمل ضررهم على الحجاج وغيرهم، وارتكبوا أموراً قبيحة، فهذا ما حصلوه من الإثم.

وأما أمر الدنيا فإنها زالت عنهم بالكلية، وخرج عنهم إقطاعاتهم ووظائفهم وأرزاقهم، ومنهم من قُتِلَ أشرقتة، ولم يُقرَّ بهم ملك من الملوك بعد ذلك، بل صاروا مبعودين في الدول وماتوا قهراً مما قاسوه من الذل والهوان، حتى إنني رأيت منهم من كان عمراً واحتاج إلى السؤال، وما ريك بظلام للعبيد.

وكان السلطان الملك الأشرف - رحمه الله تعالى - من أجل الملوك سماحة وشهامة وتجبلاً وسؤدداً.

قال قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني - رحمه الله - في تاريخه^(١): كان ملكاً جليلاً لم يُر مثله في الحلم. كان هيناً ليناً محبباً لأهل الخير والعلماء والفقراء، مُقتدياً بالأمر الشرعية، واقفاً عندها، مُحسناً لإخوته وأقاربه وبنو أعمامه. أنعم عليهم وأعطاهم الإمريات والإقطاعات، وهذا لم يعهد من ملك قبله في ملوك الترك ولا غيرهم. ولم يكن فيه ما يُعاب، سوى كونه كان محبباً لجمع المال. وكان كريماً

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للقاضي بدر الدين محمود العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ.

يُفرق في كلِّ سنة على الأمراء أقبيةً بَطْرُز زركش، والخيول المسومة بالكنابيش الزركش والسلاسل الذهب والسروج الذهب، وكذلك على جميع أرباب الوظائف؛ وهذا لم يفعلهُ ملكٌ قبله. انتهى كلام العيني باختصار - رحمه الله تعالى -.

وقال غيره - رحمه الله: وكان ملكاً جليلاً شجاعاً مهاباً كريماً هيناً ليناً مُحبباً للرعية. قيل إنه لم يل الملك في الدولة التركية أحلم منه ولا أحسن خلقاً وخلقاً. وأبطل عدّة مكوس في سلطنته. والله أعلم.

قلت حدّثني العلامة علاء الدّين علي القلقشندي - تغمده الله تعالى - الشافعي، قال: حدّثني العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد البساطي المالكي أنّ الملك الأشرف شعبان هذا كان من فطنته وذكائه يَعْرِفُ غالب أحوال القلاع الشامية وغيرها، ويعرف كيف تُؤخَذُ ومن أين تحاصرُ معرفةً جيّدة.

قلت هذا دليلٌ على الذكاء المفرط والتيقّظ في أحوال مملكته. انتهى.

ورأيتُ أنا كثيراً من الممالك الأشرافية وبهم رَمَقٌ وقوّة في أوائل الدولة الأشرافية برسباي، منهم الأمير آق سنقر الأشرفي الحاجب وغيره. وكانت أيام الملك الأشرف شعبان المذكور بهجّة، وأحوال الناس في أيامه هادئة مطمئنة، والخيرات كثيرة على غلاء وقع في أيامه بالديار المصرية والبلاد الشامية؛ ومع هذا لم يختل من أحوال مصر شيءٌ لحسن تدييره، ومشى سوقُ أرباب الكمالات في زمانه من كل علم وفن. ونفقت في أيامه البضائع الكاسدة من الفنون والملح، وقصّدت أربابها من الأقطار، وهولا يكَلّ من الإحسان إليهم في شيء يريدُه وشيء لا يريدُه، حتى كلّمه بعضُ خواصّه في ذلك، فقال - رحمه الله -: «أفعلُ هذا لثلاث موتِ الفنون في دولتي وأيامي».

قلت: لعمرى إنه كان يخشى موتَ الفنون والفضائل؛ ولقد جاء من بعده من قتلها صبراً، قبل أوّان موتها، ودَفَنها في القبور وعفَى أثرها. وما أحسن قول أبي الطيب [المتنبي] أحمد بن الحسين حيث يقول: [الطويل]

على قدر أهل العزم تأتي العزائم [وتأتي على قدر الكرام المكارم]

وَحَلَفَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ [رَحِمَهُ اللَّهُ] مِنَ الْأَوْلَادِ سِتَّةَ بَنِينَ، وَهُوَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ عَلَيَّ الَّذِي تَسَلَّطَنَ مِنْ بَعْدِهِ - عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ وَذِكْرُ مَنْ قَامَ بِسُلْطَنَتِهِ مُفْصَلًا - وَالْمَلِكُ الصَّالِحُ أَمِيرُ حَاجٍ، وَقَاسِمٌ، وَمُحَمَّدٌ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَأَبُوبَكْرٌ. وَوُلِدَتْ بَعْدَهُ خَوْنَدُ سَمْرَاءَ جَارِيَتُهُ وَلِدًا سَمَّوَهُ أَحْمَدَ فَصَارُوا سَبْعَةً.

وَحَلَفَ سَبْعَ بَنَاتٍ رَأَيْتَ إِحْدَاهُنَّ بَعْدَ سِنَةِ عَشْرِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ.

وَكَانَتْ مَدَّةُ سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سِنَةً وَشَهْرَيْنِ وَعَشْرِينَ (١) يَوْمًا. وَمَاتَ وَعُمُرُهُ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سِنَةً. وَقَدْ تَقَدَّمَ مَوْلَدُهُ فِي أَوَّلِ تَرْجُمَتِهِ. وَرِثَاهُ الشُّعْرَاءُ بَعْدَ مَوْتِهِ بَعْدَةَ قِصَائِدٍ، وَحَزِنَ النَّاسُ عَلَيْهِ حُزْنًا عَظِيمًا وَكَثُرَ تَأْسُفُهُمْ عَلَيْهِ. وَعُمِلَ عِزَاؤُهُ بِالْقَاهِرَةِ عِدَّةَ أَيَّامٍ. وَفِيهِ يَقُولُ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْعِطَارِ: [الْبَسِيطُ]

لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ الْمَنْصُورِ سَيِّدِنَا	مَنَاقِبُ بَعْضُهَا يَبْدُو بِهِ الْعَجَبُ
لَهُ خَلَائِقُ بِيضٌ لَا يَغْيَرُهَا	صِرْفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَبْصُدُ الذَّهَبُ

وَقَالَ غَيْرُهُ: [زَجَلُ]

كُوكَبُ السَّعْدِ غَابَ مِنَ الْقَلْعَةِ	وَهَلَأَلُّوْا قَدْ أَنْطَقْنَا بِأَمَانٍ
وَزُحَلُّ قَدْ قَارَنَ الْمِرْيَخُ	لِكُسُوفِ شَمْسِ الضُّحَى شَعْبَانَ

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة خمس وستين وسبعمائة. على أنه حَكَمَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى آخِرِهَا.

وَفِيهَا (أَعْنِي سِنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ) تُوفِّيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقُونَوِيِّ الْحَنْفِيِّ الشَّهِيرِ بِأَبْنِ الرَّبُّوعَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ. كَانَ إِمَامًا عَالِمًا بَارِعًا خَطِيبًا فَصِيحًا فَقِيهًا مُنَاطِرًا. أَقْتَى وَدَرَّسَ وَأَعَادَ وَشَرَحَ «الْفَرَائِضَ

(١) فِي السُّلُوكِ وَالْجَوْهَرِ الثَّمِينِ وَإِنْبَاءِ الْغَمْرِ: «وَشَهْرَيْنِ وَنِصْفٍ».

السراجية»^(١) و «كتاب المنارة»^(٢) وله عدة مصنفات أخر. ومات بدمشق في هذه السنة، وقيل في الخالية.

وتُوفِّي قاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم ابن القاضي شمس الدين إبراهيم بن شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن المسلم بن عبد الله بن حسان المعروف بالبارزيّ الجهنّيّ الحمويّ الشافعيّ قاضي قضاة حماة بها، بعد أن وليّ قضاةها ستاً وعشرين سنة. وكان مشكور السيرة في أحكامه - رحمه الله - .

وتُوفِّي الأديب عز الدين أبو محمد الحسن بن عليّ بن الحسن بن عليّ العباسيّ الشهير بأبن البناء الحلبيّ الشاعر المشهور. قدّم إلى حلب وبها مات، وسنّه زيادة على سبعين سنة. ومن شعره قصيدة أولها: [الرجز]

أنفقتُ عُمرِي في رجاءٍ وصلِّكم والعَصْرُ إنِّي بكم في خُسْرٍ

وتُوفِّي القاضي شهاب الدين أحمد ابن الصاحب جمال الدين محمد ابن الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد الحنفيّ الحلبيّ الشهير بأبن العديم بحلب، عن بضع وسبعين سنة. وكان فقيها عارفاً بالتاريخ والأدب.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين قُطْلُوْبُغَا الأحمديّ نائب حلب بها عن نيّف وثلاثين سنة - رحمه الله - وكان أميراً جليلاً شجاعاً كريماً. نشأ في السعادة وولي نيابة حلب مرّتين.

وتُوفِّيَت خَوْنَد طُولُوْبِيه^(٣) الناصرية التّريّة، زوجة السلطان الملك الناصر حسن، ثم من بعده زوجة مملوكه يَلْبُغَا العُمريّ، في الرابع والعشرين من شهر ربيع

(١) الفرائض السراجية، ويقال لها فرائض السجاوندي، للإمام سراج الدين محمد بن محمود بن عبد الرشيد السجاوندي الحنفي. (كشف الظنون).

(٢) منار الأنوار في أصول الفقه للشيخ أبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي المتوفى سنة ٥٧١٠هـ. (كشف الظنون).

(٣) راجع ص ٦، حاشية (١).

الآخر، ودُفِنَتْ بتربتها^(١) التي أنشأتها بجوار تربة خوند طغاي الناصرية أم نوك خارج باب البرقية بالصحراء. وكانت من أجمل نساء عصرها.

وتُوفِّي القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن بهاء الدين إسحاق بن إبراهيم السُّلَمِيُّ المُنَاوِي الشافعي، خليفة الحُكْم بالديار المصرية، وقاضي العسكر، ووكيل بيت المال والخاص بها، في يوم الجمعة سادس شهر ربيع الآخر.

وتُوفِّي القاضي صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البُرُئِيُّ المالكي محتسب القاهرة بها في يوم الخميس خامس عشرين صفر. وهذا المحتسب هو الذي أمر المؤذنين أن يقولوا في ليلة الجمعة بعد أذان العشاء الآخرة، وقبل الفجر: «الصلوة والسلام عليك يا رسول الله» فاستمر ذلك إلى سلطنة الملك الظاهر برقوق، [حيث] أمر محتسب القاهرة نجم الدين الطنبدي أن يقولوا ذلك عقيب كل أذان إلا المغرب. واستمر ذلك أيضاً إلى يومنا هذا، على ما سنبينه في وقته - إن شاء الله تعالى - ونذكر سببه، ولم يكن قبل ذلك إلا الأذان فقط.

وتُوفِّي قاضي مكة تقي الدين محمد بن أحمد بن قاسم العُمري الحَرَازي^(٢) الشافعي معزولاً.

وتُوفِّي بالمدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - الحافظ عفيف الدين أبو السيادة عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف في سادس عشرين شهر ربيع الأول، رحمه الله. وكان إماماً حافظاً متقناً، سمع الكثير ورَحَلَ البلاد وكتب وحصل.

وتُوفِّي السلطان الملك الصالح شمس الدين صالح آسن الملك المنصور نجم الدين غازي آسن الملك المظفر قرا أرسلان ابن الملك السعيد غازي بن

(١) هذه التربة لا زالت إلى اليوم بقرافة المجاورين بالقاهرة باسم تربة خوند طلباي، تجاه تربة خوند طغاي أم نوك، ويفصل بينها شارع خوند طغاي (محمد رمزي).

(٢) نسبة إلى حَرَّاز، مخلاف باليمن قرب زبيد. (معجم البلدان).

أُرْتُقُ بن أَرِسْلان بن إِيْل بن غازِي بن أَلِيّ بن تَمَرْداش بن إِيْل بن غازِي بن أُرْتُقُ الأَرْتُقِيّ صاحب مَرْدِين بها، وقد ناهز السبعين سنة من العُمُر، بعد أن دام في سلطنة مَرْدِين أربعاً وخمسين سنة. وتَوَلَّى مَرْدِين بعده أبْنه الملك المنصور أحمدُ. وكان الملك الصالح من أَجَلْ ملوك بني أُرْتُقُ حَزْماً وَعَزْماً ورأياً وسُوْدُداً وَكِرْماً وَدِهَاءً وشجاعةً وإقداماً. وكان يُحِبُّ الفقهاء والفضلاء وأهل الخير، وكان له فضلٌ وفهْمٌ وَذَوْقٌ للشعر والأدب. وكان يُحِبُّ المَدِيحَ وَيُجِيزُ عليه بالجوائز السنيّة. ولصَفِيّ الدين عبد العزيز الحِلِّيّ فيه مدائحٌ وغُررٌ في مخلص بعض قصائده - رحمه الله -.

[ومنها: الكامل]

لم أشكُ جَوْرَ الحادِثاتِ ولم أقل	حالتُ بيّ الأيامُ عن حَالاتِها
مالي أَعْدُ لها مساوِيءَ جمّة	والصالحُ السلطانُ من حَسَناتِها
مَلِكٌ تُقَرُّ له الملوكُ بأنه	إنسانٌ عَيْنِها وعينُ حَيّاتِها

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وستة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأثنا عشر إصبعاً. وكان الوفاء ثاني عشرين توت. والله أعلم.

* * *

السنة الثانية من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة ست وستين وسبعمائة

فيها تُوفِّي العَلَمَةُ قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فَزارة الكَفْرِيّ (بفتح الكاف) الدَّمَشْقِيّ الحنفيّ قاضي قضاة دِمَشق بها. وكان - رحمه الله - إماماً بارعاً في مذهبه، ماهراً في علم العربيّة، بصيراً بالأحكام. باشر مدّة طويلة نيابة عن والده، ثمّ استقلّ بها إلى أن مات. وكان مشكور السيرة وأفتى ودرّس سنين.

وتُوفِّيَ فاضلي القضاة زين الدين محمد بن سراج الدين عمر بن محمود الحنفي المعروف بابن السراج بالقاهرة في ذي القعدة عن تسع وستين سنة، ودُفِنَ بترابته خارج باب النصر بالقرب من تربة الصوفية - رحمه الله. وكان فقيهاً بارعاً عالماً مُفْتِياً يحفظ «الهداية» في الفقه. ودرّس بالجامع الحاكمي، وأعاد بجامع أحمد بن طولون والأشرفية وغيرهما، وناب في القضاء عن قاضي القضاة جمال الدين التُّركماني الحنفي. وكان معدوداً من الفقهاء العلماء.

وتُوفِّيَ الخطيب أبوالمعالى تقيّ الدين محمد بن الخطيب محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن ناصح الحموي ثمّ الحلبي الشافعي الشهير بابن القوّاس بحلب عن نيف وخمسين سنة، رحمه الله.

وتُوفِّيَ الشيخ الإمام العالم العلامة قطب الدين محمد بن محمد الرازي الشافعي الشهير بالقطب التحتاني^(١) - رحمه الله بِدِمَشْقَ عن نيف وستين سنة. كان بحراً في جميع العلوم لا سيما في العلوم العقلية وله تصانيف مفيدة، منها: شرح «الشمسية»^(٢) وشرح المطالع^(٣) والحواشي على كشف الزمخشري. وكانت تصانيفه أحسن من تصانيف شيخه العلامة شمس الدين الأصفهاني - رحمه الله.

وتُوفِّيَ الأمير سيف الدين أرْبُغَا بن عبد الله الكاملّي نائب غزّة. كان أصله من ممالك الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان خصيصاً عنده إلى الغاية.

وتُوفِّيَ الأمير الشريف أبوعلي الحسن بن محمد بن الحسن بن عليّ بن الحسن بن زهرة الحسنّي الحلبيّ. ولي نقابة الأشراف بحلب بعد والده - رحمهما

(١) قيل له التحتاني تمييزاً له عن قطب آخر كان ساكناً معه بأعلى المدرسة. (الدرر الكامنة).

(٢) الشمسية: متن مختصر في المنطق لنجم الدين عمر بن عليّ القزويني المتوفى سنة ٥٦٩٣هـ. ألفه لخواجه شمس الدين محمد وسماه بالنسبة إليه. (كشف الظنون).

(٣) مطالع الأنوار في الحكمة والمنطق للقاضي سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي المتوفى سنة ٦٨٩هـ. (كشف الظنون).

الله تعالى - وأستقرَّ أمير طبلخاناه بحلب مدة ثمَّ صُرف عن الوظيفتين، ومات بظاهر حلب عن ثلاث وخمسين سنة.

وتُوفِّي الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الهادي الفُويّ الفقيه الشافعيّ في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى وقد تصدّر للتدريس والإقراء - رحمه الله .

وتُوفِّي الشيخ شرف الدين محمد بن أحمد بن ابي بكر الميزيّ الدمشقيّ الحريريّ المحدث بمصر في شعبان . رحمه الله تعالى .

وتُوفِّي الأمير آسن قجا بن عبد الله من علي بك الناصريّ أحد أمراء الطبلخانات، بعد ما تنقل في عدّة أعمال مثل البيرة وطرسوس وغيرها - رحمه الله .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين قماري بن عبد الله الحمويّ الناصري الحاجب، وهو على نيابة طرسوس . وكان من أعيان الأمراء ومن أكابر المماليك الناصرية .

وتُوفِّي الشيخ المعمر الرُّحلة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن يعقوب الأنصاريّ الخزرجيّ المقدسيّ البيانيّ الشاهد . كان أبوه يعرف بابن إمام الصخرة وأشتهر هو بالبياني . وُلد سنة ست وثمانين وستمائة فأحضر على زينب بنت مكّي في الثانية من عمره، وعلى الفخر ابن البخاري في الثالثة، وأسمع على أبي الفضل بن عساكر وغيره، وأجاز له جماعة، وحدث بالكثير . وعمر وصار مُسند عصره ورحلة زمانه . وخرّج له الحافظ تقيّ الدين بن رافع مشيخةً ودبّل عليها الحافظ زين الدين العراقيّ . وكانت وفاته يوم الاثنين تاسع عشرين ذى العقدة . [هو] آخرُ من تأخّر ممن سمع عليه شيخنا الرُّحلة زين الدين عبد الرحمن الزُّركشيّ الخيليّ، رحمه الله تعالى .

أمر النيل في هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً . والله أعلم .



السنة الثالثة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة سبع وستين وسبعمائة .

فيها تُوفِّي الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز آبن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكِنَانِي الحموي المصري الشافعي بمكة المشرفة في يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الآخرة، ودُفِن بباب المعلاة بين الفضيل بن عياض وأبي القاسم القُشَيْرِي ونجم الدين الأصبهاني . ومولده بالعادية بدمشق في سنة أربع وتسعين وستمائة، رحمه الله . وكان إماماً عالماً فاضلاً ديناً صالحاً . سَمِعَ بمصر والشام والحجاز وأخذ عن الأبرقوهي والدِّمِياطِي وغيرهما من الحُفَاط . وَجَمَعَ وكتب وحدث وخطب وأفتى ودرّس وتولى القضاء تسعاً وعشرين سنة . ثم استعفى وتوجّه إلى مكة مجاوراً بها إلى أن مات .

وتُوفِّي القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم أيوب العَيْنَتَابِي الحنفي قاضي العسكر بدمشق - رحمه الله تعالى - وبها كانت وفاته، وقد جاوز ستين سنة . وكان إماماً بارعاً في المذهب، وأفتى ودرّس وشرح مجمع البحرين في الفقه في المذاهب الثلاثة في عشرة مجلدات وسماه «المنبع» .

وتُوفِّي الشيخ الرضّي شيخ خانقاه بيبرس الجاشنكير في ليلة الجمعة حادي عشر شهر رجب ودفن بمقابر الصوفية . وتولّى مكانه الشيخ ضياء الدين العفيفي المعروف بقاضي قِرم^(١) . رحمه الله .

وتُوفِّي السلطان الملك المجاهد سيف الدين أبو يحيى علي آبن السلطان الملك المؤيد هزبر الدين داود آبن السلطان الملك المظفر يوسف آبن السلطان الملك المنصور عمر بن نور الدين علي [بن] رسول التُّركماني الأصل اليمني المولد والمنشأ والوفاة، صاحب اليمن بعدن - رحمه الله - في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى من هذه السنة، وقيل سنة أربع وستين، وولي بعده آبنه الملك الأفضل عباس . ومولد المجاهد هذا في سنة إحدى وسبعمائة بتعز . ونشأ بها وحفظ

(١) سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٥٧٨٠ .

«التنبيه» في الفقه وبحثه وتخرّج على المشايخ منهم: الشيخ الإمام العلامة الصاغانّي، وتادّب على الشيخ تاج الدين عبد الباقي وغيرهما. وشارك في علوم، وكان جيّد الفهم - رحمه الله - وله ذوق في الأدب، وله نظم ونثر. وهذا المجاهد الذي ذكرنا في ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون أنه أرسل إليه نجدةً إلى بلاد اليمن، لما خرّج عليه ونازعه الملك الناصر بن الأشرف صاحب زبيد، وسقنا حكايته هناك مفصلاً. وطالت مدة المجاهد في مملكة اليمن وفعل الخيرات وله مآثر: عمر مدرسة عظيمة بتعز وزيادة أخرى وغير ذلك وعمّر مدرسة بمكة المشرفة بالمسجد الحرام بالجانب اليمانيّ مشرفة على الحرم الشريف. وقد آستوعبنا ترجمته في المنهل الصافي بأطول من هذا إذ هو كتاب تراجم. والله أعلم.

وتُوفّي الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الظاهر المعروف بابن الشرف الحنفيّ الفقيه خطيب جامع شيوخون. وكان من أعيان الفقهاء وله مُشاركة وفضل. رحمه الله تعالى.

وتُوفّي الأمير سيف الدين بَطّاب بن عبد الله أحدُ أمراء الطبلخانات، وقُرىء على قبره بعد موته ألف ختمة شريفة بوصيته هكذا نقل الشيخ تقيّ الدين المقرّيزي. رحمه الله.

وتُوفّي الشيخ المحدث العالم العلامة شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة بن محمد بن خلف المنبجّي ثمّ الدمشقيّ التاجر. ومولده في سنة سبع وثمانين وستمائة ومات في ذي الحجة. رحمه الله.

وتُوفّي الشيخ الإمام، أحد فقهاء المالكيّة، خليل بن إسحاق المعروف بابن الجنديّ الفقيه المالكيّ - رحمه الله - في يوم الخميس ثاني عشر شهر ربيع الأول. وكان فقيهاً مُصنفاً. صنّف المُختصر في فقه المالكيّة وغيره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً. والله سبحانه أعلم.

السنة الرابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة ثمان وستين وسبعمائة.

وفيها كانت وقعة يلبغا العمريّ الخاصكي صاحب الكبش ومقتلته وسلطنة آنوك بجزيرة الوسطى؛ ولم يتم أمره ولا عد من السلاطين؛ وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلاً في ترجمة الملك الأشرف هذا فليُنظر هناك.

وفيها تُوفِّي قاضي القضاة أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقيّ الحنفيّ قاضي قضاة حَمَاة، وبها تُوفِّي وهو من أبناء الأربعين، رحمه الله. وكان فقيهاً عالمياً مشكوراً السيرة.

وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم المسلِّك^(١) العارف بالله تعالى عفيف الدين أبو محمد، وقيل أبو السيادة، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليمانيّ اليافعيّ، نزيل مكة وشيخ الحرم وإمام المسلِّكين وشيخ الصوفية، في ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة بمكة المشرفة، ودُفن بالمعلاة بجوار الفضيل بن عياض. ومولده سنة ثمان وستين وستمائة تقريباً، وسمع الكثير، وبرع في الفقه والعربية والأصليين واللغة والفرائض والحساب والتصوّف والتسليك، وغير ذلك. وكان له نظم جيدٌ كثير، ودون منه ديوان. وله تصانيف كثيرة منها: «روض الرياحين» [في حكايات الصالحين]^(٢) وتاريخ^(٣) بدأ فيه من أول الهجرة وأشياء غير ذلك ذكرناها مستوفاة في ترجمته في تاريخنا «المنهل الصافي» وما وقع له مع علماء عصره بسبب قصيدته التي أولها حيث قال في ذلك: [الطويل]

ويا ليلةً فيها السعادةُ والمُنَى لقد صَغُرْتُ في جنبها ليلةُ القدرِ

(١) المسلِّك: اسم فاعل من تسليك الطريق وهو تعريفها. والمراد تعريف المريدين الطريق إلى الله تعالى. وهو من ألقاب الصوفية. وكان يستعمل أحياناً مضافاً إلى باء النسب للمبالغة فيقال: المسلِّكيّ. (صبح الأعشى: ٢٨/٦).

(٢) زيادة عن كشف الظنون.

(٣) هو كتاب «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان» مطبوع في أربعة مجلدات. (الأعلام:

قال: ومن شعره أيضاً قصيدته التي أولها: [الطويل]

قفا حدثناني فالفؤادُ عليلُ عسى منه يُشفى بالحديثِ غليلُ
أحاديثُ نجدٍ عللاني بذكرها فقلبي إلى نجدٍ أراه يميلُ
بتذكرِ سُعدى أسعداني فليس لي إلى الصبرِ عنها والسُّلوِّ سبيلُ
ولا تذكرُ لي العامريةَ إنها يؤلُّه عقلي ذكرها ويُزِيلُ

ومنها المخلص:

ألا يا رسولَ الله يا أكرمَ الورى ومن جوده خير النوالِ يُنيلُ
ومن كفه سيحونُ منها وجيحنُ ودجلة تجري والفراتُ ونيلُ
مدحتك أزوجو منك ما أنت أهله وأنت الذي في المكرماتِ أصيلُ
فيا خيرَ ممدوحٍ أثب شرَ مادحٍ عطا مانحٍ منه أجزاءُ جزيلُ

وتوفي الشيخ الإمام العالم المسلمك الصوفي العارف بالله تعالى المعتقد جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر الكوراني الأصل المصري الدار والوفاة المعروف بالشيخ يوسف العجمي بزوايته بقرافة مصر الصغرى في يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول وقيل: جمادى الأولى وقيل: يوم الأحد النصف من جمادى الأولى، ودفن بزوايته المذكورة، وقبره يُقصد للزيارة. وكان - رحمه الله - شيخاً حقيقاً ومقتدى طريقة. كان إمام المسلميين في عصره، وكان على قدم هائل. كان غالب علماء عصره يقتدون به، وكان له أوراد وأذكار هائلة. انتفع بصحبته جماعة من العلماء والصلحاء والفقهاء، وكان لا يأخذه في الله لومة لائم، مع فضيلة غزيرة، ومعرفة تامة بالتصوف. وله رسالة سماها «ريحان القلوب والتوصل إلى المحبوب». وقد شاع ذكر الشيخ يوسف في الدنيا وأثنى عليه العلماء والصلحاء.

حكى أن الشيخ يوسف هذا دخل مرة إلى الشيخ يحيى بن علي بن يحيى الصنافيري، فقام إليه الشيخ يحيى، وكان لا يلتفت إلى أحد، وتلقاه وهو يُشيد بقوله: [الوافر]

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنِّي صَنِيرَفِيٌّ بلوتُ أَلْعَالِمِينَ عَلَى مِحْكِي
فَمِنْهُمْ زَائِفٌ لَا خَيْرَ فِيهِ وَمِنْهُمْ جَائِزٌ تَجْوِيزُ شَكِّ
وَأَنْتَ الْخَالِصُ الْإِبْرِيْزُ مِنْهُمْ بِتُرْكِيَّتِي وَحُسْبُكَ مِنْ أَرْكِي!

فحصل للشيخ يوسف بهذا الكلام غاية السرور والفرح. وكان مع الشيخ يوسف ولده محمد فأقبل عليه الشيخ يحيى وأنشده فقال: [الكامل]

إِنَّ السَّرِيَّ إِذَا سَرَى فَبِنَفْسِهِ وَأَبْنُ السَّرِيِّ إِذَا سَرَى أَسْرَاهُمَا

قال: فازداد الشيخ يوسف سروراً على سروره بهذا القول. رحمهما الله تعالى ونفعنا ببركاتهما.

وتُوفِّيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَدِيبُ الْبَارِعُ الْمُفْتَنُّ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَطِيبِ أَبِي يَحْيَى عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ نُبَاتَةَ (بِضْمِ النَّوْنِ) الْفَارَقِيَّ الْأَصْلَ، الْجُدَامِيَّ، الْمَصْرِيَّ، الْمَعْرُوفَ بِابْنِ نُبَاتَةَ، بِالْقَاهِرَةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بِالْبِيْمَارِسْتَانَ الْمَنْصُورِيَّ فِي ثَامِنِ شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ. وَمَوْلَدُهُ فِي مِصْرَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَسِتْمِائَةَ «بِزَفَاقِ الْقِنَادِيلِ». وَنَشَأَ بِمِصْرَ، وَبَرَعَ فِي عَدَّةِ عُلُومَ، وَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ فِي نِظْمِ الْقَرِيضِ. وَلَهُ الشُّعْرُ الرَّائِقُ وَالنَّثْرُ الْفَائِقُ. وَهُوَ أَحَدٌ مِنْ حَدَا حَدَوِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ، وَسَلِكَ طَرِيقَهُ، وَأَجَادَ فِيْمَا سَلِكَ. وَكَانَ خَطَّهُ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ، وَدِيْوَانَ شِعْرِهِ مَشْهُورٌ. وَقَدْ مَدَحَ الْمُلُوكَ وَالْأَعْيَانَ، وَرَحَلَ إِلَى الْبِلَادِ، وَأَنْقَطَعَ إِلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ إِسْمَاعِيلِ صَاحِبِ حِمَاةَ، وَلَهُ فِيهِ غُرُرٌ مَدَائِحُ. وَكَانَ مَعَ مَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ قَلِيلَ الْحِظِّ. وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الْمَعْنَى: [الكامل]

أَسْفِي لِشِعْرِ بَارِعٍ نَظْمَتُهُ تَحْتَاجُ بِهَجْتِهِ لِرَفْدِ بَارِعٍ
دُرٌّ يَتِيْمٌ قَدْ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ يَا مَنْ يَرِقُّ عَلَى الْيَتِيْمِ الضَّائِعِ

ومن شعره أيضاً قوله: [السريع]

مُقَبَّلُ الْخَدِّ أَدَارَ الْبَطْلَانِ فَقَالَ لِي فِي حُبِّهَا عَائِي
عَنْ أَحْمَرِ الْمَشْرُوبِ مَا تَنْتَهِي قَلْتُ: وَلَا عَنْ أَخْضَرِ الْأَشْرَابِ

وله أيضاً: [السريع]

وتاجر قلبك له إذ رنا
ومقلّة تنهب طيب الكرى
رفقاً بقلب صبره خاسر
منها على عينك يا تاجر

وله أيضاً: [الكامل]

قَبَلْتُهُ عِنْدَ النَّوَى فَتَمَرَّتْ
وَلَثِمْتُهُ عِنْدَ الْقُدُومِ فَجَبَّدَا
تِلْكَ أَلْحَلَاوَةَ [بِالتَّفَرُّقِ وَالْجَوَى] (١)
رُطْبُ الشَّفَاهِ السُّكَّرِيِّ بِلَا نَوَى

وله أيضاً - عفا الله عنه - : [البيسط]

أَهْلًا بِطَيْفٍ عَلَى الْجَرَاعِ مَخْتَلِسِ
وَأَلْنَجْمِ فِي الْأَفْقِ الْغَرِيبِيِّ مَنْحَدِرِ
يَا حَبْدًا زَمَنَ الْجَرَاعِ مِنْ زَمَنِ
وَحَبْدًا أَعِيشْ مَعَ هَيْفَاءَ لَوْظَهْرَتْ
خَوْدُهَا مِثْلُ مَا فِي الطُّبِّيِّ مِنْ مَلْحٍ (٢)
مَحْرُوسَةٌ بِشِعَاعِ الْبَيْضِ مَلْتِمِعًا
يَسْعَى وَرَا لَحْظَهَا قَلْبِي وَمِنْ عَجَبِ
لَيْتَ الْعُدُولَ عَلَى مَرَأَى مَحَاسِنِهَا
وَأَلْفَجْرُ فِي سَحَرٍ كَالثَّغْرِ فِي لَعَسِ
كَشُعْلَةٍ سَقَطَتْ مِنْ كَفِّ مُقْتَبِسِ
كُلُّ اللَّيَالِي فِيهِ لَيْلَةُ الْعُرْسِ
لِلْبَدْرِ لَمْ يَزِهِ أَوْ لِلْغُضَنِ لَمْ يَمَسِ
وَلَيْسَ لِلطُّبِّيِّ مَا فِيهَا مِنَ الْأَنْسِ
وَنُورُ ذَاكَ الْمَحْيَا آيَةُ الْحَرَسِ
سَعَى الطَّرِيدَةِ فِي آثَارِ مُقْتَرَسِ
لَوْ كَانَ ثَنَى عَمَى عَيْنِهِ بِالْخَرَسِ

وقد استوعبنا من شعره وأحواله نبذة كبيرة في المنهل الصافي . انتهى والله

أعلم .

وتوفي الوزير الصّاحب فخر الدين ماجد بن قروينة القبطي المصري تحت العقوبة، بعد أن أحرقت أصابعه بالنار. وكان - رحمه الله - وزيراً عارفاً مكيناً عفيفاً رزيناً ذا حُرمة ونهضة. لم يَلِ الوزارة في الدولة التركية من يشابهه. عمّر في أيام وزارته بيوت الأموال بالذهب والفضة، وترك بالأهراء مُغَلَّ ثلاث سنين وبعض

(١) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية عن ديوانه .

(٢) الملح (بالتحريك) بياض يخالطه سواد. وهو مما توصف به الظباء .

الرابعة، وذلك فوق ثلاثمائة ألف إردب، وبالبلاد مُغَلَّ سنتين، بعد ما كان يقوم بالكُلف السلطانية وكُلفة الأتابك يلبغا العمري الخاصكي. وبعد هذا كله كان يحمل إلى الخزانة الشريفة في كل شهر ستين ألف دينار. وكان فيه محاسن كثيرة غير أنه كانت نفسه نفساً شامخة، وفيه تهكم على الناس مع تكبر، هذا مع الكرم الزائد، والإحسان للناس، وقلة الظلم بالنسبة إلى غيره، رحمه الله تعالى؛ والله أعلم.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين دَرُوط^(١) ابن أخي الحاج آل مَلَك. كان أحد أمراء الألف بالديار المصرية وحاجباً ثانياً بها.

وتُوفِّي الأمير علاء الدين آقْبغا بن عبد الله الصَّفوي أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية وأمير آخور. وكان - رحمه الله - من أعيان الأمراء.

وتُوفِّي الأمير علاء الدين آقْبغا بن عبد الله الأحمدي اليلْبغاوي المعروف بالجلب في أواخر السنة المذكورة وهو مسجون بثغر الإسكندرية، من جرح أصابه في شهر ذي القعدة؛ وقد تقدّم ذكره في عِدّة مواطن. والله أعلم.

وتُوفِّي الأمير علاء الدين الطُّنبغا بن عبدالله العِزي أحد أمراء الطبلخانات في يوم الاثنين رابع شهر ربيع الآخر. وكان مثيراً للفتن.

وتُوفِّي القاضي بهاء الدين حسن بن سليمان بن أبي الحسن بن سليمان بن رِيان ناظر الجيش بحلب في دِمَشق عن ثمان وستين سنة. وكان رئيساً نبيلاً كاتباً بارعاً. وَلِي عِدّة وظائف؛ وله نظم ونثر؛ ومن شعره - رحمه الله تعالى - [الرجز]

نحنُ الموقَّعون في وظائفٍ قلوبنا من أجلها في حَرَقِ
قِسْمَتنا في الكُتبِ لا في غيرها وقطعنا ووصلنا في الورَقِ

وتُوفِّي القاضي تقي الدين محمد بن محمد بن عيسى بن محمود بن عبد اللطيف^(٢) البعلبكي الشافعي الشهير بابن المجد، رحمه الله. كان فقيهاً فاضلاً وَلِي قضاء طرابلس وغيرها.

(١) في السلوك: «ضروط».

(٢) في السلوك: «عبد الضيف».

وقد تقدم أن يَلْبُغا العُمري قُتِل في هذه السنة؛ انتهى، والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وثلاثة أصابع. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وستة أصابع.

* * *

السنة الخامسة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين صاحب الترجمة
على مصر

وهي سنة تسع وستين وسبعمائة.

فيها كانت الواقعة بين الملك الأشرف صاحب الترجمة وبين الأتابك أسندمر الزينبي الناصري، وانتصر الأشرف حسب ما تقدم ذكره.

وفيها تُوِّفِي العلامة قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن قاضي القضاة علاء الدين عليّ ابن العلامة فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان الحنفي المارديني، الشهير بابن التُّركماني بالقاهرة، في ليلة الجمعة حادي عشر شهر شعبان، ودُفِن بتربة والده خارج باب النصر من القاهرة؛ وتولَّى بعده القضاء العلامة سراج الدين عُمَر الهندي. ومولده في سنة تسع عشرة وسبعمائة وقيل سنة خمس عشرة وسبعمائة وتفقه على والده وغيره، حتى برع في الفقه والأصول والعربية وشارك في فنون كثيرة. وكان من جملة محفوظاته «الهداية في الفقه» حتى إنه كان يُمليها في دروسه من صدره، وكَمَل شرح أبيه لها، وتولَّى القضاء بعد وفاة أبيه، وياشر القضاء بعقّة وحشمة ورياسة، وتصدّى للإفتاء والتدريس والإقراء سنين في حياة والده إلى أن مات. وكان له عبادة وأوراُد هائلة ومحاسن كثيرة. رحمه الله تعالى.

وتُوِّفِي قاضي القضاة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الباقي الحجاوي المقدسي الحنبلي قاضي قضاة الديار المصرية بعد أن

حكم بها ثلاثين سنة - رحمه الله تعالى - وتولّى بعده القاضي ناصر الدين نصرالله العسقلاني الحنبليّ. وكان موقّق الدين مشكور السيرة جميل الطريقة.

وتُوفّي قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المرداوي المقدسي الحنبليّ قاضي قضاة دمشق بها عن نيّف وسبعين سنة، مصروفاً عن القضاء - رحمه الله تعالى -

وتُوفّي قاضي قضاة طرابلس شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ تقي الدين عبد الله الشُّبليّ الدمشقيّ الحنفيّ وهو من أبناء السبعين، رحمه الله. وكان عالماً دينياً مجاهداً مُرابطاً، يلبس السّلاح في سبيل الله ويغزّو. وسَمِع الكثير وجمع وألّف وأفتى ودرّس وانتفع الناس به وياشر الحكم خمس عشرة سنة. رحمه الله.

وتُوفّي قاضي قضاة حلب صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدّميري المالكي - رحمه الله - عن نيّف وسبعين سنة وكان فقيهاً فاضلاً مشكور السيرة.

وتُوفّي الشيخ العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عَقيل المصري الشافعيّ قاضي قضاة الديار المصريّة وفقه الشافعية - تخمّده الله برحمته - بالقاهرة في ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الأوّل ودُفن بالقرافة بالقرب من قبة الإمام الشافعي، رضي الله عنه. ومولده في المحرم سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة. ونسبه يتصل إلى عَقيل بن أبي طالب رضي الله عنه. ونشأ بالقاهرة، وقرأ على علماء عصره، وبرّع في علوم كثيرة، وصنّف التصانيف المفيدة في الفقه والعربيّة والتفسير، منها «شرح الألفيّة» لابن مالك و«شرح التسهيل»^(١) أيضاً. وياشر قضاة الديار المصريّة مدة يسيرة، وياشر التدريسيّ الجليّة والمناصب الشريفة. وكتب إليه قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي من دمشق يقول: [الطويل]

(١) هو الشرح المسمى «المساعد على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» (كشف الظنون). والألفية والتسهيل كتابان في النحو لابن مالك الطائي الجبلي المتوفى سنة ٦٧٢هـ.

تَقَضَّتْ شَهْرٌ بِالْبَعَادِ وَأَحْوَالُ جَرَتْ بَعْدَكُمْ فِيهَا أُمُورٌ وَأَحْوَالُ
 فَإِنَّ يَسْرَ اللَّهِ التَّلَاقِي ذَكَرْتُهَا وَإِلَّا فَلِي فِي هَذِهِ الْأَرْضِ أَمْثَالُ
 وَتُوفِّيَ الشَّيْخُ عَزَّ الدِّينَ أَبُو يَعْلَى حَمْزَةَ بْنِ قُطْبِ الدِّينِ مُوسَى بْنِ
 ضِيَاءِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الدَّمَشْقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ الشَّهِيرِ بَابِنِ شَيْخِ السَّلَامِيَةِ بِدَمَشْقٍ
 وَقَدْ جَاوَزَ سِتِينَ سَنَةً. وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِمَامًا عَالِمًا فَاضِلًا كَتَبَ عَلَيَّ «الْمُنْتَقَى» .
 وَتُوفِّيَ الْإِمَامُ الْعَالِمُ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ لُؤْلُؤِ الشَّهِيرِ بَابِنِ النَّبِيِّ الْمِصْرِيِّ
 الشَّافِعِيِّ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعَ عَشَرَ شَهْرَ رَمَضَانَ. وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مُفْتَنًا فِي
 عُلُومٍ، وَلَهُ مَصْنُفَاتٌ وَنَظْمٌ حَسَنٌ.

وَتُوفِّيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْمُحَدَّثُ صِلَاحُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ الْمُحَدَّثِ
 شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ غَنَائِمٍ^(١) بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ الصَّالِحِيِّ الْحَنْفِيِّ
 الشَّهِيرِ بَابِنِ الْمَهْنَدِسِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِحَلَبٍ عَنِ نَيْفٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. وَكَانَ مُحَدِّثًا
 مُسْنِدًا. سَمِعَ الْكَثِيرَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ، وَكَتَبَ وَحَدَّثَ، وَحَجَّ غَيْرَ
 مَرَّةٍ، وَطَافَ الْبِلَادَ ثُمَّ اسْتَوَظَنَ حَلَبَ إِلَى أَنْ مَاتَ. رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَتُوفِّيَ الْقَاضِي عِلَاءُ الدِّينِ عَلِيِّ ابْنِ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ يَحْيَى بْنِ
 فَضْلِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ الْعَمْرِيِّ كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بِالْأَبْيَانِ الْمِصْرِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ فِي لَيْلَةِ
 الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشْرِينَ شَهْرَ رَمَضَانَ عَنِ سَبْعِ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَكَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ نَزَلَ عَنْ
 وَظِيفَةَ كِتَابَةِ السَّرِّ لَوْلَدِهِ بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ فَتَمَّ أَمْرُهُ مِنْ بَعْدِهِ. وَكَانَ الْقَاضِي
 عِلَاءُ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِمَامًا فِي فَنِّهِ، كَاتِبًا عَاقِلًا. طَالَتْ أَيْامُهُ فِي
 السَّعَادَةِ، حَتَّى إِنَّهُ بَاشَرَ وَظِيفَةَ كِتَابَةِ السَّرِّ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً لِأَحَدِ عَشْرِ سُلْطَانًا مِنْ بَنِي
 قَلَاوُونَ. اسْتَوْعَبْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ فِي «الْمَنْهَلِ الصَّافِي» .

قُلْتُ: وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا وَلِي كِتَابَةَ السَّرِّ هَذِهِ الْمَدَّةَ الطَّوِيلَةَ مِنْ قَبْلِهِ وَلَا مِنْ بَعْدِهِ
 سِوَى الْعَلَامَةِ الْقَاضِي كِمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَارِزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَإِنَّهُ وَلِيهَا أَيْضًا
 نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً؛ عَلَيَّ أَنَّهُ عَزَلَ مِنْهَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَتَعَطَّلَ سَنِينَ، كَمَا سَيَأْتِي

(١) فِي الْأَصْلِ: «ابْنُ غَنَامٍ» وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنِ السُّلُوكِ وَالِدَرِّرِ الْكَامِنَةِ.

ذكره في ترجمته إذا وصلنا إليه، إن شاء الله تعالى. وكان للقاضي علاء الدين - رحمه الله - نظمٌ ونثرٌ وترسُلٌ وإنشاءٌ. ومن شعره: [البيسط]

بأن الحمى لم يمس من بعد بعدكم ولا تغنت به وزقاؤه طرباً
يا جيرة خلفوني في ديارهم أجري الدموع على آثارهم سحبا
قد كان يحزني واش يراقبني واليوم يحزني أن ليس لي رقبا

وتُوفِّي الأمير علاء الدين ظيُّغا بن عبد الله الناصري المعروف بالطويل نائب حلب بها في يوم السبت وقت الظهر سلخ شوال ودُفن خارج باب المقام؛ قيل: إنه سُم، لأنه كان أراد الخروج عن الطاعة، فعاجلته المنيّة. وقد تقدم ذكره مع خُشداشه يلبغا العمري الخاصكي وما وقع له معه في ترجمة الملك الناصر حسن وكيفية خروجه من الديار المصرية والقبض عليه، فلا حاجة للإعادة ها هنا.

وتُوفِّي الأتابك سيف الدين أسندمر بن عبد الله الناصري، صاحب الوقعة مع الملك الأشرف شعبان، محبوساً بثغر الإسكندرية في شهر رمضان. وقد تقدم أيضاً ذكر واقعته مفصلاً في ترجمة الملك الأشرف.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين قنق بن عبد الله العزّي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية على هيئة عجيبة، نسال الله تعالى حسن الخاتمة بمحمد وآله. وخبره أنه كان قد عصى مع أسندمر الناصري المقدم ذكره؛ ركب معه من جملة اليلبغاوية، فلما أنكسرت اليلبغاوية ساق قنق هذا فرسه إلى بركة الحيش، ونزل بشاطئ البركة، وبقي يشرب الماء ويستف الرمل إلى أن مات؛ فانظر إلى هذا الجاهل وما فعل في نفسه.

وتُوفِّي السلطان الملك المنصور أحمد ابن الملك الصالح ابن الملك المنصور غازي بن قرا أرسلان بن أرتق الأرتقي صاحب مارددين بها وقد جاوز الستين سنة من العمر. وكانت مدة ملكه ثلاث سنين؛ وكان صاحب همّة عليّة وحرمة سنية. رحمه الله تعالى.

وتُوفِّي الشاب الفاضل تاج الدين محمد بن السُّكري، رحمه الله. وكان فاضلاً

عالمًا ودرس وبرّع، رحمه الله. وفيه يقول آبن نُباتة: [السريع]
 سألتُه في خَدِّه قُبْلَةً فقال قولاً ليس بالمُنْكَرِ
 عليك بالصبرِ ومَنْ ذا الَّذي يَنْفَعُه الصبرُ عن السُّكْرِ
 وتُوفِّي الأمير علاء الدين أَلْطُنْبغا بن عبد الله البَشْتكي، نائب غَزَة وأستادار
 السلطان كان^(١)، في رابع عشر شعبان.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين باكيش بن عبد الله اليَلْبغاوي الحاجب في صفر وكان
 من رؤوس الفِتن وممنّ قام على أستاذة يَلْبغا.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين بيليك بن عبد الله الفقيه الزراق، أحد مقدّمي الألوفا
 بالديار المصرية، رحمه الله تعالى. كان فاضلاً فقيهاً، ويكْتَب المنسوب^(٢)، وعنده
 مشاركة في فنون.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين تُلْكْتُمُر بن عبد الله المحمدي الخازندار أحد أمراء
 الألوفا بالديار المصرية مسجوناً بشجر الإسكندرية. وكان ممن قام مع أسندُمُر
 الناصري.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين جُرْجي بن عبد الله الإدريسيّ الأمير آخور، ثم نائب
 حلب، وهو بدمشق. وكان من أجلّ الأمراء، وتنقّل في عِدّة وظائف وولايات، رحمه
 الله تعالى.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين جَرْقُطْلُو بن عبد الله أمير جاندار في صفر؛ وكان من
 الأشرار.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وأربعة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً
 سواء. والله أعلم.

* * *

(١) من الصيغ الشائعة الاستعمال في العصر المملوكي وما قبله للدلالة على أن صاحب الترجمة كان سابقاً في تلك الوظيفة.

(٢) أي الخط المنسوب الذي ينتمي إلى إحدى المدارس أو أحد أعلام الخط العربي.

السنة السادسة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة سبعين وسبعمائة.

وفيهما تُوفِّي الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن كمال الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد الشَّريشيِّ البكريِّ الوائليِّ الدَّمشقيِّ الشافعيِّ بدمشق عن ستِّ وأربعين سنة، رحمه الله. وكان عالماً فاضلاً فقيهاً. درَّس بالإقبالية^(١) بدمشق إلى أن مات.

وفيهما تُوفِّي قاضي القضاة جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القُونويِّ الحنفيِّ قاضي قضاة دِمَشق بها عن ستِّ وسبعين سنة. وكان - رحمه الله - من العلماء الأماثل. كان رأساً في الفقهاء الحنفية، بارعاً في الأصول والفروع؛ ودرَّس بدمشق بعدة مدارس، وأفتى وجمَّع وألَّف، رحمه الله تعالى.

وتُوفِّي القاضي شمس الدين محمد بن خَلْف بن كامل الغزِّي الشافعيِّ بدمشق عن بضع وخمسين سنة. وكان عالماً، درَّس بدمشق وأفتى، وباشربها نيابة الحكم إلى أن مات، رحمه الله تعالى.

وتُوفِّي الطواشي ناصر الدين شفيح بن عبد الله الفُويِّ نائب مقدّم المماليك السلطانية في يوم الأحد ثامن شعبان. وكان من أعيان الخُدَّام، وطالت أيامه في السعادة.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين أرغون^(٢) بن عبد الله بن غلبك الأزقي رأس نوبة النُوب بالديار المصرية في العشر الأوَّل من جمادى الآخرة. وكان من أعيان الأمراء، وهو أحد من ثار على يَلْبغا.

(١) المدرسة الإقبالية: من مدارس الشافعية بدمشق، داخل باب الفرج وباب الفراديس، شمالي الجامع والظاهرية الجوانية. أنشأها جمال الدولة إقبال الخادم، عتيق ست الشام وأحد خدام السلطان صلاح الدين. وهما مدرستان: الكبيرة للشافعية، والصغيرة للحنفية. (الدارس في تاريخ المدارس: ١١٨/١).

(٢) في السلوك: «أرغون علي بك الأزقي نائب غزة وأحد أمراء الألوغ».

وتُوفِّي الأمير صلاح الدين خليل بن أمير علي ابن الأمير الكبير سَلَّار المنصوري. وكان أحدَ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وهو أحد من ركب مع الأتابك أسندمر.

وتُوفِّي الأمير ناصر الدين محمد بن طُقبغا الناصري أحد أمراء الطبلخانات أيضاً.

وتُوفِّي الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري. وكان أيضاً من أمراء الطبلخانات، وله وَجَاهَةٌ في الدولة، وفيه شجاعة وإقدام؛ ودُفِن بمدرسة أبيه. رحمه الله تعالى.

وتُوفِّي الأديب المُوَال شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالفار الشَّطْرَنْجِي العالِيَة. وكان بارعاً في المَوَالِيَا، وله شِعْرٌ جَيِّدٌ، وكان ماهراً في الشَّطْرَنْج.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين قَشْتَمِر بن عبد الله المنصوري نائب حلب بها مقتولاً بيد العرب في وقعة كانت بينه وبينهم على تَلٍّ (١) السلطان، وقُتِل معه ولده؛ وقد تَقَدَّمَ أَنْ قَشْتَمِر هذا وَلِيَّ نِيَابَةِ طَرَابُلُس ونِيَابَةِ دِمَشق ونِيَابَةِ السُلْطَنَةِ بالديار المصرية. ثم أُخْرِج من مصر إلى نِيَابَةِ حَلب، فلم تَطُل مدَّته على نِيَابَةِ حَلب وقُتِل، رحمه الله. وكان شجاعاً مقداماً عارفاً مدبراً سَيُوساً. دَبَّرَ أَمْرَ السُلْطَنَةِ سنين، وحمدت سيرته.

وتُوفِّي القاضي عماد الدين محمد بن شرف الدين موسى بن سليمان الشهير بالشيرجي بدمشق. كان ولي حَسْبَةِ دِمَشق ونظر خزانتهما. وكان له ثروة ولديه فضيلة وعنده سياسة.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين آقتمر بن عبد الله مِنْ عبد الغني الصغير في شهر رمضان. وآقتمر هذا غيرُ الأمير الكبير آقتمر عبد الغني. وكان آقتمر هذا من جملة أمراء الطبلخانات. والله أعلم.

(١) تل السلطان: موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق، وفيه خان ومنزل للقوافل. (معجم البلدان).

وتُوفِّي السلطان، صاحب تُونُس وما والاها من بلاد الغرب، أبو إسحاق إبراهيم ابن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى في العشرين من شهر رجب بعد ما مَلَكَ تسع عشرة سنة، رحمه الله. وكان من أجل ملوك الغرب. كان شجاعاً وله مواقف وفتوحات هائلة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ لزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة أصابع. والله أعلم.

* * *

السنة السابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة إحدى وسبعين وسبعمائة.

وفيهما تُوفِّي قاضي القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ شرف الدين حسن بن الخطيب شرف الدين أبي بكر عبد الله ابن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الشهرير بأبن قاضي الجبل الحنبلي المقدسي الصالح قاضي قضاة دِمَشق بها في ثالث عشر شهر رجب عن ثمانٍ وسبعين سنة، رحمه الله. وكان إماماً عَظِيمَ القَدْر أنْهت إليه رياسته مذهبه، وكان صحب ابن تَيْمِيَّةَ وَسَمِعَ منه وتفقه به وبغيره. وفي هذا المعنى يقول: [الوافر]

نَيْبِي أَحْمَدُ وَكَذَا إِمَامِي وَشَيْخِي أَحْمَدُ كَالْبَحْرِ طَامِي
وَإِسْمِي أَحْمَدُ أَرْجُو بِهِذَا شَفَاعَةَ سَيِّدِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ

وتُوفِّي قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تَقِيَّ الدين عليّ ابن عبد الكافي بن عليّ بن تَمَام بن يوسف بن موسى بن تَمَام الأنصاريّ السلميّ السُّبُكِيّ الشافعيّ قاضي قضاة دِمَشق بها، في عصر يوم الثلاثاء سابع شهر ذي الحِجَّة، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُون، تَغْمَدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، عن أربع وأربعين سنة. وكان إماماً بارِعاً مُفْتَنّاً في سائر العلوم، وله تصانيفُ شَتَّى: منها «شرح المنهاج» في

الفقه للنووي «وشرح مختصر ابن الحاجب» ومنهاج البيضاوي، وغير ذلك. ودرّس «بالعادية»^(١) و«الغزالية»^(٢) و«الأمينية»^(٣) و«الناصرية»^(٤) و«دار الحديث الأشرفية»^(٥) و«الشامية البرانية»^(٦). وباشرف قضاء دِمَشق أربع مرّات، وخطب بالجامع الأموي. وقدم القاهرة وتولّى مكانه أخوه أبو حامد بهاء الدين؛ وآسقى تاج الدين هذا مكان أخيه أبي حامد المذكور في تدريس «الشيخونية»^(٧) بمصر. وقيل: إنه كان أفقه من أخيه أبي حامد المذكور.

وتوفّي قاضي القضاة جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك المسلاتي السلمي قاضي قضاء دِمَشق بالقاهرة وهو من أبناء السبعين سنة. وكان - رحمه الله - عالماً فاضلاً. سمع بالإسكندرية ومصر والشام، وأخذ عن القونوي وأبي حيان وغيرهما، وولي نيابة الحكم بدِمَشق. ثم آسقى بالقضاء أكثر من عشرين سنة.

وتوفّي الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد المارديني الشهير بابن خطيب الموصّل، رحمه الله. مات بحمّة وهو من أبناء الستين سنة. وكان أديباً فاضلاً. كان يتنقل في البلاد، وكان يكتب المنسوب، وله مشاركة. ومن شعره: [المتقارب]

(١) هناك مدرستان باسم العادية: العادية الكبرى داخل دمشق شمالي الجامع بغرب وشرقي الخانقاه الشهابية. والعادية الصغرى داخل باب الفرج شرقي باب القلعة قبلي الدماغية والعمادية. (الدارس: ٢٧١/١، ٢٧٨).

(٢) المدرسة الغزالية: منسوبة إلى الإمام الغزالي. وتنسب إلى الشيخ نصر المقدسي. (الدارس: ٣١٣/١).

(٣) المدرسة الأمينية: منسوبة إلى أمين الدولة (أو أمين الدين) كمشكين بن عبد الله الطغتكيني أتابك العساكر بدمشق. (الدارس: ١٣٢/١).

(٤) المدرسة الناصرية: نسبة إلى الناصر يوسف بن صلاح الدين يوسف بن أيوب. (الدارس: ٣٥٠/١).

(٥) دار الحديث الأشرفية: بناها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل الأيوبي. (الدارس: ١٥/١).

(٦) المدرسة الشامية البرانية: بالعقبة بحلة العونية. بانيها والدة الملك الصالح إسماعيل، ست الشام أخت صلاح الدين الأيوبي. (الدارس: ٢٠٨/١).

(٧) راجع الجزء العاشر، ص ٢٦٩، حاشية (١).

لِيَهْنِكَ مَا نِلْتَ مِنْ مَنَصِبٍ شَرِيفٍ لَهُ كُنْتَ مُسْتَوْجِبًا
وَمَا حَسَنٌ أَنْ تُهْنَى بِهِ وَلَكِنْ نُهْنَى بِكَ الْمَنْصِبَا

وتُوفِّي الأمير ناصر الدين محمد أبسن الأمير تَنَكَّرَ الحسامي الناصريّ نائب الشام. كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وله وجهة في الدولة. رحمه الله.

وتُوفِّي الوزير صاحب شمس الدين موسى بن أبي إسحاق عبد الوهاب بن عبد الكريم القبطي المصري. أسلم أبوه وتولَّى نَظَرَ الجيش والخاص بعد كريم الدين الكبير؛ وأستتاب ابنه هذا، وكان يوم ذاك ناظر الخزانة الشريفة. فلما مات أبوه في سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة، أستقرَّ مكانه في نظر الخاص، فباشر فيه مدة، وصُرف بالنشو، وأستقرَّ في نظر الجيش عوضاً عن الفخر؛ فلم تَطُلْ مدَّته وأُمِسِكَ بسعي النَّشْوِ، وسُلِّمَ هو وأخوه علم الدين ناظر الدولة إلى النَّشْوِ، فأوقع الحَوَظَةَ على موجودهما، فوجد لهما ما لا يُوصَف: من ذلك أربعمئة سراويل لزوجته. وأستقرَّ عِوَضَهُ في نظر الجيش مكين الدين إبراهيم بن قَرَوِينة. وأستمرَّ موسى في المصادرة، وأُجْرِيَ عليه العذابُ ألواناً. وأمره أعجب من العجب؛ وهو أنه كان قبل مُصادرته نحيفَ البَدَنِ قليل الأكل، لا يزال سَقِيمًا بالرُّبُو وضيق النَّفْسِ. [وكانت] تَلْزِمُهُ الحَمَى الصَّالِبَةُ^(١)، فلا يَبْرَحُ مُحْتَمِيًّا وَيَلْبَسُ الفِرَاءَ شتاءً وصيفاً، فَبَنَى لَهُ أبوه بيتاً في الروضة ووَكَّلَ به الأطباء، يدبِّرون له الأغذية الصالحة ويعالجونه، وهو على ما هو عليه، إلى أن قبض عليه وصودِرَ وسُلِّمَ لوالي القاهرة ناصر الدين محمد بن المحسني. ثم نُقِلَ إلى لَوْلُو شَادَ الدواوين، وكان النَّشْوُ يُغْرِيهِمَا على قتله، فَضَمَّنَ لَوْلُو للنشو قتله. فضربه أول يوم مائتي شيب^(٢)، وسَعَطَهُ^(٣) بالماء والملح وبالخَلِّ والجير حتى قَوِيَ عنده أنه مات؛ فأصبح سَوِيًّا، فضربه بعد ذلك حتى أعياه أمره، وعَقَّدَ له المَقْرَعَةَ التي يضره بها؛ فكانت إذا

(١) صَلَبَتِ الحَمَى على فلان صلباً: اشتدت وطالت.

(٢) الشَّيْبُ: سِرٌّ في رأس السوط، وهو ما كان يعرف برخو الكرباج. (معجم متن اللغة).

(٣) أي أدخله في أنفه.

نزلت على جنبه تُثَقِّبُه. فكان يضربه بتلك المقرعة حتى يقولوا مات، فيُصْبِحُ، فيعيدون العذاب والتَّسْعِيط. فصار يُقيم اليوم واليومين والثلاثة لا يُمكن فيها من أكل ولا شرب. وكانوا إذا عاقبوه وفرَّغوا رَمَوْه عُرياناً في قوة الشتاء على البلاط، فيتمرَّغُ عليه بجسده وهو لا يعي من شدة الضرب والعقوبة. كل ذلك والنَّشْوُ يَسْتَحِثُّ على قتله. ثم عَصَرُوهُ في كَعْبِيه وصدَّعِيه، حتى لهجوا بموته، وبشروا النشو بموته غير مرة. ثم يتحرك فيجدوه حياً. وأستمرَّ على ذلك أشهراً. ثم ترك نحو الشهر لما أعياهم أمره، وأعادوا عليه العقوبة وعلى زوجته بنت الشمس غبريال - وكانت كحاله في ضعف البدن والنحافة - وكانت حاملاً، فولدت وهي تُعَصِرُ، فعاش ولدها حتى كبر. وما زالوا في العقوبة حتى هلك النشو وهو يقول: «أموت وفي قلبي حسرة من موسى بن التاج». فمات النشو ولم ينل فيه غرضه. قيل: إن مجموع ما ضرب موسى هذا ستة عشر ألف شيب؛ حتى أنه ضرب مرة فوق من ظهره قطعة لحم بقدر الرغيف. وأعجب من هذا كله أنه لما أُطلق تعافى مما كان به من الأمراض المُزمنة القديمة، وصار صحيح البدن. ثم أفرج عنه الملك الناصر محمد وأكرمه وأنعم عليه ببغلة النشو، وردَّ عليه أشياء كثيرة، وولاه نظراً جيش دِمَشق، ثم ولي نظراً الخاص ثانياً، وأضيف إليه نظراً الخزانة الشريفة. وساءت سيرته وأستعفى وأعيد إلى دِمَشق وزيراً. ولم يزل يتنقل في الوظائف إلى أن مات في هذا التاريخ. وقد أطلنا في ذكره لما أوردناه من الغرائب. انتهى.

وتُوفِّي الأمير علاء الدين طيِّباً المحمدي في شهر صفر. وكان أحد مُقدِّمي الألوفا بالديار المصرية.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين بكتُّم بن عبد الله المؤمني الأمير آخور الكبير بالديار المصرية، رحمه الله. وكان من أجل الأمراء فضلاً ومعرفة وديناً وعفة عن الأموال. وتولَّى عدَّة وظائف وتنقل في الولايات، مثل نيابة حلب والإسكندرية، ثم استقرَّ أمير آخور إلى أن مات. وهو صاحب المُصَلَّاة بالرُّمَيْلة، والسبيل المعروف بسبيل المؤمني. رحمه الله تعالى.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين، أسندُمر بن عبد الله الكاملِي، زوج خَوْنَد القُرْدُمِيَّة بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون. وكان أحدَ مقدّمي الألف بالديار المصرية، ومات بالقاهرة.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين آروس بُغا بن عبد الله الخليلِي أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة في شهر رجب؛ وهو أحدُ مَنْ قام على يَلْبُغَا.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين أسن بن عبد الله الصرغتمشي أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصريَّة بدمشق بعدما نُفِيَ إليها؛ وكان من الأشرار.

وتُوفِّي الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله العلائي المعروف: «فُرْفُور». كان أحدَ أمراء الطبلخانات بمصر، وكان خَصِيصاً عند الملك الأشرف. رحمه الله.

وتُوفِّي الأمير علاء الدين آقْبُغَا بن عبد الله اليوسفي الناصري الحاحب في شعبان بمدينة مَنْفُلُوط^(١)، وقد توجّه إلى لقاء هدية صاحب اليمن إلى السلطان الملك الأشرف.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين أَيْنَبِك^(٢) بن عبد الله الأزقي أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ثاني بها؛ وكان من الشجعان.

وتُوفِّي الأمير الأكرز بن عبد الله الكشلاوي وهو منفي بحلب في شهر ربيع الأول. وكان من أعظم الأمراء وأوجههم. ولي الوزر والأستدارية بمصر، ونالته السعادة، وعظُم في الدُول، إلى أن تغيّر عليه الملك الأشرف شعبان وعزله، ثم نفاه إلى حلب لأمر اقتضى ذلك.

وفيهما كان بدمشق طاعون عظيم، وانتشر إلى عدّة بلاد، ومات فيه خلائق لا تُحصى كثرة. والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة:

(١) منفلوط: بلدة بصعيد مصر في غربي النيل. (معجم البلدان).

(٢) في السلوك: «تنبك».

الماء القديم أربعة أذرع وخمسة وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة.

وفيهما تُوفي الشيخ العالم المفتن جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر القرشي الأمويّ الإسناثي الشافعيّ شيخ الشافعية بالديار المصرية. مات فجأةً في ليلة الأحد ثامن عشرين جمادى الأولى عن سبع وستين سنة، رحمه الله تعالى.

وكان إماماً عالماً مصنفًا بارعاً. دَرَسَ بالأقبغاوية^(١) والفاضلية^(٢) والفارسية^(٣)، ودرّس التفسير بجامع أحمد بن طولون، وتصدّر «بالملكية^(٤)» وأعاد «بالناصرية^(٥)» «والمنصورية^(٦)» وغيرهما. وله مصنّفات كثيرة مفيدة: منها «كتاب المُهَمَّات عليّ الرافعيّ» و«شرح المنهاج في الفقه» و«شرح منهاج البيضاويّ في الأصول». وله

(١) المدرسة الأقبغاوية: بجوار الجامع الأزهر. أنشأها الأمير آقبا عبد الواحد أستاذار الناصر محمد بن قلاوون. (خطط المقريري: ٣٨٣/٢).

(٢) المدرسة الفاضلية: بدرب ملوخيا من القاهرة. أنشأها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن عليّ البيساني سنة ٥٥٨٠. (خطط: ٣٦٦/٢).

(٣) المدرسة الفارسية: بخط الفهادين من أول العطفية بالقاهرة. بناها الأمير فارس الدين البكي قريب الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار سنة ٥٧٥٦. (خطط: ٣٩٢/٢).

(٤) المدرسة الملكية: بخط المشهد الحسيني من القاهرة. بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار. (خطط المقريري: ٣٩٢/٢).

(٥) المدرسة الناصرية: بجوار الجامع العتيق بالقاهرة. وهي أول مدرسة عملت بالديار المصرية. أنشأها الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٥٦٦. (خطط: ٣٦٣/٢).

(٦) المدرسة المنصورية: كانت مجاورة للناصرية السابقة. منسوبة للمنصور قلاوون. (خطط: ٣٧٩/٢). والتصدير والإعادة من وظائف التدريس في تلك المدارس. فالتصدّر هو الذي يتولى شرح الدروس ويأتي بعده المعيد، كما هي الحال في النظام الجامعي في أيامنا.

«كتاب طبقات الفقهاء الشافعية»، و«كتاب تخريج الفروع على الأصول» وسمّاه «التمهيد»، و«كتاب تخريج الفروع على العربية» وسمّاه «الكوكب»، و«شرح عَرُوض ابن الحاجب»، و«مختصر الإمام الرافعي»، و«كتاب الجمع والفرق». وكان له نظم ليس بذاك؛ من ذلك ما قاله يَمْدَح كتاب الرافعي في الفقه: [الكامل]

يَأْمَن سَمًا نَفْسًا إِلَى نَيْلِ الْعِلْمِ وَنَحَا إِلَى الْعِلْمِ الْغَزِيرِ الرَّافِعِ (١)
قَلَّدَ سَمِيَّ الْمِصْطَفَى وَنَسِيبَهُ وَالزَّمَّ مَطَالَعَةَ الْعَزِيزِ الرَّافِعِيِّ

وتُوفِّي القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم العُمَرِيُّ الصالحي الحنفي، قاضي قضاة الإسكندرية، وبها تُوفي - رحمه الله - وقد قارب سبعين سنة. وكان فاضلاً عالماً. أفتى ودرّس وخطب وأفاد وأعاد وأقام بحلب مدّة يُقْرَى ويُفْتَى. ثم قَدِمَ إلى مصر وأقام بها أيضاً إلى أن وُلِيَ قِضَاءَ الإسكندرية مسؤولاً في ذلك.

وتُوفِّي الأمير الكبير علاء الدين عليّ المَارِدِينِيّ، ثمّ الناصري، نائب السلطنة بدمشق، ثم بالديار المصرية في العشر الأول من المحرم عن بضع وستين سنة. وكان أميراً جليلاً ديناً خيراً عفيفاً عاقلاً. تنقل في الأعمال الجليلة سنين عديدة، وطالت أيامه في السعادة. وكان - رحمه الله - مُنْقَاداً إلى الشريعة في أحكامه وأفعاله، مشتغلاً بالفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة - رضي الله عنه - مُستحضرًا له. وكان قريباً من الناس مُحبباً للرعية. وأجلُّ أعمال وليها نيابة حلب ثم دمشق ثلاث مرّات فيما أظنّ. والله أعلم. ثم نيابة السلطنة بالديار المصرية. وأمّا الولايات التي دون هذه (٢) فكثير.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين جُرْجِي بن عبد الله الإدريسيّ الناصريّ بدمشق عن بضع وخمسين سنة. وكان أصله من ممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون، وترقى إلى أن ولي نيابة حلب. ثمّ عُزِلَ بعد مدّة وأنعم عليه بإمرة بدمشق، فتوجّه

(١) لعل الصواب: «النافع».

(٢) في الأصل: «دون هؤلاء».

إليها وأقام بها إلى أن مات، رحمه الله. وكان عالي الهمة، غزير النعمة، وله سعادة وافرة؛ وقد تقدّم (١) وفاته، والأصح أنه تُوفّي في هذه السنة.

وتُوفّي قاضي قضاة المدينة النبوية - على الحال بها أفضل الصلاة والسلام - نور الدين أبو الحسن عليّ بن عز الدين أبي المحاسن يوسف بن الحسن [بن محمد ابن محمود] (٢) الزرّندي (٣) الحنفي المدني، رحمه الله. كان عالماً فاضلاً. ولي قضاء المدينة سنين.

وتُوفّي الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله من قيران السلاري، أحد أمراء الطبلخانات ونقيب الجيوش المنصورة، في شهر جمادى الأولى. وكان قديم هجرة، وله كلمة في الدولة وحرمة وقرب من الملوك.

وتُوفّي الأمير سيف الدين أسندمر بن عبد الله العلائي الحاجب المعروف «حرفوش» بعدما أنعم عليه بأمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق على هيئة النفي؛ فإنه كان من أكابر أمراء الألف بالديار المصرية، وكان ممن يخاف شره.

وتُوفّي القاضي بدر الدين أبو عليّ الحسن بن محمد بن صالح [بن محمد بن محمد] (٤) النابلسي الفقيه الحنبلي - رحمه الله - مفتي دار العدل في شهر جمادى الآخرة.

وتُوفّي الشيخ علاء الدين أبو الحسن عليّ بن عماد الدين إسماعيل بن برهان الدين إبراهيم الفقيه المالكي، المعروف بابن الظريف، في رابع (٥) عشر شهر جمادى الأولى. رحمه الله.

وتُوفّي الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد الزركشي الحنبلي في

(١) تقدّمت وفاته في أخبار سنة ٨٧٦٩.

(٢) زيادة عن السلوك والدرر الكامنة.

(٣) نسبة إلى زرّند بين أصبهان وساعة. (معجم البلدان).

(٤) زيادة عن السلوك وشذرات الذهب.

(٥) في الأصل: «في أربع عشر».

رابع عشرين جمادى الأولى أيضاً، رحمه الله تعالى. وكان من أعيان الفقهاء الحنابلة.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين منكوتمر بن عبد الله من عبد الغني^(١) الأشرفي الدوادار في شهر جمادى الأولى. وكان من خواص السلطان الأشرف شعبان ومن مماليكه.

وتُوفِّي القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن البهاء المالكي المعروف بآبن شاهد الجمالي^(٢)، تغمده الله تعالى. كان فقيهاً، وتولَّى إفتاء دار العدل، وشاهد الجيش، وناظر اليمارستان المنصوري، ووكيل الخاص. وتوجه إلى الحجاز فمات في عوده بمنزلة العقبة.

وتُوفِّي الشيخ المعتقد الصالح صاحب الكرامات الخارقة أبوزكرياء يحيى بن علي بن يحيى المغربي الأصل الصنافيري الضرير المجذوب. قدم جدُّه يحيى من الغرب، ونزل عند الشيخ أبي العباس البصير بزأويته^(٣) بجوار باب الخرق، وولد له عليُّ أبو يحيى هذا؛ وكانت له أيضاً كرامات، وقدم في التجريد، وكان الغالب عليه الولد، وذكر له الموفق^(٤) كرامات جمة. ثم وُلد له يحيى هذا صاحب الترجمة مكفوفاً مجذوباً، إلا أنه له كلام خارق وأحوال عجبية. وكان الغالب عليه الولد، كما كان أبوه، وكان لا يفيق من سكرته. لا يزال مغموراً في نشوته، لا يُفَرِّق بين مَنْ هو في حضرته من سلطان ولا أمير ولا غني ولا فقير، والناس كلُّهم عنده سواء. وكان يُقيم أولاً بالقرافة عند ضريح أبي العباس البصير، وبنى له هناك

(١) في السلوك: «منكوتمر عبد الغني الأشرفي الدوادار».

(٢) في السلوك: «محمد بن بهاء الدين المالكي المعروف بابن شاهد الجمال».

(٣) زاوية الشيخ أبي العباس البصير التي كانت بباب الخرق بشارع قطرة الأمير حسين. وهذه الزاوية أصلها مسجد أبي الفتح يانس الأرمني وزير الحافظ بالله الفاطمي. (الخطط التوفيقية الجديدة لعلي مبارك: ٧٩/٣ - ٨٠، وفيها ترجمة الشيخ أبي العباس البصير).

(٤) هو الموفق بن عثمان، أحد مؤرخي قرافة مصر. اعتمد عليه ابن الزيات صاحب «الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة» (النجوم الزاهرة: ١١٨/١١، حاشية: ٥، طبعة دار الكتب المصرية).

قُبَّة وجعل لها بابين: باباً ظاهراً وباباً في الأرض نازلاً. وكان إذا أَحَسَّ بالناس هَرَبَ من ذلك الباب الذي في الأرض. فلَمَّا كَثُرَ تردُّدُ الناس إليه للزيارة من كُلِّ فَجٍّ، صار يَرْجُمُهُم بالحجارة، فلم يردَّهُم ذلك عنه رغبةً في التماس بركته. ففَرَّ منهم وساح في الجبال مُدَّةً طويلة. ثم نزل صنابير بالقلبوية من قرى القاهرة، فكان كل يوم في أيام الشتاء يغطس في الماء البارد صبيحة نهاره، وفي شِدَّة الحرّ يجلس عرياناً مكشوف الرأس في الشمس، وليس عليه سوى ما يستر عَوْرته. فكان يُقيم على سَقِيْفَةِ طابونة^(١) سوداء، أقام على ذلك ثلاث سنين، لا ينزل عنها، وبَنَى له بعضُ الأمراء زاوية، فلم يسكنها ولا التفت إليها. وكان الناس يتردّدون إليه فَوْجاً فَوْجاً، ما بين قاض وعالم وأمير ورئيس، وهو لا يلتفت إلى أحد منهم.

ومن كراماته — نفعنا الله به — أنه أتى مرة بِمِنْسَفٍ^(٢) خشب فيه طعام أُرْز، فقال لهم: «سَخْنوه»، فلم يَسْعَهُم إلا موافقته، ووضعوا المنسف الخشب على النار، حتى أَشْتَدَّت سخونة الطعام ولم تُؤثِّر النار في الخشب. ثم عاد إلى القرافة فمات بها في يوم الأحد سابع عشرين شهر شعبان، وُصِّلِي عليه بمصلاة خَوْلان، فَحُزِرَ عِدَّةٌ مَن صَلَّى عليه من الناس، فكانوا زيادةً على خمسين ألفاً. والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وخمسة وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع.

* * *

(١) الطابونة والطابون: الموضع الذي تطبن فيه النار، أي تدفن فيه لثلاث تطفأ. ويطلق على المخبز أو الفرن. ويجمع على طوابين. (المعجم الوسيط).

(٢) المنسف: الغريال الكبير. ووعاء متسع يوضع فيه الأرز.

السنة التاسعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة.

فيها رسم السلطان الملك الأشرف للأشرف بسائر الأقطار أن يسموا عمائمهم بعلامت خضر؛ وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الأشرف. والله أعلم.

وفيها تُوِّفِّي القاضي كمال الدين أبو الغيث محمد ابن القاضي تقي الدين عبد الله ابن قاضي القضاة نور الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن [عبد الخالق بن] ^(١) عبد القادر الأنصاريّ الدمشقيّ الشافعيّ الشهير بابن الصائغ بدمشق عن بضع وأربعين سنة. رحمه الله. وكان ولي قضاء حلب مرتين، ثم ولي قضاء حمص، ثم عاد إلى دمشق، وبها كانت وفاته.

وتُوِّفِّي الشيخ العالم العلامة قاضي القضاة سراج الدين أبو حفص عمر ابن الشيخ نجم الدين إسحاق بن شهاب الدين أحمد الغزنويّ الهنديّ الحنفيّ قاضي قضاة الديار المصرية بها في ليلة الخميس سابع شهر رجب، بعد أن ولي القضاء نحو خمس عشرة سنة، رحمه الله. وتولّى بعده القضاء صدر الدين محمد بن جمال الدين التركمانيّ؛ ومولد السراج هذا في سنة أربع أو خمس وسبعمائة تخميناً. وقدم القاهرة قبل سنة أربعين [وسبعمائة]، رحمه الله. وكان إماماً عالماً بارعاً مفتناً في الفقه والأصلين والنحو وعلمي المعاني والبيان وغيرهم. وناب في الحكم بالقاهرة، وتصدّى للإفتاء والتدريس والإقراء سنين. ثم تولّى عدّة وظائف دينية؛ وهو أحد من قام مع ابن النقّاش في قضية الهرماس حتى وغرأ خاطر السلطان عليه ووقع له معه ما وقع.

وكان السراج - رحمه الله تعالى - إماماً مصنفاً: منها «شرح المغني» في مجلدين و«شرح البديع» لابن الساعاتي وغير ذلك. وقد ذكرنا من علو همته وغزير فضله في «المنهل الصافي» نبذة كبيرة جيدة تُنظر هناك.

(١) زيادة عن الدرر الكامنة وإنباء الغمر. وهو في الدرر: «كمال الدين» وفي إنباء الغمر: «جمال الدين».

وتُوفِّي الشيخ الأديب أبوزكرياء يحيى بن محمد بن زكرياء بن محمد بن يحيى العامري الحموي الشهير بالخبّاز بدمشق وهو من أبناء الثمانين. وكان بارعاً في النظم. نظم سائر فنون الأدب، وكان فيه تشيع كبير. ومن شعره: [الوافر]

بِعَيْشِكَ هَاتِيهَا صَفْرَاءَ صِرْفاً صَبَاحاً وَأَطْرَحُ قَوْلَ النَّصُوحِ
فَإِنَّ الشَّمْسَ قَدْ بَزَغَتْ بَعِينٍ تُغَامِزُنَا عَلَى شَرْبِ الصُّبُوحِ

وله أيضاً: [السريع]

بِإِكْرَعِرُوسِ الرُّوِضِ وَأَسْتَجْلِيهَا وَطَلَّقَ الحُزْنَ ثَلَاثاً بَتَاتُ
بِقَهْوَةٍ حَلَّتْ لَنَا كُلَّمَا حَلَّتْ لِأَلْيِ القَطْرِ جِيدَ النَّبَاتِ

وتُوفِّي العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو أحمد ابن قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن عليّ ابن الشيخ زين الدين عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف ابن موسى بن تمام الأنصاريّ السُّبكي الشافعيّ بمكة المشرفة عن ست وخمسين سنة، رحمه الله. وكان إماماً عالماً بارعاً في عدّة من الفنون. وسَمِعَ من الحُفَظاء، وأخذ من والده وعن أبي حيّان - وهو أسنُّ من أخيه تاج الدين المقدم ذكره - ودَرَسَ بقُبَّة الشافعيّ والجامع الطولونيّ والمنصورية والشَّيْخُونِيَّة. وباشر قضاء العسكر وإفتاء دار العدل بمصر، وخطب وألف وصنّف، وتولّى قضاء الشام عوضاً عن أخيه تاج الدين، وتولّى أخوه تاج الدين وظائفه بمصر؛ وقد تقدّم ذلك. ثم ترك قضاء دِمَشق عَفَةً ورجع إلى مصر يُدرّس ويُفتي. ثم جاور بمكة وبها مات، رحمه الله.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين أيّدمُر بن عبد الله الشَّيْخي أحدُ أمراء الألوْف بالديار المصريّة، ثم نائب حماة. وكان من أعيان الأمراء؛ وقد تقدّم ذكره في عدّة أماكن. وتُوفِّي الشيخ الفقير المُعتَقَد عبد الله دَرُويش - رحمه الله - في سابع عشر شهر رجب. وكان فقيراً مباركاً؛ وللناس فيه محبة واعتقاد حسن.

وتُوفِّي الأديب الشاعر شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان بن

شيخان، المعروف بأبن البكري التميمي القرشي البغدادي، في عاشر شهر رمضان
بمُنية ابن خصيب من صعيد مصر. ومن شعره: [الوافر]

أتى المحبوب في السنجاب يسعى وطلعتُه لِنَاظِرِه تَرُوقُ
فُتُبِر طَوْقَه السُّنْجَابُ سُحْباً وفيها من تَبَسُّمِه بُرُوقُ

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبعة أذرع وخمسة وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ثمانية عشر
ذراعاً وأربعة أصابع.

* * *

السنة العاشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

وفيها استقر الأمير ألجاي اليوسفي أتاك العساكر بديار مصر بعد موت منكلي
بُغا الشمسي.

وفيها تُوِّفِي الشيخ الإمام الحافظ المؤرخ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل
أبن الخطيب شهاب الدين أبي حفص عمر بن كثير القرشي الشافعي، صاحب
«التاريخ» و«التفسير»، في يوم الخميس سادس عشرين شعبان بدمشق. ومولده
بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق في سنة إحدى وسبعمائة، رحمه الله تعالى.

قال العيني رحمه الله: كان قُدوةَ العلماء والحُفَاط، وعمدة أهل المعاني
والألفاظ. وسَمِعَ وَجَمَعَ وَصَنَّفَ وَدَرَسَ وَحَدَّثَ وَأَلَّفَ. وكان له اطلاع عظيم في
الحديث والتفسير والتاريخ، وأشتهر بالضبط والتحرير، وأنهى إليه علم التاريخ
والحديث والتفسير، وله مُصَنَّفَاتٌ عديدة مفيدة. انتهى كلام العيني - رحمه الله.

قلت: ومن مُصَنَّفَاتِه «تفسير القرآن الكريم» في عشر مجلدات، وكتاب
«طبقات الفقهاء» و«مناقب الإمام الشافعي» رضي الله عنه، و«التاريخ المسَمَّى
«بالبداية والنَّهْاية» هذا فيه حَدْوُ أبْن الأثير - رحمه الله - في «الكامل» (والتاريخُ

أيضاً^(١) في عشرة مجلدات، وخرَّج أحاديث «مختصر آبن الحاجب» وكتب على «البخاري» ولم يكمله، رحمه الله تعالى. ولما مات رثاه بعضُ طلبته رحمه الله بقوله: [الطويل]

لِفَقْدِكَ طُلَّابُ الْعُلُومِ تَأَسَّفُوا وَجَادُوا بِدَمْعٍ لَا يَبِيدُ غَزِيرِ
لَوْ مَزَجُوا مَاءَ الْمَدَامِعِ بِالْدَمِ لَكَانَ قَلِيلاً فِيكَ يَا آبْنَ كَثِيرِ

وتُوفِّي الشيخ الحافظ تقيِّ الدين محمد بن جمال الدين رافع بن هجرس بن محمد بن شافع بن السَّلامِيِّ المصريِّ الشافعيِّ بدمشق عن ستين سنة. وكان - رحمه الله - إماماً في الحديث، رَحَلَ البلاد، وَسَمِعَ بمصر والشام وحلب والحجاز، وكتب لنفسه مشيخة، وذيل على تاريخ البخاري^(٢)، رحمه الله.

وتُوفِّي الأديب زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الخضربن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يوسف بن عثمان السَّنْجَارِيِّ. قَدِمَ حلب وياشربها توقيع الدَّرَجِ^(٣) إلى أن مات بها عن نيِّف وخمسين سنة. ومن شعره في مُغْنٍ، ورأيتُه لغيره: [الكامل]

أَضْحَى يَخِرُ لَوَجْهِهِ قَمْرُ السَّمَاءِ وَغَدَاً يَلِينُ لَصَوْتِهِ الْجَلْمُودُ
فَإِذَا بَدَا فَكَأَنَّما هُوَ يَوْسُفُ وَإِذَا شَدَا فَكَأَنَّه دَاوُودُ

وتُوفِّي الأمير مظفرِّ الدين موسى آبن الحاج أَرْقَطَايِ الناصريِّ نائب صفد بها،

(١) لعل هذه العبارة زائدة.

(٢) لم تذكر المصادر التي بين أيدينا أنه ألف ذيلاً على تاريخ البخاري - والمراد بتاريخ البخاري الصحيح - وإنما ألف ذيلاً على تاريخ بغداد لابن النجار، وذيلاً على تاريخ البرزالي سماه «الوفيات». (انظر الأعلام: ١٢٤/٦، وانباء الغمر: ٦٠/١، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني: ص ٥٢، وشذرات الذهب: ٢٣٤/٦).

(٣) موقع الدرج أو كاتب الدرج: من موظفي ديوان الإنشاء. وكتاب الدرج هم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر أو كاتب الدست أو إشارة النائب أو الوزير أو رسالة الدوادار، ونحو ذلك من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم وغيرها. وسماوا كتاب الدرج لكتابتهم هذه المكتوبات في دروج الورق. قال القلقشندي: «ويجوز أن يطلق عليهم كتاب الإنشاء، ولا يجوز أن يطلق عليهم لقب الموقعين لما تقدّم أن المراد من التوقيع الكتابة على جوانب القصص ونحوها» وهو من اختصاص كاتب السر أو كاتب الدست. (انظر صبح الأعشى: ٤٦٤/٥ - ٤٦٥؛ ١٣/١، ١٣٧).

وتَوَلَّى عِوَضَهُ نِيَابَةَ صَفْدِ الْأَمِيرِ عَلِمِ دَارِ الْمُحَمَّدِيِّ. وَكَانَ مَظْفَرِ الدِّينِ مِنَ الْأُمَثَالِ، وَهُوَ وَجَاهَةٌ فِي الدُّوَلِ وَثَرَةٌ.

وتُوفِّيَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ سَيْفُ مَنْكَلِيِّ بُعَا بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّمْسِيِّ أَتَابِكَ الْعَسَاكِرِ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِهَا فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى عَنْ بَضْعِ وَخَمْسِينَ سَنَةً. كَانَ مِنْ أَجَلِّ الْأُمَرَاءِ وَأَعْظَمِهِمْ حُرْمَةً وَهَيْبَةً وَوَقَارًا، وَكَانَ فِيهِ دِيَانَةٌ، وَهُوَ مَعْرِفَةٌ بِالْأُمُورِ، وَهُوَ اشْتِغَالَ جَيِّدٌ فِي عُلُومٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَلِي نِيَابَةَ صَفْدِ وَطَرَابُلُسَ وَحَلَبَ وَدِمَشقَ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى حَلَبَ لِإِصْلَاحِ الْبِلَادِ الْحَلِيبِيَّةِ، فَعَادَ إِلَيْهَا وَمَهَّدَ أُمُورَهَا ثُمَّ طَلَبَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَلِيَّ النِّيَابَةَ بِهَا فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَخْلَعَ عَلَيْهِ بِاسْتِقْرَارِهِ أَتَابِكَ الْعَسَاكِرِ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَزَوْجَهُ الْأَشْرَفُ بِأَخْتِهِ «خَوْنَدِ سَارَةَ»، فَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وتُوفِّيَتْ خَوْنَدُ بَرَكَهَ خَاتُونِ وَالِدَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ هَذَا وَزَوْجَتِهِ الْأَمِيرِ أُلْجَايِ الْيُوسُفِيِّ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَدُفِنَتْ بِمَدْرَسَتِهَا الَّتِي أَنْشَأَهَا بِحُطِّ التَّبَانَةِ وَبِسَبَبِ مِيرَاثِهَا كَانَتْ الْوَقْعَةُ بَيْنَ أَبْنَاهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ وَزَوْجَتِهَا أُلْجَايِ الْيُوسُفِيِّ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ كُلِّهِ مَفْصَلًا فِي أَوَائِلِ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ. وَكَانَتْ خَيْرَةً دِينَةً عَفِيفَةً جَمِيلَةً الصُّورَةَ. مَاتَتْ فِي أَوَائِلِ الْكُهُولِيَّةِ. رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

وتُوفِّيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ وَلِيُّ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمِ الْمَلُويِّ (١) الدِّيَابِجِيِّ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ذُو الْفُنُونِ بِالْقَاهِرَةِ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ خَامِسَ عَشْرِينَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عَنْ بَضْعِ وَسْتِينَ سَنَةً. وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ فَهَاءِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وتُوفِّيَ الشَّيْخُ الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى الْمَعْتَقِدُ الْمُسَلِّكُ بِهَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْكَازِرُونِيِّ فِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ خَامِسَ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ بِزَاوِيَتِهِ (٢) بِالْمَشْتَهَى بِالرُّوْضَةِ.

(١) نسبة إلى ملوى بمديرية أسبوط بمصر.

(٢) ذكرها المقرئ باسم زباط المشتى (خطط: ٤٢٨/٢) والرباط هو الدار التي يسكنها أهل الطرق الصوفية.

وكان - رحمه الله تعالى - رجلاً صالحاً مُعْتَقِداً، وللناس فيه مَحَبَّةٌ زائدة وأَعْتقادٌ حسن.

وتُوفِّي القاضي بدر الدين محمد بن محمد بن العلامة شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد الحَلْبِيِّ ثمَّ الدَّمَشْقِيِّ الحنبليّ ناظر جيش حلب بها، رحمه الله. وكان رئيساً كاتباً فاضلاً من بيت كتابة وفضل - رحمه الله تعالى - والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم لم يُحرَّرَ لأجل التحويل^(١). حُولت هذه السنة إلى سنة خمس

وسبعين.

* * *

السنة الحادية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة خمس وسبعين وسبعمائة.

فيها كانت وقعة الملك الأشرف المذكور مع زوج أمه الأتابك أَلْجَائِي اليوسفي، وغَرِقَ أَلْجَائِي في بحر النيل، حسب ما تقدّم ذِكرُه.

وفيها تُوفِّي قاضي القضاة بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن صدر الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المخزوميّ المصريّ الشافعيّ الشهير بابن الحَشَّاب وهو في البحر المالح بالقرب من الأزم^(٢) عائداً إلى الديار المصريّة وهو من أبناء الثمانين سنة، رحمه الله. وكان عالماً مُفْتِيّاً مدرّساً شاع

(١) المراد تحويل السنة العربية إلى السنة التي بعدها في حساب استحقات الخراج. وكان الموكلون بأمر الخراج في البلاد الإسلامية يقومون بذلك التحويل كل ثلاث وثلاثين سنة هلالية، لما هنالك من التفاوت بين السنة القمرية المعتمد عليها في استخراج الخراج والسنة الشمسية التي تضبط بها الزروع والثمار ومواعيد استحقات الجباية؛ إذ تنقص السنون القمرية عن السنين الشمسية سنة واحدة تقريباً كل ثلاث وثلاثين سنة. (انظر صبح الأعشى: ٥٤/١٣ وما بعدها).

(٢) راجع ص ٦٠، حاشية (١) من هذا الجزء.

ذكره في الأقطار، وأنتفع الناس بعلمه، وولي نيابة الحكم بالقاهرة، وباشر قضاء حلب استقلالاً. ثم ولي القضاء بالمدينة النبوية، وأراد التوجه إلى نحو مصر فأدركته المنية في طريقه، رحمه الله.

وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة أرشد الدين أبو الثناء محمود بن قطلوشاه السراي الحنفي بالقاهرة في جمادى الآخرة عن نيف وثمانين سنة، رحمه الله تعالى. وكان بحراً في العلوم لاسيما العلوم العقلية والأدبية. وأقام بالقاهرة سنين كثيرة يشتغل ويُقرىء، وأنتفع به عامة الطلبة من كل مذهب. وتولى مشيخة الصرغتمشية^(١) بعد وفاة الشيخ العلامة قوام الدين أمير كاتب الإنقائي، فباشر تدريسها إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وتوفي الأمير سيف الدين طيغابن عبد الله الفقيه الحنفي، أحد أمراء العشرات بالديار المصرية، بالقاهرة وقد ناهز الستين سنة. وكان فقيهاً مُستحضرًا لفروع مذهبه، ويُشارك في فنون كثيرة، رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير سيف الدين تمرقياً بن عبد الله العمري الجوكندار، أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وسنه نحو الخمسين سنة؛ وهو خشداش يلبغا العمري الخاصكي. وتمرقيا باللغة التركية: جبل حديد؛ فتمر هو الحديد، وقياً بفتح القاف هو الصخر العظيم.

وتوفي الأمير سيف الدين تُلكتمر بن عبد الله الجمالي، أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة. مات بمنزلة قاقون من طريق الشام في شهر ذي الحجة، وكان الملك الأشرف أرسله في مهم.

وتوفي الأمير سيف الدين آل ملك بن عبد الله الصرغتمشي، أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة، وكاشف الوجه البحري، ونقيب الجيوش المنصورة، في شهر شوال. وكان أصله من ممالك الأمير صرغتمش الناصري صاحب المدرسة بالصليبية

(١) المدرسة الصرغتمشية: خارج القاهرة بجوار جامع أحمد بن طولون. بناها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري ما بين ٧٥٦ و ٧٥٧هـ. (انظر خطط المقريري: ٤٠٣/٢).

المقدّم ذكره. وكلّ مَنْ نذكره في هذه السنين بالصرغتمشي فهو منسوب إليه، ولا حاجة للتعريف به بعد ذلك.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين آقبا بن عبد الله من مصطفى اليلبغاوي، أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وهو مجرد بالإسكندرية؛ وهو ممن قام على أستاذه يلبغا.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله الأحمدّي، أحد مقدّمَي الألوفا بالديار المصرية، ولالا الملك الأشرف شعبان صاحب الترجمة. وكان معظماً في الدول، وله همة ومعرفة وشجاعة وحرمة وافرة في الدولة الأشرفية؛ وقد مرّ ذكره في عدّة حكايات. ولما نُقل على الملك الأشرف، أخرجته إلى نيابة الإسكندرية، فمات بها في خامس عشر ذي القعدة.

وتُوفِّي الشيخ نور الدين عليّ بن الحسن بن عليّ الإسناي الشافعي، أخو الشيخ جمال الدين عبد الرحيم المتقدّم ذكره مات في شهر رجب، رحمه الله تعالى.

وتُوفِّي القاضي شمس الدين شاکر القبطي المصري، المعروف بابن البقري، ناظر الذخيرة^(١)، وصاحب المدرسة البقرية^(٢)، بالقاهرة في ثالث عشر شوال. وكان معدوداً من رؤساء الأقباط.

(١) الذخيرة: هي ممتلكات السلطان من ذهب وفضة وما شابه ذلك. (انظر السلوك: ٥٨٧/٣/٢، ٦١٨) وناظر الذخيرة هو المشرف على هذه الممتلكات. والظاهر أن وظيفته قريبة من وظيفة ناظر خزانة الخاص، أو أنها واحد.

(٢) المدرسة البقرية: تقع في الرقاق الذي تجاه باب الجامع الحاكمي. بناها شمس الدين شاکر بن غزير (تصغير غزال) المعروف بابن البقري، أحد مسالمة القبط في أيام الناصر حسن بن محمد بن قلاوون. وأصله من قرية تعرف بدار البقر إحدى قرى الغربية. (خطط المقرئ: ٣٩١/٢) وعين الأستاذ محمد رمزي تاريخ بنائها بسنة ٥٧٤٦هـ، كما هو ثابت إلى اليوم بالنقش على بابها. وتعرف اليوم باسم جامع البقري.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين بِييُغا بن عبد الله، المعروف بحارس طير، أحدُ أمراء الطبلخانات؛ وهو غير بِييُغا طَطَّر حارس طير الذي ولي نيابة السلطنة في سلطنة الملك حسن.

وتُوفِّي الأمير علاء الدين أَلطُنْبُغا بن عبد الله المارديني في ثاني جُمادى الآخرة؛ وهو أيضاً غير أَلطُنْبُغا المارديني صاحب الجامع؛ وقد تقدّم ذكر هذا في محلّه.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين آروس بن عبد الله المحمودي، أحدُ أمراء الألوفاً بالقاهرة، وزوج بنت الأمير مَنجك اليوسفي، في ذي القعدة. وكان أصله من مماليك الناصر محمد، وترقى في الدول إلى أن صار أمير مائة ومقدّم ألف. ثم ولي الحجوية، ثم أمير جاندار، ثم ولي الأستدارية العالية مدّة طويلة. ووقع له أمور وحوادث، وأُخرج إلى الشام. ثم قَدِم إلى مصر صحبة حَمِيهِ مَنجك اليوسفي، فأقام بها إلى أن مات.

وتُوفِّي الأمير الكبير سيف الدين أَلجاي اليوسفي، أحدُ مماليك الملك الناصر حسن، غريقاً بالنيل بساحل الخرقانية، بعد وقعة كانت بينه وبين الملك الأشرف شعبان، حسب ما ذكرناه أنه أنكسر في الآخر. وتوجّه إلى الجهة المذكورة وأقتحم البحر بفرسه، فغرق في يوم الجمعة تاسع المحرم، ودُفِن بمدرسته بسُوَيْفَةِ العِزِّي خارج القاهرة. وكان من أجلّ الأمراء شجاعة وكرماً وهمة وسؤدداً؛ وقد تقدّم ذكره في عدّة تراجم من هذا الكتاب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وعشرة أصابع. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً؛ وهي سنة الشراقي^(١) العظيم.

* * *

(١) انظر في ذلك السلوك: ٢١٨/١/٣ - ٢١٩. وقد تقدّم في أصل ترجمة الأشرف شعبان شيء من ذلك.

السنة الثانية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة ست وسبعين وسبعمائة.

وفيهما كان ابتداء الغلاء العظيم بسائر البلاد.

وفيهما فُتحت سيس على يد نائب حلب الأمير إِشْقَتْمُر المارديني؛ وقد تقدّم ذكر ذلك كلّ في أصل الترجمة.

وفيهما تُوفّي العلامة قاضي القضاة صدر الدين أبو عبد الله محمد ابن العلامة قاضي القضاة جمال الدين عبد الله ابن قاضي القضاة علاء الدين عليّ بن عثمان بن المارديني الحنفيّ، الشهير بأبن التُّركمانيّ، قاضي قضاة الديار المصرية بها في ليلة الجمعة ثالث ذي القعدة عن نحو أربعين سنة، بعد أن باشر ثلاث سنين وأشهرًا. وكان سلك في العدل طريقة أبيه وجده. وكان عالماً بارعاً ذكياً فهماً عفيفاً. وله نظم ونثر، ومن شعره وقد حصل له رَمَدٌ: [الوافر]

أفرُّ إلى الظلام بكُلِّ جهدي كأنَّ النورَ يَطْلُبُني بِدِينِ
وما لِلنورِ من ظِلٍّ وإنِّي أراه حقيقةً مطلوبَ عَيْني

وقد تقدّم ذكر أبيه وجده كلّ واحد منهما في محله.

وتُوفّي قاضي القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفريّ (بفتح الكاف) الحنفيّ بدمشق، بعد أن كُفَّ بصره، عن خمس وثمانين سنة. وكان من العلماء الأعلام، ماهراً في مذهبه. أفتى ودرّس وأفاد وأتقن روايات القراء^(١) السبعة، وناب في الحكم بدمشق مدّة من الزمان. ثم استقلّ

(١) القراء السبعة هم: عبد الله بن كثير الداري (ت ١٢٠هـ) ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ)، وعبد الله اليحصبي المشهور بابن عامر (ت ١١٨هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥هـ)، ومهزة بن حبيب الزيات (ت ١٨٨هـ)، وعاصم بن أبي النجود الأسدي (ت ١٨٧هـ).

وعبارة القراء السبعة والقراءات السبع لم تكن قد عرفت في الأمصار الإسلامية حين بدأ العلماء يؤلفون في القراءات. والسابقون منهم كأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي جعفر الطبري، وأبي حاتم =

بالوظيفة مدة طويلة، ثم تركها لولده متزهاً عن ذلك، ولزم العبادة إلى أن مات.
وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم العلامة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن عمّار الحارثي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن قاضي الزبداني، بدمشق عن سبع وثمانين سنة. وقد أنهت إليه رئاسة الفتوى بالشام في زمانه، ودرّس بظاهرية^(١) دمشق وعادليتها^(٢) الصغرى، وكتب وصنّف.

وتُوفِّي الشيخ أمين الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن إبراهيم الدمشقي الحنفي، الشهير بابن عبد الحق. درّس بدمشق بعدة مدارس، وياشر بها الوظائف الجليلة؛ وكان معدوداً من أعيان أهل دمشق إلى أن مات بها عن بضع وستين سنة.

وتُوفِّي الشيخ الإمام العلامة الأديب المُفتنّ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني المغربي الحنفي، الشهير بابن أبي حجلة، نزيل الديار المصرية بها في يوم الخميس مستهل ذي الحجة عن إحدى وخمسين سنة. ومولده بالمغرب بزواوية جدّه أبي حجلة عبد الواحد. ثم رحل إلى الشام، ثم استوطن مصر، وولي مشيخة خانقاه منجك اليوسفي إلى أن مات. وكان إماماً بارعاً فاضلاً ناظماً ناثراً وله مصنّفات كثيرة تبلغ ستين مصنفاً، رحمه الله. ومن شعره في مליح له خال علي خذّه: [البسيط]

= السجستاني ذكروا في مصنّفاتهم أضعاف تلك القراءات. وإنما بدأت هذه العبارة تشتهر على رأس المائتين بإقبال الناس في الأمصار الإسلامية على قراءة بعض الأئمة دون بعض. والحق إن ثمة ضابطاً إذا توفّر في قراءة ما وجب قبولها. ويتوفّر هذا الضابط وجد ما يسمى بالقراءات العشر والقراءات الأربع عشرة وأكثر من ذلك. (انظر قضايا لغوية في ضوء القراءات القرآنية للشيخ صبحي الصالح: ٤٣ - ٤٤؛ والمعارف لابن قتيبة: ٢٩٤ - ٢٩٦؛ والكليات للكفوي: ٩٥/٢).

- (١) المدرسة الظاهرية: بجوار جامع دمشق. أنشأها الظاهر بيبرس ودفن بها سنة ٥٦٧٦هـ. (الدارس في تاريخ المدارس: ٢٦٣/١؛ وخطط الشام: ٨٣/٦).
(٢) المدرسة العادلية الصغرى داخل باب الفرج شرقي باب القلعة. أنشأها زهرة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب سنة ٦٥٥هـ. (الدارس: ٢٧٨/١).

تفرّد الخال عن شعرِ بوجتته فليس في الخدِّ غيرُ الخالِ والخَفْرِ
يا حُسنَ ذاكِ مُحياً ليس فيه سِوى خالٍ من المِسكِ في خالٍ من الشَّعْرِ
وله: [السريع]

وعاذِلٍ بالَغٍ في عَدْلِهِ وقال لَمَّا هاجَ بِلبالي
بِعَارِضِ المَحْبُوبِ ما تَتَهَيَّ قلتُ ولا بِالسَّيْفِ والوَالِي
وله مُضْمِناً، وهو أَحْسَنُ قولِهِ في المَعْنَى: [الكامل]

يا صاحِ قد حضر الشَّرَابُ وبُعَيْتِي وحَظِيْتُ بعدَ الهَجْرِ بِالإِنْسَانِ
وكسأَ العِدَارُ الخَدَّ حُسناً فَاسْقِنِي وأَجعلُ حَدِيثَكَ كُلَّهُ في الكَاسِ

وتُوفِّيَ الصاحبُ الوزيرُ فخرُ الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبي شاکر بالقاهرة، ودُفِنَ بالقِرافةِ بترتبه بجوار تربة قاضي القضاة شمس الدين الحريري. وكان في مبادئ أمره صاحب ديوان يَلْبُغا العُمريِّ، ثم تولى الوَزَرَ بعد موته ثلاثَ مرات، وجمَعَ في بعض الأحيان بين الوزارة ونظر الخاصِّ معاً كما كان ابن قروينة من قبله. وكان حَسَنَ السَّيرَةِ، مليحَ الشَّكلِ بشوشاً متواضعاً، لَيِّنَ الجانبِ، قليلَ الأذى، مُحِبِّباً للناسِ.

وتُوفِّيَ التاجرُ ناصر الدين محمد بن مسلم الكارمي^(١) المصري في يوم الجمعة ثاني عشر شوال. وقد خَلَفَ أموالاً كثيرة من المَتَجَرِ، وعَمِلَ الكِيميَا بحيثُ إنه لم يكن أحدٌ من أهل عصره أكثرَ مالاً منه.

وتُوفِّيَ القانُ أويسُ ابن الشيخِ حسن بن حسين بن أقبغا بن أيلكان صاحب تبريز وبغداد وما والاها. وفي مَوْتِهِ غريبةٌ وهي أنه رأى في منامه قبل موته أنه يموتُ في يوم كذا وكذا، فخلَعَ نفسَه من الملكِ ووَلَّى عوضَه ولَدَه الكبير الشيخ حسين بن أويس، وأعتزل هو عن المُلْكِ، وصار يتعبَّد ويكثر من الصلاة والصدقة والبرِّ إلى

(١) نسبة إلى تجارة الكارم، وهي ما كان يجلب من الهند من البهار والفلفل وغيرها. - وقد سبق الكلام عليها فانظر فهرس المصطلحات.

الوقت الذي عيَّنه لهم أنه يموتُ فيه فمات فيه. وكان ملكاً حازماً عادلاً، ذا شهامةٍ وصرامةٍ، قليل الشرِّ كثير الخير، محبباً للفقراء والعلماء. وكان مع هذا فيه شجاعةٌ وكرمٌ. ومات في عُنفوان شيبته؛ وكان تسلطن بعد أبيه، فمكث في الملِّك تسعةَ عشرَ سنةً، ومات بتبريز عن نيفٍ وثلاثين سنةً.

وتُوفِّي الأميرُ الكبير سيف الدين منجك بن عبد الله اليوسفي الناصري، أتاكب العساكر ونائب السلطنة الشريفة بالديار المصرية، بداره من القاهرة بالقرب من سُويقة العزِّي المُلاصقة لمدرسة السلطان حسن، بعد عصر يوم الخميس تاسع عشرين شهر ذي الحجة، ودُفِن صبيحة يوم الجمعة بتبرته التي أنشأها عند جامعهِ وخانقته، خارج باب الوزير بالقرب من قلعة الجبل. وكانت جنازته مشهودة. وكان عمره يوم مات بضعا وستين سنة. وقد مرَّ من ذكره ما يُستغنى به عن التكرار هنا. وكان ابتداءً أمره وظهور اسمه من سلطنة الملك الناصر أحمد أبْن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهلمَّ جرًّا إلى يومنا هذا، حتى إنه لم يُذكر سلطاناً بعد موت محمد بن قلاوون، إلا ومنجك هذا له فيه أمرٌ وذكرٌ وواقعة. وقد طالت أيامه في السعادة، على أنه قاسى فيها خطوباً وأهوالاً، وأمسك وحبس، ثم أُطلق، وأختفى مدةً ثم ظهر. وقد تكرر ذلك مفصلاً في عدَّة تراجم من سلاطين مصر. وأما ما عمَّره من المساجد والجوامع والمآثر فقد ذكرنا كلُّه في ترجمته في «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» فليُنظر هناك.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين يلبغا بن عبد الله الناصري، حاجب الحجاب بالديار المصرية وأحد أمراء الألوْف بها. وكان من أمثال الأمراء وأعيان المماليك الناصرية. ترقي بعد موت أستاذه الملك الناصر محمد، وولي عدَّة وظائف أعظمها حُجوبية الحجاب.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين أيَّدمر بن عبد الله الناصري الدوادار بالقاهرة عن نيفٍ وستين سنة. وكان أميراً عالي القدر، ظاهر الحشمة، وافر المهابة، حسن السياسة والتدبير، يبدأ الناس بالسلام ويكثر من ذلك، حتى إنه لَمَّا ولي نيابة حلب لقبه أهلها «بسلام عليكم». وكان أولاً أميرَ مائة ومقدَّم ألف بديار مصر. ثم ولي نيابة طرابُلُس،

ثم نيابة حلب، ثم عُزل وطلب إلى ديار مصر، وأستقرَّ بها أمير مائة ومقدّم ألف أيضاً إلى أن مات؛ وهو أجل أمراء عصره.

وتُوفِّي الأمير الطواشي سابق الدين مِثقال بن عبد الله الحبشي الأنوكي، مقدّم المماليك السلطانية وأحدُ أمراء الطبلخانات. وكان أصله من خدام سيدي أنوك ابن الملك الناصر محمد، وترقى إلى أن ولى تقدمة المماليك السلطانية؛ وهو الذي ضربه يلبغا العمري داخل القصر ستمائة عصاة ونفاه إلى أسوان وولى مكانه مختار الدمهورى شاذروان. فلما قُتل يلبغا أعاده الملك الأشرف هذا إلى رتبته ووظيفته تقدمه المماليك السلطانية إلى أن مات، وولى التقدمة بعده مختار الدمهورى شاذروان المقدم ذكره ثانياً. وأظن مثقالاً هذا هو صاحب المدرسة^(١) السابقة داخل بين القصرين من القاهرة. والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربعة أذرع وأثنا عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً
وخمسة أصابع.

* * *

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر
وهي سنة سبع وسبعين وسبعمائة.

فيها كان الغلاء المفرط بالبلاد الشامية حتى أكل الناس الميتات والكلاب
والقطط.

وفيها تُوفِّي الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة برهان الدين أبو إسحاق
إبراهيم ابن القاضي علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الهيدباني
السعدي الإخنائي المالكي قاضي قضاة الديار المصرية بها في يوم الأربعاء ثالث

(١) هو ذاته صاحب المدرسة السابقة، كما ذكر المقرئ في خطه: ٣٩٣/٢.

شهر رجب بعد أن مكث في القضاء خمس عشرة سنة. وكان - رحمه الله - من أعيان الفقهاء المالكية.

وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد ابن قاضي القضاة سديد الدين عبد البر بن صدر الدين يحيى السُّبكي الأنصاري الشافعي - رحمه الله تعالى - قاضي القضاة بالديار المصرية ثم بدمشق المحروسة في شهر ربيع الأول. ومولده في سنة سبع وسبعمائة. وكان إمام وقته وعالم زمانه. رَوَى البخاري عن الوزير^(١) والحجار، وتولَّى القضاء بدمشق ثم بمصر، ثم عزل وعاد إلى قضاء دمشق إلى أن مات - رحمه الله - بعد أن أفتى ودرّس وكتب وألّف ونظم ونثر. ومن شعره، رحمه الله تعالى: [الكامل]

وَدَعْتُهُ وَلِثْمَتْ بِاسِمِ نَغْرِهِ مَعَ خَدِّهِ وَضَمَمْتُ مَائِسَ قَدِّهِ
ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَمُقَلَّتِي تَبْكِي دَمًا يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ عَهْدِي

قلت: ويعجبني في هذا المعنى قول الأديب المُفَتَّنِ علاء الدين عليّ كاتب ابن وداعة: [مخلع البسيط]

إِذَا رَأَيْتَ الْوَدَاعَ فَاصْبِر وَلَا يَهْمَنَّكَ الْبِعَادُ
وَانْتَظِرِ الْعَوْدَ عَنْ قَرِيبٍ فَإِنَّ قَلْبَ الْوَدَاعِ عَادُوا

وتُوفِّي القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضي علاء الدين علي ابن القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله بن المجلى بن دعجان. ينتهي نسبة إلى الإمام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. مات بدمشق ودُفِنَ بسفح قاسيون عن نيف وثلاثين سنة بعد أن باشر نيابة كتابة سر مصر عن والده. وكان إماماً بليغاً كاتباً ناظماً ناثراً. أخذ العربية عن الشيخ كمال الدين ابن قاضي شهبة ثم عن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن مُسَلَّم، رحمهم الله تعالى. وتوجّه القاضي شهاب الدين المذكور إلى دمشق وأستوطنها إلى أن مات. وشهاب الدين هذا سَمِّي

(١) هي ست الوزراء بنت عمر بن أسعد التنوخية الحنبلية، أم محمد، وتدعى بوزيرة: فقيهة محدثة. توفيت سنة ٥٧١٦هـ. (الأعلام: ٧٨/٣).

على اسم عمّه شهاب الدين أحمد صاحب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» وقد مرّ ذكره وذكر جماعة من آبائه وأقاربه .

وتُوفِّيَ الشيخ المعتقد أحمد بن مسعود المجذوب، ودُفِنَ بالقرافة بالقرب من قبة الإمام الشافعيّ، رضي الله عنه. وكان يجلس في المريس^(١) دائماً، وللناس فيه أعتقاد.

وتُوفِّيَ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي الشهير بآبن الصائغ الحنفيّ - رحمه الله - في يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر شعبان. وكان إماماً في القراءات، وسَمِعَ الحديث، وأخذ النحو عن أبي حيان، وبرّع في الفقه، وأعاد، ودرّس، وأفاد، وأفتى، وبرّع في النحو والأدب، ودرّس بجامع آبن طولون بالقاهرة، وتولّى قضاء العسكر بمصر. وكان أديباً لطيفاً ظريفاً بارعاً في النظم. ومن شعره: [الطويل]

بِرُوحِي أَفْدي خالَه فوق خَدَه وَمَنْ أَنَا فِي الدنْيا فأفديه بالمالِ
تبارك مَنْ أخلَى من الشَّعْرِ خَدَه وأسكن كُلَّ الحُسْنِ في ذلك الخالِ

وله عفا الله عنه: [الرجز]

قاسَ الوَرَى وجهَ حَبِيبِي بِالقَمَرِ لِجَامِعِ بَيْنَهُما وهو الخَفَرِ
قلت القياسُ باطلٌ بِفَرْقِهِ وبعْدَذا عِنْدِي فِي الوجهِ نَظَرُ

وله: [السريع]

وشادِنِ ظَلَّتْ عِيونُ الرِبا لَمَاراتُهُ مُقبِلاً ساجِدَه
سألته من ريقِهِ شَرِبَه فقال ذِي مسألة بارِدَه

وتُوفِّيَ السيّد الشريف عزّ الدّين عَجَلان بن رُمَيْثَة بن أبي نُمَيّ محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس المكيّ الحسنيّ أمير مكة. وكان قبل موته نزل لولده السيّد الشريف أحمد بن عَجَلان عن نصف إمرة مكة التي كانت

(١) هو حكر الست حلق. - انظر خطط المقرئ: ١١٦/٢.

بيده، فإنه كان قبل ذلك نَزَلَ له عن النصف الأول قديماً. وكان ولي إمرة مكة غير مرة نحو ثلاثين سنة، مستقلاً بها مدة، وشريكاً لأخيه ثقبه مدة، وشريكاً لابنه أحمد هذا مدة. وكانت وفاته في ليلة الأثنين الحادي عشر من شهر جمادى الأولى ودُفِن بالمعلاة - رحمه الله - وقد قارب السبعين سنة من العمر. وكان ذا عقل ودَهَاء ومعرفة بالأمور وسياسة حسنة. وكان بخلاف آباءه وأقاربه يُحِبُّ أهل السنة وَيُنْصُرُهُم على الشيعة، وربما كان يَذْكُر أنه شافعي المذهب، وهذا نادرة في السادة الأشراف، فإن غالبهم زَيْدِيَّة يتجاهرون بذلك. قيل: إنه ذُكِر عنده مرة معاوية بن أبي سفيان لينظروا رأيه فيه، فقال عجلان: «معاوية شيخٌ من كبار قريش، لاح له المُلْك فَتَلَقَّه».

قلت: لولم يكن من محاسنه إلا أتباعه للسنَّة النبوية لكفاه ذلك شرفاً. وكان ممدوحاً مدحه النشو أحد شعراء مكة بقصيدة طنانة أولها: [الكامل]

لولا العَرامُ ووجدهُ وتحوُّله ما كنت تَرحمه وأنت عَدُوُّه
 إن كنت تُنكره فسَلْ عن حاله فالحبُّ داءٌ لا يُفِيقُ عليه
 يا مَنْ يَلومُ على الهوى أهل الهوى دَع لومَهُم فالصبرُ مات جَميله

وتُوفِّي الأمير سيف الدين أسْبَغُ بن بَكْتُمُرَ أبو بكر في يوم الأربعاء خامس المحرم؛ وكان من عظماء أمراء الديار المصرية. كان خَصِيصاً عند الملك الناصر محمد بن قلاوون وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ثم تَرَقَّى بعد موته حتى ولي الأمير آخورية الكبرى للسلطان حسن، ثم للأشرف. ثم ولي نيابة الإسكندرية، ثم نيابة حلب، ثم حُجُوبِيَّة الحَجَّاب بديار مصر. وطالت أيامه في السعادة. وأظنه صاحب الأبو بكرية^(١) داخل القاهرة. والله أعلم.

وتُوفِّي الشيخ الإمام المعتقد العالم العلامة جمال الدين عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبي عبد الله بن يحيى بن إبراهيم بن سعيد بن طلحة بن موسى بن إسحاق بن عبد الله بن محمد بن أبان بن عثمان بن عَفَّان - رضي الله عنه - في يوم الأحد ثالث شهر جمادى الأولى بخلوته بسطح

(١) المدرسة البوبكرية. (خطط المقرئ: ٣٩٠/٢).

جامع الحاكم. وكانت جنازته مشهودة جداً، اجتمع فيها خلائق لا تُحصى، رحمه الله. ومولده في سنة أربع وتسعين وستمائة. وكان فقيهاً شافعيّاً صاحب فنون وعلوم.

وتُوفِّيَ الأمير ناصر الدين محمد آبن الأمير قيران الحُساميِّ كان أحد أمراء الطلبةانات بالديار المصريّة، رحمه الله تعالى. وكان كريماً شجاعاً مقداماً، وله وجهةٌ في الدُّول وحرمةٌ وافرة.

وتُوفِّيَ تاج الدين أبو غالب الكلشواوي^(١) الأَسْلَميِّ القِبْطِيَّ ناظر الذَّخيرة في نصف شهر شوّال، وإليه تُنسب المدرسة المعروفة بمدرسة أبي غالب تجاه باب الخوخة^(٢) ظاهر القاهرة.

وتُوفِّيَ شيخ الكُتاب غازي بن قُطْلوبغا التركي في شهر رجب وقد أنتهت إليه الرياسة في الخط المنسوب، وتصدّر للإفادة سنين عديدة، وأنتشر خطه في الآفاق.

وتُوفِّيَ الشيخ نور الدين عليّ بن محمد بن محمد بن عليّ بن أحمد الكنانيّ العسقلانيّ الشافعيّ، الشهير بأبن حجر، والد الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، في يوم الأربعاء عاشر شهر رجب. وكان تاجراً بمدينة مصر القديمة، وتفقه على مذهب الإمام الشافعيّ - رضي الله عنه - وحفظ الحاوي، وأخذ الفقه عن بهاء الدين محمد بن عَقِيل - رحمه الله - وقال الشعر. ومن شعره يُشير إلى المتجر:

[المجتث]

إسكندريّة كم ذا يسمو قماشك عزّاً
فطمتُ نفسيّ عنها فلستُ أطلبُ بزّاً

وله أيضاً: [الكامل]

يا ربّ أعضاء السُّجود عتقتها من فضلك ألواني وأنت ألواني
وألعتقُ يُسرى بِالغنى إذا الغنى فأمئنن على ألواني بعتنِ الباقِي

أمر النيل في هذه السنة:

(١) نسبة إلى بلدة «كلشوا» إحدى قرى مركز السنطة بمديرية الغربية بمصر. (محمد رمزي).

(٢) باب الخوخة: أحد أبواب القاهرة القديمة في سورها الغربي (خطط المرزوقي: ٤٥/٢).

الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصباعاً. والله أعلم.

* * *

السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر

وهي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، وهي التي قُتل فيها في ذي القعدة.

فيها تُوْفِّي القاضي مُحَبُّ الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي نجم الدين أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم التَّمِيمِي المصري، ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية بها في يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر ذي الحجة عن إحدى وثمانين سنة. وكان في ابتداء أمره تولَّى ديوان جَنَكَلِي بن البابا، ثم خدم عند الأمير مَنَكَلِي الفخري، فكتب إليه الشيخ صلاح الدين الصَّفَدِي يقول: [السريع]

مِنْ جَنَكَلِي صِرَتْ إِلَى مَنَكَلِي فَكَلَّ خَيْرٍ أُرْتَجَى مِنْكَ لِي
وَأَنْتَ لِي كَهْفٌ وَمَا مَقْصِدِي مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى أَنْتَ لِي

وكان القاضي مُحَبُّ الدين المذكور رجلاً صالحاً فاضلاً، وله سماع عالٍ، وله مصنفات - رحمه الله - منها «شرح التسهيل» في أربعة مجلدات و«شرح التلخيص في المعاني والبيان» وغير ذلك.

وتُوْفِّي الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أبو الفداء إسماعيل بن نور الدين علي بن الحسن القَلَقَشَنَدِي الشافعي المصري، مفتي المسلمين بالقدس الشريف، عن نحو سبعين سنة. وكان فقيهاً بَرَع في عدَّة علوم وأفتى ودرَّس واستقل. رحمه الله.

وتُوْفِّي الشيخ المُسَيَّد المُعَمَّر الرُّحَلَة أبو حفص عمر بن الحسن بن مَزِيد، الشهير بابن أميلة، المَرَاغِي الحلبِي ثم الدَّمَشَقِي بها عن ثمان وتسعين سنة، بعد أن صار رُحَلَةً زمانه، وقُصِد من الأقطار للسمع عليه، فسَمِع منه خلائِق كثيرة.

وتُوْفِّي الشيخ الأديب جمال الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن يعقوب

المصريّ ثم الحلبيّ بحلب، وقد قارب الخمسين سنة. وكان معدوداً من الكُتّاب
الأدباء الفضلاء ومن شعره: [الطويل]

رياضُ جرتْ بِالظُّلمِ عاداتِ رِيحِها وسارَ بِغَيْرِ أَعْدَلٍ فِي الحُكْمِ سَيْرُها
فَفَرَّقَتْ أَلْغِصانَ عِنْدَ أَعْتِناقِها وَسَلَّسَتْ أَلْانْهارَ إِذْ جَنَّ طيرُها

وتُوفِّيَ الأمير سيف الدين يعقوب شاه بن عبد الله، الحاجب الثاني وأحدُ
مُقَدِّمي الألوْف بالديار المصرية. وكان ممن قام مع الملك الأشرف في واقعة
أَسَنْدُمُر وأظهر شجاعة عظيمة، فقربَه السلطان الملك الأشرف مِن ثَم ورقاه وأنعم
عليه، حتى جعله من جملة الأمراء الألوْف بالديار المصرية إلى أن مات، رحمه الله
تعالى.

وتُوفِّيَ السلطان الملك الأفضل عباس ابن الملك المُجاهد عليّ ابن الملك
المؤيّد داود ابنُ الملك المظفر يوسف بن عمر [بن عليّ] بن رَسول التُّركمانيّ
الأصل اليمنيّ صاحب اليمن وابن صاحبها - رحمه الله تعالى - في شعبان.
وتسلطن بعده ولده السلطان الملك الأشرف إسماعيل. وكان الملك الأفضل ولي
السلطنة بعد موت أبيه المُجاهد في شهر جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبعمائة.
ولمّا ولي اليمن خرج في أيامه ابن ميكائيل^(١) فوقع له معه وقائع، حتى أباده
الأفضل وزالت دولة ابن ميكائيل في أيامه. وكان الأفضل - رحمه الله - شجاعاً
مهاباً كريماً، وله إلمام بالعلوم والفضائل، ومشاركة جيّدة في عدّة علوم وتصانيف
منها: «كتاب العطايا السنية في ذكر أعيان اليمنية» و«كتاب نزهة العيون في تاريخ
طوائف القرون» و«مختصر تاريخ ابن خَلْكان» و«كتاب بُغية ذوي الهمم في
أنساب العرب والعجم» وكتاب آخر «في الألغاز الفقهية» وغير ذلك. وكان فيه برٌّ

(١) هونور الدين محمد بن ميكائيل: من أمراء الدولة الرسولية في اليمن. كان عالي الشأن في مدة انقياده
للدولة الرسولية. وثار على الملك المُجاهد في مقاطعة حرض وادعى السلطنة فحاربه المُجاهد. واستفحل
أمره بعد موت المُجاهد فجهز له الملك الأفضل جيشاً كفيفاً فتغلب عليه، ولجأ ابن ميكائيل إلى الإمام
علي بن محمد الهدوي فأعطاه حصن الفتح وما يضاف إليه، فأقام به إلى أن توفي سنة ٥٧٧٩هـ. (الأعلام:

وصدقة وله مآثرٌ حسنة، رحمه الله تعالى. بنى مدرسة عظيمة بتعز، وله أيضاً بمكة مدرسة معروفة به بالصفاء. وقيل: إن هذه التصانيف المذكورة إنما هي لقاضي تعز رضي الدين أبي بكر بن محمد بن يوسف الجرائي الصبري [الناصري]، رحمه الله. عمِل ذلك على لسان الأفضل، والله أعلم.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين جَرَكَتْمَر بن عبد الله الخاصكي الأشرفي، أحد مقدّمي الألوف، بالقاهرة مقتولاً في هذه السنة. وكان من خواص الملك الأشرف هذا ومن أجل مماليكه.

وتُوفِّي السلطان الملك المظفر فخر الدين داود ابن الملك الصالح صالح ابن الملك المنصور غازي بن ألبى بن تَمَرْتاش بن إيل غازي بن أرتق الأرتقي صاحب ماردين وأبن صاحبها بماردين في هذه السنة، بعد أن حكمها نحو عشرين سنة. وتولّى سلطنة ماردين من بعده أبنه الملك الظاهر مجد الدين عيسى الآتي ذكره في محله، إن شاء الله تعالى. وكان الملك المظفر هذا ولي ملك ماردين بعد أبن أخيه الملك الصالح محمود الذي أقام في سلطنة ماردين أربعة أشهر عوضاً عن والده الملك المنصور أحمد أبن الملك الصالح صالح. وخُلِع [الملك الصالح محمود] وتسلمن الملك المظفر هذا، فأظهر العدل، واقتضى أثر والده الملك الصالح في الإحسان إلى الرعية وإصلاح الأمور إلى أن مات، رحمه الله.

وتُوفِّي في هذه السنة جماعةً كبيرة من الأمراء الأشرفية ممن مرّ ذكرهم في أواخر ترجمة الملك الأشرف، قُتلوا بالسيف عند كسرة الأشرف من العقبة، وهم: الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبد الله الجمالي الأشرفي، أحد مقدّمي الألوف بالديار المصرية، وأجل أمراء الأشرف، بعد أن قدّم معه من العقبة. والأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الأشرفي، رأس نوبة في (١) النوب، وأحد مقدّمي الألوف أيضاً بالديار المصرية. والأمير سيف الدين يلبغا بن عبد الله السابقي الأشرفي، أحد مقدّمي الألوف أيضاً. والأمير سيف الدين بشتك بن عبد الله

(١) كذا. ولعله يريد «رأس نوبة النوب». وقد مرّ التعريف بهذه الوظيفة، فانظر فهرس المصطلحات.

الأشرفي، أحد مقدّمي الألوّف أيضاً، وهو غير بَشْتِك الناصري صاحب القَصْر والحَمَام. والأمير سيف الدين أَرْغُون بن عبد الله العِزِّي الأشرفي الأفرَم، أحد مقدّمي الألوّف أيضاً. وغيرهم من أمراء الطبلخانات والعشرات.

وهؤلاء الذين ذُكِرُوا هم أعيان الأشرفية القادمون صحبةً أستاذهم الملك الأشرف من العَقبَة إلى مصر. قُتِلُوا الجميع في ساعة واحدة، وأتوا برؤوسهم من قبة النصر إلى الأمراء الذين ثاروا بالقاهرة وهم يقولون: «صَلُّوا على مُحَمَّد» ووضعوها بين أيديهم. وقد تقدّم ذِكرُ ذلك في أواخر ترجمة الملك الأشرف شعبان، وتأتي بقيّة ما وقع في ترجمة الملك المنصور علي ابن الملك الأشرف شعبان هذا.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وأثنى عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً

وإصبعان. والله أعلم.

ذكر سلطنة الملك المنصور علي^(١) على مصر

السلطان الملك المنصور علاء الدين عليّ ابن السلطان الملك الأشرف زين الدّين شعبان ابن الأمير الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحيّ؛ وهو السلطان الثالث والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية. تسلطن في حياة والده حسب ما تقدّم ذكره [وذلك] أنّ الأمير قرطاي وطشتمر اللّفاف وأينبك البديري، لمّا ثاروا بمن معهم بالديار المصرية، وطلعوا إلى القلعة وأخذوا أمير عليّ هذا من الدور السلطانية وسلطنوه في حياة والده، أرادوا بذلك انضمام الناس عليهم - فإنهم كانوا أشاعوا موت الملك الأشرف شعبان في العقبة - حتى تمّ لهم ما أرادوه، وسلطنوا أمير عليّ هذا من غير حضور الخليفة والقضاة، فإنهم كانوا صُحبة السلطان الملك الأشرف بالعقبة. فلمّا زالت دولة الملك الأشرف، وقبض عليه، وقُتِل، ثم حضر الخليفة المتوكّل على الله أبو عبد الله محمد من العقبة، وكان القضاة بالقدس الشريف توجّهوا إليه من العقبة بعد واقعة الملك الأشرف وهروبه إلى مصر.

فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وذلك بعد قتل الملك الأشرف شعبان بثلاثة أيام، اجتمع الأمراء القائمون بهذا الأمر بالقلعة، وأستدعوا الخليفة ومَنْ كان بمصر من القضاة ونواب من هو غائب من القضاة بالقدس، وحضر الأمير آقتمر الصاحبسيّ نائب السلطنة بالديار المصرية،

(١) ترجمته وأخباره في: السلوك: ٢٨٤/١/٣؛ وإنباء الغمر: ١٩٥/١ وما بعدها؛ والجوهر الثمين: ٢٤٣/٢؛ وخطط علي مبارك: ١٠٨/١؛ والأعلام: ٢٩٣/٤.

وقعدوا الجميع بباب الأدر الشريفة من قلعة الجبل، وجددوا^(١) البيعة بالسلطنة للملك المنصور عليّ هذا بعد وفاة أبيه الملك الأشرف. وقبِلَ له البيعة آقتمر الصاحبِيّ المذكور، ولَبَّسوه السواد، خلعة السلطنة، وكانت فرجِيّة حرير بَنَفْسَجِيّ بطرز ذهب، وبدائرها تركيبة زَرُكش بحاشية حرير أزرق خطائي وشاش أسود خليفتي، وقبعاً أسود بعذبة خليفتيّاً زَرُكش^(٢). وركب بأبهة السلطنة وشعار المُلْك من باب الستارة، والأمراء مشاة بين يديه، إلى أن وصل إلى الإيوان وجلس على تخت المُلْك في يوم الخميس المذكور. وقبَلت الأمراء الأرض بين يديه، وحلفوا له على العادة، وأخلَع على الخليفة وعلى الأمراء وعلى مَنْ له عادة بلبس الخَلَع، ومُدَّ السَّماط. وكان عُمرُ السلطان الملك المنصور يوم تسلطن نحو سبع^(٣) سنين تخميناً.

ثم قام الملك المنصور من الإيوان، ودخل إلى القصر، وأخلع على الأمير طَشْتُمَر اللِّفَاف [المحمدي]^(٤) باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية، وأنعم عليه بكل مال أرغون شاه الأشرفي بعد قتله. وخلَع على الأمير قَرطاي الطازي، واستقرَّ رأس نوبة كبيراً وأطابكاً^(٥)، وأنعم عليه بكل مال صرغتمش الأشرفي بعد قتله أيضاً، ورسم لهما أيضاً أن يجلسا بالإيوان في الميمنة. وخلَع على أسندُمَر الصرغتمشي، وأستقرَّ أمير سلاح، ورسم له أن يجلس في الميسرة. وخلع على قُطلوغبا البَدْرِيّ، وأستقرَّ أمير مجلس. وخلع على طَشْتُمَر العلائي الدوادار، وأستقرَّ في نيابة دَمَشق، ورسم له أن يخرج من يومه. وخلع على إياس الصرغتمشي، وأستقرَّ

(١) كانوا أقاموه في الملك، وأبوه حيّ، يوم السبت ثالث ذي القعدة. وفي هذا اليوم الخميس ثامن ذي القعدة جددوا له البيعة.

(٢) عبارة السلوك في وصف الخلعة: «ثم أبيضت عليه الخلعة الخليفية، وهي فرجِيّة حرير بنفسجي بطرازين ذهب، ودائرها من رأس كميتها وعانقيها وذيلها تركيبة ذهب، وتحتانية حرير أزرق خطائي، واللبس عمامة عربية من حرير أسود على قبع حرير أسود، وأرخی لها عذبة حرير مزركش».

(٣) في إنباء الغمر والجواهر الثمين: «وهو ابن ثمان سنين».

(٤) زيادة عن السلوك.

(٥) الأطابك والأتابك هو أمير العسكر وقائد الجيش. راجع فهرس المصطلحات.

دويداراً^(١) كبيراً عوضاً عن طشتمر العلائي بإمرة طبلخاناه. ثم أنعم على أئنيك البدري، وأستقر أمير آخور كبيراً. و[أنعم على]^(٢) بلاط السيفي ألبغا الصغير [بتقدمة ألف]^(٣) و[كذلك على] دمراش اليوسفي وأستقر رأس نوبة ثانياً؛ وهذه الوظيفة هي الآن وظيفة رأس نوبة النوب في زماننا هذا. [وأنعم على] يلبغا النظامي وألطنبغا السلطاني [بتقدمة ألف]^(٤). وكان الجميع أجناداً ما عدا أئنيك البدري فإنه كان أمير طبلخاناه، وطشتمر اللّفاف فإنه كان أمير عشرة فانتقل للأتابكية دفعة واحدة.

وأنعم على جماعة بإمرة طبلخاناه، وهم: الأمير طغيتمر الناصري، وقطلوبغا البيسري، وبيخجا^(٥) الكاملي، وصربغا الناصري، وطولو الصرغتمشي، وأطلمش الأزرغوني، ومقبل الرومي، وألبغا السيفي ألبغا، وقطلوبغا النظامي، وأحمد بن يحر^(٥) التركماني، وقطلوخجا أخو أئنيك البدري، وتمربغا البدري، وألطنبغا المعلم، وتلكتمر بن عبد الله المنصوري، وأسنبغا الصارمي، وأطلمش الطازي، وإبراهيم بن قطلقتمر العلائي، وأرنبغا^(٦) السيفي ألبغا، وعلي بن أقتمر عبد الغني، وأسنبغا النظامي، ومأمور القلمطاوي.

وأنعم على جماعة بإمرة عشرات وهم: تكا الشمسي، ومحمد بن قرطاي الطازي، وخضر بن ألطنبغا السلطاني، ومحمد بن شعبان بن يلبغا العمري، وأسنبغا المحمودي، وطبج المحمدي، وألطنبغا شادي، وسودون العثماني شادّ السلاح خاناه، وتلكتمر المنجكي، وألبغا السيفي ألبغا، وجركس السيفي ألبغا، وطقتمش السيفي يلبغا، وطوغان العمري الظهيري، وبكلمش الإبراهيمي، ويلبغا

(١) الدويدار والدوادار والدويتدار هو حامل دواة السلطان. — انظر فهرس المصطلحات.

(٢) زيادة عن السلوك والجوهر الثمين.

(٣) زيادة عن السلوك والجوهر الثمين.

(٤) في السلوك والجوهر الثمين: «بيخجا الكاملي».

(٥) في السلوك والجوهر الثمين: «أحمد بن هر».

(٦) في السلوك: «وأربغا السيفي». وفي الجوهر الثمين: «وأربغا السيفي الجبغا».

العلائي دوادار أمير عليّ النائب، ويوسف بن شادي أخو حاج ملك، وخضر الرسوليّ، وأسندمّر الشرفيّ، ومغلطاي الشرفيّ، وخليل بن أسندمّر العلائيّ، ورمضان بن صرغتمش، وحسن أخو قُطْلُوْبُغا حاجي أمير علم، ومَنكَلِي الشمسي، وألجبيغا السيفيّ جَنُقرا^(١).

ثم رُسم بالإفراج عن جماعة من السجن بقلعة الجبل في يوم السبت عاشر شهر ذي القعدة وهم: الأمير أقتمّر عبد الغني نائب السلطنة بديار مصر ونائب الشام كان، والأمير عَلمَ المحمديّ، وأيدمّر الشمسيّ، وسودُون جَرَكْس المَنجكيّ، وطبيغا الصَّفَوِيّ أُلجاي، ومغلطاي البدريّ الجماليّ، وصَرْبُغا السيفيّ، وطَشْتَمِر الصالحيّ، وبلاط الكبير السيفيّ أُلجاي، وحَطَط اليَلْبغاويّ، وإياس الماردينيّ، وبَلُوط الصَّرغتمشيّ، ويلبغا المَنجكيّ، وقرايغا أبو جَرَكْتَمِر، وحاجي خَطاي والد غريب. ثم من الغد أمر بمسكهم ثانياً وتقيدهم وإرسالهم إلى سجن الإسكندرية، فقبض عليهم وأرسلوا في تلك الليلة ما خلا أقتمّر عبد الغنيّ وسودُون المَنجكيّ^(٢).

ثم في يوم الأحد ثامن عشر ذي القعدة قبضوا على جماعة من مُباشري الدولة، وطلعوا بهم إلى القلعة وهم: صاحب الوزير شمس الدين المقسيّ، وتاج الدين موسى ناظر الخواصّ الشريفة، وأمين الدّين [مين]^(٣)، وعلاء الدين بن السائس، وشهاب الدين بن الطُولونيّ، وأدخَلُوا قاعة الصاحب، وصودِرُوا حتى قُرّر عليهم ما يقومون به من الأموال، ثم أفرج عنهم.

ثم أحضر الأمير صلاح الدين خليل بن عَرّام من الإسكندرية وصودِرَ وقُرّر عليه ألف درهم، ثم خُلِع عليه باستقراره في نيابة الإسكندرية على عادته.

ثمّ مسكوا من الطواشية والخدام جماعةً كبيرة، وهم: مختصّ الأشرفيّ،

(١) في الجوهر الثمين: «جنقرا».

(٢) في السلوك: «سودون جركس».

(٣) زيادة عن السلوك.

وجوهر الإسكندري، وسُنبل رأس نوبة الجمدارية^(١)، وأدخلوا قاعة الصاحب [على مال ألزموا به]^(٢).

ثم أصبحوا من الغد قبضوا على جماعة آخر وهم: دينار اللالا، وشاهين دست، وسُنبل اللُفاف أحد الجمدارية، وأدخلوا أيضاً إلى قاعة الصاحب.

ثم أصبحوا من الغد ورسوموا لمثقال الجمالي الزمام بحمل ثلاثمائة ألف درهم، ثم استقرت مائة ألف درهم.

ثم في يوم الاثنين تاسع عشر ذي القعدة خُلع على الأمير أقتمر الصاحبى واستقر على نيابة السلطنة بالديار المصرية، كما كان في أيام الملك الأشرف شعبان، وفُوِّض إليه أن يُخْرِج الإقطاعات للأمراء والأجناد والنواب والآ يكون لأحد معه تحكُّم، وذلك بعد أن رَضِيَت الأمراء والخاصكية والبرانيون بذلك.

ثم أخلع على الأمير أرغون الإسعدي نيابة طرابُلُس عوضاً عن الأمير منكلي بغا الأحمدي البلدي. ثم أخلع على القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر باستمراره على وظيفته.

ثم أخلع على الصاحب تاج الدين المكي بإعادته إلى الوزارة ثانية. وهي وزارته الرابعة. وأخلع على القاضي كريم الدين بن الروهب باستقراره ناظر^(٣) الدولة. واستقر القاضي تقي الدين عبد الرحمن ابن القاضي محب الدين محمد في نظر^(٤) الجيوش المنصورة عوضاً عن والده محب الدين المذكور بحكم وفاته.

(١) رأس نوبة: هو الذي يحكم على جماعة من الممالك السلطانية. ورأس نوبة الجمدارية هو رأس الممالك الذين يقومون على لباس السلطان ثيابه. (انظر صبح الأعشى: ١٨/٤، ٦٠ - ٥٩/٥).

(٢) زيادة عن السلوك.

(٣) ناظر الدولة: هو ناظر الدواوين. ويشارك الوزير في التصرف والنظر في المالية وأرزاق أصحاب القلم (أي الموظفين غير العسكريين). ويسمى أحياناً ناظر النظار أو الصاحب الشريف؛ ومقره ديوان النظر. ويعاونه في أعماله متولي الديوان، وهوثاني رتبة الناظر. (صبح الأعشى: ٤٦٥/٥).

(٤) كان على رأس ديوان الجيش موظف مدني كبير يسمى ناظر الجيش. وكان عمل ديوان الجيش هو تسجيل أسماء الجنود وأعدادها ونفقاتها. وكان قيدهم عادة تحت أسماء أمرائهم وهم القواد، بحيث إن أي جندي لا يستطيع أن ينقل من قيد أمير إلى أمير آخر. (انظر صبح الأعشى: ٣٢٣/١١، ٣٢٥؛ وخطط المقريري: ١٤١/١).

ثم شرع الأمراء في النفقة على المماليك السلطانية، فأعطوا كل نَفْر عشرة آلاف درهم.

وفي ثاني عشر شهر ذي الحجة قرىء تقليدُ السلطان الملك المنصور علي بالإيوان من قلعة الجبل، وعلم عليه الخليفة المتوكل على الله، وشهدت عليه القضاة بتفويض السلطنة للملك المنصور. وخُلع على الخليفة وأُنعم عليه بألف دينار، وهي رَسْمُ المبايعة.

ثم بعد أيام دخل أسندمر الصرغتمشي ودمرداش اليوسفي إلى الدور السلطانية وفرقوا جوارِي الملك الأشرف شعبان على الأمراء.

ثم استقر في خامس المحرم من سنة تسع وسبعين وسبعمئة الأمير قرطاي الطازي أتابكاً بعد موت طشتمر اللُفَّاف، وأُخلع عليه بعد أيام بنظر البيمارستان المنصوري. وأُخلع على الأمير مبارك الطازي وأستقر رأس نوبة كبيراً عوضاً عن قرطاي المذكور. ثم بعد ذلك بمدة يسيرة استقر الأمير أئنبك البدري الأمير آخور الكبير في نظر البيمارستان، عوضاً عن قرطاي، برغبة قرطاي عنه. وأستقر سُودون جركس أستاذاراً.

ثم في العشرين من المحرم خلع على الأمير سودون الفخري الشيخوني وبلوط الصرغتمشي وأستقر حاجين بالديار المصرية.

ثم في صفر حضر الأمير يلبغا الناصري إلى القاهرة، وكان قد نفي إلى بلاد الشام بعد قتل السلطان الأشرف، فأُنعم عليه بإمرة طبلخاناه. وكانوا أيضاً قبل تاريخه قد عزلوا الأمير منكليي بغا الأحمدي عن نيابة طرابلس وتمرباي نائب صفد عن نيابة صفد، فجاء الخبر بأن منكليي بغا حل سيفه وأطاع، وأن تمرباي عصى وأمتنع بصفد، فخلع على الأمير أرغون الإسعدي ثانياً بنيابة طرابلس عوضاً عن منكليي بغا المذكور، وتولى نيابة حماة تمراس الطازي.

ثم في هذه الأيام بدت الوحشة بين قرطاي الطازي الأتابك وبين صهره أئنبك البدري الأمير آخور الكبير في الباطن، كل ذلك في هذه المدة اليسيرة، وصار كل

واحد يُدبّر على الآخر مع أصحابه وحواشيه. فلما كان يوم الأحد العشرون من صفر، عمِل الأمير الأتابك قَرطاي وليمةً، فأهدى له أَيْنَبِك مشروباً يقال له الشُّشُش^(١) وعمل فيه بنجاً، فلما شربه قرطاي تبنج وكان لأَيْنَبِك عند قرطاي عيون فأخبروه أنه تبنج، فركب أَيْنَبِك من وقته بالسلاح ومعه جماعة كبيرة ملبسين، وأنزل السلطان الملك المنصور علياً إلى الإسطبل السلطاني، ودُقَّت الكوسات، فجاءت الأمراء إلى السلطان، وأقام أَيْنَبِك ركباً من عصر يوم الأحد إلى صبيحة يوم الاثنين، وسببه أنه كان عند قَرطاي في بيته جماعة من الأمراء من أصحابه: منهم سُودون جَرَكْس، وأَسَدَمِر الصرغتمشي، وقُطْلُونُغا البدري، وقُطْلُونُغا جَرَكْس أمير سلاح، ومبارك الطازي رأس نوبة كبير، وجماعةٌ أُخر من أمراء الطبلخانات والعشرات؛ فركبوا الجميع ومنعوا أَيْنَبِك من الوصول^(٢) إلى قرطاي، وحمّوه إلى أن استفاق قرطاي من بنجه، وقد صَعُف أمر أصحابه وقوي أمر أَيْنَبِك. فبعث قرطاي يسأل أَيْنَبِك أن يُنعم عليه بنبابة حلب ويُرسِلَ إليه مندبيل الأمان، فأجابه أَيْنَبِك إلى ذلك. فخرج قرطاي من وقته إلى سِرْياقوس.

وقبض أَيْنَبِك على من كان عند قَرطاي من الأمراء، فإنهم كانوا قاتلوه وأبادوه^(٣) من أخذ قرطاي، وقيدهم وأرسلهم إلى الإسكندرية فسُجِنوا بها. ورُسم للأمير أقتمر الصاحبِي نائب السلطنة بمصر نبابة دِمَشق عوضاً عن طَشْتَمِر العلائي الدوادار، فلبس أقتمر الخِلعة وخرج من وقته.

ونُودي بالقاهرة ومصر في الوقت بالأمان، ومن كان له ظلامة فعليه بباب المقرّ الأشرف العزي الأتابك أَيْنَبِك البدري.

(١) الشُّشُش: ضرب من السكر مثل البشتكي والتمرغاوي. (النجوم: ٧٩٨/٦، ٧٩٩ - طبعة كاليفورنيا) - وذكر المقرئ في السلوك أن تلك الوليمة كانت بمناسبة زواج الأمير قرطاي بابنة أَيْنَبِك. قال: «وحمل الأمير أَيْنَبِك مقدمة برسم عرس الأمير قرطاي... ومن جعلها عدة جرار خر قد عمل فيه بنج». - انظر أيضاً إنباء الغمر: ٢٣٠/١.

(٢) في السلوك أن جماعة الأمراء المذكورين مع قرطاي قد كانوا جميعهم في غيبة من السكر لا يعون ولا يفيقون. ولم يذكر أنهم حوا أصحابهم قرطاي.

(٣) كذا! ولعل الصواب: «وأبعده».

وسافر قرطاي، فلما وصل إلى غزّة نُفِيَ إلى طرابُلس^(١)؛ ثم حُمل منها إلى المَرَقَب^(٢) فحُيس به. ثم خُنق بعد مدّة يسيرة.

وصفا الوقت لأينبك، فأخلع السلطان عليه خِلعة سنّية في خامس عشرين شهر صفر بأستقراره أتابك العساكر ومُدبر الممالك. وخَلَع على الأمير آقتمر عبد الغني وأستقرّ نائب السلطنة بالديار المصرية عوضاً عن الأمير آقتمر الصاحبِي المُنتقل إلى نيابة دِمَشق. وكلاهما قديم هجرة من أكابر الأمراء المشايخ.

وأستقرّ الأمير بهادر الجماليّ أستاذاراً عوضاً عن سودون جَرَكس. وأستقرّ بلاط السيفي أُلجاي أمير سلاح، عوضاً عن قطلوبغا جركس. وأستقرّ أَلْطُنْبغا السلطانيّ أمير^(٣) مجلس. وأستقرّ دِمرداش اليوسفيّ رأس نوبة كبيراً.

وأُنعم على يَلْبغا الناصريّ بإمرة مائة وتقدمة ألف، وأستقرّ رأس نوبة ثانياً. ويبلغا الناصريّ هذا هو صاحب الوقعة المشهورة مع السلطان الملك الظاهر برقوق، وإلى الآن برقوق لم يتأمّر عشرة.

ثم أُنعم على أطلمش الأزغونيّ بإمرة طبلخاناه، وأستقرّ دواداراً كبيراً عوضاً عن إياس الصرغتمشيّ. وأخلع على قُطلوخجَا وأستقرّ أمير آخور كبيراً عوضاً عن أخيه أينبك البدريّ.

وصار الأمر في المملكة لأينبك البدريّ وحده من غير منازع. وأخذ أينبك في المملكة وأعطى، وحكم بما اختاره وأراده. فمن ذلك أنه في رابع شهر ربيع الأوّل رَسَم بنفي الخليفة المتوكّل على الله تعالى إلى مدينة قُوص، فخرج المتوكّل على الله، ثم شُفِع فيه فعاد إلى بيته. ومن الغد طَلَب أينبك نجم الدين زكريا بن إبراهيم آبن الخلفية الحاكم بأمر الله وخلع عليه وأستقرّ به في الخلافة عوضاً عن

(١) المراد بها طرابلس الشام، على الساحل اللبناني.

(٢) المرقب: بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس. (معجم البلدان).

(٣) أمير مجلس: هو الذي يتحدث على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم. ومن عمله أيضاً أنه يتولى أمر

مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره. (صبح الأعشى: ١٨/٤ و ٤٥٥/٥).

المتوكل على الله من غير مبايعة ولا خلع المتوكل من الخلافة نفسه، ولُقّب زكرياء المذكور بالمعتصم بالله. ثم في العشرين من شهر ربيع الأول المذكور تكلم الأمراء مع أئبنك فيما فعله مع الخليفة، ورغبوه في إعادته، فطلبه وأخلع عليه على عادته بالخلافة، وعزل زكرياء. ومن الناس من لم يُثبت خلافة زكريا المذكور، فإنه لم يخلع المتوكل نفسه من الخلافة حتى يبايع زكريا المذكور.

ثم بدأ لأئبنك أن يُسكن جماعة من ممالিকে بمدرسة السلطان حسن وبمدرسة الملك الأشرف شعبان، ويجعل في كل مدرسة مائة مملوك. ثم أعطى أئبنك لولديه تقدمتي ألف، وهما الأمير أحمد وأبوبكر. ثم نفى أرغون العثماني إلى الشام بطالاً. وخلع على مُقبِل الدوادار الطواشي الرومي وأستقرّ زماماً بالأدر الشريفة عوضاً عن مثقال الجمالي. ثم خلع على بهادر الجمالي الأستادار وأستقرّ في نظر^(١) اليمارستان المنصوري.

وبينما أئبنك في أمره ونهيه، ورد عليه الخبرُ بعصيان نواب الشام. ففي الحال علّق أئبنك جاليش السفر في تاسع عشر شهر ربيع الأول المذكور، ورسم للعساكر بالتهيز إلى سفر الشام. وأسرع بالنفقة على العساكر وتجهّز في أسرع وقت. وخرج الجاليش من القاهرة إلى الريدانية في سادس عشرين شهر ربيع الأول المذكور، وهم خمسة من أمراء الألف أولهم: قُطلوخجا الأمير آخور الكبير أخو أئبنك الأتابك، وأحمد ولده، وبلغا الناصري، والأمير بلاط السيفي الجاي، وتمر باي الحسني. ومن الطبلخانات: بُوري الأحمدي، وأقبغا أص الشيخوني في آخرين، ومائة مملوك من المماليك السلطانية، ومائة مملوك من مماليك الأتابك أئبنك.

وفي تاسع عشرين شهر ربيع الأول المذكور من سنة تسع وسبعين وسبعمائة خرج طُلب السلطان الملك المنصور، وطُلب الأتابك أئبنك البدري، وأطلاب بقية

(١) كانت وظيفة نظر اليمارستان المنصوري من أجل الوظائف وأعلامها. ويتولى النظر فيه عادة أكابر الأمراء من العسكريين. واليمارستان المنصوري هو الذي أنشأ المنصور قلاوون بين القصرين. وكان دار ست الملك أخت الحاكم بأمر الله الفاطمي، فغيرَ معالمه وزاد فيه. (صبح الأعشى: ٤/٣٨).

العساكر من الأمراء وغيرهم إلى الرّيدانية فأقاموا بالريدانية إلى يوم السبت مستهلّ شهر ربيع الآخر. [ثم] استقلّوا بالمسير قاصدين البلاد الشامية، وساروا حتى وصلوا بلبيس، [ثم] رجعوا على أعقابهم بالعساكر إلى جهة الديار المصرية.

وخبرُ ذلك أن قطلوخجا أخوا أئبك مقدّم الجاليش بلغه أن الجماعة الذين معه مخامرون، وأنهم أرادوا أن يكبسوا عليه. فأستقصّ الخبر حتى تحقّقه، فركب من وقته وساعته وهرب في الحال، وهو في ثلاثة أنفس، عائداً إلى أخيه أئبك فأجتمع به وعرفه الخبر. ففي الحال أخذ أئبك السلطان ورجع به إلى نحو القاهرة حتى وصلها في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر، وطلّع به إلى قلعة الجبل، وأنزل الأتابك أئبك السلطان الملك المنصور إلى الإسطبل السلطاني، وجاءه بعض أمراء من أصحابه.

ثم أخذ أئبك في إصلاح أمره. وبينما هو في ذلك بلغه أن الأمير قُطْلُقْتُمُر العلاتيّ الطويل والأمير الطُنْبُغَا السلطانيّ، وكانا رجعا معه من بلبيس، ركبا بجماعتهما في نصف الليل، ومعهما عدّة من الأمراء وسائر المماليك السلطانية، وخرج الجميع إلى قبة النصر موافقة لمن كان من الأمراء بالجاليش المقدّم ذكره. فجهز أئبك الأمير قطلوخجا في مائتي مملوك لقتال هؤلاء؛ فخرج بهم قطلوخجا إلى قبة النصر، فتلقاه القوم وحملوا عليه، فأنكسر ومُسيك.

فلما بلغ أئبك ذلك، جهّز الأمراء الذين كانوا بقلعة الجبل، وأرسلهم إلى قبة النصر وهم: آقْتُمُر من عبد الغنيّ نائب السلطنة، وأيْدُمُر الشمسيّ، وبهادر الجماليّ الأستاذار، ومُبارك الطازيّ. هذا وقد ضعُف أمر أئبك المذكور وخارت قواه؛ فإنّه بلغه أن جميع العساكر أتفقت على مخالفته، حتى إنه لم يعلم من هو القائم بهذا الأمر لكثرة من خرج عليه. فلما رأى أمره في إديار، ركب فرسه ونزل من الإسطبل السلطانيّ من غير قتال، وهرب إلى ناحية كيما من مصر. فتبعه أيّدمر الخطائيّ وجماعة من العسكر فلم يقف له أحدٌ على أثر. كلُّ هذا وإلى الآن لم يجتمع من بالجاليش مع من هو بقبة النصر من الأمراء، غير أنّ الفتنة قائمة على

ساق، والغوَءَاءُ ثائرةٌ، والسعد قد زال عنه من غير تدبير ولا عَمَلٍ. وأختفى أَيْبِكُ بتلك الجهة، ثم وجدوا فرسه وقبائه ولُبَّسَه.

ولَمَّا آسَوتِ الأُمراءُ على القلعة - على ما سَنَحَكِيه، إن شاء الله تعالى، بعد أن نذَرَ قِتْلَةَ أَيْبِكِ المذكور - أَلزَمُوا والِي القَاهِرَةِ ومَصْرَ بِاحضارِهِ، فَنُوْدِي عَلَيْهِ بالقَاهِرَةِ ومَصْرَ، وَهُدِّدَ مَنْ أخفاه بِأنواعِ النَّكَالِ، فخاف كلُّ أحدٍ على نفسه من تَقْرِيهِه. فلم يَجِدْ [أَيْبِكُ] بُدْأً من طلب الأمان من الأَمِيرِ يَلْبِغُ الناصِرِيَّ الآتِي ذكره، فَأَمَنَهُ بعد مَدَّةٍ، فطَلَعَ أَيْبِكُ إِلَيْهِ. فحال وقع بَصْرُ القومِ عَلَيْهِ، قَبْضُوه، وأرسلوه مَقِيداً إلى سِجْنِ الإسْكَندَرِيَّةِ؛ وكان ذلك آخِرَ العَهْدِ به، كما سيأتي ذكره بعد آسْتِيلاءِ الأُمراءِ على القلعة. - قُلْتُ: «وكما تَدِينُ تُدَانُ. وما من ظالمٍ إِلَّا سَيَلِي بِظالمٍ».

وفي أَيْبِكِ هذا يقول الأديب شهاب الدين بن العَطَّارِ: [المنسرح]

من بعدِ عِزِّ قَدِ ذَلَّ أَيْبِكَا وأنحطَ بعد السُّمُوِّ مَنْ فَتَكَ
وراح يَبْكِي الدِّمَاءَ مَنْفِرِداً والناس لا يَعْرِفونَ أَيْنَ بَكَى

وأما الأُمراءُ فإنهم لَمَّا بَلَّغَهُم هَرُوبُ أَيْبِكِ من قلعة الجبل رَكِبُوا الجَمِيعُ من قِبَةِ النَصْرِ وطلَعُوا إلى الإسْطَبْلِ السُلْطَانِيِّ من القلعة، وصار المتحدِّثُ فِيهِمْ قُطْلُ قَتْمَرِ العِلاثِي الطويل، وضرِبَ رَنَكُه^(١) على إسْطَبْلِ^(٢) شَيْخونَ بِالرَمِيلَةِ تجاه باب السلسلة، وأقام ذلك اليوم متحدثاً فأشار عليه مَنْ عنده من أصحابه أن يُسلِطْنَ سُلْطَاناً كَبِيراً يَرْجِعُ النَّاسَ إلى أمره ونهيه، فلم يفعله وقال: «حتى يأتي إخواننا» يعني الأُمراءَ الَّذِينَ كانوا بِالجالِيشِ مع قَطْلُوغَا، وهم الَّذِينَ ذَكَرناهم فِيما تَقَدَّمَ عند خُرُوجِ الجالِيشِ ومَعَهُم من الأُمراءِ الطَبْلِخاناتِ والعِشْرَاتِ جَماعَةً، منهم: بَرْقُوقُ

(١) الرنك: الشعار الذي يتخذه الأمير وهو لفظ فارسي. - راجع فهرس المصطلحات.

(٢) دار أو إسْطَبْلِ شَيْخونَ، هي بذاتها دار قوصون. وقد كانت مخصصة لسكنى كل من صار أتابك العساكر. ولذلك كان يسكنها أَيْبِكُ. - وعِبارةُ السُّلُوكِ: «وَضَرَبَ رَنَكُهَ عَلَي بَيْتِ أَحْمَدِ بْنِ أَيْبِكِ بِالرَمِيلَةِ لِيَسْتَوِي عَلَيْهِ بِمَافِيهِ».

العثمانيّ اليلبغاويّ، وبركة الجُوبانيّ اليلبغاويّ. وكان أئنيك قد أنعم على كل واحد منهما بإمرة طبلخاناه، بعد واقعة قَرطاي، دفعة واحدة من الجندية، قبل خروج السفر بأيام قليلة. وهذا أوّل ظهور برقوق وبركة في الدُّول.

ثم حضرت الأمراء الذين كانوا بالجاليش إلى الإسطبل السلطانيّ، وهم جمعٌ كبير ممّن أنشأه أئنيك وغيرهم، وتكلّموا فيمن يكون إليه تدبير الملك، وأشتوروا في ذلك، فاختلّفوا في الكلام. وظهر للقادمين الغدر ممّن كان بالإسطبل السلطانيّ ممّن ذكرناه، فقَبَضُوا على جماعة منهم وهم: قُطْلُقْتَمَر العلائي الطويل المذكور الذي كان دَبَّر الأمر لنفسه، وألطنبغا السلطانيّ، ومبارك الطازيّ في آخرين؛ وقُيِّدوا الجميع، وأرسلوا إلى الإسكندرية صحبة جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمَر الحاجب. وآتَفَقُوا على أن يكون المتكلم في المملكة الأمير يلبغا الناصريّ، فصار هو المتحدّث في أحوال الملك، وسكّن الإسطبل السلطانيّ، وأرسل بإحضار الأمير طَشْتَمَر العلائيّ الدوادار نائب الشام.

ثم في يوم الأحد تاسع شهر ربيع الآخر، لمّا تزايد الفحص على أئنيك، حضر أئنيك بنفسه إلى عند الأمير بلاط، فطلع به بلاط إلى يلبغا الناصريّ بعد أن أخذ له منه الأمان حسب ما تقدّم ذكره.

ولم تطل أيام يلبغا الناصريّ في التحدث، وظهر منه لينٌ جنب. فآتَفَق برقوق وبركة - وهما حينذاك من أمراء الطبلخانات، لهما فيها دون الشهرين - مع جماعة أخر وركبوا في سادس عشر شهر ربيع الآخر المذكور، وركبت معهم خُشْدَاشِيَّتُهُم من الممالك اليلبغاوية، ومسكوا ديمرداش اليوسفيّ، وتمرباي الحسنيّ، وأقبغا أص الشيخونيّ، وقُطْلُوبِغا الشعبانيّ، وديمرداش التمان تمرّيّ المعلم، وأسندمر العثمانيّ، وأسنبغا تُلْكي، وقُيِّدُوا وأرسلوا إلى سجن الإسكندرية فسُجِنُوا بها.

وقد أضربنا عن أشياء كثيرة من وقائع هذه الأيام لاختلاف نُقُول الناس فيها؛ لأنّ غالب مَنْ وثب وأثار الفتنة، من واقعة الملك الأشرف شعبان إلى هذه الأيام،

كان فيما قيل في العام الماضي إمّا جندياً وإما أمير عشرة، لا يُعَرَف من أحواله إلا القليل. وأيضاً لم يكن في هذه الواقعة رجلاً عظيماً له شأن قام بأمر وتبعته الناس، بل كل واقعة من هؤلاء تكون فيها جماعة كبيرة، كلُّ منهم يقول: أنا ذاك! ولهذا اختلفت النقول. وقد ذكرنا المقصود من ذلك كلّه وما فيه كفاية. إن شاء الله تعالى.

ولنشرع الآن في سياق ما وقع في أيام الملك المنصور، إلى أن يتوفى، إلى رحمة الله تعالى، فنقول:

ثم في النهار المذكور (أعني اليوم الذي مُسِكَ فيه الأمراء) قُبِض أيضاً على الطواشي مختار الحساميٍّ مقدّم المماليك السلطانية وحُجِس بالبرج من القلعة، ثم أُفْرِج عنه بعد أيام قلائل وأُعيد إلى تقدمة المماليك على عادته.

ثم بعد مدّة يسيرة استقرّ برقوق العثماني اليلبغاويّ أمير آخور كبيراً دَفَعَة واحدة وسكّن بالإسطل^(١) السلطانيّ، وأنزل معه الأمير يلغا الناصريّ. وأستقرّ الأمير زين الدين بركة الجوباني اليلبغاويّ أمير مجلس.

ثم حضر الأمير طَشْتَمَر الدوادار نائب الشام إلى الديار المصرية بطلب من يلغا الناصريّ، لما كان متحدثاً في أمور المملكة، فخرج السلطان الملك المنصور وسائر الأمراء لتلقيه إلى الرّيْدانية خارج القاهرة. فلمّا رأى السلطان نزل عن فرسه وقبّل الأرض بين يديه وبكى، وطلع في خدمة السلطان إلى القلعة، وخُلِع عليه بأستقراره أتاكب العساكر بالديار المصرية. وحَضَرَ مع طَشْتَمَر من الشام الأمير تمرباي التمرتاشيّ، والأمير تَغْرِي بَرْمَش، وسُودون الشيخونيّ — وكان أينبك قد نقله

(١) ورد في الصفحة السابقة أن مدبّر المملكة يلغا الناصري سكن الإسطل السلطاني. والمراد بذلك دار قوصون التي كانت قد تحولت — بما ضم إليها من دور وإسطلات — إلى سكنى لكل من صار أتاكب العساكر مدبر المملكة، كما ذكرنا سابقاً. والمراد هنا بالإسطل السلطاني الذي سكن فيه برقوق العثماني بصفته أمير آخور كبير هو إسطل السلطان على وجه الحصر، أي المكان الذي كان فيه خيل السلطان وما يتعلق بذلك. والإسطل السلطاني كان قبالة دار قوصون؛ ولعله دخل ضمنها. (راجع خطط المقريري: ٧٢/٢).

إلى الشام - والأمير طَقَطَمَش. ونزل طَشْتَمَر إلى بيت شيخون بالرُّمَيْلة وسكن به ليحكّم بين الناس.

فلَمَّا كان في ثالث جُمادى الأولى أمرَ طَشْتَمَر أن يُنادى بالقاهرة ومصر «مَنْ كان له ظُلامة فعليه باب المقرّ الأشرف طَشْتَمَر العلّائي».

ثمّ في خامس جمادى الأولى المذكور أخلع السلطان على تمر باي التمرداشيّ باستقراره رأس نوبة كبيراً عوضاً عن دمرداش اليوسفيّ. وخلع على برقوق العثمانيّ بأستمراره على وظيفة الأمير آخورية، وعلى بركة الجوبانيّ بأستمراره في إمرة مجلس. وأنعم على الأمير أَطْلَمَش الأرغونيّ بتقدمة ألف، وأستقر دواداراً كبيراً. وأستقرّ يلبغا المَنجكيّ شاداً لشراب خاناه^(١). ورسم للأمير بلاط أمير سلاح أن يجلس بالإيوان. ثمّ أستقرّ دينار الطواشي الناصريّ لالا السلطان الملك المنصور عوضاً عن مُقبل الكَلْبكيّ بحكم نفيه.

وفي سلخ جمادى الآخرة عُزِل الأمير آقتمر عبد الغنيّ من نيابة السلطنة بديار مصر.

ثمّ أستقرّ الأمير تَغْرِي بَرْمَش حاجب الحجاب بالقاهرة. وأستقرّ أمير عليّ ابن قَشْتَمَر حاجباً ثانياً بإمرة مائة وتقدمة ألف ويقال له: حاجب ميسرة.

ثمّ في يوم الأحد ثاني شهر رجب توجه الأمير أَيْتَمَش البجاسيّ إلى الإسكندرية بالإفراج عن جميع مَنْ بها من الأمراء المسجونين خلا أربعة أنفس: أَيْنَبِك وأخوه قُطْلُوخْجَا وأسندمر الصرغتمشي؛ وقيل جَرَكَس الجاولي الرابع، وأنّ أَيْنَبِك كان قُتِل. فلما أحضروا الأمراء من الإسكندرية أُخْرِجوا إلى بلاد الشام.

(١) شاد الشراب خاناه: هو الذي يتحدث في أمر الشراب خاناه السلطانية، وهي تحتوي على أنواع المشروبات التي تقدم إلى السلطان، ومنها السكر اللازم لذلك، وكذلك الفواكه وغير ذلك. وهذه الوظيفة لم تكن موجودة إلا بالقاهرة. والشّد ترادف كلمة التفيش. (انظر صبح الأعشى: ٢١/٤،

ثم ولي الأمير بيّدمر الخوارزمي نيابة الشام بعد موت الأمير آقتمر الصاحب الحنبلي. وكان آقتمر أحد من نُفي من أكابر الأمراء المشايخ. وأخلى على مبارك شاه المشطوب نيابة غزة.

وفي مستهل شعبان استقرّ قُطْلُقْتَمَر العلاتي نائب ثغر الإسكندرية عوضاً عن خليل بن عرّام. ثم نُفي بيغا الطويل العلاتي أحد أمراء الطبلخانات إلى الشام بطّالاً. ثم نُقل الأمير منكليبي بغا الأحمدي البلدي من نيابة طرابلس عوضاً عن أرغون الإسعدي. ونُقل أرغون الإسعدي إلى نيابة حماة عوضه لأمر آقتمر ذلك. ونُقل الأمير آقبا الجوهري حاجب حجاب طرابلس إلى نيابة غزة عوضاً عن مبارك العلاتي. ونُقل مبارك العلاتي عوضه في حجوية طرابلس. ثم أخلى على الأمير صلاح الدين خليل بن عرّام المعزول عن نيابة إسكندرية باستقراره وزيراً بالديار المصرية عوضاً عن القاضي كريم الدين بن الرويهب. وقبض على ابن الرويهب وصُور.

وفي شوال توجّه بلاط أمير سلاح إلى [مرابط]^(١) خيله بالجيزة [ليتنزه هناك]^(٢) فأرسل إليه خلعة نيابة طرابلس، فأجاب وخرج من القاهرة، فُرِسم له بأن يتوجه إلى القدس بطّالاً^(٢)، وأستقرّ عوضه يلبغا الناصري أمير سلاح.

وأخلى على إينال اليوسفي اليلبغاوي وأستقرّ رأس نوبة ثانياً بتقدمة ألف، عوضاً عن يلبغا الناصري المذكور. وأخلى على القاضي بدر الدين محمد ابن القاضي بهاء الدين أبي البقاء السبكي الشافعي قاضي قضاة الديار المصرية عوضاً عن قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة بحكم توجّهه إلى القدس بحسب سؤاله على ذلك.

ولما صار الأمر للأتابك طشتمر العلاتي الدوادار أخذ في تنفيذ الأمور على القواعد، فعظّم ذلك على برقوق وآتفق مع بركة الجوباني خجداشه ومع جماعة

(١) زيادة عن السلوك.

(٢) سياق الخبر بهذا الشكل لا يوضح السبب في هذه العقوبة. - قارن بالسلوك: ٣٢١/١/٣.

أُخِرَ على الركوب على طَشْتَمَر. فلما كان ليلة تاسع ذى الحجة من سنة تسع وسبعين المذكورة رَكِبَ برقوق العثمانيّ وخجداشه بركة الجوبانيّ يمن وافقهما من الأمراء وغيرهم، وَأَنْزَلُوا^(١) السلطان الملك المنصور بُكْرَةَ النهار، وهو يوم عرفة، ودَقَّت الكوسات. وَقَصَدَ برقوق مَسْكَ طَشْتَمَر الأتابك، فركبت مماليك طَشْتَمَر وخرجوا إليهم، وتقاتلوا معهم قتالاً عظيماً، حتى تكاثر جمعُ بَرُوق وِبَرَكَة وَقَوِي أمرهم، فحينئذ أنكسرت مماليك طَشْتَمَر. وَأُرْسِلَ طَشْتَمَر يَطْلُب الأمان، فأرسل السلطان إليه مندبل الأمان؛ فَطَلَعَ إلى القلعة فَمَسِكَ في الحال هو والامير أطلمش الأَرغونِيّ الدوادار، وامير حاج بن مغلطاي، ودوادار الامير طَشْتَمَر المذكور، وَأُرْسِلَ الجميع إلى سجن الإسكندرية فَأَعْتَقِلُوا بها.

ثم في يوم الاثنين ثالث عشر ذى الحجة استقرَّ بَرُوق العثمانيّ أتابك العساكر بالديار المصرية عوضاً عن طَشْتَمَر العلاتي المقدم ذكره. وأستقرَّ بَرَكَة الجوبانيّ رأس نوبة كبيراً أطابكاً - وهذه الوظيفة الآن مفقودة في زماننا - وسكّن بركة في بيت قوصون تجاه باب السلسلة. وأستقرَّ الامير أَيْتَمُش البجاسي أمير آخور كبيراً بتقدمة ألف عوضاً عن برقوق. وأستقرَّ برقوق بسكنه بالإسطليل السلطانيّ. وصار هؤلاء الثلاثة هم نظام المُلْك، وإليهم العَقْد والحُل، وبَرُوق كبيرهم الذي يُرجع إليه، والمعول على الاثنين: برقوق وبركة، حتى لهجت الناس بقولهم: « برقوق وبركة، نصبا على الدنيا شبكة»^(٢).

ثم بعد يومين مُسِكَ الامير يلبغا الناصريّ أمير سلاح، وأرسل إلى سجن

(١) الواضح أن السلطان كان أداة طيعة في أيدي الأمراء المتنافسين على السلطة. فكل من أراد ضرب منافسه يستدعي السلطان ويقوده أمامه، دون أن يكون للسلطان قدرة على الاعتراض بسبب ضعفه وصغر سنّه. وهو لا يستطيع إلا أن يزكّي أي أمير متغلب.

(٢) قارن بالسلوك: ٣٢٤/١/٣، وفيه مزيد من التفاصيل الهامة حول تقاسم السلطة بين هؤلاء الثلاثة. وعلّق المقرئ على ذلك بقوله: «وفي الظاهر كان صاحب الأمر الامير برقوق، غير أن الولايات كلها من القضاء والحسبة وولاية الحرب والأعمال وسائر الوظائف لا سبيل أن يناها أحد إلا بما، يقوم به أو يلتزم بأدائه ويكتب به خطه... فدهي الناس من ذلك بدهاية دهياء أوجبت خراب مصر والشام، كما ستره فيها يمر بك على طول السنين».

الإسكندرية ومعه الأمير كُشلي أحد أمراء الطبلخانات. ثم أخرج يلبغا الناصري بعد مدة إلى نيابة طرابُلُس؛ ويَلبغا الناصري هذا هو صاحب الوقعة مع بَرقوق الآتي ذكرها في سلطنته، إن شاء الله تعالى.

ثم في العشرين من ذي الحجة خُلع على الأمير إينال اليوسفي وأستقر أمير سلاح عوضاً عن يلبغا الناصري.

ثم في مستهل شهر المحرم سنة ثمانين وسبعمائة أُنعِم على آقتمر العثماني بتقدمة ألف وأستقر دواداراً كبيراً عوضاً عن أطلمش الأَرغوني. ثم بعد أيام قبض على صراي تَمُر نائب صَفَد وسُجن بالكرك وأستقر عوضه في نيابة صَفَد آقبغا الجوهري نائب غَزَّة، وأستقر عوضه في نيابة غَزَّة مبارك شاه.

ثم في سادس صفر تَوَلَّى كريم الدين عبد الكريم بن مكائس الوزر والخاص معاً ووكالة^(١) بيت المال ونظر الدواوين. ثم أستقر بَرقوق بالأمير منكلي بغا الأحمدِي البلدي نائب طرابُلُس في نيابة حلب عوضاً عن إِشْتَمُر المارديني بحكم عزله بالقبض عليه بمدينة بلييس وسجنه بالإسكندرية. وقد قَدَمْنَا أَنْ إِشْتَمُر هذا كان ممن ولي الأعمال الجليلة من سلطنة السلطان حسن وبرقوق يوم ذاك من صغار ممالك يلبغا العمري. انتهى.

ثم أخرج بَرقوق يلبغا الناصري وولاه نيابة طرابُلُس عوضاً عن منكلي بغا الأحمدِي البلدي المنتقل إلى نيابة حلب. ثم بعد مدة يسيرة قبض على منكلي بغا المذكور وأعتقل بقلعة حلب وتَوَلَّى حلب عوضه الأمير تَمُر باي الأفضلي التمرداشي. ثم رُسم بالإفراج عن إِشْتَمُر المارديني من سجن الإسكندرية وأن يتوجه إلى القدس بطالاً.

(١) وكالة بيت المال: وظيفة عظيمة الشأن رفيعة القدر. وكان لمن يتولى هذه الوظيفة التحدث فيما يتعلق ببيعات بيت المال ومشترياته من أراض ودور وغير ذلك. وكانت هذه الوظيفة لا تسند إلا لذي الهبة من شيوخ العدول ويفوض إليه عن الخليفة بيع ما يرى بيعه من كل ما يمتلك ويجوز التصرف فيه شرعاً. كما كان يفوض إليه عتق الممالك وتزويج الإماء وتضمين ما يقتضي الضمان وابتاع ما يرى ابتاعه وإنشاء ما يرى إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج إليه في التصرف عن الخليفة. وكان مجلس من يتولى هذه الوظيفة بدار العدل، وتارة يكون أرقى رتبة من المحتسب وأحياناً أقل منه. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٣٦١).

ثم في هذه الأيام رُسم بعزل الأمير بَيْدَمُر الخُوَارَزْمِيّ عن نيابة الشام بالأمير كَمَشْبُغا الحمويّ اليَلْبَغَاويّ .

قلت: وبَيْدَمُر هذا أيضاً ممّن ولي نيابة طرابُلُس في أيام يلبغا العمريّ وغيرها من الأعمال. وحضر بيدمر إلى القاهرة وقُبِضَ عليه واعتُقِلَ بسجن الإسكندرية. ثم استقرّ الأمير قرا دمرداش الجوبانيّ اليلبغاويّ رأس نوبة ثانياً بتقدّمة ألف، وهذه الوظيفة هي الآن وظيفة رأس نوبة النوب. وأستقرّ الأمير بُزَلار العمريّ الناصريّ نائب إسكندرية عوضاً عن الأمير قطلقتمر بتقدّمة ألف. وأستقرّ منكلي بغا الطرخانيّ نائب الكرك، عوضاً عن تمرّاز الطازيّ. وأستقرّ خليل بن عَرّام المعزول عن نيابة إسكندرية وعن الوزر - وهو يومئذ من جملة أمراء الألف - أستاذار بركة الجوبانيّ، وهذا شيء لم يُسمع بمثله كون أمير مائة ومقدّم ألف يكون أستاذاراً عند بعض أعيان الأمراء، فهذا شيء عجيب.

ثمّ أستقرّ الأمير بركة الجوبانيّ ناظر الأوقاف الحُكْمِيّة^(١) جميعها وجعل نائبه في النظر جمال الدين محمود العجميّ الحنفيّ .

ثمّ استعفى الأمير تَغْرِي بَرْمَش من الإمرة والحجوبية الكبرى بديار مصر فأعفى، فأستقرّ عوضه الأمير مأمور القلمطاوي اليلبغاويّ أمير مائة ومقدّم ألف وحاجب الحجاب.

وفي هذه الأيام اتّفق جماعة على قتل الأتابك برقوق العثمانيّ، ففطن بهم، فَمَسَك منهم جماعة منهم طشباغا الخاصكي وأقْبُغا بَشْمَقْدَار ألجاي وأقْبُغا أمير آخور ألجاي

(١) لعل المراد منها الأوقاف التي تديرها الحكومة، كما يفهم من عبارة المقرئ في السلوك: ٣٣٧/٣. قال: «وفيه استقرّ الأمير بركة ناظر الأوقاف جميعها، واستتاب في التحدث عنه جمال الدين محمود العجمي المحتسب، فلم يبق وقف حكومي ولا أهلي إلا وطلب مباشره وتحدّث فيه استضعافاً لجانب قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء». - ويفهم أيضاً من عبارة المقرئ أن الذي كان ينظر في الأوقاف الأهلية هو قاضي القضاة.

وذكر القلقشندي في كلامه على نظر الأحباس (الأوقاف) أن هذه الأوقاف كان يتحدّث فيها السلطان بنفسه تارة، وتارة النائب، وفي غالب الأمر كان يتحدّث فيها الدوادار الكبير على ما استقرّ عليه الحال في آخر عصر الماليك. (صبح الأعشى: ٣٨/٤).

في آخرين تقدير أربعين نفساً؛ فنفى برقوق بعضهم وحبس البعض. ثم أمسك برقوق أطنبغا شادي وجماعة من ممالك ألجاي اليوسفي، ثم أمسك بعد ذلك بمدة سبعة عشر أميراً وقيدهم وأرسلهم إلى الإسكندرية.

ثم في حادي عشرين شهر ربيع الأول سمر برقوق آقبغا البشمقدار ومعه أحد عشر مملوكاً من الممالك السلطانية، وعشرين من ممالك طشتمر الدوادار لكلام صدر منهم في حق برقوق.

وفي أول هذه السنة (أعني سنة ثمانين) كان الحريق العظيم بديار مصر بظاهر باب زويلة: أحترق فيه الفاكهيون أو النقليون والبراذعيون^(١)، وعمل الحريق إلى سور القاهرة. فركب الأمير بركة والأمير أيتمش والأمير قرا دمرداش الأحمدي وجماعة كبيرة من الأمراء والحكام، حتى قدروا على طفيه بعد أيام. وأستمر موضع الحريق خراباً من أول هذه السنة إلى آخرها.

ثم في سادس عشرين ذى القعدة اجتمع الأمراء والقضاة عند الأتابك برقوق وقالوا: «إن العساكر قلت في الإسلام ونريد أن نحل الأوقاف المحدثة بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون»، فمنعهم الشيخ سراج الدين البلقيني من ذلك، فلم يسمعوا له، وحلوا أوقاف الناس، وجعلوها إقطاعات وفرقوها.

وفي مستهل شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وثمانين وسبعمائة طُلب إشقتمر المارديني من القدس إلى القاهرة، فحضر في أول جمادى الأولى وتولى نيابة حلب بعد عزل تمرباي الأفضلي التمرداشي. ولما حضر إشقتمر إلى القاهرة تلقاه الأتابك برقوق والأمير بركة إلى الحوض التحتاني من الريدانية^(٢) وترجلا له عن خيولهما، وأنزله برقوق عنده وخدمه أتم خدمة. ثم عزل الأمير كمشبغا الحموي اليلبغوي عن

(١) أي أسواق الفاكهيين الذين كانوا يبيعون الفاكهة، والنقليين الذين كانوا يبيعون الفستق واللوز والزبيب ونحوه، والبراذعيين الذين كانوا يصنعون البراذع ويبيعونها وهي سروج الحمير. (انظر خطط المقرزي:

٩٤/٢ - ١٠٦).

(٢) الريدانية: اسم المنطقة الصحراوية الواقعة في شمال القاهرة.

نيابة دِمَشْق، وتولّى عوضه بيدمر الحُوَارِزْمِيّ على عادته؛ وكان بيدمر معتقلاً بالإسكندرية.

ثمّ في أثناء هذه السنة كانت واقعة الأمير إينال اليوسفيّ اليلبغاويّ مع الأتابك برقوق.

وخبر هذه الواقعة أنه لمّا كان في يوم رابع عشرين شعبان ركب الأتابك برقوق من الإسطبل السلطانيّ في حواشيه ومماليكه للتسيير على عادته، وكان الأمير بركة الجوبانيّ مسافراً بالبُحيرة للصيد؛ فلما بلغ إينال اليوسفيّ أمير سلاح ركوب برقوق من الإسطبل السلطانيّ أنتهز الفرصة لركوب برقوق وغيبة بركة، وركب بمماليكه وهجم الإسطبل السلطانيّ ومَلَكه، ومسك الأمير جركس الخليليّ. وكان مع إينال المذكور جماعة من الأمراء: منهم سودون جركس المنجكيّ أمير آخور، والأمير صنصلان الجماليّ، وسودون النوروزيّ، وجُمق الناصريّ، وقُماريّ، وجماعة آخر. ولما طلع إينال إلى باب السلسلة وملكها، أرسل الأمير قُماريّ لينزل بالسلطان الملك المنصور إلى الإسطبل، فأبى السلطان من نزوله ومنعه. ثمّ كبس إينال زردخاناه برقوق وأخرج منها اللبوس وآلة الحرب، وأخذ ممالك برقوق الذين كانوا وافقوه وألبسهم السلاح وأوقفهم معه وأوعدهم بمال كبير وإمريّات. وبلغ برقوقاً الخبر فعاد مسرعاً، وجاء إلى بيت الأمير أيتمش البجاسيّ بالقرب من باب الوزير وألبس ممالكه هناك؛ وجاءه جماعة من أصحابه، فطلع بالجميع إلى تحت القلعة وواقعوا إينال اليوسفيّ. وأرسل برقوق الأمير قُرت في جماعة إلى باب السلسلة الذي من جهة باب المدرج، فأحرقه؛ ثمّ تسلق قُرت المذكور من عند باب سرّ قلعة الجبل، ونزل ففتح لأصحابه الباب المتصل إلى الإسطبل السلطانيّ، فدخلت أصحاب برقوق منه وقاتلت إينال؛ وصار برقوق بمن معه يقاتل من الرُميلة، فانكسر إينال ونزل إلى بيته جريحاً من سهم أصابه في رقبته من بعض ممالك برقوق. وطلع برقوق إلى الإسطبل وملكه وأرسل إلى إينال من أحضره؛ فلما حضر قبض عليه وحبسه بالزردخاناه، وقرّره بالليل فأقرّ أنه ما كان قصده إلاّ مسك بركة لا غير.

ثمّ إن برقوق مسك جماعة من الأمراء وغيرهم من أصحاب إينال اليوسفيّ، ما خلا سودون النوروزيّ. جُمق الناصريّ وشخصاً جندياً يسمى أزبك - وكان يدعي

أنه من أقارب برقوق. ثم حُمِلَ إينال في تلك الليلة إلى سجن الإسكندرية ومعه سُودون جركس. ثم أخذ برقوق في القبض على ممالك إينال اليوسفي، ونُودي عليهم بالقاهرة ومصر. وفي هذه الواقعة يقول الأديب شهاب الدين أحمد ابن العطار: [الرجز]

ما بال إينالِ اتى في مثل هذي الحركة
مع علمه بأنها خالصة من بركه

وله أيضاً - عفا الله عنه: [السريع]

قد ألبس الله برقوق المهابة في نهار الاثنين من نصر وتمكين
وراح إينال مع سُودون وأنكسرا وكان يوماً عسيراً يوم الاثنين

وله - عفا الله عنه: [الوافر]

بغى إينال واعتقد الأمانى تساعده فما نال المؤمل
ومد لأخذ برقوق يديه ولم يعلم بأن الخوخ أسفل

ثم في الثامن والعشرين من شعبان حضر الأمير بركة من السرحة، فركب الأتابك برقوق وتلقاه من السحر وأعلمه بما وقع من إينال اليوسفي في حقه. ثم اتفقا على طلب الأمير يلبغا الناصري من نيابة طرابُلُس، فحضر وأنعم عليه باقطاع إينال اليوسفي ووظيفته إمرة سلاح، وكانت وظيفة يلبغا قبل إينال. وتولى مكانه في نيابة طرابُلُس منكليي بغا الأحمدي البلدي. ثم استقر بلوط الصرغتمشي في نيابة الإسكندرية، بعد عزل بزلار عنها ونفيه إلى الشام بطالاً.

ثم نُقل حطط من نيابة أبلستين إلى نيابة حماة عوضاً عن أرغون الإسعدي. ثم استقر قرط في نيابة الوجه القبلي إلى أسوان.

ثم أمسك برقوق مثقال الجمالي الزمام^(١)، وسأله عن ذخائر الملك الأشرف

(١) المراد زمام القصر، وهو الذي يتولى إدارة خدم القصر والإشراف على شؤونهم. (انظر صبح الأعشى:

شعبان فأنكر، ففرض عليه العقوبة، فأقرَّ بصندوق داخل الدار السلطانية، فأرسله ومعه خادمان فأتى بالصندوق وفيه ثلاثون ألف دينار. ثم قرره فأخرج من قاعة المَجْدِي ذخيرة فيها خمسة عشر ألف دينار وبرنية فيها فصوص، منها فصٌّ عَيْنُ هِرٍّ، زنته ستة عشر درهماً.

ثم بعته إلى الأمير بركة فعصره فلم يعترف بشيء. ثم وجدوا عند دادة الملك الأشرف أوراقاً فيها دفتر بخط الملك الأشرف، فيه كلُّ شيءٍ إدخره مفصلاً؛ فوجدوا الذخائر كلها قد أخذت، ولم يتأخر إلا عند طشتمر الدوادار ذخيرة فيها خمسة عشر ألف دينار وعُلبه فصوص وعُلبه لؤلؤ، وما وجدوا في ذلك آسم مثقال المذكور، فأفرج عنه.

وفي هذه السنة وجَّه الأمير بركة دواذاره سودون باشا إلى الحجاز الشريف لإجراء الماء إلى عرفة. وكان في أوائل هذه السنة برزَّ المرسومُ الشريف بأن يُعملَ على قنطرة فم الخور التي عند موردة الجبس سلسلة تمنع المراكب من الدخول إلى الخليج وإلى بركة الرطلي^(١)، فعمل شعراء العصر في ذلك أبياتاً، منها قول بدر الدين ابن الشامية، أحد صوفية الخانقاة الركنية ببيرس: [البيسط]

يا سادةً فعلهم جميلٌ وما لهم في الوري وحاشه
سلسلتم البحر لا لذبٍ وأرسلتمو للحجاز باشه

قلت: لم تصح التورية معه في قوله «باشه» لعدم معرفته باللغة التركية، لأن آسم «باشا» بالتفخيم والألف، و«باشه» مرقة وفي آخرها هاء، وبينهما بون في اللفظ. وكثير مثل هذا يقع للشعراء من أولاد العرب، فيأخذون المعاني الصالحة

(١) بركة الرطلي: كانت هذه البركة من جملة أرض الطبالة، وعرفت ببركة الطوابين لأنه كان يعمل فيها الطوب. وفي أيام الناصر محمد بن قلاوون عرفت باسم بركة الحاجب نسبة إلى الأمير بكتمر الحاجب. وكان في شرقي هذه البركة زاوية يقيم فيها الشيخ خليل بن عبد ربه، وكان يصنع الأبطال الحديد التي تزن بها الباعة، فسمها الناس بركة الرطلي. ولما حضر الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري وجرى الماء فيه ودخل منه إلى هذه البركة صارت المراكب تعبر إليها من الخليج الناصري فتدور فيها تحت البيوت وهي مشحونة بالناس الذين يتظاهرون بأنواع اللهو والمنكرات. وهذه الأحوال حملت السلطان على إقفال قنطرة فم الخور حتى لا تتكرر تلك الحوادث المنكرة. (انظر خطط المقرئ: ١٦٢/٢).

فيجعلونها هجواً مثل لفظة «نكريش» وغيرها، لأن «نكريش» باللغة العجمية معناه: «جيد اللحية»، فاستعملوها الشعراء في باب الهجو، وكثير مثل هذا. وقد أوضحنا ذلك في مصنف بيّنا فيه «تحاريف أولاد العرب في الأسماء التركية»^(١) وغيرها. وقال الأديب عبد العال البغدادي في المعنى: [مخلع البسيط]

أطلقتُ دمعي على خليج مذ سلسلوه فصار يُقفلُ
من رام من دهرنا عجيباً فلينظر المطلق المُسلسلُ

وقال غيره: [مخلع البسيط]

قد أطلقوا البحر من فسوق مذ سلسلوا منه خيرَ جدولُ
ورق قلب الهوى عليه فحبذا نهره المسلسلُ

وفي هذه السنة كانت بالديار المصرية واقعة غريبة من كلام الحائط. وخبره أن في أوائل شهر رجب من هذه السنة ظهر كلام شخص من حائط في بيت العدل شهاب الدين [أحمد] الفيشي^(٢) الحنفي بالقرب من الجامع الأزهر، فصار كل من يأتي إلى الحائط المذكور ويسأله عن شيء يردّ عليه الجواب ويكلّمه بكلام فصيح؛ فجاءته الناس أفواجا، وتردّت إلى الحائط المذكور أكابر الدولة، وتكلّموا معه. وأقتن الناس بذلك المكان وتركوا معاشهم وأزدحموا على الدار المذكورة. وأكثر أرباب العقول الفحص عن ذلك، فلم يقفوا له على خبر؛ وتخيّر الناس في هذا الأمر العجيب، إلى أن حضر إلى البيت المذكور القاضي جمال الدين محمود القيصري العجمي محتسب القاهرة، وفحص عن أمره بكل ما يمكن القدرة إليه، حتى إنه أحرّب بعض الحائط، فلم يؤثّر ذلك شيئا، واستمرّ الكلام في كل يوم إلى ثالث شعبان، وقد كادت العامة أن تتعبد بالمكان المذكور. وأكثروا من قولهم: «يا سلام سلّم، الحيلة بتكلّم». وخاف أهل الدولة من إفساد الحال، وقد أعياهم أمر ذلك،

(١) ورد ذكره في دائرة المعارف الإسلامية بهذا الاسم.

(٢) وكان هذا من بعض من يتكسّب بتحمل الشهادة بجلوسه في حوانيت اليهود من رحبة باب العيد

بالقاهرة. (السلوك: ٣/٣٦١).

حتى ظهر أن الذي كان يتكلم هي زوجة صاحب المنزل؛ فأعلم بذلك الأتابك برقوق، فاستدعى بها مع زوجها، فحضر، فأنكرت المرأة، فضربها، فأقرت. فأمر بتسميرها وتسمير شخص آخر معها يسمى «عمر» وهو الذي كان يجمع الناس إليها، بعد أن ضرب برقوق الزوج وعمر المذكور بالمقارع وطيف بهما في مصر والقاهرة. ثم أفرج عنهم، بعد أن حُسبوا مدة. وفي ذلك يقول الشيخ شهاب الدين بن العطار:

[البسيط]

يا ناطقاً من جدارٍ وهو ليس يُرى إظهِرْ وإلا فهذا الفعل فَنَانُ
لم تسمع^(١) الناس للحيطان ألسنة وإِنَّمَا قِيلَ للحيطان آذَانُ

وقال غيره: [البسيط]

قد حار في منزل الفيثي الوري عجا بناطِقٍ مِن جِدَارٍ ظَلَّ مُبْدِيهِ
وكلهم في حديدٍ باردٍ ضَرَبُوا وصاحبُ البيتِ أدري بالذي فيه

وفي هذه السنة أمر الأمير بركة بنقل الكلاب [إلى برّ الجيزة، وكانت قد كثرت إلى الغاية في الأزقة والشوارع]^(٢) وقرّر على كل أمير شيئاً معيناً، وعلى أصحاب الدكاكين على كل صاحب دكان كلباً. فتتبع الناس الكلاب حتى أبيع كل كلب بدرهم. فأخذ بركة جميع الكلاب ونفاها إلى برّ الجيزة.

وفي يوم الأربعاء سابع صفر من سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة كان ابتداء الفتنة بين الأتابك برقوق وبين خجداشه بركة الجواني. وهو أن بركة أرسل يقول إلى برقوق في اليوم المذكور: «إن أيتّمسّ البجاسي لابس آلة الحرب هو ومماليكه بإسطبله» فأرسل برقوق إلى أيتّمسّ في الحال فلم يجد الأمر صحيحاً. ثم طلع أيتّمسّ إلى برقوق وأقام عنده. وترددت الرسل بين برقوق وبركة، والذي كان الرسول بينهما العلامة أكمل الدين [محمد الحنفي]^(٣) شيخ الشيوخ بالشيخونية

(١) رواية الأصل: «وما سمعنا لأحيطان السنة». ورواية الجوهر الثمين: «وما سمعنا وللحيطان السنة».

وما أثبتناه رواية إنباء الغمر.

(٢) زيادة عن السلوك.

— أراد بذلك إخماد الفتنة — والشيخ أمين الدين الحلواني^(١). ولا زالا بهما حتى أوقعا الصلح بينهما ، ورضي بركة على أيتمش البجاسي وخلع عليه قباء «نُخ» عند نزوله إليه بأمر برقوق صحبة الشيخين المذكورين .

ثم فسَد ما بينهما أيضاً بعد آثني عشر يوماً في ليلة الجمعة تاسع عشر صفر، وبات تلك الليلة كلُّ أمير من أمراء مصر مُلبساً بماليكه في إسطبله . وسببه أن بركة أراد أن يُمسك جماعة من الأمراء ممّن هو من أُلزام برقوق، فأصبح نهار الجمعة والأمراء لابسون السلاح . ولمّا وقع ذلك، طلب برقوق القضاة إلى القلعة ليرشُد السلطان الملك المنصور، وقال لهم: «نُرشُد السلطان فيتكلم في أمور مملكته، وأنكفَ أنا وغيري من التكلُّم . وأنا مملوك من حملة ممالك السلطان» فتكلّم القضاة بينه وبين الأمير بركة وتردّدا في الرُّسلية غير مرّة إلى أن أذعن كلُّ منهما إلى الصلح وتحالفا على ذلك وأصطلحا . وأصبحت الأمراء من الغد ركبوا إلى المبدان ولعبوا بالكرة، وخلع بركة على أيتمش ثانياً . وأستقرّ الصلح، وخلع برقوق على القضاة الأربعة، وألتزم بركة أنه لا يتحدّث في شيء من أمور المملكة البتّة .

وأستمر الأمراء على ذلك إلى يوم الاثنين سابع شهر ربيع الأول ركبّت الأمراء وسيروا بناحية قبة النصر . ورجعوا وطلع برقوق إلى الإسطبل السلطاني، حيث سكنه، وذهب بركة إلى بيته . وكان برقوق قد وُلد له ولدٌ ذكر، وعمل سِماطاً للناس . وطلع إليه الأمير صرّاي الرّجبيّ الطويل، وكان من إخوة بركة، وقال لبرقوق: «إن بركة وحاشيته قد آتفقوا على قتلك: إذا دخلت يوم الجمعة إلى الصلاة هجموا عليك وقتلوك» فبقي برقوق مُتفكراً في ذلك مُتحيّراً، لا يشكّ فيما أخبره صرّاي لصحبته مع بركة . وبينما برقوق في ذلك إذ طلع إليه الأمير قراديرداش الأحمديّ اليلبغاويّ أمير مجلس، وطُيِّج المحمديّ، وأقتمر العثمانيّ الدوادار الكبير — وهم من أعيان أصحاب بركة — وهنؤوه بالولد وأكلوا السّماط . فلما فرغوا طلب برقوق الأمير جرّكس الخليليّ ويونس الدوادار وأمرهما بمسك هؤلاء الثلاثة ومن

(١) في السلوك: «الخلوي» .

معهم، فمسيكوا في الحال. ثم أمر برقوق حواشييه بلبس السلاح فلبسوا. ونزل بزلار الناصري من وقته غارة إلى مدرسة السلطان حسن مع مماليكه، وطلع إليها وأغلق بابها، وصعد إلى سطحها ومآذنها ورَمَى بالنشاب على بركة في إسطبله الملاصق للمدرسة المذكورة، وهوبيت قوصون تجاه باب السلسلة. فلما رأى بركة ذلك أمر مماليكه وأصحابه بلبس السلاح، فلبسوا. ونادى برقوق في الحال للعامّة تنهب بيت بركة، فتجمّعوا في الحال وأحرقوا بابه. ولم يتمكن بركة من قتالهم من عظم الرمي عليه من أعلى سطوح المدرسة، فخرج من بابه الذي بالشارع الأعظم المتصل إلى صليبة ابن طولون، وخرج معه سائر أصحابه ومماليكه، وترك ماله بالبيت ودخل من باب زويلة، وأخذ والي القاهرة معه إلى باب الفتوح، ففتحه له: فإنه كان أُغلق عند قيام الفتنة مع جملة أبواب القاهرة. وسار بركة بمن معه من الأمراء والمماليك إلى قبة النصر، خارج القاهرة، فأقام بها ذلك اليوم في مخيمه؛ ثم أخرج طائفة من عساكره إلى جهة القلعة، فتوجهوا يريدون القلعة، فندب برقوق لقتالهم جماعة من أصحابه، فنزلوا إليهم وقاتلوهم قتالاً شديداً، قُتل فيه من كل طائفة جماعة. ثم رجعت كل طائفة إلى أميرها وباتوا تلك الليلة.

فلما أصبح نهارُ الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة، ندب برقوق لقتال بركة الأمير علان الشعباني وأيتمش البجاسي وقرط الكاشف في جماعة كبيرة من الأمراء والمماليك، وتوجهوا إلى قبة النصر، فبرز لهم من أصحاب بركة الأمير يلبغا الناصري أمير سلاح بجماعة كبيرة، وألتقوا وتصادموا صدمة هائلة آنكسر فيها يلبغا الناصري بمن معه وأنهزم إلى جهة قبة النصر. فلما رأى الأمير بركة انهزام عسكره ركب بنفسه وصدّمهم صدمة صادقة، وكان من الشجعان، كسرهم فيها أقبج كسرة، وتبّعهم إلى داخل التُّرب، ثم عاد إلى مخيمه. وطلع أصحاب^(١) برقوق إلى باب السلسلة في حالة غير مرضية وباتوا تلك الليلة.

(١) وانقسم العسكر فريقين: فرقة الجراكسة وهم أصحاب برقوق، وفرقة الترك وهم أصحاب بركة.

فلما أصبح نهارُ الأربعاء تاسع شهر ربيع الأول المذكور، أنزل برقوق السلطان الملك المنصور إلى عنده بالإسطنبول السلطاني، ونادى للمماليك السلطانية بالحضور، فحضرُوا. فأخرج جماعةً كبيرة من الأمراء ومعهم المماليك السلطانية وندبهم لقتال بركة. ودقت الكوسات بقلعة الجبل حربية. هذا وقد جهز بركة أيضاً جماعةً كبيرة أيضاً من أصحابه، لملتقى من ندبه برقوق لقتاله. وسار كل من الفريقين إلى الآخر حتى تواجها على بُعد، فلم يتقدم أحد من العسكرين إلى غريمه. فلما كان بعد الظهر بعث الأمير بركة أمير آخوره سيف الدين طغاي يقول لبرقوق: «ما هذا العمل! هكذا كان الاتفاق بيننا؟» فقال برقوق: «هكذا وقع. قل لأستاذك يتوجه نائباً في أي بلد شاء». فرجع أمير آخور بركة إليه^(١) بهذا القول، فلم يوافق بركة على خروجه من مصر أصلاً. فلما أيس منه أمير آخور قال له «إن كان ولا بدّ فهذا الوقت وقت القيئولة، والناس مُقيلة، فهذا وقتك» فركب بركة بأصحابه ومماليكه من وقته وساقوا فرقتين: فرقة من الطريق المعتادة، وفرقة من طريق الجبل. وكان بركة في الفرقة التي بطريق الجبل؛ وبلغ برقوقاً ذلك فأرسل الأمراء والمماليك في الوقت لملتقاه. فلما أقبل بركة هرب أكثرُ عساكر برقوق ولم يثبت إلا الأمير عَلَان^(٢) الشعباني في نحو مائة مملوك، وألتقى مع بركة. وكان يلعبنا الناصري بمن معه من أصحاب بركة توجه من الطريق المعتادة، فالتقاه أَيْتَمَش البجاسي بجماعة وكسره، وضربه بالطَّبْر، وأخذ جاليشه وطبلخاناته، ورجع مكسوراً بعد أن وقع بينهم وقعة هائلة جرح فيها من الطائفتين خلائق.

وأما بركة فإنه لما ألتقى مع عَلَان صدمه^(٣) إعلان صدمة تقنطر فيها عن فرسه، وركب غيره. فلما تقنطر أنهزم عنه أصحابه، فصار في قلة، فثبت ساعة

(١) في الأصل: «فرجع أمير آخور بركة له».

(٢) في السلوك والجوهر الثمين: «ألان الشعباني». وقال في إنباء الغمر: «والعامة يقولون: إعلان بالعين المهملة بدل الهمزة».

(٣) في الأصل: «صدم». وما أثبتناه يوافق رواية المراجع التي قابلنا عليها هذا النص، وبقيّة السياق تؤيد ذلك.

جيدة ثم انكسر وأنهزم إلى جهة قبة النصر، وأقام به إلى نصف الليل، فلم يجسر أحد من البرقوقية على التوجه إليه وأخذه.

فلما كانت نصف ليلة الخميس المذكورة رأى بركة أصحابه في قلة، وقد خلّ (١) عنه أكثر ممالিকে وحواشيه، وهرب من قبة النصر هو والأمير آقبا صيوان إلى جامع المقسي (٢) خارج القاهرة فغمز عليه في مكانه فمسك هو وآقبا المذكور من هناك وطلع بهما إلى برقوق. وتتبع برقوق أصحاب بركة وممالিকে فمسك منه جماعة كبيرة حسب ما يأتي ذكره مع من مسك مع بركة من الأمراء. وبقيت القاهرة ثلاثة أيام مغلقة والناس في وجل بسبب الفتنة، فنادى برقوق عند ذلك بالأمان والاطمئنان.

وفي واقعة بركة يقول طاهر بن حبيب: [الرجز]

يا لؤمها من حالةٍ وشؤمها من حركةٍ
وقُبْحها من فتنةٍ فيها زوالُ بركه

وعظم كسرة بركة ومسكه على الناس، لأنه كان محبباً للرعية وفيه كرم وحشمة وكان أكثر ميل الناس إليه.

ولما كان عشية ليلة الخميس المذكورة أخذ برقوق خجداشه بركة وقيده وأرسله إلى سجن الإسكندرية فحس به صحبة الأمير قردم الحسيني ومعه جماعة في القيود من أصحابه الأمراء وهم: الأمير قرادمرداش الأحمدني أمير مجلس المقبوض عليه قبل واقعة بركة، وأقتمر العثماني الدوادار، وأمير آخر.

ثم أخذ برقوق في القبض على الأمراء من أصحاب بركة، فمسك جماعة

(١) كذا بالأصل. والمراد: تخلّى.

(٢) جامع المقسي: أنشأه الحاكم بأمر الله الفاطمي على شاطئ النيل بمنطقة المقس. وعرف باسم جامع المقسي، وجامع المقس، والجامع الأنور. (انظر خطط المقرئبي: ٢/٢٨٣، وصبح الأعشى: ٣/٣٦٥) ويعرف اليوم باسم جامع أولاد عنان بشارع إبراهيم باشا بالقاهرة. (محمد رمزي).

كبيرة وهم: أَيْدَمُ الخَطَائِي، وَخَضْرُ (بضم الخاء المعجمة وفتح الصاد المعجمة وراء ساكنة)، وَقَرَاكْسُك، وأمير حاج بن مُغَلَطَاي، وسوْدُون باشا، وبلغا المنجكي، وَقَرَابَلَاط، وَقَرَابُغَا أَبُو بَكْرِي، وتمربغا السيفي تمرباي، وإلياس الماجري^(١)، وتمربغا الشمسي، ويوسف بن شادي، وَقُطْلُبُك النظامي، وأقبغا صيوان الصالحي، وكزل القرمي، وطولو تَمُر الأحمدي، وطوجي الحسيني^(٢)، وتَنْكِر العثماني، وَقُطْلُو بَغَا السيفي، وغريب الأشرفي، وكمجي، وَأَلْطُنْبَغَا الأَزْغُونِي، وبلغا الناصري رفيق منطاش الآتي ذكرهما، وأطلمش الطازي، وتمرقيا.

فأرسل منهم برقوق في ليلة الأحد ثاني عشر ربيع الأول جماعةً إلى الإسكندرية صحبة الأمير سُودُون الشيوخوني وهم: بلغا الناصري وهو أكبر الجماعة، وطُبعُ محمدِي، وبلغا المَنْجَكِي، وأطلمش الطازي، وقَرَابَلَاط، وتَمْرُقِيَا السيفي تَمْرُبُغَا، وإلياس، وَقَرَابُغَا^(٣).

ثم عَرَضَ برقوق ممالك بركة، فأخذ أكابَرَهُم في خدمته، وكذلك فَعَلَ بممالك يَلْبَغَا الناصري. ثم أمسك أرسلان الأشرفي دوادار بركة. ثم أفرج برقوق عن ستة أمراء ممن أمسكهم.

ثم أنعم برقوق على جماعة من أصحابه بتقاديم ألوف: فأنعم على ولده محمد بن برقوق بإقطاع بركة بتمامه وكماله، ثم أنعم على أربعة آخر بتقاديم ألوف وهم: جَرَكْسُ الخليلي، وبُزَلَارُ العُمَرِي الناصري، وَأَلْطُنْبَغَا المعلم، وألبغا العثماني. وأنعم على أطلمش الطازي أحد أصحاب بركة بإمرة طبلخانة بالشام.

(١) في السلوك: «الماجري».

(٢) في السلوك: «الحسني».

(٣) قال المقرئ: وبذلك انقضت دولة الأتراك بأسرها، وتبعوا بالأخذ وقتلوا وسجنوا ونفوا. ولقد كانت الجراكسة قبل ذلك تتحدث فيما بينها بأنه يكون فتنة كبيرة ثم تحمد، ويثور بعدها فتنة بينهم وبين الترك ينتصرون على الأتراك فيها بعد وقعة، وتعلو كلمتهم عليهم. وصاروا يتدارسون هذا فيما بينهم ولا يشكون في وقوعه. فلما كانت حركة الأمير أيتال جهروا بذكر ذلك وقالوه من غير احتشام وأذاعوه حتى تحدث به كبيرهم وصغيرهم. (انظر السلوك: ٣/٣٨٥).

ثم في يوم الخميس ثامن^(١) شهر ربيع الأول المذكور أنعم على جماعة بإمرة طبلخانات، وهم: آقبا الناصري، وتَنكز بُغا السيفي، وطوجي، وفارس الصرغتمشي، وكمشبغا الأشرفي الخاصكي، وقطلوبغا السيفي كوكاي، وتمربغا المَنجكي، وسودون باق السيفي تمرباي، وإياس الصرغتمشي [وأنعم] على جماعة بإمرة عشرات وهم: قوصون الأشرفي، وبيبرس التمان تَمري، وطغا الكريمي^(٢)، وبيرم العلائي، وآقبا اللاجيني.

ثم في حادي عشرين شهر ربيع الأول المذكور أخلع برقوق على جماعة من الأمراء بوظائف، فاستقر أيتمش البجاسي رأس نوبة كبير أطابكاً عوضاً عن بركة — وهذه الوظيفة بطلت من أيام الملك الناصر فرج — واستقر علان الشعباني أمير سلاح عوضاً عن يلغا الناصري، واستقر ألطنبغا الجوباني أمير مجلس عوضاً عن قرادمر داش الأحمدي، واستقر ألبغا العثماني دواداراً عوضاً عن آقتمر العثماني، واستقر ألطنبغا المعلم رأس نوبة ثاني بتقدمة ألف (أعني رأس نوبة النوب)، واستقر جركس الخليلي أمير آخور كبيراً، واستقر قرابغا أبو بكري حاجباً، واستقر بجمان المحمدي من جملة رؤوس النوب، واستقر كمشبغا الأشرفي الخاصكي شاد الشراب خاناه، [فصار أرباب الدولة كلهم جراكسة من أتباع الأمير الكبير برقوق]^(٣).

وفي ثاني عشرينه استقر الأمير صلاح الدين خليل بن عَرام نائب إسكندرية عوضاً عن بلوط الصرغتمشي، فتوجه ابن عَرام إلى الإسكندرية. ثم عاد إلى القاهرة بعد مدة يسيرة وشكا من الأمير بركة، فأوصاه برقوق به في الظاهر، وسيّره إلى الإسكندرية ثانياً.

ثم أمسك برقوق الأمير بيدمُر الخوارزمي نائب الشام، وأمسك معه جماعة من

(١) في السلوك: «سابع عشر ربيع الأول».

(٢) في السلوك: «طنا الكريمي».

(٣) زيادة عن السلوك.

أصحابه من الأمراء. وكان بيدمر من حزب بركة، وخرج عن طاعة برقوق، فوَلَّى برقوق عوضه الأمير إِشْقَتْمَر الماردينيّ نائب حلب.

وتوَلَّى نيابة حلب بعد إِشْقَتْمَر منكلي بغا الأحمديّ البلديّ نائب طرابُلُس. ثم في آخر جُمادى الأولى أفرج برقوق عن جماعة الأمراء المسجونين بشعر الإسكندرية ما خلا أربعة أنفس، وهم: بركة وبلبغا الناصريّ وقرادمرdash الأحمديّ ويُدْمَر الخوارزميّ نائب الشام. وحضرت البقية إلى القاهرة، فأُخْرِج بعضهم إلى الشام ونُفِيَ بعضهم إلى قُوص.

ثم في شعبان باست الأمراء الأرضَ للسلطان الملك المنصور عليّ وسأله الإفراج عن المسجونين بالإسكندرية، وذلك بتدبير برقوق، فرسَم السلطان بالإفراج عنهم وهم: بيُدْمَر الخوارزميّ، ويَلْبغا الناصريّ، وقرادمرdash الأحمديّ. ولم يبق بسجن الإسكندرية مَمَّن مُسِكَ من الأعيان في واقعة بركة غير المذكور، ومات في شهر رجب على ما يأتي ذكره، بعد أن نُحكي قدوم أنص والد الأتابك برقوق من بلاد الجُرْكس - ولَمَّا حضر الأمراء إلى مصر أُخْرِج يلبغا الناصريّ إلى دِمَشق على إمرة مائة وتقدمة ألف بها وقرادمرdash إلى حلب على تقدمه ألف أيضاً بها، وتوجّه بيُدْمَر الخوارزميّ إلى ثغر دِمياط بطّالاً.

ثم رَسَم برقوق بالإفراج عن الأمير إينال اليوسفيّ، صاحب الواقعة مع برقوق المقدم ذكرها، من سجن الإسكندرية وأستقرّ في نيابة طرابُلُس. ثم أستقرّ كَمَشْبغا الحمويّ اليلبغاوي في نيابة صغد عوضاً عن تَمْرَباي الأفضليّ التمرdashي مدّة سيرةً ونُقِل إلى نيابة طرابُلُس بحكم أنتقال إينال اليوسفيّ إلى نيابة حلب بعد وفاة منكلي بغا الأحمديّ البلديّ.

ثم في ذي الحِجّة من السنة وصل الخبرُ بوصول الأمير أنص الجركسيّ والد الأمير الكبير برقوق العثمانيّ صحبة تاجر برقوق الخواجا عثمان بن مُسافر، فخرج برقوق بجميع الأمراء إلى لقائه في يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين

وسبعمائة المذكورة، فسافر برقوق إلى العكرشة^(١). قال قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي: وهو المكان الذي ألتقى به يوسف الصديق أباه يعقوب عليهما السلام على ما قيل.

وكان قد هيا له ولده الأتابك برقوق الإقامة والخيم والأسمطة. وألتقى برقوق مع والده، فحال وقع بصر أنص على ولده برقوق، مد له يده، فأخذها برقوق وقبلها ووضعها على رأسه. ثم سلم عليه أكابر أمراء مصر على مراتبهم، وأقعد أنص والد برقوق في صدر المخيم، وقعد الأمير أقتمر عبد الغني النائب من جانب، والأمير أيذر الشمسي من جانب آخر، وجلس برقوق تحت أيذر وهو يوم ذاك مرشح للسلطنة، فأنظر إلى تلك الآداب والقواعد السالفة. ولما استقر بهم الجلوس أخذ أنص يخاطب برقوقاً ولده باسمه من غير تحشم، كما يخاطب الوالد ولده على قاعدة الجراكسة - والقاعدة عندهم أن الولد والخديم عندهم سواء وكان الملتقى بالعكرشة والنزول بالمخيم بالخانقاه، فإنهم لما تلاقوا ساروا على ظهر إلى خانقاه سرياقوس؛ وحضر مع الأمير أنص جماعة كبيرة من أقاربه وأولاده إخوة الأتابك برقوق: خوند الكبرى والصغرى أم بيبرس الأتابك وغيرها.

ثم مدت الأسمطة من المآكل والمشارب والحلاوات وغيرها. ودام برقوق والأمراء بخانقاه سرياقوس إلى ظهر اليوم المذكور، ثم ركبوا الجميع وعادوا إلى جهة الديار المصرية، والموكب لأنص والد برقوق، وأكابر الأمراء عن يمينه وشماله، وتحت فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش بذهب هائل قد تناهوا في عملهما. وسار الجميع حتى دخلوا إلى القاهرة، وأجتازوا بها، وقد أوقدت لهم الشموع والقناديل، فتخبر والد برقوق مما رأى - وكان جركسياً جنسه «كسا» لا يعرف باللغة التركية شيئاً، لأن «الكسا» بالبعد عن بلاد التتار. وطلع برقوق مع ابنه إلى القلعة، وصار هو المشار إليه على ما سنذكره.

وأما أمر بركة فإنه لما كان شهر رجب من هذه السنة ورد الخبر من الأمير

(١) العكرشة: اسم يطلق على بركة واقعة في الطريق الصحراوي بين القاهرة وبلبيس. وهذه البركة لا تزال باقية إلى اليوم بأراضي بلدة أبو زعبل. (محمد رمزي).

صلاح الدين خليل بن عَرَام نائب الإسكندرية بموت الأمير زَيْن الدين بَرَكَة الجوبانيّ اليلْبُغَاوِيّ المقدم ذكره بسجن الإسكندرية؛ فلَمَّا بلغ الأتابك برقوقاً ذلك عَظَم عليه في الظاهر - والله سبحانه وتعالى متولي السرائر - وبعث بالأمير يُونُس النُّورُوزِيّ الدَّوَادار بالإسكندرية لكشف خبر الأمير بركة وكيف كانت وفاته، فتوجّه يونس إلى الإسكندرية، ثم عاد إلى مصر ومعه أبْن عَرَام المذكور نائِب الإسكندرية، وأخبر برقوقاً بأن الأمر صحيح، وأنه كَشَف عن موته وأخرجه من قبره فوجد به ضَرَبَات: إحداها في رأسه، وأنه مدفون بثيابه من غير كَفَن، وأنَّ يُونُس أخرجه وغَسَّله وكَفَّنَه ودَفَنَه وصلَّى عليه خارج باب رَشِيد^(١) وبنى عليه تَرْبَةً، وأن الأمير صلاح الدين خليل بن عَرَام هو الذي قتله. فحبس برقوق أبْن عَرَام بِخزانة^(٢) شمائل. ثم عصره وسأله عن فصوص خلأها بركة عنده، فأنكرها وأنكر أنه ما رآها.

فلَمَّا كان يوم الخميس خامس عشرين شهر رجب المذكور، طلَع الأمراء للخدمة على العادة، وطُلب أبْن عَرَام من خزانة شمائل، فطلعوا به إلى القلعة على جِمار، فرَسَم برقوق بتسميره. فخرج الأمير مأمور القلمطاوي حاجب الحجاب، وجلس بباب القلعة، هو وأمير جاندار، وطُلب أبْن عَرَام بعد خدمة الإيوان، فَعَرِي وضُرب بالمقارع ستة وثمانين شِيباً^(٣)، ثم سُمِر على جَمَل بلُغْبَة تسمير عَطَب^(٤). وأنزِل من القلعة إلى سُوق الخيل بالرُمَيْلة بعد نزول الأمراء، وأوقفوه تجاه الإسطبل السلطانيّ ساعة؛ فنزل إليه جماعة من مماليك بَرَكَة وضربوه بالسيوف والدبابيس حتى هَبَرُوه وقَطَعُوه قطعاً عديدةً، ثم إنَّ بعضهم قطع أذنه وجعل يعضُّها صفة الأكل، وأخذ آخرُ رجله، وآخرُ قطع رأسه وعلَّقها بباب زويلة، وبقيت قطعُ منه

(١) باب رشيد: من أبواب مدينة الإسكندرية في سورها الشرقي. وسمي بذلك لأنه كان على رأس الطريق التي توصل من الإسكندرية إلى رشيد.

(٢) خزانة شمائل: كانت من سجون القاهرة، وتنسب إلى علم الدين بن شمائل والي القاهرة زمن الكامل بن العادل أبي بكر الأيوبي. وكانت مخصصة لدوي الجرائم الكبرى. (انظر خطط المقرئزي: ١٨٨/٢).

(٣) الشيب: السوط أو الكرباج الرخو.

(٤) المراد بذلك عقوبة التسمير التي تؤدي إلى العطب أو الموت. أما التسمير الذي لا يراد منه القتل فكانوا يسمونه في ذلك العصر: «تسمير سلامة». (انظر الجواهر الثمين: ٢٥٢/٢).

مَرْمِيَّة بسوق الخيل . وذكر أن بعض ممالك بركة أخذ من لحمه قطعة شواها . والله أعلم بصحة ذلك .

ثم جُمِعَ أبْنُ عَرَامٍ بعد ذلك ودُفِنَ بمدرسته^(١) خارج القاهرة عند جامع أمير حسين بن جندَرٍ بحِجْرٍ جوهر النوبي . وقد صار أمر أبْنِ عَرَامٍ المذكور في أفواه العامة مثلاً يقولون : «خمول أبْنِ عَرَامٍ» . وكان ابن عرام المذكور أميراً جليلاً فاضلاً، تنقل في الولايات والوظائف؛ وكان له يدٌ طويلة في التاريخ والأدب، وله مصنفات مفيدة، وتاريخ^(٢) كبير فيه فوائد ومُلَح . وفي هذا المعنى يقول الأديب شهاب الدين أحمد أبْنِ العطار : [البيسط]

أبَابْنِ عَرَامٍ قد سُمِّرَتْ مُشْتَهراً وصار ذلك مكتوباً ومحسوباً
ما زلتَ تَجْهَدُ في التاريخ تَكْتُبُهُ حتى رأيتُكَ في التاريخ مكتوباً
وفيه يقول أيضاً [الوافر]

بَدَتْ أَجْزَا ابْنِ عَرَامٍ خَلِيلٍ مَقْطَعَةٌ من الضربِ الثَقِيلِ
وأبَدَتْ أَبْحَرُ الشَّعْرِ المَرَاثِي مَحْرَرَةٌ بتقطيعِ الخَلِيلِ

حدَّثني الزيني فيروز الطواشي الرومي العرامي - وكان ثقة صاحب فضل ومعرفة ودين - أن أستاذه صلاح الدين خليل بن عَرَامٍ المذكور كان مليح الشكل، فصيح العبارة بلغات عديدة، مع فضيلة تامة، ومعرفة بالأمور، وسياسة حسنة. وتولَّى نيابة نجر الإسكندرية غير مرة سنين طويلة، وتولَّى الوَزَرَ بالديار المصرية، وتنقل في عدَّة وظائفٍ أخرى. قال: وكان من رجال الدهر، وكان محبباً في الفقهاء والفقراء وأرباب الصلاح. إنتهى .

وقال غيره: كان بشَّره الشيخ يحيى الصنافيري والشيخ المعتقد نهار^(٣) أنه

(١) عن مدرسة ابن عرام انظر خطط المقرئ: ٣٩٤/٢، وخطط علي مبارك: ٢١٩/٣ - وذكر علي مبارك أن هذه المدرسة قد زالت وآل أمرها أن صارت زريبة للمواشي . غير أن الأستاذ محمد رمزي يؤكد وجود هذه المدرسة إلى اليوم، وهي تعرف باسم جامع المرصفي عند قنطرة الأمير حسين بالقاهرة .

(٢) قال ابن حجر في إنباء الغمر: ٢٦/٢ «رأيت له تاريخاً جمع فيه فأوعى في التراجم والحوادث، وهو في عشرة مجلدات» .

(٣) هو الشيخ نهار المغربي الإسكندري الصوفي . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٥٧٨٠ هـ .

يموت مقتولاً بالسيف مُسَمَّراً. وفي معنى ما قاله الشيخ نهار المذكور، يقول الشيخ الشهاب ابن العطار المقدم ذكره: [السريع]

وَعَدُّ ابْنِ عَرَامٍ قَدِيمٌ بِمَا قَدْ نَالَ مِنْ شَيْخِ رَفِيعِ الْمَنَارِ
يَا لَيْلَةً بِالسَّجْنِ أَبَدْتُ لَهُ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ نَهَارًا جَهَارًا

وقال العيني - رحمه الله -: وذكر القاضي تاج الدين بن المليجي شاهد الخاص الشريف أنه طلع إلى القلعة وهم يُسَمِّرون ابن عَرَامَ، ففعد إلى أن تخفت الناس؛ فلما فرغوا من تسميره، جازوا به عليه، فسمعه وهو يقول في تلك الحالة ويُشيد أبيات أبي بكر الشبلي، وهي قوله: [الخفيف]

(١) لَكَ قَلْبِي تُعَلُّهُ فِدْمِي لِمَ تُجِلُّهُ
قَالَ إِنْ كُنْتُ قَاهِرًا فَلِي الْأَمْرُ كُلُّهُ

انتهى. وقد خرجنا عن المقصود وأطلنا الكلام في قصة بركة وابن عَرَامَ على سبيل الاستطراد، ولنرجع لما كنا فيه.

وأما برقوق فإنه استمر على حاله كما كان قبل مسك بركة وقتله، وإليه حل المملكة وعقدها، ولم يجسر على السلطنة. وبينما هو في ذلك مرض السلطان الملك المنصور علي ولزم الفراش، حتى مات بين الظهر والعصر من يوم الأحد ثالث عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة، ودفن من ليلته بعد عشاء الآخرة في تربة جدته لأبيه خوند بركة بالقبة التي بمدرستها بالتبانة. وكان الذي تولّى تجهيزه وتغسيله ودفنه الأمير قُطْلُوْبُغَا الكوكائي. وكانت مدة سلطنته على ديار مصر خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً. ومات وعمره اثنتا عشرة سنة. ولم يكن في سلطنته سوى مجرد الاسم فقط. وإنما كان أمر المملكة في أيام سلطنته إلى قَرَطَاي أولاً ثم إلى برقوق آخرًا، وهو كالألة معهم لصغر سنه ولغلبتهم على الملك. وتسلطن من

(١) نسبهما النويري في نهاية الأرب: ١٣٦/٧ لأبي فراس الحمداني. ونصها فيه:

لَكَ جِسْمِي تُعَلُّهُ فِدْمِي لِمَ تَطْلُهُ
قَالَ إِنْ كُنْتُ مَالِكًا فَلِي الْأَمْرُ كُلُّهُ

بعده أخوه أمير حاج آبن الملك الأشرف شعبان بن حسين، ولم يقدر برقوق - مع ما كان عليه من العظمة - أن يتسلطن. وكان الملك المنصور عليّ مَلِيحَ الشكل حَسَنَ الوجه، حَشِيمًا، كثير الأدب، واسع النفس، كريمًا. رحمه الله تعالى.

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور علي آبن الملك الأشرف

شعبان علي مصر

وهي سنة تسع وسبعين وسبعمائة. على أنه تسلطن في الثامن من ذي القعدة من السنة الخالية.

فيها (أعني سنة تسع وسبعين وسبعمائة) كانت واقعة قَرطاي الطازي مع صهره أَيْبَكَ البدري، وقُتِلَ قَرطاي. ثم بعد مدّة قُتِلَ أَيْبَكُ أيضاً.

وفيها كان ظهور برقوق وبركة، وأبتداء أمرهما، حسب ما ذكرنا ذلك كله في أصل ترجمة الملك المنصور هذا.

وفيها تُوفِّيَ الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرُّعَيْنِيّ الغِرْنَاطِيّ المالكيّ بحلب عن سبعين سنة. وكان إليه المنتهى في علم النحو والبديع والتصريف والعروض، وله مشاركة في فنون كثيرة، ومصنفات جيدة؛ وكان له نظم ونثر. ومن شعره ما كتبه على ألفية الشيخ يحيى^(١): [مخلّع البسيط]

يا طالب النحو ذا اجتهادٍ تسمو به في الوري وتحيا
إن شئت نيل المرادٍ فاقصد أَرْجوزةً للإمام يحيى

وتُوفِّيَ الشيخ الإمام بدر الدين حسن بن زيد الدين عمر بن الحسين بن عمر بن حبيب الحلبيّ الشافعيّ بحلب عن سبعين سنة. وكان باشر كتابة الحكم

(١) هو يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي صاحب الألفية الشهيرة في النحو المسماة «الدرّة الألفية في علم العربية». توفي سنة ٥٦٢٨هـ. (الأعلام: ١٥٥/٨).

وكتابة الإنشاء وغير ذلك من الوظائف الدينية. وكان إمام عصره في صناعتي الإنشاء والشروط، وله تصانيف مفيدة منها: «تاريخ»^(١) دولة الترك» أنهاه إلى سنة سبع وسبعين وسبعمائة، ودُيِّلَ عَلَيْهِ وَلَدَهُ أَبُو الْعَزَّ طَاهِر وَقَالَ: [البسيط]

مَا زِلْتَ تُوَلِّعُ بِالتَّارِيخِ تَكْتُبُهُ حَتَّى رَأَيْتَكَ فِي التَّارِيخِ مَكْتُوبًا

قلت: وأكثر الناس من نظم هذا المعنى الركيك البارد في حق عدة كثيرة من المؤرخين، وتراحموا على هذا المعنى المطروق. انتهى.

قلت: وكان له نظم كثير ونثر؛ وتاريخه مرجز، وهو قليل الفائدة والضبط، ولذلك لم أنقل عنه إلا نادراً: فإنه كان إذا لم تُعجبه القافية سكت عن المراد. وليس هذا مذهبي في التاريخ.

ومن شعر الشيخ بدر الدين حسن هذا - رحمه الله تعالى -: [السريع]

الورد والنرجس مُذْعَابِنَا نَيْلُوفِرًا يَلْزُمُ أَنْهَارَهُ
شَمْرُذًا لِلخَوْضِ عَنْ سَاقِهِ وَفَكَ ذَا لَلْعُومِ أَرْزَارَهُ

وله في مליح يدعى موسى: [الرجز]

لَمَا بَدَأَ كَالْبَدْرِ قَالَ عَادِلِي مِنْ ذَا الَّذِي قَدْفَاقَ عَنْ شَمْسِ الضُّحَى
فَقُلْتُ مُوسَى وَأَسْتَفِيقُ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ شَيْءٍ عِنْدَهُ حَلْقُ اللَّحَى

وله عفا الله تعالى عنه: [الرجز]

يَا أَيُّهَا السَّاهُونَ عَنْ أُخْرَاكُمْ إِنَّ الْهَدَايَا فِيكُمْ لَا تُعْرَفُ
الْمَالُ بِالْمِيزَانِ يُصْرَفُ عِنْدَكُمْ وَالْعَمْرُ بَيْنَكُمْ جَزَافًا يُصْرَفُ

وله قصيدة على روي قصيدة كمال الدين علي بن النبيه، قد أثبتناها في

ترجمته في المنهل الصافي، أولها: [البسيط]

(١) هو التاريخ المسمى «درة الأسلاك في دولة الأتراك». وله أيضاً «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه» جمع فيه أخبار السلطان قلاوون وأبناؤه. (الأعلام: ٢٠٨/٢).

جوانجِي لِلِقَاءِ الْأَحْبَابِ قَدْ جَنَحَتْ وَعَادِيَاتُ غِرَامِي نَحْوَهُمْ جَنَحَتْ
وَتُوْفِي الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَطْلَقَتْمُرَ بن عبد الله العلانيّ صاحب الواقعة مع
الأمير أَيْنَبِكَ البدرِيّ وغيره؛ وهو ممن قام على الملك الأشرف شعبان، وأخذ مقدمة
ألف بالديار المصرية دفعةً فلم يتهنأ بها، وعاجلته المنية ومات، ولحقه من بقي من
أصحابه بالسيف.

وَتُوْفِي الْأَمِيرِ طَشْتَمُرَ اللَّفَّافِ المَحْمَدِيّ مَقْتُولًا فِي ثَالِثِ المَحْرَمِ. وهو أيضاً
ممن قام على الملك الأشرف وصار أميراً كبيراً أتاك العساكر دفعة واحدة من
الجنديّة. وقد تقدّم ذكر هؤلاء الجميع في أواخر ترجمة الملك الأشرف شعبان وفي
أوائل ترجمة ولده الملك المنصور عليّ هذا.

وَتُوْفِي الْأَمِيرِ الكَبِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَقْتَمُرَ الصَّاحِبِيّ المَعْرُوفِ بالحنبليّ نائب
السلطنة بديار مصر، ثم بدمشق بها في ليلة الحادي عشر من شهر رجب. وكان من
أجلّ الأمراء وأعظمهم. باشر نيابة دمشق مرتين وتولّى قبلها عدّة ولايات. ثم بعد
النيابة الأولى لدمشق ولي نيابة السلطنة بالقاهرة، وساس الناس أحسن سياسة،
وشكّرت سيرته. وكان وقوراً في الدول، مهاباً، وفيه عقلٌ وحشمة وديانة. وكان
سُمِّي بالحنبليّ لكثرة مبالغته في الطهارة والوضوء.

وَتُوْفِي الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ يَلْبَغَا بن عبد الله النظاميّ الناصريّ. وكان أولاً من
خاصية الملك الناصر حسن ثم ترقى إلى أن صار أميراً مائة ومقدّم ألف بمصر. ثم
ولي نيابة حلب، وبها مات فيما أظنّ؛ وكان شجاعاً مقداماً.

وتوفي الأمير سيف الدين قرطاي أتاك العساكر مخنوقاً بطرابلس - وقد تقدّم
واقعته مع صهره أَيْنَبِكَ البدرِيّ. وهو أحد رؤوس الفتن وممن ولي أتاكية العساكر
من إمرة عشرة، وكان قتله في شهر رمضان. وجميع هؤلاء من أصاغر الأمراء،
لم تسبق لهم رياسة يُعْرَفَ حالهم، وإنما وثب كل واحد منهم على ما أراد فأخذه،
فلم تطل مدّتهم، وقتل بعضهم بعضاً إلى أن تفانوا.

وَتُوْفِي القَاضِي صَلاحِ الدِّينِ صَالحِ بن أحمد بن عُمر بن السَّفَّاحِ الحلبِيّ

الشافعي، وهو عائد من الحج، بمدينة بَصْرَى. وكنيته أبو النُّسْك، ومولده في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة بحلب، وبها نشأ، وولي بها وكالة بيت المال ونظر الأوقاف وِعْدَة وظائف أخر وهو والد شهاب الدين أحمد كاتب سر حلب ثم مصر. وكان كاتباً حَسَن التصرف، ذكره [زَيْن الدين] أبو العِزَّ طاهر بن [الحسن بن عمر بن] حبيب في تاريخه^(١) وأورد له نظماً، من ذلك: [دوبيت]

لا نلتُ مِنَ الوِصَالِ مَا أَمَلْتُ إِنْ كَانَ مَتَى مَا حُلَّتْ عَنِّي حُلْتُ
أَحِبَّتْكُمْ طِفْلاً وَهَا قَدْ سَبْتُ أَبْغِي بَدَلاً ضَاقَ عَلَيَّ السَّوْقُ

وتُوفِّي الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين قوصون في ثاني عشر ذي الحجة. وكان من جملة أمراء الطبلخانات بمصر، وله وجاهة في الدول.

وتُوفِّي الأمير علاء الدين أَلْطُنْبَغَا بن عبد الله السلاح دار المعروف بأبي درقة^(٢). وكان أيضاً من جملة أمراء مصر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وأربعة وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وأثنتا عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان على مصر

وهي سنة ثمانين وسبعمائة

فيها كانت وقعة الأمير تَمْر بَاي الأفضلي التمردأسي نائب حلب مع التركمان.

وتُوفِّي العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي الحسن بن علي بن جابر الأندلسي المالكي الهواربي بحلب عن

(١) هو ذيل على تاريخ أبيه المذكور سابقاً. راجع ص ١٥٤، حاشية (١) من هذا الجزء.

(٢) في السلوك: «أبو قورة».

سبعين سنة. وكان عالماً بارعاً في فنون كثيرة، وله نظمٌ ونثرٌ، وله مصنفات كثيرة. ومن شعره: [الخفيف]

وقفت للوداع زينبُ لَمَّا رَحَلَ الرَّكْبُ والمدامعُ تُسَكَّبُ
فالتقتُ بالبَّسَانِ دَمْعِي وحُلُوُّ سَكَبُ دَمْعِي على أصابعِ زَيْنَبُ

وتُوفِّيَ الشيخ الإمام العلامة ضياء الدين أبو محمد عبد الله أبن الشيخ سعد الدين سعد العفيفي القزويني الشافعي الشهير بأبن قاضي القرم بالقاهرة في ثالث عشر ذي الحجة عن نيف وستين سنة. وكان من العلماء، عارفاً بعدة علوم. كان يدرّس في المذهبين: الحنفيّة والشافعية. وكتب إليه زَيْنُ الدين طاهر بن حبيب يقول: [الخفيف]

قل لربِّ النَّدى ومن طلبَ العِلْمَ مُجِدّاً إلى سبيلِ السَّوَاءِ
إن أردتَ الخِلاصَ من ظُلْمَةِ الجَهْلِ فما تهتدي بغير الضياءِ

فأجابه ضياء الدين: [الخفيف]

قل لمن يطلب الهدايةً مِنِّي خَلَّتْ لَمَعِ السَّرَابِ بركةَ ماءِ
ليس عِنْدِي مِنَ الضياءِ شُعاعٌ كيف تبغي الهدى من آسمِ الضياءِ

وتُوفِّيَ الشيخ الصالح الزاهد العابد الورع المعتقد شهاب الدين أبو العباس أحمد المعروف ببادار بالقدس عن نيف وسبعين سنة، بعد أن كفَّ بصره. وكان يعرف علم التصوف وعلم الحرف جيداً، وللناس فيه اعتقادٌ كبير. رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته.

وتُوفِّيَ الشيخ الصالح المعتقد أبو النُّسك صالح بن نجم بن صالح المصري، المقيم بزاورته بمُنية الشَّيرج من ضواحي القاهرة، وبها مات، ودُفِنَ في يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان عن نيف وستين سنة. وكان على قَدَمِ هائل من العبادة والزُّهد والوَرَع. وفيه يقول أبو العزّ طاهر بن حبيب: [الطويل]

أذا رُمَتْ وَجَهَ الْخَيْرِ فَالشَّيْخُ صَالِحٌ عَلَيْكَ بِهِ فَالْقَصْدُ إِذْ ذَاكَ نَاجِحٌ
وَحَيَّ هَلْأَ وَأَنْشُدْهُ فِي الْحَيِّ مُنْشِدًا أَلَا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحٌ

وتُوفِّيَ الشَّيْخُ الْمُعْتَقَدُ الصَّالِحُ الْمَجْذُوبُ صَاحِبُ الْكِرَامَاتِ الْخَارِقَةِ وَالْأَحْوَالِ الْعَجِيبَةِ نَهَارَ الْمَغْرِبِيِّ الْإِسْكَانْدَرِيِّ بِهَا فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ سَادِسَ عَشْرِينَ جَمَادَى الْأُولَى - وَقِيلَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ - وَدُفِنَ بِتَرْبَةِ الدِّيمَاسِ دَاخِلَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ. وَمِنْ كِرَامَاتِهِ مَا اتَّفَقَ لَهُ مَعَ الْأَمِيرِ صَلاَحِ الدِّينِ خَلِيلِ بْنِ عَرَّامِ نَائِبِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ - وَكَانَ ابْنُ عَرَّامٍ يَخْدُمُهُ كَثِيرًا - فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ نَهَارًا: «يَا بَنَ عَرَّامِ! مَا تَمُوتُ إِلَّا مُوسَطًا أَوْ مُسَمَّرًا» وَ[ذَلِكَ] قَبْلَ قَتْلِ ابْنِ عَرَّامِ بِسَنِينَ، [قَالَهَا لَهُ] مَرَارًا عَدِيدَةً وَأَبْنُ عَرَّامٍ يَقُولُ لَهُ: «فِي الْغَزَاةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» فَكَانَ كَمَا قَالَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ.

وتُوفِّيَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْمُعْتَقَدُ عَبْدُ اللَّهِ الْجَبْرَتِيُّ الزُّيْلَعِيُّ الْحَنْفِيُّ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عَشَرَ الْمَحْرَمِ وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ؛ وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ بِهَا يُقْصَدُ لِلزِّيَارَةِ. وَكَانَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وتُوفِّيَ الْأَمِيرُ شَرَفُ الدِّينِ مُوسَى بْنُ الْأَرْكُوشِيِّ فِي سَادِسَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ بِالْمَحَلَّةِ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ، وَحُمِلَ إِلَى دَارِهِ بِالْحُسَيْنِيَّةِ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَمْرَاءِ الطَّبَلْخَانَاتِ. وَكَانَ دَيْنًا عَفِيفًا. تَوَلَّى وَايَاتِ جَلِيلَةٍ مِنْهَا: الْأَسْتَادَارِيَّةُ (١) الْعَالِيَّةُ، وَالْحُجُوبِيَّةُ؛ وَأَسْتَقَرَّ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ بْنِ حُسَيْنِ مُشِيرًا (٢) الدَّوْلَةَ. وَكَانَ إِذَا رَكِبَ يَحْمَلُ مَمْلُوكَهُ وَرَاءَهُ دَوَاةَ وَمِرْمَلَةَ (٣).

وتُوفِّيَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَطْلَمُشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدَّوَادَارِ أَحَدُ أَمْرَاءِ الْأَلُوفِ بِدِيَارِ مِصْرَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ بِدِمَشْقَ؛ وَقَدْ أُخْرِجَ إِلَيْهَا مِنْهَا عَلَى إِمْرَةٍ مَائَةٍ وَتَقَدَّمَ أَلْفَ

(١) هي وظيفة الأستادار. ويقال أيضاً: أستاذار العالوية. راجع فهرس المصطلحات.

(٢) هذه الوظيفة تعادل رتبة الوزارة. وربما تقدمت عليها في بعض الأحوال وذلك حسب ما يريد الأتابك الكبير الذي أصبح في هذه الأيام المتحكم الأول في جميع أمور الدولة. - أنظر فيها سيأتي ص ١٧١ من هذا الجزء.

(٣) في الأصل: «مزملة» بالزاي المعجمة وهو خطأ. والمرملة - البراء المهمله - ظرف أو حَقٌّ يوضع فيه الرمل الذي يستعمل لتجفيف حبر الكتابة.

لَمَّا مَلَكَ بَرْقُوقَ وَبَرَكَهَ دِيَارَ مِصْرَ وَصَارَ لهُمَا أَمْرُهَا وَنَهْيُهَا. وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ، وَهُوَ أَيْضاً أَحَدُ مَنْ قَامَ عَلَى الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ.

وَتُوفِّيَ الْقَاضِي عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ عَرَبٍ مُحْتَسِبًا فِي الْقَاهِرَةِ فِي ثَلَاثِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ بِمَكَّةَ بَعْدَ قَضَاءِ الْحَجِّ.

وَتُوفِّيَ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ كَلْبِكَ شَادَّ الدَّوَائِينَ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ. وَكَانَ وَلِيًّا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَالْيَاةِ الْقَاهِرَةِ.

وَتُوفِّيَ الشَّيْخُ الْمُعَمَّرُ سَنَدُ الْوَقْتِ صَلَاحُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ الشَّيْخِ أَبِي عَمْرِو المَقْدِسِيِّ، آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْبَخَّارِيِّ، فِي شَوَّالٍ بِصَالِحِيَّةِ دِمَشْقَ.

وَتُوفِّيَ الْأَمِيرُ شَرَفُ الدِّينِ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَهْرِي الكُرْدِيِّ نَائِبَ سَيْسَ. وَكَانَ فُقَيْهًا شَافِعِيًّا فَاضِلًا كَاتِبًا.

قَلْتُ: وَبِنُو شَهْرِي مَعْرُوفُونَ؛ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ إِلَى الْآنَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَيَلِي بَعْضُهُمْ أَعْمَالَ الْبِلَادِ الْحَلَبِيَّةِ فِي زَمَانِنَا هَذَا. أَمْرُ النِّيلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ:

الماء القديم ستة أذرع واثان وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع، وقيل أربعة عشر.

* * *

السنة الثالثة من سلطنة الملك المنصور علي مصر.

وهي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة

فيها كان ركوب إينال اليوسفي على الأتابك برقوق، وقد تقدّم ذكر الواقعة في أصل هذه الترجمة.

وفيها كان الكلام من الحائط كما تقدّم أيضاً.

وفيها توفّي الشيخ تقي الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن علي،

الواسطيّ الأصل، المصريّ المولد والوفاء، الشافعيّ، المُقْرِئ، المحدث، الشهير بابن البغداديّ، بعد ما عمي، في يوم الأربعاء سادس عشرين شعبان بالقاهرة. ومولده ببغداد سنة سبع وتسعين وستمائة - وكان ولي قضاء المالكية بدمشق مدّة ثمّ صُرف. كان فقيهاً تصدّر للإقراء بمدرسة الحاج آل ملك والجامع الطولونيّ، وتولى مشيخة الحديث بالخانقاة الشيعونية.

وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق العجيسيّ^(١) التلمسانيّ المغربيّ المالكيّ. كان من طُرفاء عصره. ترقّى عند الملك الناصر حسن حتى صار صاحب سرّه وإمام جمُعته ومُنبره. ثمّ توجه في سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة إلى الأندلس خوفاً من النكبة، ثمّ عاد إلى مصر وتولّى عدّة تداريس. وكان له سماعٌ كثيرٌ وفضلٌ غزير.

وتُوفِّي الشيخ الإمام الأديب البارِع المُفتنّ الفقيه برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الإمام المفتي شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم بن شادي بن هلال الطائيّ الطّريفِيّ القيراطِيّ الشافعيّ بمكة المشرفة في ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الأوّل، ودُفِنَ بالمعلاة بعد صلاة الجمعة. والطّريفِيّ [نسبة إلى] فخذ من طيء، والقيراطِيّ نسبة إلى قيراط وهي بلدة بالشرقية من أعمال الديار المصرية. ومولده ليلة الأحد حادي عشرين صفر من سنة ست وعشرين وسبعمائة. ونشأ بالقاهرة، وطلب العلم، ولازم علماء عصره إلى أن برّع في الفقه والأصول والعربية، ودرّس بعدّة مدارس، وسمع الكثير، وبرّع في النظم، وقال الشعر الفائق الرائق. وعندي أنه أقرب الناس في شعره لشيخه الشيخ جمال الدين بن نباتة من دون تلامذته ومعاصريه، على ما سنذكره من شعره هنا. وقد أستوعبنا نُبذةً كبيرةً في المنهل الصافي ومن شعره: [السريع]

تَنفَسُ الصَّبْحُ فجاءت لنا من نحوهِ الأنفاسُ مَسْكِيَّةُ
وأطربتُ لي العودُ قُمْرِيَّةُ وكيف لا تُطربُ عُودِيَّةُ

(١) نسبة إلى عجيس، قبيلة من البربر.

وله في طبّاخ: [السريع]

هَوَيْتُ طَبَّاحاً لَه نَضْبَةٌ نِيرَانُهَا لِلْقَلْبِ جَنَاتُ
يَكْسِرُ أَجْفَاناً إِذَا مَا رَنَا لَهَا عَلَى الْأَرْوَاحِ نَضَبَاتُ

وله أيضاً: [السريع]

جَفَنِي وَجَفَنُ الْحَبِّ قَدْ أَحْرَزَا وَصَفَيْنِ مِنْ نَيْلِكَ يَا مِصْرُ
جَفَنِي لَه يَوْمَ الْوَدَاعِ الْوَفَا وَجَفَنَهُ السَّاجِي لَه الْكَسْرُ^(١)

وله أيضاً: [مخلع البسيط]

لَوْلَمْ يَكُنْ كَفَّهُ غَمَاماً مَا أَنْبَتَتْ فِي الطَّرُوسِ زَهْرَا
نَعَمْ وَلَوْلَاهُ بَحْرُ جُودٍ مَا أَبْرَزَ اللَّفْظُ مِنْهُ دُرَا

ومن شعره - رحمه الله تعالى وعفا عنه - قصيدته التي أولها: [الكامل]

فَسَمّاً بِرَوْضَةِ خَدِّهِ وَنَبَاتِهَا وَبِسُورَةِ الْحَسَنِ الَّتِي فِي خَدِّهِ
وَبِقَامَةِ كَالْغُصَنِ إِلَّا أَنْبِي لِأَعَزَّرَنَ غُصُونٌ بَانَ زُودَتْ
وَأُبَاكَرْنَ رِيَاضَ وَجْتِيهِ الَّتِي وَلَاضْبِحَنَّ لِلذُّتِي مُتَيَقِّظاً
كَمْ لَيْلَةٍ نَادَمْتُ بَدَرَ سَمَائِهَا وَجَرْتُ بِنَادُهُمُ اللَّيَالِي لِلصَّبَا
فَصَرَفْتُ دِينَارِي عَلَى دِينَارِهَا فَصَرَفْتُ دِينَارِي عَلَى دِينَارِهَا
خَالَفْتُ فِي الصَّهْبَاءِ كُلِّ مَقْلَدٍ فَخَجَّرْتُ الْخَمَّارُ أَيْنَ دِنَانِهَا
حَتَّى اهْتَدَى بِالطَّيِّبِ مِنْ نَفْحَاتِهَا

(١) إشارة إلى وفاء النيل وكسر الخليلج أي فتحه.

فشممتها ورأيتها ولمستها
 فتبت كل مطاوع لا يخشي
 يأتي إلى اللذات من أبوابها
 عرف المدام بحسنها وبنوعها
 يا صاح قد نطق الهزار مؤذناً
 فخذ ارتفاع الشمس من أقداحنا
 إن كان عندك يا شراب بقية
 الخمر من أسمائها والدر من
 وإذا العقود من الحباب تنظمت
 أمحرك الأوتار إن نفوسنا
 دار العذار بحسن وجهك مُشداً
 كسرات جفك كلمت قلبي فلم
 والبدر يُستر بالغيوم وينجلي
 وتلا نسيم الروض فيها قارئاً
 ومليحة أرغمت فيها عاذلي
 لا مال وجهي عن مطالع حسنها
 يا خجلة الأغصان من خطراتها
 ما الغصن مياساً سوى أعطافها
 وعدت بأوقات الوصال كأنها
 وشربتها وسمعت حسن صفاتها
 عند ارتكاب ذنوبه تبعاتها
 ويحج للصهباء من ميقاتها
 ويفضلها وصفاتها وذواتها
 أليق بالأوتار طول سكاتها
 وأقم صلاة اللهو في أوقاتها
 مما تزيل بها العقول فهاتها
 تيجانها والمسك من نسماها
 إياك والتفريط في حباتها
 سكناتها وقف على حركاتها
 لا تخرج الأقمار عن هالاتها
 يأت الصباح لنا بمثل لغاتها
 كتنفس الحسنة في مراتها
 فأمال من أغصانها ألفاتها
 قامت إلى وصلي برغم وشاتها
 وحياة طلعة وجهها وحياتها
 وفضيحة الغزلان من لفتاتها
 ما الورد محمراً سوى وجناتها
 ظنت سلامتنا إلى أوقاتها

وتوفي الشيخ المسند المعمر ناصر الدين محمد الكردي الحرزي المعروف
 بالطبردار في ثامن عشر شهر ربيع الأول. وكان سمع الكثير وتفرد بأشياء كثيرة، منها
 «كتاب فضل الخيل» سمعه من مصنفه الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدميطي
 وهو آخر من روى عنه. ووقع لنا سماع فضل الخيل المذكور من طريقه عالياً.

وتوفي الشيخ المعتقد حسن المغربي الصبان الحاجاوي في العشرين من شهر
 ربيع الأول بداره بالحسينية ودفن بباب النصر.

وتُوفِّي الأمير قَارَا بنُ مُهَنَا بن عيسى بن مُهَنَا بن مانع بن حَدِيثَةَ بن غَضْبَةَ^(١) بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل ومَلِك العرب. وكان كريماً جليلاً شجاعاً مشكور السيرة. وتولَّى عَوْضَهُ إمرة آل فضل زامل بن موسى.

وتُوفِّي الشيخ الصالح المعتقد صالح الجَزِيرِي ساكن جزيرة أَرَوَى - أعني الجزيرة الوُسْطَى - بها في رابع شهر ربيع الأول، ودُفِنَ بزاوريته بالجزيرة الوسطى.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين حَطَط بن عبد الله اليلْبُغَاوِي نائِب حَمَاة بها. وتولَّى بعده الأمير طَشْتَمُر خازن دار يَلْبُغَا أيضاً. وكان حَطَط المذكور غير مشكور السيرة، وعنده ظُلْمٌ وَعَسْفٌ. وهومن الذين قاموا على أستاذهم يَلْبُغَا العَمَرِي الخاصكي حسب ما تقدّم ذكره.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين مَامَاق بن عبد الله المَنْجِكِي أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية في يوم الخميس ثالث شعبان، ودُفِنَ بتربة عند دار الضيافة تُجاه قلعة الجبل.

وتُوفِّي الأمير ناصر الدين محمد^(٢) ابن الأمير أَلْجِييْنَا العادلي نائِب غَزَّة بها، بعدما استعفى في سلخ جمادى الآخرة. وتولى بعده نيابة غزة آقْبَعَا بن عبد الله الدوادار. وكان ابن أَلْجِييْنَا هذا شجاعاً مقداماً، وله حُرْمَةٌ ووقار في الدولة.

وتُوفِّي الأمير حَاجِي بك بن شادي أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية بها، في هذه السنة.

وتُوفِّي الطواشي زَيْن الدين ياقوت بن عبد الله الرَّسُولِي شيخ الخدّام بالمدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - في ليلة الجمعة سابع عشرين شهر رمضان. وكان من أعيان الخدّام، وله وجهة في الدول وثروة كبيرة.

(١) في مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري: «ابن عصبية».

(٢) ذكر الخطيب الجوهري في نزهة النفوس: ١٩١/١ أنه في الحادي والعشرين من ربيع الثاني سنة ٧٩١هـ خلع على آقبا البشتكي واستقر في ولاية منوف عوضاً عن ناصر الدين محمد بن العادلي المذكور هنا.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين سَطْلَمُش بن عبد الله الجَلالِي بِدِمَشق في ذِي القعدة. وكان أوَّلًا من جملة أمراء مصر، ثم نُفِي منها على إمرة في دِمَشق.

وتُوفِّي القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن مُزهر أحدُ موقعي دمشق بها في شَوَّال عن نحو الأربعين سنة. وهو أخو القاضي بدر الدين محمد بن مُزهر كاتب أسر مصر.

وفيها كان الطاعون بالديار المصرية وضواحيها ومات فيها عالمٌ كثير جدًّا. أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وإصبعاً. والله أعلم.

* * *

السنة الرابعة من سلطنة الملك المنصور عليّ على مصر

وهي سنة اثنتين وثمانين وسبعمئة

فيها كانت الواقعة بين الأتابك بَرَقوق العثمانيّ اليلْبُغَاويّ وبين خُشداشه زَيْن الدين بَرَكَة الجُوبانيّ اليلْبُغَاويّ، ومُسيك بَرَكَة وحُجس، ثم قُتل حسب ما تقدّم ذكره وحسب ما يأتي أيضاً في الوفيات.

وفيها حضر من بلاد الجَرُكس الأميرُ أنص والد الأتابك بَرَقوق وأخواته النسوة كما تقدّم ذكره.

وفيها قُتل ابن عَرَام؛ وقد تقدّم ذكره وكيفية تسميره في أواخر ترجمة الملك المنصور هذا، فلا حاجة لذكر ذلك ثانياً.

وفيها تُوفِّي مَأمَاي ملك التتار وحاكُمُ بلاد الدَّشْت^(١). وكان وليّ المُلك بعد

(١) المراد بلاد القبجاق الغربي. وهذه المملكة كانت تسمى بيت بركة، نسبة إلى بركة خان بن طوجي بن جنكزخان. وكانت قاعدتها مدينة سراي. وكان العرب يسمون حاكمها: صاحب السرير.

كلدي^(١) بك خان في سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وكان من أجل ملوك الترك وأعظمهم، ومات قتيلًا.

وتُوفِّي الشيخ الإمام العلامة جلال الدين محمد المعروف بجار الله ابن الشيخ قُطب الدين محمد بن الشيخ شرف الدين أبي الشاء محمود النيسابوري الحنفي قاضي قضاة الديار المصرية عن نبف وثمانين سنة، بعد أن حكم خمس سنين. وكانت ولايته بعد ابن منصور. وتولَّى القضاء بعده صدر الدين بن منصور ثانيًا. وكان عالماً بارعاً في فنون من العلوم، وتولَّى مشيخة الصرغتمشية بعد موت العلامة أرشد الدين السرائي. وفيه يقول الأديب أبو العز زين الدين بن حبيب، رحمه الله:

[الكامل]

لله جارٌ الله حاكِمنا الذي ما مثله يُسعى له ويُزارُ
حُباً له وكرامةً من ماجِدٍ حَسُنَتْ خلائقه ونعم الجارُ

ورثاه شهاب الدين بن العطار: [البيط]

قاضي القضاة جلال الدين مات وقد أعطاه ما كان يرجو باريء النسم
حاشاه أن يُحرِم الراجي مكارمه أو يرجع الجارُ منه غير مُحترَم

وتُوفِّي الأمير الكبير زين الدين بركة بن عبد الله الجوبانيّ اليلبغاويّ، رأس نوبة الأمراء، وأطابك الديار المصرية، مقتولاً بثر الإسكندرية بيد صلاح الدين خليل ابن عرّام نائب الثغر المذكور في شهر رجب. وقد ذكرنا ما وقع لابن عرّام بسببه من الضرب والتسمير والتقطيع بالسيوف في ترجمة الملك المنصور هذا. كان بركة من مماليك يلبغا، وصار من بعده في خدمة أولاد الملك الأشرف شعبان إلى أن كانت قتلة الملك الأشرف شعبان. قام هو وخشداشه برقوق مع أئنيك، فأنعم أئنيك على كلّ منهما بإمرة طبلخاناه دفعة واحدة من الجندية، ونذبهما بعد شهر للسفر مع الجاليش إلى الشام. فاتفق بركة هذا مع خشداشيه ووثبوا على أخي أئنيك حتى

(١) في معجم زامبور أن الذي ولي الحكم بعد كلدي بك في سنة ٥٧٦٤ هـ هو ميربولاد.

كان من أمر أئبنك ما ذكرناه، وصار بركة هذا أمير مائة ومقدم ألف هو وبرقوق، وأقام على ذلك مدة. ثم آتفق مع برقوق وخشداشيته على مسك الأمير طشتمر العلائي الدوادار فمسك طشتمر بعد أن قاتلهم. ومن يوم ذاك استبد برقوق بالأمر، وبركة هذا شريكه فيه، وصار برقوق أتابك العساكر وبركة أطابك^(١) رأس نوبة الأمراء، وحكما مصر إلى أن وقع الخلف بينهما وتقاتلا، فانتصر برقوق على بركة هذا وأمسكه وحبسه بئغر الإسكندرية إلى أن قتله ابن عرام، حسب ما تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك المنصور. وإنما ذكرناه هنا ثانياً تنبيهاً لما تقدم. فكان بركة ملكاً جليلاً شجاعاً مهاباً، تركي الجنس، وفيه كرم وحشمة، وله المآثر بمكة المشرفة وبطريق الحجاز الشريف وغيره. رحمه الله تعالى.

وتوفي قاضي القضاة جلال الدين أبو المعالي محمد ابن قاضي القضاة نجم الدين محمد ابن قاضي القضاة فخر الدين عثمان بن جلال الدين أبي المعالي علي بن شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد الزرعي الشافعي سبط الشيخ جمال الدين الشريشي في هذه السنة وقد قارب الأربعين سنة. وكان قد ولي قضاء حلب وحمدت سيرته.

وتوفي الوزير صاحب تاج الدين عبد الوهاب المكي، المعروف بالنشو، في المصادرة تحت العقوبة عن نيف وستين سنة، بعد أن ولي الوزارة أربع مرات. وكان مشكوراً في وزارته محسناً لأصحابه. وهذا النشو غير النشو الذي تقدم ذكره في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وتوفي الأمير سيف الدين منكلي بعا بن عبدالله الأحمدى البلدي نائب حلب بها، ودفن خلف تربة قطلوبغا الأحمدى بين الجوهري والجمالية. وكان من أجل الأمراء، وممن طالت أيامه في السعادة. ولي نيابة طرابلس وحماة وحلب مرتين - مات في الثانية - وعدة وظائف بالديار المصرية. وكان حازماً هيوياً كريماً ذا مروءة

(١) يفرق المؤلف بين «أتابك» و«أطابك». وهو يجعل اللقب الثاني أقل درجة من اللقب الأول. وهذا التمييز لا نجده عند غيره من مؤرخي العصر المملوكي.

كاملة وَتَحَشُّم. وكان يقول: «كلُّ أمير لا يكون مصروف سِمَاطِهِ نِصْفَ إِقْطَاعِهِ ما هو أمير».

وَتُوْفِي الأمير الطّوَاشِي زَيْن الدين مختار السُّحْرَتِي الحِشْبِي مَقْدَم المماليك السلطانية. وكان صاحب معروف وصدقة، وفيه كرمٌ مع تَحَشُّم.

وَتُوْفِي قاضي القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن نور الدين علي بن أبي البركات منصور الدَّمَشْقِي الحنفي قاضي قضاة الديار المصرية. وليها ثم عَزَلَ نفسه. وكان من أعيان العلماء. رحمه الله تعالى.

وَتُوْفِي الشيخ الإمام نور الدين أبو الحسن علي بن أَلْجَاوِي (بالجيم) أحدُ فقهاء المالكية في رابع عشر ذي الحجة، بعد ما أفتى ودرّس وأشتغل.

وَتُوْفِي الشيخ الإمام المقرئ شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالحكري الشافعي في ذي الحجة بالقاهرة. وكان فقيهاً فاضلاً بارعاً في القراءات.

وَتُوْفِي الشيخ الصالح المعتقد زَيْن الدين محمد بن المَوَاز في شهر ربيع الأول. وكان صاحب عبادة، وللناس فيه اعتقاد حسن.

وَتُوْفِي الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن نجم بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذُوَيْب الأَسْدِي الدَّمَشْقِي المعروف بابن قاضي شهبه أحد أعيان الفقهاء الشافعية في ثامن المحرم. ومولده ليلة الثلاثاء العشرين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة بدمشق. وكان بارعاً فقيهاً مدرّساً مفتناً.

وَتُوْفِي الشيخ زَيْن الدين أبو محمد حَجِّي بن موسى بن أحمد بن سعد السُّعْدِي الحُسْبَانِي الشافعي الدَّمَشْقِي في ليلة الأربعاء سابع عشر صفر. وكان أحدُ فقهاء الشافعية بدمشق. وحجّي هذا هو والد بني حجّي رؤساء دِمَشْق في عصرنا. إنتهى.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وستة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة

أصابع. إنتهى.

ذكر سلطنة الملك الصالح حاجي^(١) الأولى على مصر

السلطان الملك الصالح صلاح الدين أمير حاج أبين السلطان الملك الأشرف شعبان أبين الأمير الملك الأمجد حسن أبين السلطان الملك الناصر محمد أبين السلطان الملك المنصور قلاوون. وهو الرابع والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية.

تسلطن بعد وفاة أخيه الملك المنصور علاء الدين عليّ في يوم الاثنين رابع عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة.

وخبر سلطنته أنه لما مات أخوه الملك المنصور عليّ تكلم الناس بسلطنة الأتابك برقوق العثمانيّ، وأشيع ذلك، فعظمت هذه المقالة على أكابر أمراء الدولة وقالوا: «لا نرضى أن يتسلطن علينا مملوكٌ يلبغا» وأشياء من هذا النمط. وبلغ برقوقاً ذلك، فخاف ألاّ يتيم له ذلك. فجمع برقوق الأمراء والقضاة والخليفة في اليوم المذكور بباب الستارة بقلعة الجبل وتكلم معهم في سلطنة بعض أولاد الأشرف شعبان، فقالوا له: «هذا هو المصلحة» وطلبوهم من الدور السلطانية. وحضر أمير حاج هذا من جملة الإخوة^(٢)، فوجدوا بعضهم ضعيفاً بالجُدري، والبعض صغيراً، فوقع الاختيار على سلطنة أمير حاج هذا، لأنه كان أكبرهم. فبايعه الخليفة، وحلّف له الأمراء، وباسوا يده، ثم قبلوا له الأرض. ولُقّب بالملك الصالح، وهو الذي غيّر

(١) ترجمته وأخباره في السلوك: ٤٣٩/٣، وإنباء الغمر: ٤٥/٢، والجوهر الثمين: ٢٥٩/٢، وخطط علي

مبارك: ١٠٩/١، وبدائع الزهور: ٢٢٠/٢.

(٢) وهم: إسماعيل وأبو بكر وحاجي.

لقبه في سلطنته الثانية بالملك المنصور، ولا نعرف سلطاناً تَغَيَّرَ لقبه غيرَه، وذلك بعد أن خُلِعَ برقوق وحيس بالكرك، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى مفصلاً في وقته - إنتهى .

ولمّا تمّ أمرُ الملك الصالح هذا ألبسوه خِلعة السلطنة، وركب من باب الستارة بأبهة الملك، وبرقوق والأمراء مشاةً بين يديه، إلى أن نزل إلى الإيوان بقلعة الجبل، وجلس على كرسيّ الملك، وقبّلت الأمراء الأرض بين يديه. ثم مُدَّ السَّماط وأكلت الأمراء. ثم قام السلطان الملك الصالح ودخل القصر، وخلع على الخليفة المتوكّل على الله خِلعةً جميلةً. ونوّدِي بالقاهرة ومصر بالأمان والدعاء للملك الصالح حاجي. وخلع [السلطان] على الأتابك [برقوق] واستقرّ على عادته أتابك العساكر ومدبّر الممالك لصغر سنّ السلطان، وكان سنّ السلطان يوم تسلطن نحو تسع (١) سنين تخميناً.

ثم في سابع عشرين صفر المذكور جلس السلطان الملك الصالح بالإيوان للخدمة على العادة. ثم قام ودخل القصر، بعد أن حضر الخليفة والقضاة والأمراء والعساكر وقرىء تقليدُ السلطان الملك الصالح عليهم. وعند فراغ القراءة أخذ بدرُ الدين محمد بن فضل الله كاتب السر التقليد وقدمه للخليفة، فعلم عليه بخطه. وخلع السلطان على القضاة وعلى كاتب السر المذكور. وانفضّ الموكب (٢). وأخذ برقوق في التكلّم في الدولة على عادته من غير معاند، وفي خدمته بقية الأمراء يركبون في خدمته وينزلون عنده ويأكلون السَّماط.

وأما القضاة والنواب بالبلاد الشامية وأرباب الوظائف بالديار المصرية في هذه الدولة، فكان أتابك العساكر برقوق العثمانيّ اليلبغاوي، ورأس نوبة الأمراء أيتّمش البجاسي، وأمير سلاح علان الشعباني، وأمير مجلس أَلطُنْبغا الجوبانيّ اليلبغاوي، والدوادر الكبير ألبغا العثماني، والأمير آخور جركس الخليلي، وحاجب الحجاب

(١) في خطط علي مبارك وبدائع الزهور: «١١ سنة». وفي إنباء الغمر: «٦ سنين و٤ أشهر».

(٢) الصواب: «وانفضّ الجمع».

مأمور القمطايوي، اليلبغاوي وأستادار العالية بهأدر المنجكي، ورأس نوبة ثاني - أعني رأس نوبة في زماننا - قردم الحسني؛ وهؤلاء غير نائب السلطنة وهو الأمير آقتمر عبد الغني، وغير أيدير الشمسي، وهما من أجل الأمراء وأقدمهم هجرة؛ يجلس الواحد عن يمين السلطان والآخر عن يساره^(١).

والقضاة: الشافعي برهان الدين بن جماعة، والحنفي صدر الدين بن منصور، والمالكي علم الدين البساطي، والحنبلي ناصر الدين العسقلاني. وكاتب السر بدر الدين بن فضل الله العمري، والوزير شمس الدين المقسي، وناظر الجيش المحتسب جمال الدين محمود القيصري العجمي، وناظر الخاص هو ابن المقسي أيضاً، ونائب دمشق إشتقر المارديني، ونائب حلب إنال اليوسفي، ونائب طرابلس كمشبع الحموي، ونائب حماة طشتمر القاسمي، ونائب صفد الأمير الكبير طشتمر العلاتي (نقل إليها من القدس) ونائب غزة آقبا بن عبد الله، ونائب إسكندرية بلوط الصرغتمشي.

والذين هم معاصروه من ملوك الأقطار: صاحب بغداد وتبريز وما والاها الشيخ حسين بن أويس؛ وصاحب ماردين الملك الظاهر مجد الدين عيسى؛ وصاحب اليمن الملك الأشرف ابن الملك الأفضل؛ وصاحب مكة الشريف أحمد بن عجلان؛ وصاحب المدينة الشريفة عطية بن منصور؛ وصاحب سيواس القاضي برهان الدين أحمد؛ وصاحب بلاد قرمان الأمير علاء الدين؛ وصاحب بلاد سمرقند وما والاها تيمورلنك كوركان؛ وصاحب بلاد الدشت طقتمش خان من ذرية جنجيز^(٢) خان. انتهى.

ولما كان يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر أنعم [برقوق] على الأمير تغري برمش بتقدمة ألف بديار مصر بعد وفاة أمير علي بن قشتمر المنصوري. ثم أنعم على سودون الشيخوني بتقدمة ألف أيضاً وأستقر حاجباً ثانياً عوضاً عن علي بن

(١) في التعريف بالوظائف أعلاه راجع فهرس المصطلحات.

(٢) أي جنكرخان.

قَسْتَمُر المنصوري . ثم بعد مدّة آسْتَقَرَّ تَغْرِي برمش المقدّم ذكره أمير سلاح بعد وفاة عَلَان الشَّعْبَانِي . ثم آسْتَقَرَّ مأمور القَلَمَطَاوي حاجب الحُجَاب في نيابة حَمَاة بعد وفاة طَشْتَمَر خازن دار يَلْبُغَا العمري .

ثم طَلِب يلبغا الناصري من دِمَشق - وكان منفيّاً بها على تقدمة ألف - فحضر في آخر شعبان ، فتلّقه الأتابك برقوق والأمراء ، وترجّل له برقوق وأركبه مركوباً من مراكييه ، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة ، وأجلس رأس ميسرة فوق أمير سلاح . فلم تطل مدّته بديار مصر وأخلع عليه بنيابة حلب في يوم الخميس ثاني شوال بعد عزل إينال اليوسفي وطلبه إلى مصر . فلما وصل إينال إلى غزّة قبض عليه وأرسل إلى سجن الكرك .

ثم أنعم الأتابك برقوق على دواداره الأمير يونس النوروزي بتقدمة ألف بمصر عوضاً عن يلبغا الناصري ، وخلّع على الأمير جركس الخليلي الأمير آخور الكبير وآسْتَقَرَّ مُشِير الدولة ، ورسم للوزير ألا يتكلم في شيء إلا بعد مراجعته .

وفي العشر الأخير من شوال أنعم على قُطْلُوْبُغَا الكوكائِي بتقدمة ألف ، بعد وفاة الأمير آنص والد الأتابك برقوق العثماني الذي قديم قبل تاريخه من بلاد الجركس . يأتي ذكر وفاته في الوفيات .

ثم في يوم الاثنين تاسع ذي الحجّة من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة تخلى الأمير تَغْرِي برمش أمير سلاح عن إمرته ووظيفته وتوجه إلى جامع قوصون ليقيم به بطالاً . فأرسل الأتابك إليه الأمير سُودُون الشيوخوني الحاجب الثاني وقَرَدَم الحَسَنِي رأس نوبة وتوجّها إليه وسألاه أن يرجع إلى وظيفته وإمرته فلم يرجع لها ، فعادا بالجواب إلى برقوق بذلك .

ثم إن تَغْرِي برمش المذكور ندم من ليلته ، وأرسل يسأل الشيخ أكمل الدين شيخ الشيوخونية أن يسأل برقوقاً أن يعيده إلى إمرته ووظيفته ، فأرسل أكمل الدين إلى برقوق بذلك فلم يقبل برقوق ورسم بخروجه إلى القدس ماشياً ، فأخرجه النُقبَاء إلى قبة النصر ماشياً . ثم شُفِع فيه فركب وسار إلى القدس .

ثم في العشر الأخير من شعبان أجرى جركس الخليلي الأمير آخور الماء إلى الميدان من تحت القلعة إلى الحَوْض الذي على بابه.

قلت: وإلى الآن الحَوْض باقٍ على حاله بلا ماء.

ثم في التاريخ المذكور أَخْرَجَ الأميرُ جركس الخليلي فلوساً جُددًا من الفلوس العتق، منها فُلْسُ زنته أوقية بربع دَرهم، وفُلْسُ زنته نصف أوقية، وفُلْسُ بفلسين. فلما فعل ذلك وقف حال الناس وحصل الغلاء وَقَلَّ الجالبُ؛ فلَمَّا بلغ الأتابك برقوقاً أَمَرَ بإبطالها. وفي المعنى يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار، رحمه الله تعالى: [البيسط]

تغيير عتقِ فلوسٍ قد أضُرَّ فكَمَّ حواديثُ جُددٍ جَلَّتْ مِنَ العَدِدِ
ككيف تمشي علاقاتُ الأنامِ إِذَا والحالِ واقِفَةٌ بالعتقِ والجُددِ

وقالت العامة - لَمَّا فعل الخليلي ذلك ورَسَمَ بنقش اسمه على الفلوس -:
«الخليلي من عكسو، نقش أسمو على فلسو». انتهى.

ثم حضر إلى الديار المصرية في ذي الحجة الأمير كَمَشْبُغا الحَمَوِي نائب طرابُلُس - وكان السلطان والأتابك برقوق في الصيد بناحية كُوم بَرَا^(١) - فأخلع السلطان عليه بأستمراره على نيابة طرابُلُس.

ثم في يوم الخميس ثالث المحرم سنة أربع وثمانين وسبعمائة استقرَّ سُودُون الفخري الشيخوني حاجب الحجاب بالديار المصرية، وكانت شاغرة من العام الماضي منذ توجه مأمور القَلْمَطَاوي إلى نيابة حَمَاة.

ثم أرسل الأتابك برقوق بكَلْمُش الطازي العلاتي إلى دِمياط لإحضار بَيَدْمُر الخوارزمي المعزول عن نيابة دمشق قبل تاريخه، فحضر في العشرين من المحرم

(١) من القرى المصرية القديمة. وقد وردت في المشترك لياقوت باسم «كوم بوري» في الجيزة. واسمها الحالي «كوم بره» وتكتب أيضاً «كومبره». وهي اليوم إحدى قرى مركز إمبابة بمديرية الجيزة بمصر.

وتلقاه الأتابك برقوق من البحر^(١)، وخلع عليه باستقراره في نيابة دمشق على عادته عوضاً عن إشفتمر المارديني.

وفي سلخ صفر تولّى القاضي بدر الدين بن أبي البقاء قضاء الشافعية بديار مصر عوضاً عن قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة؛ ورُسم بانتقال مأمور القلمطاوي من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس عوضاً عن كمشبغا الحموي بحكم انتقال كمشبغا إلى دمشق على خبز جنتمُر أخي طاز بحكم توجه جنتمُر إلى القدس بطالاً. ونقل إلى نيابة حماة الأمير الكبير طشتمُر العلاني الدوادار الذي كان قبل تاريخه حكم مصر وتولى نيابة صفد بعد طشتمُر الدوادار تلو^(٢) حاجب حجاب دمشق.

وفي العشر الأوسط من شعبان نام الأتابك برقوق بمبينة بسكنه بالإسطنبول السلطاني وقعد شيخ الصفوي الخاصكي يكبسه. وبينما هونائم مسكه شيخ المذكور في جنبه قوياً خارجاً عن الحد، فقعد برقوق من اضطجاعه وقال له: «ما الخبر؟» فقال: «إن مملوكك أيتمش آتفق مع ممالك الأسياد الذين في خدمتك ومعهم بطا الأشرفي على أنهم الساعة يقتلونك»، فسكت برقوق وجلس على حاله، فإذا أيتمش المذكور دخل عليه، فقام برقوق وأخذ بيده قوساً وضربه به ضربة واحدة صفحاً أرماءه، وأمر بمسكه وقال له: «يا متخنث! الذي يأخذ الملك ويقتل الملوک يقع من ضربة واحدة!».

ثم مسك بطا الخاصكي. وخرج برقوق وجلس بالإسطنبول، وطلب سائر الأمراء الكبار والصغار. فطلع الجميع إليه في الحال، فكلّمهم بما سمع وجرى، ثم أمسك من ممالك الأسياد نحو سبعة عشر نفرأ؛ منهم: كزل الحطيطي، وبلبغا الخازندار الصغير، وجماعة من رؤوس نوب الجمدارية عنده.

ثم في صبيحة نهاره أمسك جماعة من رؤوس نوب الجمدارية وجماعة آخر تمة خمسة وستين نفرأ من ممالك الأسياد وهرب من بقي منهم. فالذين كان قبض

(١) أي تلقاه عند قدومه بنهر النيل عند بولاق.

(٢) في السلوك: «يلو».

عليهم أول يوم حبسهم بالبرج من قلعة الجبل، والذين مسكهم من الغد حبسهم بخزانة شمائل. ثم أنزل بطا الخاصكي الأشرفي وأتمش إلى خزانة شمائل. ثم أمسك الأتابك برقوق الأمير الألبغا العثماني الدوادر الكبير وأخذ مقدي الألوفا بالديار المصرية وسجنه. ثم أخرجه على إمرة طبلخاناه بطرائلس. ثم نقله بعد مدة يسيرة إلى تقدة ألف بدمشق.

ثم في يوم السبت مستهل شهر رمضان أخرج برقوق من خزانة شمائل ثلاثة وأربعين مملوكاً من الممسوكين قبل تاريخه، وأمر بتخشييمهم وتقييدهم، ومشوا وهم مزنجرين بالحديد، ومعهم سودون الشخوني حاجب الحجاب ونقيب الجيش إلى أن أوصلوهم إلى مصر القديمة وأنزلوهم إلى المراكب، وصحبهم جماعة من الجبليّة، فتوجهوا بهم إلى قوص.

وكان سبب اتفاق هؤلاء الممالك على برقوق وقتله بسكنه بباب السلسلة لفرصة كانت وقعت لهم باشتغال الأمير جركس الخليلي الأمير آخور بجسر كان عمّره بين الروضة ومصر في النيل.

وخبره أنه لما كان في أوائل شهر ربيع الأول من هذه السنة آهتّم الأمير جركس الخليلي المذكور في عمل جسر بين الروضة وبين جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى، طوله نحو ثلاثمائة قصبه وعرضه عشر قصبات، وأقام هو بنفسه على عمله ومماليكه، وجعل في ظاهر الجسر المذكور خوازيق من سنط وسمر عليها أفلاق نخل، جعلها على الجسر كالستارة تقيه من الماء عند زيادته، وأنتهى العمل منه في آخر شهر ربيع الآخر. ثم حفر في وسط البحر خليجاً من الجسر المذكور إلى زريبة قوصون ليمر الماء فيه عند زيادته، ويصير البحر ممره دائماً منه صيفاً وشتاء، وغرم على هذا العمل أموالاً كثيرة فلم يحصل له ما أراد على ما يأتي ذكره. وفي هذا المعنى يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار: [الخفيف]

شكت النيل أرضه للخليلي فأحضره
ورأى الماء خائفاً أن يطاها فجسّره

وقال في المعنى شرف الدين عيسى بن حجّاج العالِيّة - رحمه الله تعالى :

[الكامل]

جِسْرُ الْخَلِيلِي الْمَقْرَّرُ لَقَدْ رَسَا كَالطُّوْدِ وَسَطَ النَّيْلِ كَيْفَ يُرِيدُ
فَإِذَا سَالَتُم عَنْهُمَا قَلْنَا لَكُمْ ذَا ثَابِتٍ دَهْرًا وَذَاكَ يَزِيدُ

فهذا هو الذي كان أشغل الخليلي عن الإقامة بالإسطنبول السلطاني - وأيضاً
لَمَّا كَانَ خَطَرَ فِي نَفْسِهِمْ مِنَ الْوُثُوبِ عَلَى الْمَلِكِ، فَإِنَّهُ مِنْ يَوْمِ قُتِلَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ
شُعْبَانَ وَصَارَ طَشْتَمَرُ اللَّقَافِ مِنَ الْجُنْدِيَّةِ أَتَابَكَ الْعَسَاكِرَ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ قَرَطَايَ
الطَّازِي، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ أَيْبَنُكَ الْبَدْرِي، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ قُطْلُقْتَمَرُ، ثُمَّ الْأَتَابِكُ بَرْقُوقُ وَبَرَكَه
- وَكُلُّ مِنْ هَؤُلَاءِ كَانَ إِمَامًا جَنْدِيًّا أَوْ أَمِيرَ عَشْرَةٍ وَتَرَقَّوْا إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ بِالْوُثُوبِ وَإِقَامَةِ
الْفِتْنَةِ - طَمِعَ كُلُّ أَحَدٍ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُمْ وَيَفْعَلَ مَا فَعَلُوهُ، فَذَهَبَ لِهَذَا الْمَعْنَى خَلَائِقُ
وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى مَقْصُودِهِمْ. اِنْتَهَى.

وَاسْتَمَرَ الْأَتَابِكُ بَرْقُوقُ بَعْدَ مَسْكَ هَؤُلَاءِ فِي تَخَوُّفٍ عَظِيمٍ، وَأَحْتَرَزَ عَلَى
نَفْسِهِ مِنْ مَمَالِيكِهِ وَغَيْرِهِمْ غَايَةَ الْإِحْتِرَازِ. فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْيَانُ خُشْدَاشِيَّتِهِ
وَأَصْحَابُهُ - مِثْلُ أَيْتَمَشُ الْبَجَاسِي، وَالطَّنْبُغَا الْجُوبَانِي أَمِيرِ مَجْلِسِ، وَقَرْدَمُ الْحَسَنِي،
وَجَرَكْسُ الْخَلِيلِي وَيُونُسُ النُّورُوزِي الدَّوَادَارِ وَغَيْرِهِمْ - أَنْ يَتَسَلَطْنَ وَيَحْتَجِبَ عَنِ
النَّاسِ وَيَسْتَرِيحَ وَيُرِيحَ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ فِيهِ مِنَ الْإِحْتِرَازِ مِنْ قِيَامِهِ وَقُعُودِهِ. فَجَبَنَ
عَنِ الْوُثُوبِ عَلَى السُّلْطَنَةِ وَخَافَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ، فَاسْتَحْتَهُ مَنْ ذَكَرَنَاهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ،
فَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ يَهَابُ قُدَمَاءَ الْأَمْرَاءِ بِالْذِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ. فَكَرِبَ سُودُونَ
الْفَخْرِي الشَّيْخُونِي حَاجِبُ الْحُجَابِ وَدَارَ عَلَى الْأَمْرَاءِ سِرًّا حَتَّى اسْتَرْضَاهُمْ،
وَلَا زَالَ بِهِمْ حَتَّى كَلَّمُوا بَرْقُوقًا فِي ذَلِكَ وَهَوَّنُوا عَلَيْهِ الْأَمْرَ وَضَمِنُوا لَهُ أَصْحَابَهُمْ مِنْ
أَعْيَانِ الثُّوَابِ وَالْأَمْرَاءِ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَسَاعَدَهُمْ فِي ذَلِكَ مَوْتُ الْأَمِيرِ أَقْتَمَرِ
عَبْدِ الْغَنِيِّ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ، وَكَانَ بَرْقُوقُ يَجْلِسُ فِي الْمَوْكَبِ تَحْتَهُ لِقَدَمِ
هِجْرَتِهِ، وَكَذَلِكَ بِمَوْتِ الْأَمِيرِ أَيْدَمُرِ الشَّمْسِي، فَإِنَّهُ كَانَ أَيْضًا مِنْ أَقْرَانِ أَقْتَمَرِ
عَبْدِ الْغَنِيِّ فَمَاتَا فِي سَنَةِ وَاحِدَةٍ عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُمَا فِي الْوَفِيَّاتِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى.

فعند ذلك طابت نفسه وأجاب. وصار يُقدّم رجلاً ويؤخر أخرى، حتى كان يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة طلع الأمير قُطْلُوْبُغَا الكوكائي أمير سلاح وألطنبغا المعلم رأس نوبة إلى السلطان الملك الصالح أمير حاج صاحب الترجمة، فأخذه من قاعة الدهيشة وأدخله إلى أهله بالدور السلطانية، وأخذ منه النّمْجاة وأحضرها إلى الأتابك برقوق العثماني. وقام بقية الأمراء من أصحابه على الفور وأحضروا الخليفة والقضاة وسلطنوه، على ما سنذكره في أول ترجمته، بعد ذكر حوادث سنين الملك الصالح هذا على عادة هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

وخلع الملك الصالح من السلطنة، فكانت مدة سلطته على الديار المصرية سنة واحدة وسبعة أشهر تنقص أربعة أيام، على أنه لم يكن له في السلطنة من الأمر والنهي لا كثير ولا قليل. وأستمر الملك الصالح عند أهله بقلعة الجبل إلى أن أعيد للسلطنة ثانياً، بعد خلع الملك الظاهر برقوق من السلطنة وحبسه بالكرك في واقعة يُلبغا الناصري ومِنطاش، كما سيأتي ذكر ذلك مفصلاً.

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح أمير حاج الأولى على مصر

وهي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة. على أن أخاه الملك المنصور علياً حكم فيها من أولها إلى ثالث عشرين صفر؛ حسب ما تقدّم ذكره في وفاته.

فيها (أعني سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة) تُوْفِّي قاضي القضاة عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الشيخ شرف الدين أبي البركات محمد بن أبي العز بن صالح الدمشقي الحنفي قاضي قضاة دمشق بها عن نيّف وتسعين سنة. وكان فقيهاً رئيساً من بيت علم ورياسة بدمشق. وهم يُعرفون ببني أبي العز وبني الكشك.

وتُوْفِّي قاضي القضاة كمال الدين أبو القاسم عُمر ابن قاضي القضاة فخر الدين أبي عمر عثمان بن الخطيب هبة الله المَعْرِي الشافعي بدمشق عن إحدى

وسبعين سنة بعد أن حكم بها خمس سنين . وكان تنقل في البلاد وولي قضاء طرابُلُس وحلب ودمشق غير مرة؛ وكان فقيهاً عارفاً بالأحكام خبيراً بالأمور.

وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد الأذْرَعِي الشافعيّ بحلب عن نيف وسبعين سنة . وكان عديم النظر، فقيهاً عالماً . شرح «منهاج النَّووي». وأستوطن حلب وولي بها التدريس ونيابة الحكم إلى أن تُوفِّي . رحمه الله .

وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم الفاضل رُكن الدين أحمد القِرميّ الحنفي الشهير بقاضي قِرم ومفتي دار العدل بالديار المصرية بها عن ثمانين سنة . وأستقرَّ عوضه في إفتاء دار العدل الشيخ شمس الدين محمد النيسابوريّ ابن أخي جار الله الحنفيّ . وكان ركن الدين فاضلاً عارفاً بمذهبه، ناب في الحكم عن قاضي القضاة جلال الدين جار الله، وكان معدوداً من أعيان فقهاء مصر .

وتُوفِّي شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق ابن الشيخ مجد الدين عاصم ابن الشيخ سعد الدين محمد الأصبهانيّ الحنفيّ في ليلة الأحد ثالث عشر ربيع الآخر؛ قاله المقرزيّ، وخالفه العينيّ بأن قال: في المحرم سنة ثمانين، ولم يوافق لا في الشهر ولا في السنة؛ والصواب المقالة الأولى . وكان قدِم إلى القاهرة وتولّى مشيخة خانقاه سِرْيَاقُوس، ثم توجه في الرّسّلية إلى بلاد الهند وعاد وقد كثر ماله، حتى إنه أهدي الذهب في الأطباق . ومما يدلّ على اتساع ماله عمارته الخانقاه بالقرب من قلعة الجبل تُجاه باب الوزير على بُعد متر (?) شرقيّ الجبل، وهي في غاية الحسن . وكان له همةٌ ومكارم . حدّثني حفيده بأشياء كثيرة من مكارمه وفضله وأفضاله .

تُوفِّي الشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن حديّدة الأنصاري أحد الصوفية بالخانقاه الصلاحية سعيد السعداء في سادس عشرين شعبان . وكان يروي «الشفاء» وثلاثيات «البخاري» وغير ذلك . وصنّف كتاب «المصباح المضيء» في كتاب النبي عليه السلام ومكاتبته .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين مازي بن عبد الله اليلبغاوي أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية بها.

وتُوفِّي السيد الشريف عطية بن منصور بن جَمَاز بن شيحة الحسيني أمير المدينة النبوية بها، وتولى بعده ابن أخيه جَمَاز بن هبة الله. وكان كريماً عادلاً، رحمه الله.

وتُوفِّي الأمير آنص العثماني الجركسي والد الأتابك برقوق العثماني، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، في العشر الأوسط من شوال وقد جاوز ثمانين^(١) سنة من العمر. أقام عمره في بلاد الجركس، حتى هداه الله تعالى للإسلام على يد ولده الأتابك برقوق، وقَدِم القاهرة كما تقدّم ذكره في ترجمة الملك المنصور علي، وأسلم وحسّن إسلامه، وأقام بعد ذلك دون الستين ومات. ومع هذه المدة القصيرة من إسلامه أظهر فيها عن دين كبير وخير وصدقات كثيرة ومحبة لأهل العلم وشفقة على الفقراء وأهل الصّلاح. وكان لا يدخر شيئاً من المال، بل كان مهتماً حصل في يده فرقه في الحال على الفقراء والمساكين. أخبرني جماعة من خدّمه أنه كان إذا ركب ولقي في طريقه أحداً من المحابيس المكّدين يأخذه من جنّاره^(٢) ويطلقه في الحال من زنجيره؛ ولم يقدر أحد أن يرده عن ذلك، فمَنع برقوق من خروج المحابيس للتكدي خوفاً من أن يُطلقهم، فإنه كان إذا رأى أحداً منهم يسأل من مماليكه: «هذا مُسلم أم كافر؟» فيقولون له: «مسلم»؛ فيقول: «كيف يُفعل بمسلم هكذا في بلاد الإسلام! أطلقوه» فيطلق في الحال. ومات قبل سلطنة ولده برقوق ودُفِن بترية^(٣) الأمير يونس الدوادار برأس الروضة خارج باب البرقية من القاهرة. ثم نُقل بعد فراغ مدرسة ولده البرقوقية بين القصرين إلى الدفن بها في القبة.

وتُوفِّي الأمير الكبير سيف آقتمربن عبد الله من عبد الغني نائب السلطنة بالديار

(١) في إنباء الغمر: «جاوز التسعين».

(٢) أي حارسه. والجنادارية فرقة من الممالك السلطانية.

(٣) ذكرها المقرئ باسم خانقاه يونس. (خطط: ٤٢٦/٢).

المصرية بالقاهرة في هذه السنة، بعد أن باشر عِدَّة أعمال ووظائف مثل: نيابة صَفَد، وطرابلس، ودمشق، وحجوبية الحجاب بديار مصر، وإمرة جاندار، ونيابة السلطنة بها مرتين. وبموته خلا الجوّ للأتابك برقوق وتسلطن. مع أنه كان عديم الشر، غير أنه كان مُطاعاً في الدولة يُرَجع إلى كلامه، فكان برقوق يراعيه ويجلس تحته إلى أن مات في تاسع عشرين جمادى الآخرة.

وتُوفِّي الأمير الكبير عزّ الدين أيّدمر بن عبد الله الشمسي أحدُ أكابر أمراء الألف بالديار المصرية بها في ثالث عشر صفر وقد جاوز الثمانين سنة؛ وكان أصله من ممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون. أقام أميراً نحواً من ستين سنة، وهو أيضاً ممّن كان برقوق يخشاه ويُعظّمه ويجلسُ تحته، حتّى في يوم حضور والد برقوق بخانقاة سرياقوس، جلس برقوق تحته في الملاء من الناس. فبموت هؤلاء صفًا الوقت لبرقوق - وإن كان بقي من القدماء إشتتمر المارديني وأيدمر الخوارزمي، فهما ليس كهؤلاء، فإنهما لحبهما لنيابة دمشق وغيرها يتواضعان لأصحاب الشوكة. إنتهى. وكان أيّدمر الشمسيّ هذا كونه مملوك ابن قلاوون يجلس عن اليمين وأقتمر عبد الغني عن اليسار.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله القاسمي المعروف بخازندار يلبغا العمريّ نائب حماة في هذه السنة في شهر رجب بعين تاب صحبة العساكر الشامية. وكان من أجل ممالك يلبغا العمري وأكابرهم؛ وتولّى بعده نيابة حماة مأمور القلمطاويّ اليلبغاويّ حاجب الحجاب.

وتُوفِّي الأمير علان^(١) بن عبد الله الشعبانيّ أمير سلاح في ثمانين عشر شهر ربيع الآخر؛ وهو أحد أعيان ممالك يلبغا. وكان من حزب برقوق، وقام معه في نوبة واقعة بركة أتم قيام، وكان برقوق لا يخرج عن رأيه.

وتُوفِّي خواجه فخر الدين عثمان بن مسافر، جالب الأتابك برقوق من بلاده ثم جالب أبيه وإخوته إلى الديار المصرية، بالقاهرة في سادس عشر شهر رجب. وكان

(١) في أكثر المصادر: «الآن». قال ابن حجر: «والعامة يقولون: علان، بالعين المهملة بدل الهمزة».

رجلاً مقداماً عاقلاً وقوراً. نالته السعادة لجلبه الأتابك برقوق، ومات وهو من أعيان المملكة. وكان برقوق إذا رآه قام له من بُعد وأكرمه وقبل شفاعته وأعطاه ما طلب.

وتُوفِّي الشيخ الفقير المُعتقد علي الشامي بالقاهرة في خامس صفر؛ وكان يُعرف بأبي لحاف.

وتُوفِّي الأمير علاء الدين علي بن قسْتَمُ الحاحب الشهير بالوزير في تاسع عشرين شهر ربيع الآخر. كان أميراً مائة ومقدّم ألف بديار مصر، وكان من خواصّ برقوق، وأحد من قام معه في وقائعه وساعده.

وتُوفِّي الأستاذ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بأبن السُوري العَمَّاري المَوْصلي العَوَّاد المُعَنِّي - نسبه بالعَمَّاري إلى عَمَّار بن ياسر الصحابي رضي الله عنه - في يوم العشرين من صفر بالقاهرة. وقد آنتهت إليه الرئاسة في ضرب العود والموسيقى ونالته السعادة من أجلها، حتّى إنّه كان إذا مَرَض عاده جَميعُ أعيان الدولة.

قلتُ: وهو صاحبُ التصانيف الهائلة في الموسيقى.

وتُوفِّيت المسنِّدة المُعَمِّرة جُوَيْرِيَّة بنت الشَّهاب أبي الحسن [أحمد] بن أحمد الهَكَاري في يوم السبت ثاني عشرين صفر وقد انفردت برواية النِّسائي وغيرها.

أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم خمسة أذرع وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأثنا عشر إصباعاً.

ذكر سلطنة الملك الظاهر برقوق^(١) الأولى على مصر

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن أنص^(٢) العثماني اليلبغاوي الجاركي القائم بدولة الجراكسة بالديار المصرية. وهو السلطان الخامس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية والثاني من الجراكسة، إن كان الملك المظفر بيبرس الجشنيكير جاركسياً، وإن كان بيبرس تركي الجنس فبرقوق هذا هو الأول من ملوك الجراكسة، وهو الأصح وبه نقول.

جلس على تخت الملك في وقت الظهر من يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة الموافق له آخر يوم هاتور [من الشهور القبطية] وسادس تشرين الثاني بعد أن اجتمع الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد والقضاة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني وخطب الخليفة المتوكل على الله خطبةً بليغةً. ثم بايعه على السلطنة وقلده أمور المملكة، ثم بايعه من بعده القضاة والأمراء.

ثم أفيض على برقوق خلعة^(٣) السلطنة، وهي سوداء خليفية على العادة. وأشار السراج البلقيني أن يكون لقبه «الملك الظاهر» فإنه وقت الظهر والظهور، وقد ظهر هذا الأمر بعد أن كان خافياً^(٤)، فتلقب بالملك الظاهر.

(١) ترجمته وأخباره في السلوك: ٤٧٦/٣؛ وبدائع الزهور: ٢٢٣/٢؛ والجوهر الثمين: ٢٦١/٢؛ وخطط علي مبارك: ١١٠/١؛ ونزهة النفوس والأبدان: ٣٣/١؛ والضوء اللامع: ١٠/٣؛ ودائرة المعارف الإسلامية: ٨٤/٧؛ والأعلام: ٤٨/٢. (٢) يرد أيضاً باسم «أنس».

(٣) وصفها ابن إياس بأنها عبارة عن «جبة سوداء، وشاش أسود ملفوف عمامة، وللجبة طرز زركش، وسيف بدأوي مقلد حائلي». — بدائع الزهور: ٢٢٣/٢.

(٤) في نزهة النفوس وتاريخ ابن قاضي شعبة أن السراج البلقيني قال: «هذا وقت الظهر، والظهر مأخوذ من الظهرية والظهور، وقد ظهر هذا الأمر بعد أن كان خافياً».

وَرَكِبَ فَرَسَ النَّوْبَةِ مِنَ الْحَرَّاقَةِ مِنَ الْمَقْعَدِ الَّذِي بِالْإِسْطَبْلِ السُّلْطَانِيِّ مِنْ بَابِ السُّلْسَلَةِ، وَالْقُبَّةِ وَالطَّيْرُ عَلَى رَأْسِهِ، وَطَلَعَ مِنْ بَابِ السَّرِّ^(١) إِلَى الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ،^(٢) وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ عِنْدَ رُكُوبِهِ بِأَبْهَةِ السُّلْطَنَةِ، فَتَفَاءَلَ النَّاسُ بِبَيْمَنِ سُلْطَنَتِهِ، وَمَشَتْ الْأَمْرَاءُ وَالْأَعْيَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ نَزَلَ وَدَخَلَ الْقَصْرَ الْمَذْكُورَ وَجَلَسَ عَلَى تَخْتِ الْمَلِكِ. وَكَانَ طَالِعُ جُلُوسِهِ عَلَى تَخْتِ الْمَلِكِ بَرَجَ الْحُوتِ، وَالشَّمْسُ فِي الْقَوْسِ مُتَّصِلَةٌ بِالْقَمَرِ ثَلَاثِيًّا، وَالْقَمَرُ بِالْأَسَدِ مُتَّصِلٌ بِالْمُشْتَرِيِّ ثَلَاثِيًّا، وَرُحِلَ بِالثَّوْرِ رَاجِعًا، وَالْمُشْتَرِيُّ بِالْحَمَلِ مُتَّصِلٌ بِعُطَارِدٍ مِنْ تَسْدِيسٍ، وَالْمَرِيخُ بِالْجَوْزَاءِ فِي شَرْفِهِ، وَالزُّهْرَاءُ بِالْعَقْرَبِ، وَعُطَارِدٌ بِالْقَوْسِ. وَدُقَّتِ الْبَشَائِرُ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ عِنْدَ رُكُوبِهِ ثُمَّ زُيِّنَتِ الْقَاهِرَةُ وَمِصْرُ، وَنُودِيَ بِالْقَاهِرَةِ بِالْإِعْدَاءِ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرِيقِ.

وَلَمَّا جَلَسَ عَلَى تَخْتِ الْمَلِكِ قَبِلَتْ الْأَمْرَاءُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلَعَ عَلَى الْخَلِيفَةِ عَلَى الْعَادَةِ.

ثُمَّ كَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَعْمَالِ وَخَرَجَتْ الْأَمْرَاءُ لِتَحْلِيفِ النَّوَّابِ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ. ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ فِي السُّلْطَنَةِ وَثَبَتَ قَوَاعِدَ مُلْكِهِ.

وَمَدَحَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ شِعْرَاءِ عَصْرِهِ مِنْهُمْ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْعَطَّارِ فَقَالَ: [السريع]

ظَهُورُ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ابْتَدَأَ بِالظَّاهِرِ الْمُعْتَزِّ بِالْقَاهِرِ
وَالْبِشْرُ قَدْ تَمَّ^(٣) وَكُلُّ أَمْرِيءَ مِنْشَرِحُ الْبَاطِنِ بِالظَّاهِرِ

وَقَالَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ الْأَعْرَجُ السَّعْدِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ: [الوافر]

(١) كان هذا الباب مخصصاً للدخول وخروج أكابر الأمراء وخواص الدولة كالوزير وكتاب السر وغيرهما. — انظر صبح الأعشى: ٣/٣٧٠.

(٢) القصر الأبلق: شرع في بنائه الناصر محمد بن قلاوون سنة ٥٧١٣هـ. وقد أراد به محاكاة قصر بهذا الاسم نفسه بناه الظاهر بيبرس بدمشق سنة ٥٦٦٨هـ. وكانت قد جرت العادة بأن يجلس به السلطان كل يوم للخدمة ما عدا يومي الاثنين والخميس فإن جلوسه فيها كان بدار العدل. — انظر خطط المقرئ: ٢/٢٠٩، وراجع الجزء التاسع من هذا الكتاب: ص ٣٢.

(٣) في نزهة النفوس: «عم».

تولّى المُلْكَ برقوقُ المفدَى بِسَعْدِ الْجَدِّ وَالْأَقْدَارِ حَتْمُ
 نَهَارَ الْأَرْبَعَاءِ بُعِيدَ ظَهْرٍ وللترييح في الاملاك^(١) حُكْمُ
 بِتَاسِعِ عَشْرِ رَمَضَانَ بِعَامٍ لأربع مع ثمانين يَتَمُّ

قلت: ولنذكر أمر الملك الظاهر هذا من أول ابتداء أمره فنقول:

أصله من بلاد الجارُكس وجنسه «كسا»^(٢)؛ ثم أخذ من بلاده وأبيع بمدينة قِرم، فاشتراه خواجه عثمان بن مُسافر المقدم ذكره وجلبه إلى مصر فاشتراه منه الأتابك يَلْبُغا العُمري الخاصكي الناصري في حدود سنة أربع وستين وسبعمئة أو قبلها بيسير، وأعتقه وجعله من جُملة مماليكه. واستمرّ بخدمته إلى أن ثارت ممالك يلبغا عليه وقُتل في سنة ثمان وستين وسبعمئة، فلم أدر هل كان برقوق ممن هومع أستاذه يَلْبُغا أم كان عليه. ولما قُتل يلبغا وتمزقت مماليكهُ وحبس أكثرهم حبس برقوق هذا مع مَنْ حُبس مدّة طويلة هو ورفيقه بركة الجُواني ومعهم أيضاً جارُكس الخليلي وهودونهم في الرتبة. ثم أُفْرَج عنه وخَدَم عند الأمير مَنْجك اليوسُفي نائب الشام سنين إلى أن طَلَب الملك الأشرف ممالك يَلْبُغا إلى الديار المصرية حضر برقوق هذا من جُملتهم وصار بخدمة الأسياد أولاد الملك الأشرف

(١) في نزهة النفوس: «الأفلاك».

(٢) القبائل الجركسية الرئيسية أربع وهي: «تركس» و«أركس» و«كسا» و«آس» أو «آص»؛ ومن هذه القبائل الأربع تفرعت بطون كثيرة. وقد سكنت تلك القبائل فيما مضى القسم الشمالي الغربي من القوقاس وقسماً من الشاطئ الشرقي للبحر الأسود من شبه جزيرة تان إلى حدود بلاد الأبخاز جنوباً. ولفظة «جركس» ليست جركسية، إنما يطلقها عليهم غيرهم. وقد ورد في كتب التاريخ العربية القديمة إطلاق اسم «جهاركس» و«جاركس» على الجركس، وذلك بلغة الفرس ومعناها «الرجال الأربعة» إشارة إلى قبائلهم الأربعة الرئيسية. كما وسمتهم المصادر المملوكية باسم «شركس» و«شراكسة». أما الجراكسة أنفسهم فلهم اسمهم القومي الخاص بهم في لغتهم وهو «أديغه» أو «أديغه» ومعناه عندهم «الإنسان الكامل». — و قبيلة «كسا» التي ينتمي إليها السلطان برقوق كانت تسكن ما وراء مضيق «داريال» وفي حوض نهر قوبان إلى البحرين الأزرق والأسود. ويسميهم جيرانهم الأص باسم «كسك» وهو المذكور باسم «كشك» في مروج الذهب للمسعودي، وذكره صاحب تقويم البلدان باسم «كساق». وهم فرسان معروفون أخذ الروس تسمية الفرسان باسم «قوزاق» من هذا الاسم. وقبيلة «كسا» هي التي خصها الروس باسم «سرقسيان» في زمن متأخر. (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٢٠٨/١١ - ٢٣٣).

جُنْدِيًّا. ولم يزل على ذلك حتى ثار مع من ثار من مماليك يلبغا على الملك الأشرف شعبان في نُوْبَةِ قَرَطَايِ وَأَيْبِنِكَ وغيرهما في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وَقُتِلَ الأشرف.

ثم لَمَّا وقع بين أَيْنِكَ وقرطاي، وانتصر أَيْنِكَ على قرطاي، أنعم أَيْنِكَ عليه بإمرة طبلخانة دَفْعَةً واحدة من الجندية، فدام على ذلك نحو الشهر. وخرج أيضاً مع مَنْ خرج على أَيْنِكَ من الِيلْبُغَاوِيَةِ فأخذ إمرة مائة وتقدمة ألف، وكذلك وقع لرفيقه بَرَكَةَ. ثم صار بعد أيام قليلة أمير آخور كبيراً، ودام على ذلك دون السنة. واتفق مع الأمير بركة على مَسْكَ طَشْتَمُرِ الدوادار، ومسكاه بعد أمور حكيناها في ترجمة الملك المنصور عليّ، وتقاسما المملكة؛ وصار برقوق أتابك العساكر، وبركة رَأْسَ نُوْبَةِ الأُمراءِ أَطَابِكًا، فدام على ذلك من سنة تسع وسبعين إلى سنة اثنتين وثمانين. ووقَّع بينه وبين خشداشه بَرَكَةَ، وقبض عليه بعد أمور وحروب، وصفا له الوقت إلى أن تسلطن. وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه، غير أننا ذكرناه هنا ثانياً على سبيل الاختصار لينتظم سياق الكلام مع سياقه. انتهى.

قال المقرئزي - رحمه الله: وكان اسمه أَلْطَنْبُغًا فغيّره أستاذُه يَلْبُغَا لَمَّا اشتراه وسمّاه برقوقاً [للتواء في عينه] (١) وقال القاضي علاء الدين عليّ ابن خطيب الناصرية: (٢) كان اسمه «سودون» نقلًا عن قاضي القضاة وليّ الدين أبي زُرْعَةَ العِراقِيّ عن التاجر بُرْهان الدين المحلّيّ عن خواجه عثمان بن مُسافر.

والقولان ليسا بشيء، وإن كان النقلة لهذا الخبر ثقات في أنفسهم فإنهم ضعفاء في الأتراك وأسمائهم وما يتعلق بهم، لا يرجع إلى قولهم فيها. والأصح أنه من يوم وُلِدَ اسمه برقوق كما سنبينه في هذا المحلّ من وجوه عديدة منها: أن الخواجه عثمان كان لا يعرف بالعربية، وكان البُرْهان المحلّيّ لا يعرف باللغة التركية

(١) زيادة عن السلوك للمقرئزي.

(٢) هو علي بن محمد بن سعد، أبو الحسن الطائي المعروف بابن خطيب الناصرية: مؤرخ من القضاة. من كتبه «الدرّ المنتخب في تاريخ حلب» جعله ذيلًا لتاريخ ابن العديم. توفي سنة ٥٨٤٣هـ. (الأعلام:

كلمة واحدة، فكيف دار بينهما الكلام، حتى حَكَى له ما نُقِل! وإن وقع اجتماعهما في بعض المجالس وتكالمًا، فالبرهان يفهم عنه بالرمز لا بالتحقيق - وليس بهذا نستدل، بل أشياء أُخِرَ منها: أن والد الملك الظاهر برفوق لَمَّا قَدِمَ من بلاد الجاركس إلى الديار المصرية ونزل الملك الظاهر برفوق في وجوه الأمراء إلى ملاقاته بالعِكرِشة - وقد تقدّم ذكرُ ذلك كلّه - وكان يوم ذلك برفوق مرشحاً للسلطنة، فعندما وقع بصر والده عليه وأخذ برفوق في تقبيل يده ناداه باسمه برفوق من غير تعظيم ولا تحشُّم. وكان والد برفوق لا يَعْرِفُ الكلمة الواحدة من اللغة التركية، فلمَّا جلس في صدر المخيم وصار يتكلّم مع ولده برفوق بالجاركس تكرّر منه لفظ «برفوق» غير مرة.

ثم لَمَّا قَدِمَ وصار أمير مائة ومقدّم ألف استمرّ على ما ذكرناه من أنه ينادي برفوقاً باسمه، ولا يَقُومُ له إذا دخل عليه؛ فكلمه بعض أمراء الجراكسة أن يُخاطبه بالأمر، فلم يفعل، وغَضِبَ، وطلب العود إلى بلاد الجاركس؛ فلو كان لبرفوق اسم غير برفوق ما ناداه إلاّ به، ولو قيل له في ذلك ما قبله. فهذا من أكبر الأدلة على أن اسمه القديم «برفوق». وكذلك وقع لبرفوق مع الخوندات، فإن أخته الكبرى كانت أرضعت برفوقاً مع ولد لها، وكانت أيضاً لا تعرف باللغة التركية، فكان أعظم يمين عندها: «وحقّ رأس برفوق». وقدم مع الخوندات جماعة كبيرة من أقاربهم وحواشيهم، وتداول مجيئهم من بلاد الجاركس إلى القاهرة إلى الدولة الناصرية، ورأيت أنا الخوندات غير مرة.

وأما جواريتهم وخدمتهم فصار غالبيتهم عندنا بعد موتهم. واستولد الوالد بعض من حضر معهم من بلاد الجاركس من الجوارى. وكان غالب من حضر معهم من عجائز الجراكسة يَعْرِفُ مولد برفوق، فلم نسمع من أحد منهم ما نقله من تغيير اسمه ولا من أحد من مماليكه مع كثرة عددهم واختلاف أجناسهم ومنهم من يدعي له بقرابة مثل الأمير قَجْمَاس والد إينال الأمير الآخور الكبير وغيره، وقد أثبت ذرية قَجْمَاس المذكور أنه أبْنُ عمِّ برفوق بسبب ميراث مماليكه بمحضر شَهِدَ فيه جماعة من قُدماء الجراكسة وسُمِّيَ فيه برفوق برفوقاً وسُمِّيَ قَجْمَاس قجماساً.

ثم لما وَقَفْتُ على هذه النُّقُولِ الغريبة سَأَلْتُ عن ذلك من أكابر ممالِكِ برقوق، فكلُّ من سَأَلْتُ منه يقول: «لم يطرق هذا الكلامُ سمعي إلا في هذا اليوم» هذا مع كثرتهم وتعظيمهم لأستاذهم المذكور وحفظهم لأخباره، وما وقع له قديماً وحديثاً حتى إن بعضهم قال: «هذا اسم جاركسي، ويُلَبَّغُ اسم تَتْرِي لا يُعرف معناه» ثم ذَكَر معناه فقال: «هذا الاسمُ أصلُهُ «ملي جُق» ومعناه بالجاركسي غَنَامٌ؛ فَإِنَّ «ملي» بلغتهم اسم للغنم، ثم خَفَّفَ على «جُق» ببرقوق» ثم ذكر أسماء كثيرة، كان أصلها غير ما هي عليه الآن مثل «بايزير» فسمي «بايزيد» ومنهم مَنْ جعله كنيةً أبي يزيد، ومثل «آل باي» فسمي «علي باي» وأشياء من ذلك يطول شرحها. وقد خرجنا عن المقصود لتأييد قولنا، وقد أوضحنا هذا وغيره في مُصَنَّفٍ على حَدِّثِهِ في تحريف أولاد العرب للأسماء التركيبية والعجمية وفي شهرتهم إلى بلادهم في مثل جَانَبِك وتَتْبِك وشَيْخُون، ومثل من نُسِبَ إلى قَيْرُوز باد واستراباد من زيادة ألفاظ وترقيق ألفاظ يتغيَّر منها معناها، حتَّى إن بعض الأتراك أو الأعاجم إذا سَمِعَهَا لا يفهمها إلا بعد جهد كبير. إنتهى.

وأما الملك الظاهر بَرَّقُوق فإنه لَمَّا تسلطن جلس بالقصر الأبلق ثلاثة أيام، فصارت هذه الإقامة سُنَّةً بعده لمن يتسلطن ولم تكن قبل ذلك. فلَمَّا كان يوم الاثنين رابع عشرين شهر رمضان قُرِئَ عهدُ الملك الظاهر برقوق بالسلطنة بحضرة الخليفة والقضاة والأمراء وأعيان الدولة، وَخَلَعَ السلطان عليهم الخِلاَعَ السِنِّيَّةَ.

ثم أَخْلَعَ على الأمير أَيْتَمُشُ البجاسي باستمراره رأس نوبة الأمراء وأطابكاً، وعلى الأمير أَلْطُنْبُغَا الجوباني أمير مجلس على عاداته، وعلى جاركس الخليلي الأمير آخور الكبير على عاداته، وعلى الأمير سُودُونُ الفخريّ الشيخونيّ حاجب الحجاب باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية، وكانت شاغرةً من يوم مات الأمير أَقْتَمُرُ عبد الغني. وَخَلَعَ على الأمير أَلْطُنْبُغَا الكوكائي أمير سلاح، وأستقرّ حاجب الحجاب عوضاً عن سُودُونُ الشيخونيّ، وعلى الأمير أَلْطُنْبُغَا المعلم باستقراره أمير سلاح عوضاً عن الكوكائي المُنتَقِلِ إلى الحجويّة.

قلت: وهذا مما يدل على أن وظيفة إمرة سلاح كانت إذ ذاك دون الحجوية إنتهى.

ثم أخلع السلطان على الأمير يُونس النوروزي دواداره قديماً باستقراره دواداراً كبيراً بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضاً عن الألبغا العثماني المقبوض عليه قبل تاريخه، وعلى الأمير قردم الحسني اليلبغاوي باستقراره على عادته رأس نوبة ثانياً بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضاً عن الألبغا.

وهذه الوظيفة هي الآن وظيفة رأس نوبة النوب، وقد بينا ذلك في غير موضع.

ثم خلع السلطان على القضاة الأربعة؛ وهم: قاضي القضاة بدر الدين بن أبي البقاء السبكي الشافعي، وقاضي القضاة صدر الدين بن منصور الحنفي، وقاضي القضاة جمال الدين بن خير المالكي، وقاضي القضاة ناصر الدين العسقلاني الحنبلي. وخلق على قضاة العسكر [و] مفتي دار العدل^(١)، ووكلاء بيت المال، وعلى مباشري الدولة، وعلى القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر، وعلى علم الدين سنن إمرة الوزير، وعلى تقي الدين محمد بن محبب الدين ناظر الجيش، وعلى سعد الدين بن البقري ناظر الخاص.

ثم خلع الملك الظاهر على القاضي أوحده الدين عبد الواحد موقعه في أيام إمرته، وعلى جمال الدين محمود القيصري محتسب القاهرة، وعلى سائر أرباب الدولة وأعيان المملكة فكان يوماً مشهوداً.

(١) كانت تطلق دار العدل أولاً على الدار القديمة التي كانت تحت القلعة في المكان الذي شغلته فيما بعد الطبلخانة السلطانية، وقد بناها الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٦١هـ، وظلت موجودة حتى استجد السلطان قلاوون الإيوان فهجرت دار العدل ثم هدمها الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٢هـ. أما الإيوان الذي أقامه المنصور قلاوون فقد أصبح يعرف بدار العدل، وهو المقصود هنا. وأخذ السلاطين يجلسون فيه أياماً معددة في الأسبوع للنظر في المظالم، ثم تحول عنه الظاهر برقوق إلى الإسطبل السلطاني في الأحكام وذلك منذ رمضان سنة ٧٨٩هـ. (انظر خطط المقريري: ٢/٢٠٤ - ٢٠٨).

ثم في يوم الخميس سابع عشرينه طلب السلطان سائر الأمراء والأعيان، وحلّفهم على طاعته. وفيه أيضاً خلّع على الأمير بهادر المَنجَكِيّ، وأستقرّ أستاذاراً بإمرة طبلخاناه، وأُضيف إليه أستاذارية المقام الناصريّ محمد أبين السلطان الملك الظاهر برقوق.

ثم في يوم الاثنين تاسع شوال أخلع السلطان على العلامة أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين الحنفيّ باستقراره كاتب السرّ بالديار المصرية عوضاً عن القاضي بدر الدين بن فضل الله بحكم عزله.

ثم أخلع السلطان على الأمير جُلبان العلائيّ وأستقرّ حاجباً خامساً، ولم يُعهد قَبْلَ ذلك بديار مصر خمسة حُجّاب، وعُدَّ ذلك من الأشياء التي أستجدّها^(١) الملك الظاهر برقوق.

وأخلع على رجل من صُوفيّة خانقاه شَيْخون يُقال له خَيْرُ الدين [العَجَمِيّ]^(٢) بأستقراره قاضي قضاة الحنفيّة بالقدس الشريف.

ثم أخلع أيضاً على رجل آخر من صوفيّة خانقاه شَيْخون يُقال له مَوْفِقُ الدِّين العَجَمِيّ بقضاء غزة، كلُّ ذلك بسفارة الشيخ أكمل الدِّين شيخ الخانقاه الشَّيْخُونِيَّة. وهذا أيضاً ممّا أستجدّه الملك الظاهر، فإنه لم يكن قبل ذلك بالقدس ولا بغزة قاضٍ حَنَفِيّ.

ثم في يوم الأربعاء تاسع عشرين شوال ركب السلطان الملك الظاهر من قلعة الجبل وعُدّى النيل من بربلاق إلى الجيزة وتصيّد ثم عاد من آخر النهار، وقد ركب الأمير أَيْتَمُش عن يمينه والعلامة أكمل الدين شيخ الشَّيْخُونِيَّة عن يساره.

ثم رَسَمَ السلطان بعد عَوْدِهِ من الصَّيْد بأستقرار بدر الدين محمد بن أحمد

(١) ذكر القلقشندي في صبح الأعشى: ١٩/٤ أنه جرت العادة أن يكون خمسة حُجّاب، اثنان من مقدّمي الألف، وأحدهما يكون حاجب الحُجّاب. كما ذكر أن حاجب الحُجّاب كان يقوم مقام النائب في كثير من الأمور.

(٢) زيادة عن السلوك.

[بن إبراهيم^(١)] بن مَزْهَر في كتابه سرّ دِمَشقِ عِوضاً عن القاضي فتح الدين [محمد]^(١) بن الشهيد.

ثم وَرَدَ الخَبْرُ على السلطان من الأمير يَلْبَغَا الناصريّ نائب حلب بأنّ الأمير أَلْطُنْبَغَا السلطانيّ نائب أُبْلُسْتين^(٢) عَصِيّ وَطَلَعَ إلى قلعة^(٣) دَارَنْدَة المضافة إليه، أمسك بعضَ أمرائها وأطلع إلى دَارَنْدَة ذَخَائِرَها؛ فَرَكِبَ العسكر الذين هم بالمدينة عليه وأمسكوا مماليكه وحاصروه فطلب الأمان منهم. ثم فرّ من القلعة إلى أُبْلُسْتين ثانياً فكتب إليه الناصريّ نائب حلب يُهدّده فلم يرجع إليه وفرّ هارباً إلى بلاد التتار وقال: «لا أكون في دولة حاكمها جاركسيّ!»

وفي يوم السبت سبع عشر ذي القعدة ركب السلطان أيضاً من القلعة إلى جهة المطرية ومضى إلى قناطر [بحر] أبي مُنْجَا، ثم عاد وشقّ القاهرة من باب الشعرية^(٤)؛ وكان لمروره يومٌ مشهودٌ، وهو أوّل ركوبه ومروره من القاهرة في سلطته.

(١) زيادة عن السلوك.

(٢) أبْلُسْتين: موقعها في الشرق من قيصرية. وكانت تعد من مدن الثغور في أيام الروم. (بلدان الخلافة الشرقية: ١٧٨).

(٣) كانت قلعة دارندة من بلاد الثغور والعواصم الخارجة عن حدود البلاد الشامية ولها نائب أمير عشرة وربما طبلخاناه، وولايتها في الحالتين من نائب حلب. (صبح الأعشى: ٢٢٨/٤) — وذكرها ابن الشحنة من ضمن الأعمال الحلبية، قال: «مدينة درندة وقلعتها، وهي قاطع بهسني إلى الروم. كان فتحها سنة خمس عشر وسبعمئة بعد فتح ملطية» — وذكر في مكان آخر أن درندة تعتبر آخر الأعمال الحلبية من جهة الروم. (الدر المنتخب: ٢٣٠، ٢٣٩).

(٤) باب الشعرية: أحد أبواب القاهرة الخارجية في سورها البحري. وهذا الباب يعرف بطائفة من البربر المغاربة يقال لهم بنو الشعرية. (خطط المقرئ: ٣٨٣، ٣٧٧/١). وذكر الاستاذ محمد رمزي أن الناس جهلوا الموقع الأصلي لهذا الباب فأطلقوا اسمه خطأ على باب آخر هو باب القنطرة وسموه باب الشعرية في حين أن البابين غير متجاورين والمسافة بينهما لا تقل عن ٢٣٠ متراً. كما أن مصلحة التنظيم أطلقت اسم باب العدوي الذي هو بذاته باب الشعرية على زقاق بشارع البغالة البحري شرقي شارع الخليج المصري في حين أن هذا الباب يقع غربي شارع الخليج.

ثم قَدِمَ الخَبْرُ على السلطان بفرار الأمير آقْبغا من عبد الله نائب غزوة منها إلى الأمير نُعَيْر^(١).

وفي هذه الأيام أخلع السلطان على الأمير قَرْقِماس الطَشْتَمْرِي باستقراره خازنداراً كبيراً.

وفي سابع^(٢) عشر ذي الحجة من سنة أربع وثمانين وسبعمائة ركب السلطان من القلعة وعدى النيل إلى برّ الجيزة ثم عاد من بُلّاق^(٣) في سابع عشر ذي الحجة المذكور.

وفي سابع عشرين ذي الحجة قَدِمَ الأمير أَلْطَبْغا الجُوبانِي أمير مجلس من الحجاز؛ وكان حج مع الركب الشاميّ وعاد من طريق الحجّ المصريّ.

وفي يوم السبت أوّل مُحَرَّم سنة خمس وثمانين وسبعمائة قَدِمَ الأمير يلبغا الناصريّ نائب حلب إلى الديار المصرية، فخرج الأمير سُودون الشَّيْخُونِيّ النائب إلى لقائه وجماعة من الأمراء؛ وطَّلَعَ الجميع في خدمته إلى القلعة، وقَبِلَ الناصريّ الأرض بين يدي السلطان الملك الظاهر.

وخلع السلطان عليه بالاستمرار على نيابة حلب؛ فكان مجيء الناصري إلى مصر أوّل عظمة نالت الملك الظاهر برقوقاً؛ لأن يلبغا الناصري المذكور كان من كبار مماليك الأتابك يلبغا العمري وممن تأمر في أيام يلبغا، وبرقوق كان من صغار مماليكه. وأيضاً فإن الناصري كان في دولة الملك الأشرف شعبان بن حسين أمير مائة ومقدّم ألف وبرقوق من جملة الأجناد ممن يتردد إليه ويقوم في مجلسه على

(١) هونعير بن حيار بن مهنا، أمير آل مهنا من العرب. ويقال له محمد بن حيار، وقد أسهم في أحداث الفتنة التي ستقع بين يلبغا الناصري ومنطاش وبرقوق. وكان بينه وبين بني عمه قتال، فلما كان عهد فرج بن برقوق قاتله الأمير جكم وكسره، وجاء به إلى حلب حيث قتل في شوال سنة ٥٨٠٨هـ. (انظر الضوء اللامع: ٢٠٣/١٠).

(٢) في السلوك ونزهة النفوس: «رابع عشرينه».

(٣) أي بولاق، كما في أكثر المصادر.

قدميه^(١)، فلم يمض غيرُ سنّياتٍ حتى صار كلُّ منهما في رتبةٍ معروفةٍ. فسبحان مغيّرِ حالٍ بعد حالٍ. ويُلَبِّغا الناصري هو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق الآتي ذكرها - إن شاء الله تعالى - في هذا المحل.

ثم نزل الأمير يَلْبُغا الناصري وعليه خِلْعَةٌ الاستمرار بنبابة حلب وعن يمينه الأمير أَيْتَمُش وعن يساره الأمير أَلْطُنْبُغا الجُوباني ومن ورائه سبعة جنائب من خيل السلطان بسروج ذهب وكتائب زُرْكَش أنعم بها عليه. ثم حمل إليه السلطان والأمراء من التّقادُم مما يَجِلُّ وصفه.

ثم ركب السلطان في يوم السبت ثامن المحرم ومعه الأمير يَلْبُغا الناصري، وعدى النيل من بُلّاق إلى برّ الجيزة، وتصيّد، وعاد في آخر النهار.

وفي عاشره خَلَعَ السلطان على الأمير يلبغا الناصري نائب حَلَب خِلْعَةً السفر، وخرج من يومه إلى محل كفالتة بحلب.

ثم في يوم الاثنين سابع عشره أخلع السلطان على شمس الدين إبراهيم كاتب أُرْنان^(٢) وأستقرّ به وزيراً على شروط عديدة، منها: أنه لا يلبس خِلْعَةً الوَزْر، فأجيب ولبس خِلْعَةً [من صوف]^(٣) كخِلْعَةِ القضاة وغير ذلك^(٤).

وفيه وصل الأمير أسد الدين الكُردي أحدُ أمراء حلب في الحديد لشكوى

(١) أشار الخطيب الجوهري في نزّهة النفوس إلى أن العادة كانت «إذا اجتمع الأشرفية والمالكية المنضمون للأسياد تجلس الأشرفية ويقف ما عداهم». وكانت عادة برقوق إذا ضمه مجلس مع الناصري قام على رجله بين يديه». وقد دأب السلطان برقوق منذ توليه الحكم على الخطّ من شأن المالكية الأشرفية والترك وإعلاء شأن الجراكسة، مما سيكون له أثره البارز في التحالف الذي سيقوم بين يلبغا الناصري ومنطاش.

(٢) في السلوك ونزّهة النفوس والدرر الكامنة والمنهل الصافي: «أرلان».

(٣) زيادة من المصادر أعلاه.

(٤) لم يشر المؤلف هنا إلى الشرط الأهم الذي اشترطه الوزير وهو أن ينفرد بالكلام في الدولة من غير مشورة أو مشاركة من أحد، وخاصة الأمير جركس الخليلي الذي كان مقرباً من برقوق وكان المتحدث في أمور الدولة. (انظر في ذلك السلوك: ٤٨٦/٣، ونزّهة النفوس: ٦٠/١).

بعض التُّجَّار عليه أنه غَصَبه مملوكاً، فُحِسَ أياماً، ثم أُفْرِج عنه، وأُخْرِجَ على تَقْدِمة ألف بَطْرَانِس.

ثم عَزَلَ السلطان الأميرَ إينالَ اليُوسُفِي عن نيابة صَفْدَ بالأمير تَمْرَبَاي التَّمْرَدَاشِي، وأنعمَ على إينال بتقدمة ألف بدمشق.

وفيه استعفى الأميرُ يَلُو من نيابة حَمَاة فأعفي.

وفي تاسع عشرة قَدِمَ سالم الدوكاري^(١) من حلب فأكرمه السلطان وأخلع عليه وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بحلب.

وفي ثامن عشرين جمادى الأولى وهو سادس^(٢) مسرى أوفى النيل، فنزل الملك الظاهر من القلعة في موكب عظيم حتى عَدَى النيل وَخَلَقَ المقياس^(٣)، وَفَتَحَ خَلِيجَ السَّدِّ^(٤). وهذا أيضاً مما استجدّه الملك الظاهر برقوق، فإنه لم يُعْهَدَ بَعْدَ الملك الظاهر بيبرس البُنْدُقَدَارِي سلطانُ نزل من القلعة لتخليق المقياس وفتح الخليج غير الملك الظاهر هذا، فهو أيضاً ممن آستجدّه لَطُولُ ترك الملوك له.

وفي هذا الشهر أخلع السلطان على الأمير صَنْجِقُ الحَسَنِي اليلبغاوي نيابة حَمَاة عوضاً عن يَلُو بحكم استعفائه عن نيابة حَمَاة.

وفيه ورد الخبرُ بموت الأمير تَمْرَبَاي التَّمْرَدَاشِي نائِبَ صَفْدَ بعد أن أقام على نيابة صَفْدَ خمسة أيام، فأخلع السلطانُ بعد مَدَّة على الأمير كَمَشْبُغَا الحمويّ نيابة

(١) كان سالم الدوكاري هذا قد أخذ في قطع الطريق على حجاج الموصل وذبحهم وأخذ أموالهم، فاجتمع لمحاربه حاكم الموصل قرا محمد وضياء الملك بن يوزدوغان فشتتا جمعه ولم يجد بداً من تقديم الطاعة والالتجاء إلى يلغا العمري الذي أرسله إلى مصر. (السلوك: ٤٨٩/٣، ونزهة النفوس: ٦٤/١).

(٢) كذا أيضاً في نزهة النفوس. وفي السلوك: «خامس».

(٣) تخليق المقياس: أي تطيب عموده بالخلوق أو الزعفران، وهي عادة كانت متبعة احتفاءً بوفاء النيل وارتفاع مائه إلى الحد المطلوب لرّي المزروعات والشرب. وعند وفاء النيل يصدر الأمر برفع السدّ الذي كان يقام سنوياً عند فم الخليج فتدخل مياه النيل في الخليج وتسير فيه إلى نهايته. وهذا ما يسمى بكسر الخليج - راجع أيضاً فهرس المصطلحات: وفاء النيل وكسر الخليج.

(٤) المراد به الخليج المصري أو الخليج الناصري. - راجع فهرس الأماكن.

صفد عَوْضَه. وَكُمُشْبِغَا هَذَا هُوَ أَكْبَرُ مَمَالِكِ يَلْبُغَا الْعُمَرِيِّ وَمَمَّنْ صَارَ فِي أَيَّامِ أَسْتَاذِهِ أَمِيرَ طَبْلَخَانَاهُ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنِ طَاعَةِ أَسْتَاذِهِ يَلْبِغَا، وَلِهَذَا مَقَّتَهْ خَشْدَاشِيَّتِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى أَسْتَاذِهِمْ يَلْبِغَا، لِكُونِهِ لَمْ يُوَافِقَهُمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ وَلِي نِيَابَةِ دِمَشْقَ وَصَفْدَ، وَطَرَابُلُسَ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَفِي أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ طَلَعَ الْأَمِيرُ [صَلَاحُ الدِّينِ] مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى السُّلْطَانِ وَنَقَلَ لَهُ عَنِ الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ اتَّفَقَ مَعَ الْأَمِيرِ قُرْطُ بْنُ عَمْرِ التُّرْكَمَانِيِّ الْمَعزُولِ عَنِ الْكُشُوفِيَّةِ^(١) وَمَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قُطْلُوقْتَمُرِ الْعَلَاثِيِّ أَمِيرِ جَانْدَارٍ وَمَعَ جَمَاعَةَ مِنَ الْأَكْرَادِ وَالتُّرْكَمَانَ، وَهَمَّ نَحْوَ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ فَارِسَ، أَنَّهُمْ يَثْبُونُ عَلَى السُّلْطَانِ إِذَا نَزَلَ مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى الْمِيدَانِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِلْعِبْ بِالْكَرَةِ يَقْتُلُونَهُ وَيُمْكِنُونَ الْخَلِيفَةَ مِنَ الْأَمْرِ وَالْإِسْتِبْدَادِ بِالْمُلْكِ. فَحَلَفَ السُّلْطَانُ ابْنَ تَنْكَزَ عَلَى صِحَّةٍ مَا نَقَلَ، فَحَلَفَ لَهُ، وَطَلَبَ يَحَاقِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ. فَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَإِلَى قُرْطُ وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ قُطْلُوقْتَمُرِ، فَأَحْضَرَهُمْ، وَطَلَبَ سُودُونَ النَّائِبِ وَحَدَّثَهُ بِمَا سَمِعَ، فَأَخَذَ سُودُونَ يُنْكِرُ ذَلِكَ وَيَسْتَبْعِدُ وَقَوْعَهُ مِنْهُمْ. فَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِالثَّلَاثَةِ فَحَضَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَ لَهُمْ مَا نَقَلَ عَنْهُمْ فَأَنْكَرُوا إِلَّا قُرْطُ، فَإِنَّهُ خَافَ مِنْ تَهْدِيدِ السُّلْطَانِ، فَقَالَ: «الْخَلِيفَةُ طَلَبْنِي وَقَالَ: هُوَ لَاءٌ ظَلَمَةٌ وَقَدْ آسْتَوْلَوْا عَلَى هَذَا الْمُلْكِ بَغَيْرِ رِضَائِي، وَإِنِّي لَمْ أَقْلُدْ بَرَقُوقًا السُّلْطَانَةَ إِلَّا غَضَبًا؛ وَقَدْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ. وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَقُومَ مَعَهُ وَأَنْصُرَ الْحَقَّ، فَأَجَبْتُهُ إِلَى ذَلِكَ وَوَعَدْتُهُ بِالمُسَاعَدَةِ، وَأَنْ أَجْمَعَ لَهُ ثَمَانِمِائَةَ وَاحِدٍ مِنَ الْأَكْرَادِ وَالتُّرْكَمَانَ وَأَقُومَ بِأَمْرِهِ» فَقَالَ السُّلْطَانُ لِلْخَلِيفَةِ: «مَا قَوْلُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: «لَيْسَ لِمَا قَالَ صِحَّةٌ» فَسَأَلَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ قُطْلُوقْتَمُرِ عَنِ ذَلِكَ، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ حَاضِرًا هَذَا الْإِتِّفَاقَ؛ لَكِنَّ الْخَلِيفَةَ طَلَبْنِي إِلَى بَيْتِهِ بِجَزِيرَةِ الْفَيْلِ وَأَعْلَمَنِي بِهَذَا الْكَلَامِ وَقَالَ لِي:

(١) الكشوفية: هي وظيفة الكاشف؛ وهو الذي يشرف على أحوال الأراضي والجسور، ولذلك يسمى «كاشف الجسور» أو «كاشف التراب». وكان بالوجه القبلي ثلاثة مقرهم الفيوم والصعيد الأدنى والصعيد الأعلى؛ وبالوجه البحري اثنان مقرهما الشرقية والغربية. وكان الكاشف من أمراء الطبلخاناه. (صبح الأعشى: ٤/٢٥٠، ٦٥؛ وزبدة كشف الممالك: ١٢٩ - ١٣٠).

إِنَّ هَذَا مصلحة. ورغبني في موافقته والقيام لله تعالى ونصرة الحق». فأنكر الخليفة ما قاله إبراهيم أيضاً. وصار إبراهيم يذكر له أمارات والخليفة يحلف أن هذا الكلام ليس له صحة؛ فأشدد حنق الملك الظاهر وسأل السيف ليضرب عنق الخليفة؛ فقام سُودون النائب وحال بينه وبين الخليفة، وما زال به حتى سَكَنَ بعض غضبه. فأمر الملك الظاهر بقرط وإبراهيم يُسَمِّرا، وأستدعى القضاة ليُفتوه بقتل الخليفة، فلم يُفتوه بقتله، وقاموا عنه^(١) فأخذ [بقوق] الخليفة وسجنه بموضع في قلعة الجبل وهو مقيد، وسمرقُوط وإبراهيم وشُهراً في القاهرة ومصر. ثم أوقفاً تحت القلعة بعد العصر، فنزل الأمير أيدُكار الحاجب وسار بهما ليوسطاً خارج باب المحروق من القاهرة، فابتدأ بقرط فوسُط، [وقبل أن يوسُط إبراهيم]^(٢) جاءت عِدَّة من المماليك بأن الأمراء شفَعوا في إبراهيم، ففكَّت مساميره وسُجِنَ بخزانة شمائل.

ثم طلب السلطان زكرياء وعمر آبنِي إبراهيم عمَّ المتوكَّل، فوقع اختياره على عمر فولَّاه الخلافة وتلقَّب بالوائق بالله، كلُّ ذلك في يوم الاثنين أول شهر رجب.

ثم في يوم الاثنين ثامن شهر رجب أخلع السلطان على الطواشي بهادر الرومي وأستقرَّ مقدَّم المماليك السلطانية عوضاً عن جَوهر الصَّلاجي.

ثم في يوم السبت ثالث عشرة ركب السلطان إلى الميدان ثاني مرة للعب الكرة. ثم ركب في يوم السبت عشرينه ثالث مرة. ثم ركب في يوم السبت سابع عشرينه إلى خارج القاهرة وعاد من باب النصر ونزل بالبيمارستان المنصوري. ثم ركب منه إلى القلعة، فلم يتحرَّك أحدٌ بأمر من الأمور.

ثم خرَّج السلطان إلى سرحة سرياقُوس على العادة في كلِّ سنة وأقام بها أياماً وعاد؛ وفي عوده قبض على سعد الدين نصر الله بن البقري ناظر الخاص بالخدمة. وخلع السلطان على موفَّق الدين أبي الفرج عبد الله الأسلمي بنظر الخاص عوضاً

(١) أي انصرفوا من عند السلطان.

(٢) عبارة الأصل: «فابتدأ بقرط فوسُط، وأبى أن يأخذوا إبراهيم جاءت عدة... الخ» وما أثبتناه بين معقوفين عن السلوك.

عن ابن البقري، وأجرى على ابن البقري العقوبة ثم ضربه بالمقارع، بعدما أخذ منه ثلاثمائة ألف دينار.

وفيه شَفَعَ الأمراء في الخليفة، وتقدّم منهم الأمير أَيْتَمَش والامير أَلْطُنْبغا الجوباني وقبلا الأرض وسألا السلطان في العفو عنه وترفقاً في سؤاله؛ فعَدَدَ لهما السلطان ما أراد أن يفعله بقتله، فما زالا به حتى أمر بفك قيده.

وفي هذه السنة توجه السلطان عدة مرار للصيد ببر الجيزة وغيرها، وفي الأخير اجتاز السلطان بخيمة الأمير قَطْلُقْتَمَر العلائّي أمير جاندار ووقف عليها، فخرج قطلقتمر إليه وقدم له أربعة أفراس فلم يقبلها، فقبل الأرض ثانياً وسأل السلطان أن يقبلها، فأجاب سؤاله وقبلها وسار حتى نزل بمخيمه. وفي الحال استدعى بإبراهيم ابن قَطْلُقْتَمَر المذكور من خزانه شمائل وأطلقه وخلع عليه وأركبه فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وأعطاه ثلاثة أرؤس أحر، وهي التي قدمها أبوه للسلطان، وأذن له أن يمشي في الخدمة، ووعده بإمرة هائلة، وأرسله إلى أبيه قطلقتمر المذكور، فسر به سروراً زائداً. وكان قطلقتمر في مدة حبس ابنه لم يحدث السلطان ولا الأمراء في أمر ابنه بكلمة واحدة، فأتاه الفرج من الله تعالى بغير مينة^(١) أحد.

وفي هذه الأيام جمع السلطان القضاة وأشترى الأمير أَيْتَمَش البجاسي - وهو يوم ذاك رأس ثوبة الأمراء وأطابك وأكبر جميع أمراء ديار مصر - من ذرية الأمير جرجي الإدريسي نائب حلب، بحكم أن جرجي لَمَامَات لم يكن أَيْتَمَش ممن أعتقه، فأخذه بعد موته الأمير بجاس وأعتقه من غير أن يملكه بطريق شرعي، وأثبتوا ذلك على القضاة؛ فعند ذلك اشتراه الملك الظاهر من ذرية جرجي بمائة ألف درهم، وأعتقه، وأنعم عليه بأربعة^(٢) آلاف درهم وبناحية سَفَط رشين^(٣) ثم خلع السلطان على القضاة والموقعين الذين سجّلوا قضية البيع والعتق.

(١) الأصل: «مأنة».

(٢) في السلوك ونزهة النفوس: «بأربعمائة ألف درهم فضة».

(٣) في الأصل: «سغط رشيد» والتصحيح عن القاموس الجغرافي لمحمد رمزي: ١٤٠/٢/٣.

وفي يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة أفرج السلطان عن الخليفة المتوكل على الله، ونُقِلَ من سجنه بالبُرج إلى دارٍ بالقلعة وأُحْضِرَ إليه عياله.

ثم في يوم السبت ثالث صفر من سنة ست وثمانين وسبعمائة قبض السلطان على الأمير يَلْبُغا الصغير الخازندار، وعلى سبعة من المماليك وشيبي بهم أنهم قصدوا قتل السلطان فضربهم ونفاهم إلى الشام.

وفي يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول قَدِمَ الأمير بَيْدَمُرُ الخوارزمي نائب الشام؛ فأجلسه السلطان فوق الأمير سُودُونُ النائب بدار العدل. ثم في ثالث عشره خَلَعَ عليه السلطان، وقَيَّدَ له ثمانية جنائب من الخيل بقماش ذهب، جَرَّوْها الأوجاقية^(١) خلفه.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرة نَزَلَ السلطان لعيادة الأمير أَلْطُنْبُغا الجوباني أمير مجلس وقد توَعَّك.

وفيه قَدِمَ الأميرُ بَيْدَمُرُ نائب الشام تقدمته للسلطان، وكانت تشتمل على عشرين مملوكاً، وثلاثة وثلاثين جَمَلاً عليها أنواعُ الثياب من الحرير والصوف والفرو، وثلاثة وعشرين كلباً سَلُوقِيّاً، وثمانية عشر فرساً عليها أجلالٌ حرير، وخمسين فحلاً، واثنين وثلاثين حِجْرَةً، ومائة إكديش لتتمة مائتي فرس، وثمانية قُطْرُ هُجْنُ بقماش ذهب، وخمسة وعشرين قطاراً من الهُجْنُ أيضاً بكيران ساذجة، وأربعة قُطْرُ جمال بخاتي لكل جمل منها سَنامان، وثمانين جَمَلاً عِراباً [قَدَم]. وباسم ولد السلطان سيدي محمد عشرين فرساً وخمسة عشره جَمَلاً وثياباً وغيرها. وفي عشرينه خلع عليه السلطان خِلعة السفر وتوجّه إلى محلّ ولايته بدمشق.

وفي خامس عشرينه نزل السلطان لعيادة أَلْطُنْبُغا الجوباني ثانياً، ففرش له الجوباني شِقاق^(٢) الحرير السكندري وشِقاق نُخ من باب إسطبله إلى حيث

(١) الأوجاقية والأوشاقية: الذين يتولون أمر الخيل في التسيير والرياضة. - راجع فهرس المصطلحات.
 (٢) الشقاق والشقق: جمع شقة، وهي القطعة من الكتان أو شعر الماعز، وكانت توضع على باب الخيمة، ثم أصبحت تفرش أمام الركب السلطاني. والظاهر أنها حينذاك تحولت إلى أن تجعل من الحرير احتراماً لمكانته. (ملحق دوزي).

هو مُضْطَجِع. فمَشَى عليها السلطان بفرسه، ثم بَقَدَمَيْهِ فَنَثَرَتْ عليه الدنانيرُ والدراهم. وقَدَمَ له الجُوبَانِيَّ جَمِيعَ ما عنده من المماليك والخيل، فلم يأخذ السلطان شيئاً منها؛ وجلس ساعةً عنده ثم عاد إلى القلعة.

وفي ثالث عشر جُمَادَى الأولى غَضِبَ السلطانُ على القاضي تقيِّ الدين عبد الرحمن ابن القاضي محب الدين محمد [بن يوسف بن أحمد] (١) ناظر الجيوش المنصورة بسبب إقطاع الأمير زامل أمير عَرَبِ آل فضل، وضرَّبه بالدواة، ثم أمر به فضرب بين يديه نحو ثلاثمائة عصاة، وكان ترفاً، فحُمِلَ في محفةً إلى داره بالقاهرة، فلزِمَ الفراش إلى أن مات بعد ثلاثة أيام في ليلة الخميس سادس عشر جُمَادَى الأولى. وأخلع السلطان على موفَّق الدِّين أبي الفرج [الأسلمي] (٢) ناظر الخاصَّ وأستقرَّ به في نظر الجيش مضافاً لنظر الخاصَّ والدُّخيرة والاستيفاء الصَّحبة (٣).

وفي أثناء شهر رجب المذكور استبدل السلطان خان الزكاة (٤) من ذرية الملك الناصر محمد بن قلاوون بقطعة أرض وأمر بهدمه وعمارة مدرسة مكانه، وأقام السلطان على عمارتها الأمير جاركس الخليلي أمير آخور، فابتدأ بهدمه وشرع في عمارة المدرسة المعروفة بالبرقوقية بين القصرين. فلما كان يوم الاثنين ثاني شعبان مات تحت الهدم جماعة من الفعلة. وفي خامسه ركب السلطان إلى رؤية عمارته المذكورة وعاد إلى القلعة، ثم سار إلى سرحة سرباقوس على العادة بحريمه وخواصه في ندمائه وسائر الأمراء والأعيان، ثم عاد بعد أيام.

ثم نزل في يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان لعيدة الشيخ أكمل الدين الشيخ بالشيخونية.

(١) زيادة عن السلوك.

(٢) زيادة عن السلوك.

(٣) صاحب هذه الوظيفة يسمى مستوفي الصَّحبة. وهو من كبار كتّاب الدواوين ويشرف على كليّات عملها. - راجع فهرس المصطلحات.

(٤) كان فندقاً يعرف بخان الزكاة. (انظر خطط المقرئ: ٣٧٣/١) وعبارة نزهة النفوس: «استبدل منهم خان الزكاة وأرضها بمال دفعه لهم» - ومن ذلك يفهم أن مكان خان الزكاة اليوم هو جامع السلطان برقوق قرب جامع الناصر محمد بن قلاوون بجوار المدرسة الناصرية بشارع المعز لدين الله الفاطمي.

ثم نزل في يوم الخميس ثامن عشره ليصلي عليه فظهر أنه أغيب عليه ولم يمُت، فعاد السلطان. ونزل في يوم تاسع عشره حتى صلى عليه بمصلاة المؤمني من تحت القلعة، ومشى على قدميه أمام النعش من المصلى إلى خانقاه شيخون مع الناس في الجنازة بعد ما أراد أن يحول النعش غير مرة فتحمله الأمراء عنه. وما زال واقفاً على قبره حتى دُفن وعاد إلى القلعة. كل ذلك لاعتقاده في دينه وغزير علمه ولقدّم صحبته معه. ومن يوم مات الشيخ أكمل الدين صار الشيخ سراج الدين عمر البلقيني يجلس مكانه عن يمين السلطان.

ثم خلّع السلطان على الشيخ عز الدين يوسف بن محمود الرازي العجوي باستقراره في مشيخة خانقاه شيخون عوضاً عن الشيخ أكمل الدين المذكور.

ثم في حادي عشر شوال قدم الأمير يلبغا الناصري نائب حلب إلى القاهرة وعدى إلى السلطان ببرّ الجيزة، وعاد معه من برّ الجيزة، بعد ما غاب [عن] صحبة السلطان أياماً في يوم الخميس أول ذي القعدة. وفي خامسه خلّع عليه خلع السفر وتوجه إلى محلّ كفالتة بحلب، وهذا قدوم يلبغا الناصري ثاني مرة، بعد سلطنة الملك الظاهر برفوق.

وفي يوم الخميس ثاني ذي القعدة أسّست المدرسة الظاهرية^(١) بين القصرين موضع خان الزكاة.

وفي يوم الاثنين رابع ذي الحجة خلّع السلطان على القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله باستقراره في وظيفة كتابة السرّ على عادته بعد وفاة القاضي أوحد الدين.

وفي ثامن عشرين ذي الحجة استجدّ السلطان لقرافة مصر والياً أمير عشرة وهو سليمان الكردي، وأخرجت عن والي مدينة مصر، ولم يُعهد هذا فيما مضى.

(١) هي بذاتها المدرسة البروقية. وذكرها المقرئ في خطه باسم الخانقاه الظاهرية (خطط: ٤١٨/٢) وباسم مدرسة الظاهر برفوق (خطط: ٢٤٥/٢) - وذكر محمد رمزي أنها ما تزال عامرة إلى اليوم بالشعائر الدينية وتعرف باسم جامع السلطان برفوق.

وفيه نُقِلَ الأمير كَمَشْبُغا الحمويّ اليلبغاويّ من نيابة صَفَد إلى نيابة طرابلس عوضاً عن مأمور القَلَمَطَاويّ؛ وهذه ولاية كمشبغا لنيابة طرابلس ثاني مرة.

وفي يوم الاثنين ثاني محرّم سنة سبع وثمانين وسبعمائة استقرّ الأمير سُودون المظفريّ حاجب حُجاب حلب في نيابة حَمَاة بعد عزل الأمير صَنْجَك، وتوجّه إلى طرابلس أميراً بها.

وفي يوم الجمعة ثالث شهر رجب توجّه الأمير حسن قُجَا على البريد لإحضار يَلْبُغا الناصريّ نائب حلب.

وفي عشرينه خرج من القاهرة الأمير كَمَشْبُغا الخاصكيّ الأشرفيّ على البريد لنقل سُودون المظفريّ في نيابة حَمَاة إلى نيابة حلب، عوضاً عن الأمير يَلْبُغا الناصريّ. وأما الناصريّ فإنّه لما وصل إلى مدينة بلبس قُبِضَ عليه وقِيْدَ وحُمِلَ إلى الإسكندرية، واحتاط محمود شاذّ الدواوين على أمواله بحلب. ومن يومئذ أخذ أمرُ الملك الظاهر في إدبار بقبضه على الأمير يلبغا الناصريّ بغير ذنب.

ثمّ في يوم الاثنين ثاني عشرين ذي الحِجَّة قَبِضَ السلطان على الأمير الطُّنْبُغا الجوباني أمير مجلس وقيدِه وحبسَه، ثم أفرج عنه بعد أيام، وخلع عليه بناية الكرك عوضاً عن تَمْرَدَاش القَشْتَمَرِيّ.

ثم في محرّم سنة ثمانٍ وثمانين وسبعمائة قَبِضَ الملك الظاهر على جماعة من المماليك السلطانية وضربهم بالمقارع لكلام بلّغه عنهم أنهم اتَّفَقوا على الفُتْكَ به. ثمّ قَبِضَ سريعاً على الأمير تَمْرُبُغا الحاجب، وكان اتَّفَقَ مع هؤلاء المذكورين، وسَمَّرَه ومعه عشرة من المماليك المذكورين: [أَرْكَبَ] (١) كلُّ مملوكين على جَمَلٍ، ظهرُ أحدهما إلى ظهر الآخر، وأفرد تَمْرُبُغا المذكور على جمل وحده، ثم وَسَّطُوا الجميع، فكان هذا اليوم من أشنع الأيام، وكَثُرَ الكلامُ بسببهم في حقّ الملك الظاهر إلى الغاية.

وفي خامس عشرينه قَبِضَ السلطان على ستة عشر من مماليك الأمير الكبير

(١) زيادة عن السلوك.

أَيْتَمَشَ وَنُفُوا إِلَى الشَّامِ. ثُمَّ تَبَعَ السُّلْطَانُ مَنْ بَقِيَ مِنَ المَمَالِكِ الأَشْرَفِيَّةِ فقبض على كثير منهم، وأَخْرَجُوا مِنَ القَاهِرَةِ إِلَى عِدَّةِ جِهَاتٍ.

وفي يوم الخميس ثاني عشر شهر ربيع الأول رَسَمَ السُّلْطَانُ بالإِفْرَاجِ عَنِ الأَمِيرِ يَلْبَغَا النَّاصِرِيِّ نَائِبَ حَلْبِ كَانِ، وَنَقَلَهُ مِنْ سَجْنِ الإسْكَندَرِيَّةِ إِلَى ثَغْرِ دِمْيَاطِ، وَأذِنَ لَهُ أَنْ يَرْكَبَ وَيَتَنَزَّهُ حَيْثُ شَاءَ.

وفي شهر ربيع الآخر غَضِبَ السُّلْطَانُ عَلَى مُوقِفِ الدِّينِ أَبِي الفِرْجِ نَازِرِ الجَيْشِ وَضْرِبَهُ نَحْوَ مِائَةِ وَأَرْبَعِينَ عَصَاً وَأَمَرَ بِجَبْسِهِ.

وفي يوم الخميس رابع عشر جُمَادَى الآخِرَةِ نُقِلَتْ رِمَمُ أَوْلَادِ السُّلْطَانِ الخَمْسَةِ مِنَ مَدَائِنِهِمْ إِلَى القُبَّةِ بِالمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا المَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْنِ القَصْرَيْنِ، وَنُقِلَتْ أَيْضاً رِمَّةُ وَالدِّ المَلِكِ الظَّاهِرِ الأَمِيرِ أَنْصَ عِشَاءً، وَالأَمْرَاءُ مِشَاءً أَمَامَ نَعِيشِهِ، حَتَّى دُفِنَ أَيْضاً بِالقُبَّةِ المَذْكُورَةِ.

ثُمَّ فِي يَوْمِ الأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشَرَ [شَهْرِ رَجَبِ] (١) نَزَلَ الأَمِيرُ جَارِكِسَ الخَلِيلِيَّ الأَمِيرُ آخُورَ إِلَى المَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ المَقْدَمِ ذَكَرَهَا بَعْدَ فِرَاغِهَا وَهَيَأَ بِهَا الأَطْعَمَةَ وَالحَلَاوَاتِ وَالفَوَاكِهِ. ثُمَّ رَكِبَ السُّلْطَانُ مِنَ العَدِ فِي يَوْمِ الخَمِيسِ وَنَزَلَ مِنَ القَلْعَةِ بِأَمْرَائِهِ وَخَاصِّكَيْتِهِ إِلَى المَدْرَسَةِ المَذْكُورَةِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ القَضَاةُ وَأَعْيَانُ الدَّوْلَةِ، فَمَدَّ بَيْنَ يَدَيْهِ سِمَاطاً جَلِيلاً، أَوَّلَهُ عِنْدَ المَحْرَابِ وَآخِرَهُ عِنْدَ البَحْرَةِ الَّتِي بَوْسَطِ المَدْرَسَةِ، وَأَكَلَ السُّلْطَانُ وَالقَضَاةُ وَالأَمْرَاءُ وَالمَمَالِكُ، ثُمَّ تَنَاهَبَتِ النَّاسُ بِقِيَّتِهِ ثُمَّ مَدَّ سِمَاطَ الحَلَوَاتِ وَالفَوَاكِهِ، وَمِلَّتِ البَحْرَةُ الَّتِي بَصَحْنَ المَدْرَسَةَ مِنْ مَشْرُوبِ السُّكَّرِ ثُمَّ بَعْدَ رَفْعِ السِمَاطِ أَخْلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى الشَّيْخِ عَلَاءِ الدِّينِ [عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ] (٢) السِّيْرَامِيَّ الحَنْفِيَّ، وَقَدْ اسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ (٣)، وَاسْتَقَرَّ مَدْرَسَ الحَنْفِيَّةِ

(١) فِي الأَصْلِ: «يَوْمِ الأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشَرَ» وَالتَّصْحِيحُ وَالزِّيَادَةُ عَنِ نَزْهَةِ النُّفُوسِ وَالسُّلُوكِ.

(٢) زِيَادَةُ عَنِ نَزْهَةِ النُّفُوسِ.

(٣) عِبَارَةُ نَزْهَةِ النُّفُوسِ أَوْضَحُ، وَهِيَ: «وَكَانَ قَدْ حَضَرَ مِنْ بِلَادِ المَشْرِقِ إِلَى حَلْبِ، فَأَكَبَ أَهْلُهَا عَلَيْهِ لِلاشْتِغَالِ بِالعِلْمِ، فَنَشَرَهُ فِيهِمْ وَاسْتَفَادُوا مِنْهُ. ثُمَّ قَصِدَ زِيَارَةَ القُدْسِ الشَّرِيفِ فَبَلَّغَ السُّلْطَانُ خَبْرَهُ فَحَضَرَ وَصَحَبَهُ فِي خِدْمَتِهِ شَيْخُنَا بَدْرُ الدِّينِ العَيْنِي وَقَرَّرَهُ خَادِمَهُ فِي الظَّاهِرِيَّةِ.» - وَالسِّيْرَامِيَّ تَرْجَمَهُ وَافِيَةُ فِي إِنْبَاءِ العُغْمَرِ: ٣٠٢/٢ وَشَدْرَاتُ الذَّهَبِ: ٣١٣/٦.

وشيخ الصوفيّة، وفرش له الأمير جاركس الخليلي السجادة بيده حتى جلس عليها. ثم خلع السلطان على الأمير جاركس الخليلي شاد عمارة المدرسة المذكورة وعلى المعلّم شهاب الدين أحمد بن الطولوني المهندس وركبا فرسين بقماش ذهب. ثم خلع السلطان على خمسة عشر نفرًا من ممالك جاركس الخليلي ممن باشروا العمل مع أستاذهم وأنعم على كلّ منهم بخمسمائة درهم. ثم خلع السلطان على مباشري العمارة.

ولما جلس الشيخ علاء الدين السيرامي على السجادة تكلم على قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ الآية. ثم قرأ القارئ عشراً من القرآن ودعا. وقام السلطان وركب بأمرائه وخاصّكيتيه وعاد إلى القلعة، بعد أن خرج من باب زويلة، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة.

ثمّ بدا للسلطان بعد ذلك أن يقبض على الأمير بيدمر الخوارزمي نائب الشام، فأرسل طاووساً^(١) البريدي للقبض عليه؛ ورسم للأمير تمربغا المنجكي أن يتوجه على البريد لتقليد الأمير إشقتمر المارديني عوضه نيابة الشام، وكان إشقتمر بالقدس بطالاً. وقد تقدم أن إشقتمر هذا ولي نيابة حلب في أيام السلطان حسن الأولى، ويلبغا أستاذ برقوق يوم ذاك خاصّكي، فانظر إلى تقلبات الدهر.

وفي يوم الجمعة عاشر شهر رمضان من سنة ثمان وثمانين وسبعمائة أقيمت الجمعة بالمدرسة الظاهرية المذكورة وخطب بها جمال الدين محمود القيصري العجمي المحتسب.

وحجّ في هذه السنة الأمير جاركس الخليلي بتجمّل كبير، وحجّ من الأمراء كمشبغا الخاصّكي الأشرفي ومحمد بن تنكزبغا وجراركس المحمودي^(٢).

وفي يوم الاثنين [خامس]^(٣) عشرين شوال استدعى السلطان زكريّا

(١) في نزهة النفوس: «طاس البريدي».

(٢) في السلوك: «المحمدي».

(٣) زيادة عن السلوك ونزهة النفوس.

أبن الخليفة المعتصم بالله أبي إسحاق إبراهيم - وإبراهيم المذكور لم يلِ
الخلافة - أبن المُستَمْسِك بالله أبي عبد الله محمد - وكذلك المستمسك لم يلِ
الخلافة - أبن الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد العباسي وأعلمه السلطان أنه يُريد أن
يُنصَّبَه في الخلافة بعد وفاة أخيه الواثق بالله عمر.

ثم أستدعى السلطان القضاة والأمراء والأعيان، فلما اجتمعوا أظهر زكرياء
المذكور عهدَ عمه المعتضد له بالخلافة، فخلع السلطان عليه خِلعَهُ غير خِلعَةِ
الخلافة ونزل إلى داره. فلما كان يومُ الخميس ثامن عشرينه طلَعَ الخليفةُ زكرياءُ
المذكور إلى القلعة وأحضر أعيانَ الأمراء والقضاة والشيخَ سراج الدين عمر
البُلُقِينِي، فبدأ البُلُقِينِي بالكلام مع السلطان في مبايعة زكرياء على الخلافة فبايعه
السلطان أولاً، ثم بايعه مَنْ حضر على مراتبهم، ونُعتَ بالمستعصم بالله، وخلعَ
عليه خِلعَةَ الخلافة على العادة، ونزل إلى داره وبين يديه القضاة وأعيانُ الدولة.

ثم طلع زكرياء المذكور في يوم الاثنين ثاني (١) ذي القعدة وخلع عليه
السلطان ثانياً بنظر المشهد النفيسي على عادة مَنْ كان قبله من الخلفاء، ولم تكن
هذه العادة قديماً، بل حدثت في هذه السنين.

وفي خامس عشرين ذي الحجة قَدِمَ مُبَشِّرُ الحَاجِّ السَّيْفِي بَطَا الخاصَكِي وأخبر
أنَّ الأميرَ آقبا المارديني أمير الحَاجِّ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ خرج الشريف محمد بن
أحمد بن عَجَلان أمير مَكَّةَ لتلقيه على العادة ونزل وقَبِلَ الأرضَ ثم قَبِلَ خُفَّ جَمَلِ
المَحْمِلِ. وعندما آنحنى وثب عليه فِدَاوِيَان، ضربه أحدهما بخنجر في عنقه وهما
يقولان: «غريم السلطان» فخر ميتاً وتمَّ نهاره مُلْتَمَى حتى حَمَلَه أهله وواروه. وكان
كَيْشَ على بُعد، فقتلَ الفِدَاوِيَةُ رجلاً آخر يَطْنُوهُ كَيْشاً. وأقام أميرُ الحَاجِّ لابسَ
السلح سبعة أيام خوفاً من الفتنة، فلم يتحرك أحدٌ. ثم خلع أميرُ الحَاجِّ على
الشريف عِنان باستقراره أميرَ مَكَّةَ عوضاً عن محمد المذكور وتسلمها.

ثم في تاسع عشرين ذي الحجة قدمت رسلُ الحبشة بكتاب ملكهم

(١) في السلوك ونزهة النفوس «ثالث ذي القعدة»

الْحَطِّي^(١) واسمه داود بن سيف^(٢) أَرَعَدَ ومعهم هدية على عشرين جَمَلًا، فيها من طرائف بلادهم، من جُمَلتها قُدور قد مُلِئت حَمَصًا صُنِعَ من ذهب إذا رآه الشخص يظنّه حمصًا، وغير ذلك.

ثم في يوم السبت سابع عشر صَفَر من سنة تسع وثمانين وسبعمئة قَدِمَ الأمير أَلْطُنْبغا الجُوبانيّ نائب الكَرَكِ بِأَسْتدعاء، فَأَخْلَعَ عليه السلطان بِأَسْتقراره في نيابة دِمَشق عوضاً عن إِشْقَتْمَر الماردينيّ، وعُزِلَ إِشْقَتْمَر ولم تَكْمُلْ ولايته على دِمَشق عشرة أشهر. وأقام أَلْطُنْبغا الجوبانيّ بالقاهرة ثلاثة أيام، وسافر في يوم تاسع عشره بعدما أنعم عليه الملك الظاهر بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم فِضَّة وفَرَس بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرَكش، وأرسل إليه الأمير أَيْتَمَش بمائة ألف درهم وعدة بَقَج ثياب. وأَسْتَقَرَّ مُسَفَّرُه الأمير قَرَقَماس الظاهريّ، وفرج الجُوبانيّ من مصر بتجمل عظيم. ثم رُسِمَ بِأَسْتقرار الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك المَهْمَنْدار في نيابة حَمَاة عوضاً عن الأمير سُودون العثماني، وأَسْتَقَرَّ سُودون العثماني على إقطاع محمد بن المَهْمَنْدار المذكور بحلب.

وفي آخر جُمادى الآخرة من السنة وهي سنة تسع وثمانين ورَدَ الخبرُ على السلطان بأن تَيْمُورلَنْك صاحب بلاد العجم كَبَسَ الأمير قرا محمد صاحب مدينة تَبْرِيز وكَسَرَه، ففَرَّ منه قرا محمد في نحو مائتي فارس وتوجّه بهم إلى جهة مَلْطِيَّة ونزل هناك ونزل تَيْمُورلَنْك على آمد. فاستدعى السلطان القضاة والفقهاء والأمراء وتحدّث معهم في أخذ الأوقاف^(٣) من البلاد بسبب ضَعْفِ عسكر مصر، فكثُرَ الكلام في ذلك [وَأَلَّ الأمر إلى أنه يأخذ متحصّل الأوقاف لسنة]^(٤) وصمّمَ الملك الظاهر

(١) الحطّي: لقب تلقب به ملوك الحبشة، أو على وجه التدقيق صاحب إقليم أعحرا الذي له الحكم على أكثر بلاد الحبشة.

(٢) كذا أيضاً في السلوك. وفي نزهة النفوس: «يوسف».

(٣) أشار المقرئ إلى أن السلطان طلب أخذ الأوقاف من الأراضي الخراجية. واتفق معه صاحب نزهة النفوس على أن الأمر إلى أن يأخذ متحصّل الأوقاف لسنة واحدة.

(٤) زيادة عن السلوك.

على إخراج الجميع للجدد، ثم رَجَعَ عن ذلك ورسم بتجهيز أربعة أمراء من أمراء الألوفا بالديار المصرية وهم: الأمير أَلْطُنْبُغا المَعْلَم أمير سلاح، والأمير قَرْدَم الحَسَنِي رأس نوبة النُّوب، والأمير يُونس النُّورُوزِي الدوادار الكبير، والأمير سُودون باق، وسبعة أمراء أُخَر من أمراء الطبلخانات، وعَيَّن معهم من أجناد الحَلْفَة ثلاثمائة فارس. فتجهَّز الجميعُ وخرجوا من القاهرة في أول شهر رجب، وساروا إلى حلب ونائبها يوم ذاك سودون المظفَّرِي؛ وقد وصل الخبرُ بأن قرا محمداً واقع ابن تيمورلنك وكسره ورجع إلى بلاده.

وبعد خروج العسكر استدعى السلطان في سادس^(١) عشرين شعبان من سنة تسع وثمانين المذكورة الشيخ ناصر الدين ابن بنت الميلىق وولاه قضاء الشافعية بالديار المصرية بعد عزل القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء عنها، بعدما تمنع ابن الميلىق المذكور من قبول القضاء تمنعاً زائداً وصلى ركعتي الاستخارة حتى أذعن، فالبسه السلطان الملك الظاهر تشرىف القضاء بيده، وأخذ طيلسانه يتبرك به. ونزل [الشيخ ناصر الدين] وبين يديه عظماء الدولة إلى المدرسة الصالحية، فداخل أرباب الدولة بولايته خوفٌ ووهمٌ، وظنوا أنه يحمل الناس على مَحْض الحق، وأنه يسير على طريق السلف من القضاة. قال الشيخ تقي الدين المقرئزي، رحمه الله: «لَمَّا أَلْفُوهُ من تَشَدُّقِهِ في وعظه، وتَفَحُّمِهِ في مَنْطِقِهِ، وإعلانه في التَّنْكِيرِ على الكافة، ووقيعته في القضاة، وأشتماله على لُبْسِ المتوسِّطِ من الخشن، ومَعْيِيهِ على أهل الترف».

«وكان أول ما بدأ به أن عزَلَ قضاة مصر كُلِّهِم من العريش إلى أسوان. وبعد يومين تكلم معه الحاجُّ مُفْلِح مولى القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السرِّ في إعادة بعض مَنْ عزله من القضاة، فأعاده، فأنحلَّ ما كان معقوداً بالقلوب من مهابته. ثم قَلَع زِيَهُ الذي كان يلبسه ولبس الشاش الكبير الغالي الثمن ونحوه، وترفع في مقاله وفعاله، حتى كاد يصعد الجوّ، وشحَّ في العطاء، ولاذَّ به جماعةٌ غير محبِّين

(١) في السلوك ونزهة النفوس: «رابع شعبان».

إلى الناس، فأنطلقت ألسنة الكافة بالوقعة في عرضه، واختلقوا عليه ما ليس فيه». انتهى كلام المقرئ باختصار.

قلت: كل ذلك والملك الظاهر لا يسمع فيه قول قائل، حتى كانت وقعة الناصري ومنطاش مع الملك الظاهر برقوق وحس الملك الظاهر بالكرك، وكان هو قاضياً يومئذ، فوقع في حق الظاهر وأساء القول فيه. فبلغ الظاهر ذلك قبل ذهابه إلى الكرك وهو بسجن القلعة فأسرّها في نفسه على ما سنذكره في سلطنة الملك الظاهر الثانية إن شاء الله تعالى.

ثم ورد الخبر على السلطان الظاهر بأن العسكر المجرد من الديار المصرية عاد إلى حلب؛ وكان توجه نحو ديار بكر صحبة نواب البلاد الشامية وعاد، وكان الأمير ألتنبغا الجوباني نائب الشام مقدّم العساكر، وخرج بثقل عظيم وزدخاناه هائلة، جددها بدمشق حتى إنه رسم لفضلاء دمشق أن ينظّموا له ما ينقش على أسنة الرماح، فنظّم له القاضي فتح الدين محمد بن الشهيد كاتب سِرّ دمشق: [البيسط]

إذا العُبارُ علا في الجوّ عثيرُهُ	وأظلم الجوّ ما للشمس أنوارُ
هذا سناني نجمٌ يُستضاء به	كأنني علّم في رأسه نارُ
وَألسيفُ إن نام ملء الجفن في غُلفِ	فإنني بارزٌ للحربِ خطارُ
إن الرماح لأغصانٌ وليس لها	سوى النجومِ على العيدانِ أزهارُ

ونظم القاضي صدر الدين علي بن الأدمي الدمشقي الحنفي في المعنى

فقال: [الكامل]

النصرُ مقرونٌ بضربِ أسنة	لمعانها كوميضِ برقٍ يُشرقُ
سُبكتُ لِتسبِكِ كلِّ خصمٍ مارِدِ	وتطرقتُ لمعانيدٍ يتطرقُ
زُرُقُ تفوقِ البيضِ في الهيجاءِ إذ	يَحمرُّ من دمه العدو الأزرُقُ
يَنسُجَنَ يومَ الحربِ كلِّ كتيبة	تحتَ العُبارِ فنصرهنَّ مُحققُ

ونظم الشيخ شمس الدين محمد المزيّن الدمشقي في المعنى وأجاد إلى

الغاية: [الكامل]

أنا أسمرٌ والرَّايَةُ أبيضاءُ لي لا للسيوفِ وسلٌ مِنَ الشُّجَعانِ
 لم يحلُّ لي عيشُ العُدَّةِ لأني نُوديتُ يومَ الجَمْعِ بِالمُرَّانِ
 وإذا تَغَنَّمتِ^(١) الكُماةُ بِجَحْفَلٍ كَلَّمْتُهُم فِيهِ بِكَلِّ لِسَانِ
 فتخالهم غنماً تُساقُ إلى الردى قَهراً لِمُعْظَمِ سَطوَةِ الجُوباني

ثم في سؤال خَرَجَ السلطان من القاهرة إلى سِرِّ ياقوس على العادة في كل سنة، وأستدعى به بالأمير يلبغا الناصري من ثغر دِمياط، فوصل إلى سِرِّ ياقوس في ثالث عشر شَوَّال وقَبْلَ الأَرْضِ بين يدي السلطان، فأكرمه السلطان وأنعم عليه بمائة فَرَسٍ ومائة جَمَلٍ وسلاح كثير [ومال]^(٢) وثياب وأشياء غير ذلك، قيمة ذلك كله خمسمائة ألف درهم فضة. وأهدى إليه سائرُ الأُمراء على العادة، كل واحد على قَدْرِ حاله.

ثم عاد السلطان من سِرِّ ياقوس في أول ذي القَعْدَةِ، وخَلَعَ على الأمير يلبغا الناصري المذكور في خامس ذي القعدة من سنة تسع وثمانين المذكورة باستقراره في نيابة حلب على عادته، عوضاً عن سُودون المظفري بحكم استقرار سُودون المظفري أتابك حلب، وأمره بالتجهيز؛ وهذه ولاية الناصري الثالثة على حلب. فأصلح الأمير يلبغا الناصري أمره وتهاياً للسفر، وخرج من ثامن ذي القعدة إلى الرِّيدانية، بعد أن أخلع السلطان عليه خِلعة السفر. وسافر من الريدانية في تاسعه بتجمل عظيم وبرك هائل، ومُسَفَّرُهُ الأميرُ جَمَقُ ابن الأمير أَيْتَمُشِ البَجَاسِيِّ. وبعد خروجه بثلاثة أيام قَدِمَ البَريدُ من البلاد الشامية بأن تَمَرُبُغا الأفضلي الأشرفي المدعو مَنطاش مَلَطِيَّةَ خرج عن الطاعة، ووافقه القاضي برهان الدين أحمد صاحب سيواس، وقراً محمد التُّرْكماني، ونائب البيرة، ولبغا المَنجَكِي، وعدة كبيرة من خُشداشية منطاش من المماليك الأشرفية، وأنه أنضم عليه جماعة كبيرة من التُّرْكمان فتشوش السلطان في الباطن ولم يُظهِر ذلك، ونَدِمَ على توليته يلبغا الناصري على نيابة حلب، غير أنه لم يسعه إلا السُّكات.

(١) أي لم تفصح. والغتمة: العجمة.

(٢) زيادة عن السلوك.

ثم ركب السلطان الملك الظاهر في ثاني يوم جاء الخبرُ بعصيان منطاش وعدى البحر إلى برّ الجيزة، وتصيّد وعاد في سادس عشرينه. وبعد عوده بأيام وصل قاصدُ الأمير تمرغا الأفضلي الأشرفي المدعو منطاش نائب ملطية يخبر أنه ما نافق، وأنه باقٍ على طاعة السلطان. فأخذ السلطانُ في أخبار القاصد وأعطى، وبينما هو في ذلك قديم البريد من حلب في إثره يخبر السلطان بأن منطاش المذكور عاصٍ، وأنه ما أرسل يقول إنه باقٍ على الطاعة إلا ليدفع عن نفسه حتى يخرج فصلُ الشتاء ويدخل فصلُ الربيع وتذوب الثلوج، فسير السلطان السيفي ملكتمر الدوادار بعشرة آلاف دينار إلى الأمراء المجردين قبل تاريخه توسعة لهم، وأمره في الباطن بالفحص عن أخبار منطاش وحققة أمره.

وبعد خروج ملكتمر فشا الطاعون بالقاهرة ونواحيها في شهر ربيع الأول من سنة تسعين وسبعمائه، وأشتغل الناس بمرضاهم وأمواتهم عن غيره.

ثم أخلع السلطان على الأمير أيدكار العمريّ اليلبغاويّ، الحاجب الثاني وأحد مقدمي الألو، باستقراره حاجب الحجاب بالديار المصرية، عوضاً عن قطلوبغا الكوكائي بعد شغورها عنه أربع سنين، وأضيف إليه نظرُ خانقاة شيخون وأستقرّ الأمير زين الدين أبو بكر بن سنقر عوضه حاجباً ثانياً، حاجب ميسرة بتقدمة ألف.

ثم في حادي عشرين جمادى الأولى من السنة قديم صراي تمر دوادار الأمير يونس النوروزي الدوادار، ومملوك نائب حلب الأمير يلبغا الناصريّ يُخبران بأن العسكر توجه إلى سيواس وقاتلوا عسكرها، وقد آستجد أهل سيواس بالتر، فأتاهم من التتر نحو الستين ألفاً فحاربهم العسكر المصريّ والحلبّي يوماً كاملاً حتى هزمهم وحصروا سيواس بعدما قتل كثير من الفريقين وجرح معظمهم، وأن الأقوات عندهم عزيزة. فجهز السلطان للعسكر المذكور خمسين ألف دينار مصرية وشكرهم. وسار بالذهب ملكتمر الدوادار ثانياً بعد قدومه مصر بأيام قليلة.

وكان خروج ملكتمر في هذه المرة الثانية بالذهب في سابع عشرين جمادى

الآخرة^(١)، هذا ما أخبره صراي تمر دوادار ثاني يونس الدوادار.

وأما ما وَقَعَ من بعده هناك فَإِنَّ العسكر تحرَّك إلى الرحيل عن سيواس لَطُول مُكِيثِهِمْ، وعندما ساروا هجم عليهم التتر من خلفهم، فأحترز الأمير يلبغا الناصريّ نائب حلب إلى جهةٍ حتى صار خلفهم، ثم طَرَقَهُمْ بمن معه ووضع السيف فيهم، فقتل منهم خلائِقٌ كثيرةٌ وأسَرَ منهم نحوَ الألف وأخذ منهم نحو عشرة آلاف فرس وعاد العسكر سالماً إلى حلب؛ فقدم هذا الخبر الثاني أيضاً على يد بعض مماليك الأمير يونس الدوادار، فسُرَّ السلطان بذلك ودُقَّت البشائر بالديار المصرية. ورسم السلطان بَعُودَ العسكر المصريّ إلى نحو الديار المصرية، فعادوا إليها في ثالث شعبان من سنة تسعين وسبعمائة، فكانت غيبتهم عن القاهرة سنة وعدة أيام. ولما وصلوا وطلعوا إلى القلعة أخلع عليهم السلطان الخلع الهائلة وشكرهم ونزلوا إلى دورهم، وكثرت التهاني لمجيئهم.

ثم في خامس عشر شعبان المذكور طلب السلطان الأمير الطواشي بهادر مقدّم المماليك السلطانية، فلم يجده بالقلعة ثم أحضر سكراناً من بيت على بحر النيل، فغضب السلطان عليه ونفاه إلى صفد على إمرة عشرة بها وأخلع على الطواشي شمس الدين صواب السعديّ المعروف بشنكل الأسود^(٢) بتقدمة المماليك السلطانية عوضاً عن بهادر المذكور، وأستقرّ الطواشي سعد الدين الشرفيّ في نيابة المقدم عوضاً عن شنكل المذكور.

وحجّ في هذه السنة أيضاً الأمير جاركس الخليليّ الأمير آخور الكبير أمير حاج الأول. وكان أمير حاج المحمل الأمير أقبغا الماردينيّ، وخرج الحجّ من مصر في عاشر شوال.

وفي أثناء ذلك قدم الخبرُ بعصيان الأمير أَلْطُنْبغا الجوبانيّ نائب الشام وأنه ضرب الأمير طُرُنْطاي حاجب حجاب دمشق، وأستكثر من استخدام المماليك.

(١) السياق يقتضي أنه خرج في سابع عشرين جمادى الأولى.

(٢) الأسود، جمع أسد. هكذا ضبطت في نزهة النفوس والابدان.

وشاع ذلك بالقاهرة وكثرت القالة بين الناس بهذا الخبر. فلما بلغ الأمير أَلْطُنْبغا الجُوباني ذلك أرسل أستاذن السلطان في الحضور إلى الديار المصرية، فأذن له السلطان في ذلك، وفي ظنّ كلِّ أحد أنه لم يحضر فعندما جاءه الإذن ركب البريد من دَمَشق في خواصه وسار حتى نزل سِرْيَاقُوس خارجَ القاهرة في ليلة الخميس سابع عشرين شَوال من سنة تسعين المذكورة وبلغ السلطان ذلك فأرسل إليه الأمير فارساً الصرغتمشي أميرَ جاندار، فقبض عليه من سِرْيَاقُوس وقيده وسيّره إلى سجن الإسكندرية صحبة الأمير أَلْجِييغا الجماليّ الدوادار.

ثم رَسَم السلطان بأنَّ طُرُنطاي حاجب حُجاب دِمَشق يستقرّ في نيابة دمشق عوضاً عن الأمير أَلْطُنْبغا الجوبانيّ المذكور، وحَمَلَ إليه التشريفَ والتقليدَ الأميرُ سُودُونُ الطُرُنطائيّ، فعظُم مَسْكُ الأمير أَلْطُنْبغا الجوبانيّ على الناس كونه ظهر للسلطان براءته ممّا نقله عنه أعداؤه وكونه من أكابر اليلبغاويّة، ولم يسعهم إلا السكات لفوات الأمر.

ثم كتب السلطان كتاباً لأمرء طرأبلس وأرسله على يد بعض خواصه بالقَبْض على الأمير كَمَشْبغا الحَمَوِيّ اليلبغاويّ نائب طرأبلس، فقدم سيفه في عاشر ذي القعدة، فتأكد تشويش الناس بمسك كَمَشْبغا أيضاً، فإنه أكبر ممالك يلبغا العمريّ، وممن صار في أيام أستاذه يلبغا أمير طبلخاناه وتوجه الأمير شَيْخ الصَفَوِيّ بتقليد الأمير أَسَنْدَمَر المحمديّ حاجب حُجاب طرأبلس بنيابة طرأبلس عوضاً عن كَمَشْبغا الحَمَوِيّ المقدم ذكره.

ثم نفى السلطان الملك الظاهرُ الأمير كَمَشْبغا الخاصكيّ الأشرفيّ، أحد أمرء الطبلخانات ورأس نوبة، إلى طرأبلس، فسار من دِمياط، لأنه كان في اليزك (١) المذكور.

ثم قَدِم البريد بعشرين سيفاً من سُيوف الأمراء الذين قبض عليهم من أمرء

(١) اليزك: والجمع أيزك، وهي طلائع الجند (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٣٦٤).

البلاد الشامية. ثم كَتَبَ السلطان بِالْقَبْضِ عَلَى الْأَمْرَاءِ الْبَطَّالِينَ بِبِلَادِ الشَّامِ جَمِيعاً ثُمَّ أَعِيدَ سُودُونَ الْعُثْمَانِيَّيْنَ إِلَى نِيَابَةِ حَمَاةَ بِحُكْمِ خُرُوجِ كُشْلِيِّيْهَا مِنْهَا إِلَى نِيَابَةِ مَلْطِيَّةَ، عِوَضاً عَنْ مَنْطَاشٍ؛ وَكَانَ كُشْلِيُّيْهَا وَلِيَّ نِيَابَةِ حَمَاةَ قَبْلَ تَارِيخِهِ بِمَدَّةٍ يَسِيرَةٍ عِوَضاً عَنْ ابْنِ الْمَهْمَنْدَارِ.

ثُمَّ فِي ثَانِي ذِي الْقَعْدَةِ قَدِمَتْ رُسُلٌ قَرَأَ مُحَمَّدٌ وَأَخْبَرُوا أَنَّهُ أَخَذَ مَدِينَةَ تَبْرِيْزَ، وَضَرَبَ بِهَا السُّكَّةَ بِأَسْمِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ، وَدَعَا لَهُ عَلَى مَنَابِرِهَا وَسَيَّرَ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ، عَلَيْهَا أَسْمُ السُّلْطَانِ، وَسَأَلَ أَنْ يَكُونَ نَائِباً بِهَا عَنِ السُّلْطَانِ، فَأُجِيبَ بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ. هَذَا وَالْخَوَاطِرُ قَدْ نَفَرَتْ مِنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ لِكثْرَةِ قَبْضِهِ عَلَى الْأَمْرَاءِ^(١) مِنْ غَيْرِ مُوَجِبٍ وَتَخَوُّفِ كُلِّ أَحَدٍ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى خَوَّصَهُ، وَكَثُرَ تَخْيُّلُ الْأَمْرَاءِ مِنْهُ. وَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ أُشِيعَ بِالْديَارِ الْمَصْرِيَّةِ بِعِضْيَانِ الْأَمِيرِ يَلْبَغَا النَّاصِرِيِّ نَائِبِ حَلَبَ، وَكَثُرَ هَذَا الْخَبْرُ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ وَقَعَ بَيْنَ الْأَمِيرِ يَلْبَغَا النَّاصِرِيِّ وَبَيْنَ سُودُونَ الْمَظْفَرِيِّ أَتَابِكِ حَلَبِ الْمَعزُولِ عَنِ نِيَابَةِ حَلَبِ قَبْلَ تَارِيخِهِ، وَكَاتَبَ كُلُّ مِنْهُمَا فِي الْآخِرِ، فَأَحْتَارَ السُّلْطَانُ بَيْنَهُمَا وَقَدْ قَوِيَ تَخَوُّفُهُ مِنَ النَّاصِرِيِّ.

قَالَ الْمَقْرِيْزِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَكَانَ أَجْرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ: «مَنْ غَلَبَ، صَاحِبُ حَلَبٍ» حَتَّى لَا يَكَادُ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ إِلَّا يَقُولُ ذَلِكَ، حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّاصِرِيِّ نَائِبِ حَلَبِ مَا كَانَ». إِنْتَهَى كَلَامُ الْمَقْرِيْزِيِّ.

وَلَمَّا شَاعَ ذَلِكَ جَمَعَ السُّلْطَانُ الْأَمْرَاءَ وَالْخَاصَّكِيَّةَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ خَامِسَ صَفَرٍ بِالْمِيدَانِ مِنْ تَحْتِ الْقَلْعَةِ وَشَرِبَ مَعَهُمُ الْقِمِزَ^(٢)، وَقَرَّرَ لَشْرَبِهِ مَعَهُمْ يَوْمِي الْأَحَدِ وَالْأَرْبَعَاءَ، يَرُومَ بِذَلِكَ أَخْذَ خَوَاطِرِهِمْ.

(١) لَقَدْ بَلَغَ بَرْقُوقُ فِي اضْطِهَادِ الْأَمْرَاءِ الْأَتْرَاكِ الْبَلْبَغَاوِيَّةِ وَالْأَتْرَاكِ الْأَشْرَفِيَّةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، ذَلِكَ فِي سِيَاقِ انْدِفَاعِهِ بِحَرَكَةِ الدَّوْلَةِ، مِمَّا مَهَّدَ لِتَحَالْفِ يَلْبَغَا وَمَنْطَاشِ اللَّذِينَ اسْتَطَاعَا أَنْ يَجْمَعَا حَوْلَهُمَا عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْأَمْرَاءِ الْأَتْرَاكِ الْمُنْفِيْنَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ وَأَعْدَادًا غَفِيرَةً مِنَ الْعَرَبِ وَالتُّرْكَمَانَ. وَبِذَلِكَ قَادَا ثَوْرَةَ عَارْمَةَ هَزَمَتْ بَرْقُوقَ وَأَطَاعَتْ بِهِ.

(٢) الْقِمِزُ: نَبِيذٌ يَعْمَلُ مِنْ لَبَنِ الْحَيْلِ.

ثم في عاشره بعث السلطان هديةً للأمير يَلْبُغا الناصريّ نائب حلب فيها عِدَّة خيول بِقَماشٍ ذَهَبٍ [وَقَبَاء] (١)، وأستدعاه ليحضر ليعمَلَ معه مَشُورَة في أمرٍ مِنْطَاشٍ فلَمَّا أتاه رسول السلطان بالحضور إلى الديار المصرية، خَشِيَ أن يفعل به كما فَعَلَ بالأمير أَلْطُنْبغا الجُويانيّ نائب الشام من مَسْكَه وحبسَه بالإسْكَندرية، فَكَتَبَ يعتذر عن الحضور إلى حضرة السلطان بحركة التُرْكُمان وعِصِيانٍ مِنْطَاشٍ، وأنه يتخوَّف على البلاد الحلبية منهم، ومهما كان للسلطان من حاجة يُرْسِلُ يعرفه ليقوم بقضائها وعاد رسول السلطان إلى مصر بهذا الجواب، فلم يقبل السلطان ذلك منه في الباطن، وقَبِلَه في الظاهر، وقد كَثُرَ تخيُّلهُ منه وأخذ في التدبير على الأمير يلبغا الناصريّ مع خواصِّه، حتى أَقْتَضَى رَأْيِي الجميع على إرسال تُلْكَتَمِر (٢) الدوادار إلى حلب بحيلةٍ دَبَّرُوها؛ فَخَرَجَ تُلْكَتَمِرُ المَحْمَدِيّ الدوادار المذكور وعلى يده مثالان (٣) ليلبغا الناصريّ نائب حلب ولسودون المظفريّ أتاكب حلب المقدم ذكره أن يصطلحا بحضرة الأمراء والقضاة والأعيان، وسيرَّ معه خلعتين يلبسانها بعد صلحهما. وحمل السلطان في الباطن مع تُلْكَتَمِر عِدَّة مطالعات إلى سودون المظفريّ وغيره من أمراء حلب وأرباب وظائفها بالقبض على الناصريّ وقتله إن أمتنع من الصلح. وكان مملوك الناصريّ قد تأخر بالقاهرة عن السفر لحلب ليفرِّق كتباً من أستاذه على أمراء مصر، يدعوهم فيها إلى مُوافقتِه على الخروج على السلطان. وأخَّر السلطان أيضاً جواب الناصريّ الوارد على يد مملوكه المذكور عامداً حتى يسبقه تُلْكَتَمِر الدوادار إلى حلب. وكان مملوك الناصريّ المذكور يَقِظاً حَادِقاً، فبلغه ما على يد تُلْكَتَمِر الدوادار من المطالعات بالقبض على أستاذه يَلْبُغا الناصريّ، وَعَلِمَ أنه عُوق حتى سافر تُلْكَتَمِر. ثم أُعْطِيَ الجواب، فأخذه وخرج من مصر في يومه، وسار مسرعاً، وجدَّ في السُّوق حتى سبق تُلْكَتَمِر الدوادار إلى حلب، وعرف أستاذه بخبر تُلْكَتَمِر

(١) زيادة عن السلوك.

(٢) في الأصل ونزهة النفوس: «ملكتمر». وما أثبتناه عن السلوك.

(٣) المثال في الأصل هو ما يكتب من ديوان الجيش في أمر الإقطاع، ويكتبه ناظر الجيش. (صبح

الأعشى: ١٥٣/١٣) والمثال هنا بمعنى الكتاب العادي.

كله سراً، فأخذ الناصري في الحذر. ويقال: إن تلتكتمر الدوادار كان بينه وبين الشيخ حسن رأس نوبة الناصري مصاهرة، فلما قرب من حلب بعث يُخبر الشيخ حسناً المذكور بما أتى فيه؛ فعلى كل حال احترز الناصري. وهذا الخبر الثاني يبعُد، والأول أقرب وأقوى عندي من كل وجه^(١).

ثم لما تحقق الناصري ما جاء فيه تلتكتمر احترز على نفسه وتعباً فلما قرب تلتكتمر من حلب، خرج الأمير يلبغا الناصري من حلب ولاقاه على العادة مُظهراً لطاعة السلطان؛ وقبل الأرض، وأخذ منه مثاله، وعاد به إلى دار السعادة^(٢) بحلب، وقد اجتمع الأمراء والقضاة وغيرهم لسماع مرسوم السلطان، وتأخر الأمير سُودون المظفري أتاك حلب عن الحضور، ولم يُعجبه ما فعله الملك الظاهر برقوق من حضوره^(٣) عند الناصري لمعرفة بقوة الناصري وكثرة ممالিকে فأرسل له الناصري غير قاصد يستعجله للحضور، فلم يجد بداً من الحضور، وحضر وهو لابس آلة الحرب من تحت قماشه خوفاً على نفسه من الناصري وحواشيه. فعندما دخل سُودون المظفري إلى دهليز دار السعادة، جسّ قازان اليرقشي أمير آخور الناصري كتفه فوجد السلاح، فقال: «يا أمير! الذي يجيء للصالح يدخل دار السعادة وعليه السلاح وآلة الحرب!» فسبه سُودون المظفري، فسَلَّ قازان سيفه وضربه به، وأخذت سُودون المظفري السيف من كل جانب من ممالك الناصري الذين كان رتبهم لهذا الأمر، فقُتِل سُودون المظفري بعد أن جرّدت ممالিকে أيضاً سيوفهم وقاتلوا ممالك الناصري ساعة هيئة، وقُتِل من الفريقين أربعة أنفس لا غير، وثارت الفتنة. ففي الحال قبض الناصري على حاجب حجاب حلب وعلى أولاد المِهْمَنْدار، وكانا مُقَدَّمي ألوف بحلب، وعلى عدّة أمراء أخر ممن يخشاهم ويخاف عاقبتهم. ثم ركب الناصري

(١) ذكر الجوهري في نزهة النفوس أن تلتكتمر كان في الباطن مع يلبغا الناصري، وأنه هو الذي أبلغ الشيخ حسن بما جاء من أجله في الباطن، وطلب منه إخبار الناصري بذلك. (نزهة النفوس: ١٨٥/١).

(٢) كان هذا الاسم يطلق على مقر إقامة الوالي في حلب ودمشق.

(٣) المراد أنه لم يعجبه ما فعل الظاهر برقوق من استدعائه إلى عند الناصري للمصالحة.

إلى القلعة وتسلمها، وأستدعى التركمان والعربان، وكتب إلى تمرُّبغا الأفضليّ الأشرفيّ المعروف بمنطاش يدعوه إلى موافقته، فسُرَّ منطاش بذلك وقَدِم عليه بعد أيام ودخل تحت طاعته. وكان الناصريّ قد أباد منطاش وقائله، منذُ خَرَج عن طاعته وطاعة السلطان غير مرّة. وصار منطاش من جُملة أصحابه. وتعاضد الأشرفيّة واليلبغاويّة هم الأكثر، فإنّ الناصريّ من كبار اليلبغاويّة ومنطاش من كبار الأشرفيّة؛ هذا مع ما انضم على الناصريّ من أكابر الأمراء على ما سيأتي ذكره.

وعاد تَلِكْتَمَر الدّوادار بهذا الخبر في خامس عشر صفر، فكان عليه خبرٌ غير صالح. فكتب السّلطان في الحال إلى الأمير إينال اليوسفيّ أتابك دِمَشق – والمعزول قبل تاريخه عن نيابة حلب – بنيابة حلب ثانياً، وجَهَز إليه التّشريف والتّقليد في ثامن عشر صفر المذكور من سنة إحدى وتسعين وسبعمئة. وكان إينال اليوسفيّ ممن انحرف على السلطان في الباطن من أيام ركوبه عليه، قبل أن يتسلّطن، وقبض [السلطان] عليه وحبسه ستين، ثم أطلقه على إمرة دِمَشق، ثم ولّاه بعض البلاد الشامية وهي نيابة طرابُلُس، ثم نقله إلى نيابة حلب، فدام بها سنين، ثم عزله عنها بالأمير يلبغا الناصريّ وجعله أتابك دِمَشق، فصار في نفسه حزازة من هذا كله على ما سيأتي ذكره.

ثم إن السلطان في ثامن عشر صفر المذكور طلب الأمراء [والقضاة]^(١) إلى القلعة وكلمهم في أمر الناصريّ وعصيانه وأستشارهم في أمره، فوقع الاتفاق على خروج تجريدة لقتاله. وحلّف [السلطان] الأمراء على طاعته، ثم خرج إلى القصر الأوّل وحلّف أكابر المماليك السلطانيّة.

ثم في تاسع عشره ضربت خيمة كبيرة بالميدان من تحت القلعة، وضرب بجانبها عدّة صواوين برسم الأمراء. ونزل السلطان إلى الخيمة المذكورة وحلّف بها سائر الأمراء وأعيان المماليك السلطانيّة بل غالبهم. ثم مدّ لهم سِمَاطاً جليلاً فأكلوا وأنفضوا.

(١) زيادة عن نزهة النفوس.

ثم في رابع عشرينه قدم البريد من دِمَشق بأنَّ الأمير قَرَابُغا فرج الله والأمير بُزْيار العُمَرِيّ الناصريّ والأمير دِمرداش اليوسفيّ والأمير كَمَشْبُغا الخاصكيّ الأشرفيّ وآقْبُغا قَبْجَق^(١) اجتمع معهم عدّة كثيرة من المماليك المنفيين بطرابُلُس ووثبوا على نائِها الأمير أسندمر المَحْمَدِيّ وقبضوا^(٢) عليه، وقتلوا من أمراء طرابُلُس الأمير صلاح الدين خليل بن سَنَجَر وأبنه، وقبضوا على جماعة كبيرة من أمراء طرابُلُس، ثم دخل الجميع في طاعة الناصريّ، وكتبوه بذلك وملكوا مدينة طرابُلُس.

وفي يوم وصولِ هذا الخبر على السلطان عَرَضَ السلطان المماليك السلطانية، وعيّن منهم أربعمئة وثلاثين مملوكاً من المماليك السلطانية للسفر، وعيّن خمسة من أمراء الألوْف بديار مصر وهم: الأمير الكبير أَيْتَمَش البَجَاسِيّ، والأمير جَارَكْس الخليليّ الأمير آخور الكبير، والأمير شهاب الدين أحمد بن يلغا أمير مجلس، والأمير يُونس النُّوروزيّ الدُّوادر الكبير، والأمير أَيْدَكَر حاجب الحجاب. وعيّن من أمراء الطبلخانا سبعة وهم: فارس الصَّرغَمَشِيّ، وبكَلْمَش العلائيّ رأس نوبة، وجارَكْس المَحْمَدِيّ، وشاهين الصَّرغَمَشِيّ، وآقْبُغا الصغير السلطانيّ، وإينال الجارَكْسِيّ أمير آخور، وقُدَيْد القَلْمَطَاويّ. [وعيّن] من أمراء العشرات جماعة كبيرة.

ثم أرسل السلطان للأمير أَيْتَمَش برسم النفقة مائتي ألف درهم فضة وعشرة آلاف دينار ذهباً مصرياً. ثم أرسل إلى كل من أمراء الألوْف ممن عُيّن للسفر مائة ألف درهم وخمسة آلاف دينار، ما خلا أَيْدَكَر حاجب الحجاب فإنه حَمَلَ إليه مبلغ ستين ألف درهم وألفاً وأربعمئة دينار.

ثم في سادس عشرين صفر المذكور قدم الخبر من الشّام بأنَّ ممالك الأمير سُودون العثمانيّ نائب حَمَاة آنفقوا على قتله، ففرّ منهم إلى دِمَشق، وأنَّ الأمير بَيْرَم العزّيّ حاجب حُجَاب حَمَاة سلّم حَمَاة إلى الأمير يَلْبُغا الناصريّ ودخل تحت طاعته فعظّم هذا الخبر أيضاً على السلطان حتى كاد يَهْلِك، وعرض المماليك ثانياً، وعيّن

(١) في السلوك: «جنجق» وفي نزهة النفوس: «آقبا ججق».

(٢) كذا أيضاً في المصادر الأخرى التي بين أيدينا. وانفردت نزهة النفوس بالقول إنهم قتلوه.

منهم أربعة وسبعين نفرًا لَتَمَّةَ خمسمائة^(١) مملوك.

قلت: ولهذا تُعرف هذه الواقعة بوقعة الخمسمائة، وبوقعة شَقَّحَب، وبوقعة الناصريِّ ومنطاش، إنتهى.

وفي يوم الجمعة سابع عشرين صفر رَسَمَ السلطان للأمير بَجَاس نائِب^(٢) قلعة الجبل أن يتوجه إلى الخليفة المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بالقلعة وينقله من داره إلى البُرج من القلعة وَيُضَيِّقُ عليه ويمنع الناس من الدخول إليه^(٣)، ففعل بَجَاس ذلك؛ فبات الخليفة ليلته بالبرج، ثم أُعيد من الغد إلى مكانه بالقلعة، بعد أن كلَّم السلطانُ الأمراءَ في ذلك.

ثم رَسَمَ السلطان للظَّواشي زين الدين مقبل الزَّمام بالتضييق على الأسياد أولاد السَّلاطين^(٤) بالحوش السَّلاطيني من القلعة، وَمَنَع من يتردَّد إليهم من الناس، والفحص عن أحوالهم، ففعل مُقبِلُ ذلك.

ثم في يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الأول خرج البريدُ من مصر بتقليد الأمير طُغاي تَمُر القبلائي أحد أمراء دِمَشق بِنِيابة طرابلس.

ثم فرَّق السلطان في المماليك نفقةً ثانيةً، فكانت الأولى لكل واحدٍ خمسة آلاف درهم فضةً والثانية ألف^(٥) درهم، سوى الخيل والجمال والسلاح، فإنه فرَّق في أرباب الجوامك لكل واحدٍ جَمَلَيْن، ولكل آثنين من أرباب الأخباز ثلاثة جمال، ورتَّب لهم [اللحم]^(٦) والجرايات والعليق، فرتَّب لكل من رؤوس النُوب [في اليوم]^(٦) ستة عشرةً عليقةً، ولكلٍّ من أكابر المماليك عشر علائق، ولكل من أرباب

(١) يلاحظ أن عددهم بهذه الزيادة قد صار ٥٠٤ ممالك.

(٢) في السلوك ونزهة النفوس: «والي القلعة».

(٣) وذلك خوفاً من أن يرسل يلبغا الناصري إلى الخليفة من يستميله ويسير به إليه، كما جاء في السلوك ونزهة النفوس.

(٤) في السلوك: «أولاد الملوك الناصرية».

(٥) كذا أيضاً في نزهة النفوس وفي السلوك أن النفقة الأولى كانت ألف درهم وكذلك الثانية.

(٦) زيادة عما تقدّم في الحاشية السابقة.

الجوامك خمسَ علائق. ورسم أيضاً لكل مملوك من المماليك السلطانية بخمسائة درهم بدمشق.

ثم في رابع عشر شهر ربيع الأول المذكور جلس السلطان بمسجد^(١) الرُّدِّيَّيْنِي داخل القلعة بالحريم السلطاني، وأستدعى الخليفة المتوكّل على الله من مكانه بالقلعة؛ فلما دخل عليه الخليفة قام الملك الظاهر له وتلقاه وأخذ في ملاطفته والاعتذار إليه، وأصطلحا وتحالفا، ومضى الخليفة إلى موضعه بالقلعة، فبعث السلطان إليه عشرة آلاف درهم وعدة بُقج، فيها أثواب صوفٍ وقماشٍ سَكُنْدَرِيّ.

ثم تواترت الأخبار على السلطان بدخول سائر الأمراء بالبلاد الشامية والمماليك الأشرفية والبلغاوية في طاعة الناصري، وكذلك الأمير سولي بن دلغادر أمير التركمان، وتُغير أمير العُربان وغيرهما من التركمان والأعراب، دخل الجميع في طاعة الناصري على محاربة السلطان الملك الظاهر، وأنّ الناصريّ أقام أعلاماً خليفتيّةً، وأخذ جميع القلاع بالبلاد الشامية، واستولى عليها ما خلا قلعة الشام وبعلبك والكرك. فقلق السلطان لذلك، وكثر الاضطراب بالقاهرة، وكثر كلام الناس في هذا الأمر، حتى تجاوز الحدّ واختلقت الأقاويل، كلُّ ذلك وإلى الآن لم تخرج التجريدة من مصر فلما بلغ السلطان هذه الأخبار رسم بخروج التجريدة، فخرجت الأمراء المذكورون قبل تاريخه في يوم السبت رابع عشر ربيع الأول من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة إلى الرّيدانية بتجمل زائد وأحتفال عظيم بالأطلاب من الخيول المزيّنة بسروج الذهب والكنابيش والسلاح الهائل، لا سيما الأمير أيتمش والأمير أحمد بن يلْبغا فإنهما أمعنا في ذلك. وكان للناس مدّة طويلة لم يتجرّد السلطان إلى البلاد الشامية ولا عسكره، سوى سفر الأمراء في السنة الماضية إلى سيّواس، وكانوا بالنسبة إلى هذه التجريدة كلاًشيء، وتتابعتهم المماليك شيئاً بعد شيء، حتى سافر الجميع من الرّيدانية في يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الأول المذكور.

(١) هذا المسجد لا يزال قائماً إلى اليوم داخل قلعة الجبل ويعرف بجامع سيدي سارية. وقد أنشاه أبو منصور قسطة الأرميني والي الإسكندرية سنة ٥٣٥هـ. (محمد رمزي) - ونسبة هذا المسجد إلى أبي الحسن علي بن مرزوق بن عبد الله الرديني الفقيه المحدث (خطط المقرئ: ٢٠٢/٢).

ثم أخذ السلطان بعد خروج العسكر في استجلاب خواطر الناس، وأبطل الرمايات والسلف على البرسيم والشعير، وإبطال قياس القصب والقلقاس والإعفاء على ذلك كله.

ثم في يوم الثلاثاء [أول ربيع الآخر]^(١) قدم البريد بأن الأمير كمشْبُغا المنجكيّ نائب بعلبك دخل تحت طاعة يلبغا الناصريّ. وكذلك [في خامسه قدم البريد بأن]^(١) ثلاثة عشر أميراً من أمراء دمشق وساروا إلى حلب ودخلوا في طاعة الناصري.

وأما العسكر الذي خرج من مصر فإنه لما وصل إلى غزّة أحسّ الأمير جاركس الخليليّ بمخامرة نائبها الأمير آقبغا الصفويّ فقبض عليه وبعثه إلى الكرك، وأقرّ في نيابة غزّة الأمير حسام الدين بن باكيش.

ثم في عشرين شهر ربيع الآخر قدم على السلطان رسول قرا محمد التركماني ورسول الملك الظاهر مجد الدين عيسى صاحب ماردين يخبران بقدمهما إلى خابور ويستأذنان في محاربة الناصريّ، فأجيبا بالشكر والثناء، وأذن لهما في ذلك.

وأما العسكر فإنه سار من غزّة حتّى دخل دمشق في يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر المذكور. ودخلوا دمشق بعد أن تلقّاهم نائبها الأمير [حسام الدين] طرُنطاي، ودخلوا دمشق قبل وصول الناصريّ بعساكره إليها بمدة. وأقبل المماليك السلطانية على الفساد بدمشق، واشتغلوا باللهو وأبادوا أهل دمشق شراً، حتى سئمتهم أهل الشام وانطلقت الألسنة بالوقعة فيهم وفي مرسلهم.

قلت: هو مثل سائر: «الولد الخبيث يكون سبباً لوالده في اللعنة» وكذلك وقع، فإن أهل دمشق لما نفرت قلوبهم من المماليك الظاهرية، لم يدخلوا بعد ذلك في طاعة الظاهر ألّبتة على ما سيأتي ذكره.

وبينما هم في ذلك جاءهم الخبر بنزول يلبغا الناصريّ بعساكره على خان لاجين خارج دمشق في يوم السبت تاسع عشر شهر ربيع الآخر، فعند ذلك تهيأ

(١) زيادة عن السلوك.

الأمراء المصريون والشاميون إلى قتالهم؛ وخرجوا من دمشق في يوم الاثنين حادي عشرينه إلى بَرزة^(١) والتَقُوا بالناصرِي على خان لاجين، وتصافقوا ثم اَقْتَتَلُوا قتالاً شديداً ثبت فيه كلٌّ من الفريقين ثباتاً لم يُسمع بمثله، ثم تكاثر العسكرُ المصريّ وصدقوا الحملة على الناصريّ ومن معه فهزموهم وغيروه عن موقفه.

ثم تراجع عسكر الناصريّ وحمل بهم، وألتقى العسكر السلطاني ثانياً وأصطدما صدمة هائلة ثبت فيها أيضاً الطائفتان وتقاتلا قتالاً شديداً، قُتل فيها جماعة من الطائفتين، حتى أنكسر الناصريّ ثانياً. ثم تراجع عسكره وعاد إليهم وألتقاهم ثالث مرة، فعندما تنازلوا في المرة الثالثة^(٢) وألتحم القتال، أقلب الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس رُمحه ولحق بعساكر الناصريّ بمن معه من مماليكه وحواشيه، ثم تبعه الأمير أيذكار العُمريّ حاجب الحجاب أيضاً بطلبه ومماليكه، ثم الأمير فارس الصرغتمشيّ ثم الأمير شاهين أمير آخور بمن معهم وعادوا قاتلوا العسكر المصريّ؛ فعند ذلك ضعُف أمر العساكر المصرية وتقهقروا وانهزموا أقبح هزيمة فلما ولّوا الأدبار في أوائل الهزيمة، هجم مملوكٌ من عسكر الناصريّ يقال له يلبغا الزينيّ الأعور وضرب الأمير جاركس الخليلي الأمير آخور بالسيف فقتله وأخذ سلّبه^(٣) وترك رمته عارية، إلى أن كفتته امرأة بعد أيام ودفنته.

ثم مدّت التركمان والعرب أيديهم يnehون من أنهزم من العسكر المصريّ ويقتلون ويأسرون من ظفروا به. وساق الأمير الكبير أيتمش البجاسي حتى لحق بدمشق وتحصن بقلعتها. وتمزق العسكر المصريّ وذهب كأنه لم يكن، ودخل الناصريّ من يومه إلى دمشق بعساكره، ونزل بالقصر من الميدان، وتسلم القلعة بغير قتال. وأوقع الحوطة على سائر [ما] للعسكر، وأنزل بالأمير الكبير أيتمش وقيدته هو والأمير طرُنطاي نائب الشام وسجنهما بقلعة دمشق، وتبع بقية الأمراء والمماليك حتى قبض من يومه أيضاً على الأمير بكلمش العلائي في عدة من أعيان المماليك

(١) برزة: قرية في غوطة دمشق (معجم البلدان).

(٢) كذا أيضاً في السلوك. وفي نزهة النفوس: «في المرة الثانية... الخ».

(٣) السلب (بالتحريك) هو كل ما على الإنسان من لباس.

الظاهرية، فاعتقلهم أيضاً بقلعة دمشق. ثم مدّت التركمان والأجناد أيديهم في النهب، فما عفوا ولا كفوا وتمادوا على هذا عدّة أيام.

وقدّم هذا الخبر على الملك الظاهر من غزة في يوم سابع عشرين شهر ربيع الآخر المذكور، فأضطربت الناس اضطراباً عظيماً، لا سيما لما بلغهم قتل الأمير جازكس الخليلي والقبض على الأمير الكبير أيتمش البجاسي، وغلقت الأسواق، وأنتهبت الأخباز، وتشغبت الزعر، وطغى أهل الفساد، هذا مع ما للناس فيه من الشغل بدفن موتاهم وعظم الطاعون بمصر. كل ذلك وإلى الآن لم يعرف السلطان بقتل الأمير يونس النوروزي الدوادار على ما سيأتي ذكره.

وأما السلطان الملك الظاهر برقوق فإنه لما بلغه ما وقع لعسكره وجّم وتحير في أمره، وعظّم عليه قتل جازكس الخليلي والقبض على أيتمش أكثر من أنهزام عسكره، فإنهما ويونس الدوادار كانوا هم القائمين بتدبير ملكه. وأخذ يفحص عن أخبار يونس الدوادار المذكور، فلم يقف له على خبر، لسرعة مجيء خبر الوقعة له من مدينة غزة، وإلى الآن لم يأت أحد ممن باشر الواقعة، غير أنه صحّ عنده ما بلغه.

ثم خرج [السلطان] إلى الإيوان بالقلعة، واستدعى الأمراء والمماليك، وتكلّم معهم السلطان في أمر الناصري ومنطاش وأستشارهم، فوقع الاتفاق على خروج تجريدة ثانية، فأنفض الموكب.

وخرج السلطان في ثامن عشر شهر ربيع الآخر إلى الإيوان، وعين من المماليك السلطانية ممن آختر سفره خمسمائة مملوك، وأنفق فيهم ذهباً حساباً عن ألف درهم فضة لكل واحد، ليتوجهوا إلى دمشق صُحبة الأمير سودون الطرُنطائي وقام السلطان، فكلّمه بعض خواصّه في قلة من عين من المماليك، وأن العسكر الذي كان صُحبة أيتمش كان أضعاف ذلك وحصل ما حصل؛ فعرض [السلطان] العسكر ثانياً وعين خمسمائة أخرى، ثم عين أربعمائة أخرى لتتمة ألف وأربعمائة مملوك، وأنفق في الجميع ألف درهم فضة، لكل واحد.

ثم أنفق السلطان في الممالك الكتابية^(١) لكل مملوك مائتي درهم فضة، فإنه بلغه أنهم في قلق لعدم النفقة عليهم.

هذا، وقد طمّع كلُّ أحد من الممالك وغيرهم في جانب الملك الظاهر لما وقع لعسكره بدمشق.

ثم عمِل السلطان الموكب في يوم الأربعاء أولُ جُمادى الأولى، وأنعم على كلِّ من قرأبغا البوبكري، وبجاس التوروزي نائب قلعة الجبل، وشيخ الصفوي، وقرقماس الطشتمري بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، عوضاً عمّن قُتل أو أمسك بالبلاد الشامية.

ثم أنعم السلطان أيضاً في اليوم المذكور على كل من أَلجِينَا الجمالي الخازندار، وأَلطُنْبغا العثماني رأس نوبة، ويونس الإسعدي الرماح، وفتق باي الألبجوي اللالا، وأسْبغا الأروغوني^(٢) شاي، وبغداد الأحمدي، وأرسلان اللّفاف، وأحمد الأروغوني، وجرباش الشخي، وأَلطُنْبغا شادي، وأرنبغا^(٣) المنجكي، وإبراهيم بن طشتمر العلائي الدودار، وقراسك السيفي بإمرة طبلخاناه.

وأنعم على كل من السيد الشريف بكتمر الحسيني^(٤) والي القاهرة [كان]^(٥)، وفتق باي الأحمدي بإمرة عشرين^(٦). وأنعم على كل من بَطا الطُولوتمري الظاهري، ويلبغا السوداني، وسودون اليحياوي، وتنبك^(٧) اليحياوي، وأرغون شاه البيدُمري،

(١) الممالك الكتابية: هم ممالك الطباق (أو الأطباق). وكانوا يدخلون الطباق ويسكنونها ويتعلمون بها الكتابة، ولذلك سموا بالكتابية. ولم يكن جميع الممالك يدخلون الطباق، بل منهم من كان يلحق مباشرة بخدمة السلطان ويتلقى مع أبنائه تربية خاصة، ومن هؤلاء كان الخاصكية. وكان بعض السلاطين يرسلون أبناءهم إلى الطباق مثل أغلبية الأمراء. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٣٣٠).

(٢) في السلوك: «أسن بغا الأروغون شاهي» وفي نزهة النفوس: «أسن بغا الأروغونشاهي».

(٣) في السلوك ونزهة النفوس: «أروس بغا المنجكي».

(٤) في السلوك ونزهة النفوس: «الحسني».

(٥) زيادة عن السلوك.

(٦) كذا أيضاً في السلوك. وفي نزهة النفوس: «بإمرة عشرة».

(٧) في السلوك ونزهة النفوس: «تاي بك».

وآقبغا الجماليّ الهذبانيّ،^(١) وقوزي الشعبانيّ، وتغري بردي البشباغويّ^(٢) والد كاتبه، وبكبلاط السعدي^(٣)، وأرنبغا^(٤) العثمانيّ، وشكر باي العثمانيّ، وأسنبغا السيفيّ بأمرة عشرة، وكلّ هؤلاء مماليك الملك الظاهر برقوق وخاصيّته أمرهم في هذه الحركة، وكانوا قبل ذلك من جملة الخاصكيّة، ومنهم من هو إلى الآن لم يحضر من التجريدة.

ثمّ قَدِمَ البريد على السلطان من قطيا بأنّ الأمير إينال اليوسفيّ أتاك دِمَشَقِ المنعم عليه بناية حلب بعد عصيان الناصريّ، والأمير إينال أمير آخور، والأمير إياس أمير آخور دخلوا إلى غزّة في عسكر كثيف من عساكر الناصريّ، وقد صاروا قبل تاريخه من حزب الناصريّ، واستولّوا على مدينة غزّة والرّملة وتمزّقت عساكرها؛ فعظّم لهذا الخبر جزع الملك الظاهر وتحيّر في أمره.

ثم في يومه استدعى السلطان القضاة والأمراء والأعيان، وبعث الأمير سودون الطرنطائيّ والأمير قرقماس الطشتمريّ إلى الخليفة المتوكّل على الله بمسكنه في قلعة الجبل فأحضره فلما رآه الملك الظاهر قام له وتلقاه وأجلسه؛ وأشار إلى القضاة فحلّفوا كلّاً منهما للآخر على الموالاة والمناصحة، وخلع السلطان على الخليفة المتوكّل على الله المذكور خلعة الرضا، وقيد إليه حجرة^(٥) شهباء من خواصّ خيل السلطان بسرج ذهب وكنبوش مُزركش وسلسلة ذهب، وأذن له في النزول إلى داره، فركب ونزل من القلعة إلى داره في موكب جليل، وأعيدت إقطاعاته ورواتبه، وأُخلي له بيت بقلعة الجبل ليسكن فيه.

ثمّ طلّع الخليفة من يومه ونقل حرمه إلى البيت المذكور بالقلعة، وصار يركب في بعض الأحيان وينزل إلى داره بالمدينة ثم يطلع من يومه إلى مسكنه

(١) كذا أيضاً في السلوك. وفي نزهة النفوس: «الهيدياني».

(٢) وردت أيضاً في المصادر: «اليشباغوي». وأوردها السخاوي في الضوء اللامع: «الكمشباغوي الرومي».

(٣) في السلوك: «بكبلاط السونجي». وفي نزهة النفوس: «بلاط السونجي».

(٤) في السلوك ونزهة النفوس: «أردبغا».

(٥) الحجرة: هي الفرس الأنثى. وصوابه أن يقال: الحجر.

بالقلعة وَيَبِيت فيه مع أهله وحرمه، وأستمرّ على ذلك إلى ما سيأتي ذكره.

ثم في يوم الجمعة ثالث جُمادى الأولى المذكورة قَدِمَ الأمير شهاب الدين أحمد بن بقر أمير عرب الشرقية، ومعه هَجَانُ الأمير جاركس الخليلي، فحدّث السلطان بتفصيل واقعة العسكر المصري مع الناصري، وأنه فرّ مع الأمير يُونس الدوادار في خمسة نفر طالبين الديار المصرية، فعرض لهم الأمير عنقاء بن شطّي أمير آل فضل بالقرب من خربة اللصوص من طريق دِمَشق، وقَبَضَ على الأمير يُونس الدوادار ووبّخه لِمَا كَانَ في نفسه منه، ثم قتله وحرّ رأسه وبعث به إلى الناصري فعندما بلغ السلطان قتل يُونس الدوادار وتحقّقه كادت نفسه تزَهق، وكان بلغه هذا الخبر، غير أنه لم يتحقّقه إلا في هذا اليوم. وبقتل يُونس الدوادار آسْتَشعر كلُّ أحد بذهاب مُلك الملك الظاهر.

ثم أصبح السلطان أمر بالمناداة بمصر والقاهرة بإبطال سائر المُكوس من سائر ديار مصر وأعمالها، فقام جميع كُتّاب المُكوس من مجالسهم.

ثم في سادس الشهر^(١) رَكِبَ الخليفة المتوكّل على الله من القلعة بأمر السلطان الملك الظاهر ونزل إلى القاهرة، ومعه الأمير سُودون الفخريّ الشبخونيّ نائب السلطنة وقضاة القضاة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلقينيّ وسائر الحُجّاب، وداروا في شوارع القاهرة، ورجلٌ أمامهم على فرس يقرأ ورقة فيها: «إنَّ السلطان قد أزال المُكوسَ والمظالم، وهو يأمر الناس بتقوى الله وطاعته، وإنّا قد سلّنا العدوّ الباغي في الصلح فأبى، وقد قوّي أمره، فأغلقوا دوركم وأقيموا الدروب^(٢) على الحارات وقاتلوا عن أنفسكم وحرّيمكم». فلَمّا سمع الناس ذلك تزايد خوفهم وقلقهم، ويشس كلُّ واحد من الملك الظاهر، وأخذ الناس في العمل للتوصّل إلى الناصريّ، حتى حواشي برقوق لَمّا سمعوا هذه المقالة، وقد تحقّقوا بسماعها بأن الملك الظاهر لم يَبْقَ فيه بقية يلقى بها الناصريّ وعساكره، وقول

(١) أي شهر جمادى الأولى سنة ٧٩١هـ.

(٢) الدرب: باب السكّة الواسع. والمراد هنا الأبواب التي تقام على رؤوس الطرق والحارات.

الملك الظاهر: «وإنا قد سألنا العدو في الصلح فأبى وقوي» - فإنه كان لَمَّا توجه العسكر من مصر لقتال الناصري أمرهم [برقوق] أن يُرسلوا له في طلب الصلح مع الناصري ففعلوا، فلم يَنْتظم صلحٌ ووقع ما حَكَيْناه من القتال وغيره.

ثم إن الناس لَمَّا سمعوا هذه المنادة شرعوا في عمل الدُروب؛ فجدد بالقاهرة دروب كثيرة. وأخذوا في جمع الأوقات والاستعداد للقتال والحصار، وكثُر كلامُ العامَّة فيما وقع، وهان الملك الظاهر وعساكره في أعين الناس، وقلَّت الحرمة، وتجمَّع الزُّعر ينتظرون قيامَ الفِئنة لينهبوا الناس، وتخوف كلُّ أحد على ماله وقُماشه، كلُّ ذلك والناصري إلى الآن بدمشق.

ثم انقطع أخبار الناصري عن مصر لدخول الأمير حُسام الدين بن باكيش نائب غزة في طاعة الناصري.

ثم قدِم الخبر بدخول الأمير مأمور القَلْمَطَاوي نائب الكرك في طاعة الناصري، وأنه سلَّم له الكرك بما فيها من الأموال والسلاح؛ فتيقن كلُّ أحد عند سماع هذا الخبر أيضاً بزوال مُلك الملك الظاهر. هذا والأمراء والعساكر المُعيَّنة للسفر في آهتام؛ غير أن عزائم السلطان فاترة، وقد علاه وُلَّةٌ وداخله الخوف من غير أمر يوجبُ ذلك. وكان السلطان لَمَّا عيَّن هذه التجريدة الثانية أرسل إلى بلاد الصعيد يطلب نجدةً، فقدِم إلى القاهرة في هذا اليوم طوائف من عرب هَوارة نجدةً للسلطان ونزلوا تحت القلعة.

ثم أمر السلطان بحفر خندق القلعة وتوَعير طريق باب القلعة المعروف بباب القرافة وباب الحرس وباب الدرفيل^(١).

ثم أمر السلطان بسدِّ خوخة^(٢) الأمير أيدُغُمش خارج بابي زويلة، فسُدَّت

(١) تقع هذه الأبواب الثلاثة في السور الشرقي من القلعة تجاه جبل المقطم. وذكر الأستاذ محمد رمزي أن باب القرافة وباب الدرفيل قد سدَّا من قديم. أما باب الحرس فلا يزال مفتوحاً إلى اليوم وهو يعرف باسم باب المقطم.

(٢) الخوخة: باب صغير يعمل في جسم بوابة كبيرة يسهل فتحه وإغلاقه عندما لا تكون حاجة لفتح البوابة الكبيرة - وعن خوخة أيدُغُمش انظر خطط المقرئ: ٤٥/٢.

حتى صار لا يدخل منها راكب. ثم أمر السلطان فنودي بالقاهرة بإبطال مكس النسا والجلود.

وفي يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى من سنة إحدى وتسعين وسبعمئة خُطب للخليفة المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، فإنه أُعيد إلى الخلافة من يوم خلع عليه السلطان خلعة الرضا، ثم قرىء تقليده في ثاني عشره بالمشهد النفسي وحضره القضاة ونائب السلطنة. ولما أنقضى مجلس قراءة التقليد توجهوا الجميع إلى [رباط] (١) الآثار النبوية وقرأوا به صحيح البخاري، ودعوا الله تعالى للسلطان الملك الظاهر برقوق بالنصر وإخماد الفتنة بين الفريقين.

ثم في يوم ثالث عشرة أخلع السلطان على الأمير قرا ديمرداش الأحمدي اليلبغاوي باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عوضاً عن الأمير أيتمش البجاسي بحكم حسبه بقلعة دمشق، وعلى الأمير سودون باق باستقراره أمير سلاح عوضاً عن قرا دمرداش المذكور، وعلى الأمير قرقماس الطشتمري باستقراره دواداراً كبيراً عوضاً عن يونس النوروزي المقتول بيد عنقاء أمير آل فضل، وعلى الأمير تمربغا (٢) المنجكي أمير آخور كبيراً عوضاً عن الأمير جاركس الخليلي المقتول في واقعة الناصري بدمشق، وعلى قرا بغا البوبكري باستقراره أمير مجلس عوضاً عن أحمد بن يلبغا بحكم عصيانه ودخوله في طاعة الناصري، وعلى آقبغا المارديني باستقراره حاجب الحجاب عوضاً عن أيدكار العمري الداخل أيضاً في طاعة الناصري؛ ونزل الجميع بالخلع والتشريف.

ثم أنعم السلطان على الأمير صلاح الدين محمد [بن محمد] (٣) بن تنكز

(١) الزيادة عن السلوك؛ ورباط الآثار النبوية كان قائماً بالقرب من بركة الحيش مطلقاً على النيل. وقيل له رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إنها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم. (انظر خطط المقرئ: ٤٢٩/٢) - والرباط لا يزال قائماً إلى اليوم باسم جامع أثر النبي. وأما الآثار فقد نقلت هي وغيرها إلى خزنة خاصة بها بجامع سيدنا الحسين بالقاهرة (محمد رمزي).

(٢) كذا أيضاً في نزهة النفوس. وفي السلوك: «قرا بغا».

(٣) زيادة عن السلوك.

الناصريّ نائب الشّام كان بإمرة طبلخاناه، وعلى جُلبان الكمشبُغايوي الخاصكي الظاهري بإمرة طبلخاناه.

وكثُر في هذه الأيام تحصين السلطان لقلعة الجبل، فعلم بذلك كلُّ أحد أنه لم تخرج تجريدة من مصر، ولم يثبت الملك الظاهر لقتال الناصريّ، بما أفرزوا^(١) من أحوال السلطان خذلان من الله تعالى!

ثم أخذ السلطان ينقل إلى قلعة الجبل المناجيق^(٢) والمكاحل والعُدَد، وأمر السلطان لسكّان قلعة الجبل من الناس بأدخار القوت بها لشهرين.

ثم رسم السلطان للمعلم أحمد بن الطُولوني بجمع الحجّارين لسدّ فم وادي^(٣) السدرة بجوار الجبل الأحمر، وأن يُبنى حائط من جوار باب الدرفيل إلى الجبل.

ثم نُودي بالقاهرة بأن من له فرس من أجناد الحلقة يركب للحرب ويخرج مع العسكِر؛ فكثُر الهرج، وتزايد قلقُ الناس وخوفُهم، وصارت الشوارع كلها ملائنة بالخيول الملبسة^(٤). هذا وإلى الآن لم يَعْرِف السلطان ما الناصريّ فيه. وطُلبت آلات الحرب من الخوذ والقرقلاط والسيوف والأرماح بكل ثمن غال.

ثم رسم السلطان للأمير حسام الدين حسين [بن عليّ]^(٥) بن الكوراني والي القاهرة بسدّ باب المحروق أحد أبواب القاهرة، فكلمه الوالي في عدم سدّه، فنهره وأمره بسدّه وسدّ الباب الجديد أيضاً أحد أبواب القاهرة، ففعل. ثم سدّ باب

(١) كذا! ولعل الصواب: «بما أحرزوا» أي بما حصلوا من معلومات عن أحوال السلطان تشير إلى خذلانه واقتراب نهايته. — وعبارة نزهة النفوس: «وتراءت للناس عدة منامات ومحصلها يدل على زوال ملك السلطان».

(٢) كذا وردت أيضاً في نزهة النفوس. والمراد المجانيق، جمع منجنيق. ويقال أيضاً: منجنقات.

(٣) يقع فم وادي السدرة اليوم بين الجبل الأحمر وبين برج الظفر الواقع على رأس السور الشرقي لمدينة القاهرة. (محمد رمزي) — أما الجبل الأحمر فهو يطل على القاهرة من شرقها الشمالي. (خطط المقرئ: ١٢٥/١).

(٤) أي بلباس الحرب وعدتها.

(٥) زيادة عن السلوك.

الدَّرْفِيل المعروف قديماً بباب سارية، ويُعرف في يومنا هذا بباب المُدْرَج.
ثم أمر السلطان بسد جميع الخُوخ، فسَدَّ عدة خُوخ، وركَّب عند قناطر^(١) السباع
ثلاثة دروب^(٢): أحدها من جهة مصر والآخر من جهة قبو الكِرْمَانِي والآخر بالقرب
من الميدان. ثم بنى بالقاهرة عدَّة دروبٍ أخرى وحفر خنادق كثيرة.

هذا والموت بالطاعون عمَّال بالديار المصرية، في كل يوم يموت عدَّة كبيرة.
وأما الأمير يَلْبُغا الناصريّ نائب حلب وصاحبه مِنْطَاش نائب مَلْطِيَّة بمن
معهما، فإنَّ الناصريّ لما استقرَّ بِدِمَشق وملكها بعد الوقعة، نادى في جميع بلاد
الشام وقلاعها ألا يتأخر أحد عن الحضور إلى دمشق من النَوَاب والأمراء والأجناد،
ومن تأخر - سوى من عُيِّن لحفظ البلاد - قُطِعَ خبزه وسُلبت نعمته. فأجتمع
الناس بأسرهم في دمشق من سائر البلاد، وأنفق الناصري فيهم، وتجهَّز وتهبأ
للخروج من دمشق. وبرز منها بعساكره وأمرائه من الأمراء والأكراد والتُرْكمان
والعربان - وكان أجمع إليه خلائق كثيرة جداً - في يوم السبت حادي عشر جُمادى
الأولى من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة المقدم ذكرها، بعد أن أقرَّ في نيابة دمشق
الأمير جَنَّتَمَر المعروف بأخي طاز. وسار الناصري بمن معه من العساكر يريد الديار
المصرية، وهو يظنُّ أنه يلقي العساكر المصرية بالقرب من الشام. وأستمرَّ في سيره
على هَيْئَةٍ إلى أن وصل إلى غَزَّة، فتلقاه نائبها حسام الدين بن باكيش بالتَّقدم
والإقامات، فسأله الناصري عن أخبار عسكر مصر، فقال: «لم يرد خبر بخروج
عسكر من مصر؛ وقد أرسلت جماعة كبيرة غير مرة لكشف هذا الخبر، ولم يكن مني
تهاود في ذلك، فلم يبلغني عن الديار المصرية إلا أن بقوقاً في تخوِّف كبير، وقد
أستعدَّ للحصار» فلم يلتفت الناصري إلى كلامه، غير أنه صار متعجباً على عدم
خروج العساكر المصرية لقتاله. ثم قال في نفسه: «لعله يريد قتالنا في فم الرمل
بمدينة قطيا، ليكون عسكره في راحة من جواز الرَّمْل». وأقام الناصريّ بغَزَّة يومه.

(١) قناطر السباع هي قناطر كانت قائمة فوق الخليج المصري بميدان السيدة زينب بالقاهرة. (محمد رمزي).

(٢) أي ثلاثة أبواب.

ثم سار [الناصرى] من الغد يُريد ديار مصر، وأرسل أمامه جماعةً كبيرة من أمرائه ومماليكه كشافة. وآستمّر في السّير إلى أن نزل مدينة قُطيا. وجاء الخبر بنزول الناصريّ بعساكره على قُطيا فلم يتحرّك [السلطان] بحركة.

وفي ليلة وصول الخبر فرّ من أمراء مصر جماعة كبيرة إلى الناصريّ، وهي ليلة الثلاثاء ثامن عشرين جُمادى الأولى المذكورة، وهم: الأمير طُغَيْتُمُر الجرُكْتُمُري، وأرسلان اللّفاف، وأرْبُبعًا العثمانيّ في عدّة كبيرة من المماليك، ولجّحوا بالناصرى ودخلوا تحت طاعته، بعدما صرفوا في طريقهم الأمير عز الدين [أيْدُمُر]^(١) أبا ذرّقة كاشف الوجه البحري وقد سار من عند الملك الظاهر لكشف الأخبار، فضربوه وأخذوا جميع ما كان معه وساقوه معهم إلى الناصريّ فلما وصلوا إلى الناصريّ حرّضوه على سرعة الحركة وعرفوه ما الظاهر فيه من الخوف والجبن عن ملاقاته، فقويّ بذلك قلب الناصري، وهو إلى الآن يأخذ في أمر الملك الظاهر ويُعطي.

ثم جلس الملك الظاهر صبيحة هرب الأمراء بالإيوان من قلعة الجبل، وهو يوم الثلاثاء ثامن عشرينه، وأنفق على المماليك جميعها، لكل مملوك من مماليك السلطان ومماليك الأمراء، لكل واحد خمسمائة درهم فضة، وأستدعاهم طائفة بعد طائفة، وأعطى كل واحد بيده، وصار يحرّضهم على القتال معه، وبكى بكاء شديداً في الملأ.

ثم فرّق جميع الخيول حتى خيل الخاصّ في الأمراء والأجناد؛ وأعطى الأمير أقبغا المارديني حاجب الحجاب جملة كبيرة من المال ليفرّقه على الزّعُر. وعظّم أمرُ الزعر، وبطل الحكم من القاهرة، وصار الأمر فيها لمن غلب، وتعطلت الأسواق، وأكثر الناس من شراء البُقْسماط والدقيق والدهن ونحو ذلك.

ثم وصل الخبر على السلطان بنزول الناصريّ على الصالحية^(٢) بمن معه، وقد وقف لهم عدّة خيول في الرمل، وأنّه لما وجد الصالحية خالية من العسكر سجد لله

(١) زيادة عن السلوك.

(٢) الصالحية: إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية بمصر.

تعالى شكراً، فإنه كان يخاف أن يتلقاه عسكر السلطان بها، ولو تلقاه عسكر السلطان لما وجد لعسكره منعة للقتال، لضعف خيولهم وشدة تعبهم، فلهذا كان حمده لله تعالى. وأخبر^(١) السلطان أيضاً أن الناصري لما نزل الصالحية تلقاه عربُ العائِد مع كبيرهم الأمير شمس الدين محمد بن عيسى، وخدموه بالإقامات والشعير وغيرها، فردَّ بذلك رمقهم.

فلما سمع السلطان ذلك رَسَم للأتابك الأمير قرا دِمرداش الأحمدي أن يتوجه لكشف الأخبار من جهة بركة الحبش مخافة أن يأتي أحد من قِبَل إطفيح، فسار لذلك. ثم رتب السلطان العسكر نوبتين: نوبة لحفظ النهار ونوبة لحفظ الليل، وسير ابن عمه الأمير قجماس في عدة أمراء إلى المرج والزيات^(٢) طليعة للكشف.

ثم في يوم الأربعاء تاسع عشرين جمادى الأولى المذكور أنفق السلطان في ممالك أمراء الطبلخانات والعشرات، فأعطى كل واحد أربعمئة درهم فضة. وأنفق السلطان أيضاً في الطبردارية [والبزدارية]^(٣) والأوجاقية وأعطاهم القسي والشباب. ثم رتب من الأجناد البطالين جماعة بين شرفات القلعة ليرموا على من لعله يحاصر القلعة، وأنفق فيهم أيضاً. ثم استدعى السلطان رُماة قسي الرجل من ثغر الإسكندرية فحضر منهم جماعة كبيرة وأنفق فيهم الأموال.

ثم عاد الأمير قجماس بمن معه من المرج والزيات وأخبر السلطان أنه لم يقف للقوم على خبر.

ثم خرج الأمير سُودون الطرنطائي في ليلة الخميس في عدة من الأمراء

(١) فاعله هو الرسول الذي وصل إلى السلطان بخبر نزول الناصري على الصالحية. وهذا الرسول هو بهادر

والي العرب، كما جاء في السلوك. ولعل الصواب: «بهادر والي الغربية» كما جاء في نزهة النفوس.

(٢) المرج والزيات: قريتان من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر. وقرية الزيات تسمى اليوم القلج. (محمد رمزي).

(٣) زيادة عن السلوك. والطبردارية: هم الذين يحملون الطير حول السلطان في المواكب؛ والطير لفظ فارسي معناه الفأس. - والبزدارية: هم الذين يحملون الطيور الجوارح المعدة لصيد السلطان. والأوجاقية (الأوشاقية): هم الذين يتولون ركوب الخيل السلطانية للتسيير والرياضة.

والمماليك إلى قبة النصر للحرس، وسارت طائفة أخرى إلى بركة الحبش. وبات السلطان بالإسطنبول السلطاني ساهراً لم يتم، ومعه الأمير سودون الشبخوني النائب، والأتابك قرا ديمرداش الأحمدي، بعد أن عاد من بركة الحبش، وعدة كبيرة من المماليك والأمراء.

ثم توجه الأمير قرابغا الأبوبكري أمير مجلس في يوم الخميس أول جمادى الآخرة إلى قبة النصر، ثم عاد ولم يقف على خبر؛ كل ذلك لضعف خيول عساكر الناصري وكلهم من السفر، فلم يجد الناصري لهم منعة، فأقام بهم على الصالحة ليتراجع أمرهم وتعود قواهم هذا والأمراء بالديار المصرية لابسون آلة الحرب وهم على ظهور خيولهم بسوق الخيل تحت القلعة.

وفي ليلة الخميس المذكورة هرب من المماليك السلطانية آثنان ومن ممالك الأمراء جماعة كبيرة، بعد أخذهم نفقة السلطان، وساروا الجميع إلى الناصري.

ثم طلب السلطان أجناد الحلقة، فدارت النقباء عليهم فأحضروا منهم جماعة كبيرة فرقوا على أبواب القاهرة ورثبوا بها لحفظها.

ثم ندب السلطان الأمير ناصر الدين محمد ابن الدواداري أحد أمراء الطبلخانات ومعه جماعة لحفظ قياسر^(١) القاهرة، وأغلق والي القاهرة باب البرقية. ثم رتب السلطان النفطية على برج الطبلخاناه السلطانية وغيره بقلعة الجبل.

ثم قدم الخبر على السلطان بنزول طليعة الناصري بمدينة بلبس ومقدمها الطواشي طقطاي الرومي الطشتمري.

ثم في يوم الجمعة نزلت عساكر الناصري بالبئر البيضاء^(٢)، فأخذ عند ذلك عسكر السلطان يتسلل إلى الناصري شيئاً بعد شيء. وكان أول من خرج إليه من

(١) في نزهة النفوس: «قياسر التجار». والقياسر هي مجموعة دكاكين.

(٢) البئر البيضاء: مركز بريد منفرد ليس حوله سكان كان قائماً على طريق السعاة فيها بين سرياقوس وبلبس. (صبح الأعشى: ٣٧٦/١٤).

القاهرة الأمير جبريل الخوارزمي، ومحمد بن بيدمر نائب الشام، وبجمان المحمدي نائب الإسكندرية، وغريب الخاصكي، والأمير أحمد بن أرغون الأحمدي [اللا] (١).

ثم نصب السلطان السناجق السلطانية على أبراج القلعة، ودقت الكوسات الحربية، فاجتمعت العساكر جميعها، وعليهم آلة الحرب والسلاح. ثم ركب السلطان والخليفة المتوكل على الله معه من قلعة الجبل بعد العصر، وسار السلطان بمن معه حتى وقفا خلف دار الضيافة، وقد اجتمع حول السلطان من العامة خلائق لا تحصى كثرة؛ فوقف هناك ساعة، ثم عاد وطلع إلى الإسطبل السلطاني، وجلس فيه من غير أن يلقي حرباً، وصعد الخليفة إلى منزله بقلعة الجبل، وقد نزلت الذلة على الدولة الظاهرية، وظهر من خوف السلطان وبكائه ما أبكى الناس شفقة له ورحمة عليه.

فلما غربت الشمس صعد السلطان إلى القلعة، وبات بالقصر السلطاني ومعه عامة مماليكه وخاصكيته وهم عدّة كبيرة إلى الغاية.

ثم في يوم السبت ثالث جمادى الآخرة نزل الناصري بعساكره بركة الجبّ ظاهر القاهرة، ومعه من أكابر الأمراء الأمير تمربغا الأفضلي الأشرفي المدعو منطاش، والأمير بزلار العمري الناصري حسن، والأمير كمشبغا الحموي اليلبغاوي نائب طرابلس كان، والأمير أحمد بن يلبغا العمري أمير مجلس، والأمير أيذكار حاجب الحجاب، وجماعة آخر من أمراء الشام ومصر وغيرها.

ثم تقدمت عساكر الناصري إلى المرج وإلى مسجد التبن، فعند ذلك غلقت أبواب القاهرة كلها إلا باب زويلة، وأغلقت جميع الدروب والخوخ، وسد باب القرافة، وآنشرت الزعر في أقطار المدينة تأخذ ما ظفرت به ممن يستضعفونه.

ثم ركب السلطان ثانياً من القلعة ومعه الخليفة المتوكل على الله، ونزل إلى

(١) زيادة عن السلوك.

دار الضيافة، فقدم عليه الخبر بأن طليعة الناصريّ وصلت إلى الخراب طرف الحسينيّة فلقيتهم كشافة السلطان فكسرتهم.

ثمّ ندب السلطان الأمراء فتوجهوا بالعساكر إلى جهة قبة النصر، ونزل السلطان ببعض الزوايا عند دار الضيافة إلى آخر النهار.

ثمّ عاد إلى الإسطبل السلطانيّ وصحبته الأمراء الذين توجهوا لقبّة النصر، والكوسات تدقّ، وهم على أهبة اللقاء وملافاة العدو، وخاصكيّة السلطان حوله، والفُوط لا تفتّر، والرُميلة قد امتلأت بالزُعر والعامّة وممالك الأمراء؛ ولم يزالوا على ذلك حتّى أصبحوا يوم الاثنين، وإذا بالأمير آقبا الماردينيّ حاجب الحجاب والأمير جُمق ابن أيتمش البجاسي والأمير إبراهيم بن طشتّمر العلائي الدوادار قد خرجوا في الليل ومعهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية ولحقوا بالناصريّ.

ثمّ أصبح السلطان من الغد، وهو يوم خامس جُمادى الآخرة، فرّ الأمير قرّماس الطشتّمريّ الدوادار الكبير وقرا دمرداش الأحمديّ أتاك العساكر بالديار المصرية والأمير سودون باق أمير مجلس ولحقوا بالناصريّ وكانوا في عدّة وافرة من المماليك والخدم والأطلاب الهائلة ولم يتأخر عند السلطان من أعيان الأمراء إلا ابن عمه الأمير قجماس وسودون الشبخونيّ النائب وسودون طرنطاي وتمربغا المنجكيّ وأبو بكر بن سنقر وبيرس التمان تمرّي الصفويّ ومقدم المماليك شنكل وطائفة من أمراءه مشترواته وخاصكيّته. والعجب أنّ السلطان كان أنعم في أمسه على الأمراء الذين توجهوا لكلّ أمير من أمراء الألف عشرة آلاف دينار، ولكل أمير طبلخاناه خمسة آلاف دينار، وحلّفهم على طاعته ونصرته، وأعطى في ليلة واحدة للأمير الكبير قرا دمرداش الأحمديّ ثلاثين ألف دينار دُفعة واحدة وخاتماً مثنياً، قيمته الألف عديده، حتى قال له قرا دمرداش المذكور: «يا مولانا السلطان، روجي فداؤك؛ لا تخف! ما دمّت أنا واقف في خدمتك أنت آمن» فشكره السلطان، فنزل من عنده، وفي الحال ركب وخرج من باب القرافة وقطع الماء الذي يجري إلى القلعة وتوجّه مع من ذكرنا من الأمراء إلى الناصريّ، فلم يلتفت الناصريّ لهم ذاك الالتفات الكليّ، بل فعل معهم كما فعل مع غيرهم ممن توجه إليه من أمراء مصر. انتهى.

ولمّا بلغ السلطان نفاق هؤلاء الأمراء عليه بعد أن أنعم عليهم بهذه الأشياء، علم أنّ دولته قد زالت، فأغلق في الحال باب زويلة وجميع الدروب، وتعطلت الأسواق، وأمتلأت القاهرة بالزعر، واشتدّ فسأدهم، وتلاشت الدولة الظاهرية وأنحلّ أمرها. وخاف والي القاهرة حسام الدين بن الكورانيّ على نفسه، فقام من خلف باب زويلة وتوجّه إلى بيته^(١) وأختفى.

وبقي الناس غوغاء، وقطع المسجونون قيودهم بخزانة شمائل، وكسروا باب الحبس وخرجوا على حمية جملة واحدة، فلم يردّهم أحدٌ بشغل كلّ واحد بنفسه، وكذلك فعل أهل حبس^(٢) الديلم، وأهل سجن الرحبة^(٣) هذا والسلطان إلى الآن بقلعة الجبل، والنفوط عمالة، والكوسات تدقّ حريباً ثمّ أمر السلطان مماليكه فنزلوا ومنعوا العامة من التوجّه إلى يلبغا الناصريّ، فرجمهم العامة بالحجارة، فرماهم المماليك بالشباب، وقتلوا منهم جماعة تزيد عدّتهم على عشر أنفس.

ثمّ أقبلت طليعة الناصريّ مع عدّة من أعيان الأمراء من أصحابه، فبرز لهم الأمير قجماس ابن عمّ السلطان في جماعة كبيرة وقاتلهم وأكثر الرميّ عليهم من فوق القلعة بالسهام والنفوط والحجارة بالمقاليع وهم يوالون الكرّ والفرّ غير مرة. وثبتت [المماليك] السلطانية ثباتاً جيّداً غير أنهم في علم بزوال دولتهم.

هذا وأصحاب السلطان تتفرّق عنه شيئاً بعد شيء؛ فمنهم من يتوجّه إلى الناصريّ ومنهم من يختفي خوفاً على نفسه، حتى لم يبقَ عند السلطان إلاّ جماعة يسيرة ممن ذكرنا من الأمراء فلمّا كان آخر النهار المذكور أراد السلطان أن يسلم نفسه، فمنعه من بقيّ عنده من الأمراء وخاصكيّته وقالت مماليكه: «نحن نقاتل بين

(١) في نزهة النفوس: «واختفى في بعض دوره».

(٢) كان حبس الديلم يقع في الحارة المعروفة بهذا الاسم، نسبة إلى الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابي سنة ٣٦٨هـ. (خطط المقرئ: ٧/٢، ٨، ٤٤).

(٣) الأرجح أن حبس الرحبة كان يقع في رحبة باب العيد. وقد ذكر المقرئ في خطه: ١٨٨/٢ أن خزانة البنود برحبة باب العيد قد احترقت سنة ٤٦١هـ «فعملت بعد حريقها سجنًا يسجن فيه الأمراء والأعيان إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فأقرها ملوك بني أيوب سجنًا».

يديك حتى نموت، ثم سلّم بعد ذلك نفسك» فلم يثق بذلك منهم، لكنه شكرهم على هذا الكلام، والسعد مُدبر والدولة زائلة.

ثم بعد العصر من اليوم المذكور قَدِم جماعة من عسكر الناصريّ عليهم الطواشيّ طُقَطاي الرّومي الطُشْتُمريّ، والأمير بُزْلاّر العمريّ الناصريّ وكان من الشجعان، والأمير أَلْطُنْبُغا الأشرفيّ، في نحو الألف وخمسمائة مقاتل يريدون القلعة، فبرَز لهم الأمير بَطَا الطُولُوتُمريّ الظاهريّ الخاصكيّ والأمير شُكر باي العثمانيّ الظاهريّ وسودون شُقْرَاق والوالد^(١) في نحو عشرين مملوكاً من الخاصكيّة الظاهريّة، وتلاقوا مع العسكر المذكور: صدموهم صدمة واحدة كسروهم فيها وهزموهم إلى قبة النصر، ولم يُقتل منهم غير سودون شُقْرَاق، فإنه أمسك وأُتِيَ به إلى الناصريّ فوسّطه. ولم يُقتل الناصريّ في هذه الواقعة أحداً غيره، لا قبله ولا بعده، أعني صبراً، غير أن جماعة كبيرة قُتِلوا في المعركة. [و] ورد الخبر بنُصرتهم على الملك الظاهر، فلم يَغْتَر بذلك، وعلم أن أمره قد زال؛ فأخذ في تدبير أمره مع خواصّه، فأشار عليه مَنْ عنده أن يستأمن من الناصريّ فعند ذلك أرسل الملك الظاهر الأمير أبا بكر بن سُنْقَر الحاجب والأمير بِيَدْمُر المنجكيّ شادّ القصر بالتمجاة^(٢) إلى الأمير يَلْبُغا الناصريّ أن يأخذا له أماناً على نفسه ويترقّقا له فسارا من وقتهما إلى قبة النصر، ودخلا على الناصريّ وهو بمخيمه، وأجتمعا به في خلوة، فأمنة على نفسه، وأخذ منهما منجاة الملك وقال: «الملك الظاهر أخونا وخُشْدأشنا، ولكنّه يختفي^(٣) بمكان إلى أن تُخمد الفتنة، فإن الآن كلّ واحد له رأي وكلام، حتى نُدبّر له أمراً يكون فيه نجاته» فعادا بهذا الجواب إلى الملك الظاهر برقوق. وأقام السلطان بعد ذلك في مكانه مع خواصه إلى أن صلّى عشاء الآخرة، وقام الخليفة المتوكل على الله إلى منزله بالقلعة على العادة في كل ليلة. وبقيّ الملك الظاهر في قليل من أصحابه، [و] أذن لسودون النائب في التوجّه إلى حال سبيله

(١) يعني الأمير تغري بردي الشيبغاي والوالد المؤلف أبي المحاسن.

(٢) النمجا والتمجاة (بهاء أوتاء في الآخر): عبارة عن سيف قصير معقوف، أو خنجر كبير. وهي من أدوات السلطان ومن علامات السلطنة.

(٣) الصيغة هنا بمعنى أنه أشار عليه بالاختفاء.

والنظر في مصلحة نفسه، فودّعه وقام ونزل من وقته. ثم فرّق الملك الظاهر بقرية أصحابه، فمضى كل واحد إلى حال سبيله.

ثم آسّتر الملك الظاهر وغيّر صِفّته، حتى نزل من الإسطبل إلى حيث شاء ماشياً على قدميه، فلم يعرف له أحد خبراً. وانفضّ ذلك الجمع كله في أسرع ما يكون، وسكن في الحال دقّ الكوسات ورمي مدافع النفط، ووقع النهب في حواصل الإسطبل حتى أخذوا سائر ما كان فيه من السروج واللُّجم وغيرها والعبيّ، ونهبوا أيضاً ما كان بالميدان من الغنم الضأن، وكان عدّتها نحو الألفي رأس، ونهبت طباق الممالك بالقلعة. وطار الخبر في الوقت إلى الناصري، فلم يتحرك من مكانه، ودام بمخيمه. وأرسل جماعة من الأمراء من أصحابه، فسار من عسكره عدّة كبيرة وأحتاطوا بالقلعة.

وأصبح الأمير يلبغا الناصريّ بمكانه، وهو يوم الاثنين خامس جُمادى الآخرة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ونَدب الأمير منطاش في جماعة كبيرة إلى القلعة فسار منطاش إلى قلعة الجبل في جموعه، وطلع إلى الإسطبل السلطانيّ، فنزل إليه الخليفة المتوكّل على الله أبو عبد الله محمد وسار مع منطاش إلى الناصري بقرية النصر، حتى نزل بمخيمه، فقام الناصري إليه وتلقاه وأجلسه بجانبه ووانسه بالحديث.

هذا وقد أنضمت العامّة والزُعر والترّكمان من أصحاب الناصريّ، وتفرّقوا على بيوت الأمراء وحواصلهم، فنهبوا ما وجدوا حتى أخرجوا الدور وأخذوا أبوابها وخشبها، وهجموا منازل الناس خارج القاهرة ونهبوها، واستمرّوا على ذلك، وقد صارت مصر غوغاء وأهلها رعيّة بلا راع، حتى أرسل الناصري الأمير ناصر الدين محمد بن الحُسام، وقد ولّاه ولاية القاهرة؛ فسار ابن الحُسام إلى القاهرة فوجد باب النصر مغلقاً، فدخل بفرسه راكباً من جامع الحاكم إلى القاهرة وفتح باب النصر وباب الفتوح. وعند فتح الأبواب طرق جماعة كبيرة من عسكر الناصريّ القاهرة ونهبوا منها جانباً كبيراً، فقاتلهم الناس وقتلوا منهم أربعة نفر. ومرّ بالناس في هذه

الأيام شداً وأهوال. وبلغ الناصري الخبر فبعث أبا بكر بن سُنقر الحاجب وتَنكزُبغا رأس نوبة إلى حفظ القاهرة فدخلها.

ثم نُودِيَ بها من قِبَل الناصري بالأمان ومنع النَّهب، فنزل تنكزُبغا المذكور عند الجَمَلون^(١) وَسَط القاهرة، ونزل سيدي أبو بكر بن سُنقر عند باب زويلة، وسكَن الحال، وهدأ ما بالناس، وأمنوا على أموالهم.

وأما الناصري فإنه لما نزل إليه الخليفة وأكرمه، كما تقدّم، وحضر قضاة القضاة والأعيان للهناء، أمرهم الناصري بالإقامة عنده، وأنزل الخليفة بمخيم، وأنزل القضاة بخيمة أخرى ثم طلب الناصري من عنده من الأمراء والأعيان وتكلم معهم فيما يكون، وسألهم فيمن يُنصب في السلطنة بعد الملك الظاهر بقوق، فأشار أكابرهم بسلطنة الناصري، فامتنع الناصري من ذلك أشدّ امتناع، وهم يُلحون عليه ويقولون له: «ما المصلحة إلا ما ذكرنا» وهو أبى وانفض المجلس من غير طائل فعند ذلك تقدّم الناصري بكتابة مرسوم عن الخليفة، وعن الأمير الكبير يلبغا الناصري بالإفراج عن الأمراء المعتقلين بشعر الإسكندرية وهم: أَلطُنْبغا الجوباني نائب الشام، وقَرْدَم الحَسَنِي، وأَلطُنْبغا المعلم أمير سلاح، وإحضارهم إلى قلعة الجبل، والجميع يلبغاويّه، فسار البريد بذلك. ثم أمر الناصري بالرحيل من قبة النصر إلى نحو الديار المصرية^(٢)، وركب في عالم كبير من العساكر نحو الستين ألفاً، حتى إنه كان علقى جمالهم في كل ليلة ألفاً [وثلاثمائة]^(٣) إردب فول. وسار الناصري بخيوله وبجيوشه حتى طلع إلى القلعة ونزل بالإسطل السلطاني، وطلع الخليفة إلى منزله بقلعة الجبل، ونزل كل أمير في بيت من بيوت الأمراء بديار مصر.

(١) أي سوق الجمالون الكبير وسط القاهرة. — انظر خطط المقرئزي: ١٠٣/٢ — والجمالون هو السقف المحذب المستطيل، وهو هنا الطريق المسقف. وسمي ذلك السوق بهذا الاسم لأنه كان عبارة عن طريق مسقف.

(٢) لعل عبارة «إلى نحو الديار المصرية» مقحمة من هذا السياق. ذلك أن الناصري توجه من قبة النصر إلى القلعة. وهذه العبارة غير واردة لا في السلوك ولا في النزهة.

(٣) زيادة عن السلوك. وفي نزهة النفوس كما في الأصل هنا.

وجلس الناصري في مجلس عظيم، وحضر إلى خدمته الوزير كريم الدين عبد الكريم بن الغنم وموفق الدين أبو الفرج ناظر الخاص والقاضي جمال الدين محمود ناظر الجيش والقاضي بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر الشريف وغيرهم من أرباب الوظائف، فأمرهم الأمير الكبير بتحصيل الأغنام إلى مطابخ الأمراء، ونودي في القاهرة ثانياً بالأمان.

ثم رسم للأمير تنكزبغا رأس نوبة بتحصيل [ممالك] (١) الملك الظاهر برقوق، فأخذ تنكزبغا يتبع أثرهم. وأصبح الناس في يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة في هرج كبير ومقاتلات كثيرة مختلفة في أمر الملك الظاهر برقوق.

ثم استدعى الأمير الكبير يلبغا الناصري الأمراء واستشارهم فيمن يُنصبه في سلطنة مصر، فكثرت الكلام بينهم، وكان غرض غالب الأمراء سلطنة الناصري ما خلا منطاش وجماعة من الأشرفية، حتى استقر الرأي على إقامة الملك الصالح أمير حاج ابن الملك الأشرف شعبان في السلطنة ثانياً، بعد أن أعيا الأمراء أمر الناصري في عدم قبوله السلطنة وهو يقول: «المصلحة سلطنة الملك الصالح أمير حاج، فإن الملك الظاهر برقوقاً خلعه من غير موجب» فطلعوا في الحال من الإسطنبول إلى القلعة، وأستدعوا الملك الصالح وسلطونه، وغيروا لقبه بالملك المنصور، على ما سنذكره في أول ترجمته الثانية - إن شاء الله تعالى - بعد أن نذكر حوادث سنين الملك الظاهر برقوق كما هي عادة كتابنا هذا من أوله إلى آخره.

وأما الملك الظاهر برقوق فإنه دام في آخفته إلى أن قبض عليه بعد أيام على ما سنحكيه في سلطنة الملك الصالح مفصلاً إلى أن يسجن بالكرك ويعود إلى ملكه ثانياً.

قلت: وزالت دولة الملك الظاهر برقوق كأن لم تكن - فسبحان من لا يزول ملكه - بعد أن حكم مصر أميراً كبيراً وسلطاناً إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوماً تفصيله: مدة تحكّمه أميراً قبض على الأمير طشتمر العلائي الدوادار

(١) زيادة عن السلوك.

في تاسع ذي الحجة سنة تسع وسبعين وسبعمائة إلى أن جلس على تخت المُلك وتلقب بالملك الظاهر في يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام. وكان يقال في هذه المدة «الأمير الكبير أتاك العساكر». ومن حين تسلطن في سنة أربع وثمانين المذكورة إلى يوم تَرَكَ وأختفى في ليلة الاثنين خامس جمادى الآخرة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ست سنين وثمانية أشهر وسبعة عشر يوماً، فهذا تفصيل تحكّمه على مصر أميراً أو سلطاناً إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوماً. وذهب مُلكه من الديار المصرية على أسرع وجه، مع عظمة في النفوس وكثرة ممالিকে وحواشيه؛ فإنه خلع من السلطنة وله نحو الألفي مملوك مشترى، غير من أنشأه من أكابر الأمراء والخاصكية من خُشداشيته وغيرهم هذا مع ما كان فيه من القوة والشجاعة والإقدام، فإنه قام في هذا الأمر بالقوة في ابتداء أمره وتوثب على الرئاسة والإمرة بيده دفعة واحدة حسب ما تقدّم ذكره، ولم يكن له يوم ذاك عشرة ممالك مشتراة وأعجب من هذا ما سيكون من أمره في سلطنته الثانية عند خروجه من حبس الكرك، وهو في غاية ما يكون من الفقر وقلة الحاشية، ومع هذا يملك مصر ثانياً، كما سيأتي ذكر ذلك مفصلاً. وما أرى هذا الذي وقع للملك الظاهر في خلعه من المُلك مع ما ذكرنا إلاّ خِذلاناً من الله تعالى والله الأمر.

وقال المقريزي - رحمه الله -: وكان في سلطنته مخلطاً يخلط الصالح بالطالح. (١).

ومما حكاه المقريزي قال: وكان له في مدته أشياء مليحة (٢)، منها: إبطاله ما كان يؤخذ من أهل البرّس وشورى وبلطيم من أعمال مصر شبه الجالية (٣) في كلّ سنة.

(١) ينقل المؤلف هنا عن المقريزي بالمعنى وليس بالنص.

(٢) عبارة المقريزي في السلوك: «وكانت له في مدته هذه آثار فاضلة».

(٣) الجالية: ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة عليهم كل سنة. - انظر صبح الأعشى: ٤٦٢/٣.

قلت: وقد تجدد ذلك في دولة الملك الظاهر جَمَمَق ثانياً في سنة سبع وأربعين وثمانمائة. قال^(١): وهو مبلغ ستين ألف درهم فضة. يعني عن الذي كان يُؤخذ من هذه الجهات المذكورة، قال: وأبطل ما كان يُؤخذ على القمح بثغر دِمياط من المكوس، وما كان يُؤخذ من معمل الفراريج بالجيزية^(٢) وأعمالها والغربية وغيرها، وما كان يُؤخذ على الملح من المكس بعينتاب وما كان يُؤخذ على الدقيق بالبيرة من المكس. وأبطل أيضاً ما كان يُؤخذ في طرابُلس عند قدوم النائب إليها - من قضاة البرّ وولاة الأعمال - عن كل واحد خمسمائة درهم^(٣). وأبطل أيضاً ما كان يُؤخذ في كل سنة من الخيل والجمال والبقر والغنم من أهل الشرقية من أعمال مصر. وأبطل ما كان يُؤخذ من المكس بديار مصر على الدريس والحلفاء خارج باب النصر. وأبطل ضمان المغاني بالكرك والشوبك ومن منية ابن خصيب وزفتى من أعمال مصر. وأبطل رمي الأبقار بعد فراغ عمَل الجسور على أهل النواحي. وأنشأ من العماثر في هذه السلطنة الأولى المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة، ولم يُعمّر داخل القاهرة مثلها [بعد مدرسة السلطان حسن]^(٤) ولا أكثر معلوماً منها [بعد خانقاه شيخو]^(٤). وله أيضاً الصهريج والسبيل بقلعة الجبل تجاه الإيوان. وعمّر الطاحون أيضاً بالقلعة، وأنشأ جسر الشريعة على نهر الأردن بطريق الشام وطوله مائة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً. وجدّد خزائن السلاح بثغر الاسكندرية. وعمّر سور دمنهور بالبحيرة. وعمّر الجبال الشرقية بالفيوم وزاوية^(٥) البرزخ بدمياط وبنى قناطر^(٦) بالقدس. وبنى بحيرة برأس وادي بني سالم قريباً من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. قال: وكان حازماً، مهاباً، مُحباً لأهل الخير والعلم، إذا أتاه أحد منهم قام إليه، ولم يُعرف أحد قبله من الملوك

(١) أي المقريري.

(٢) في نسخة السلوك التي بين أيدينا: «بالنحريرية». وذكر ابن دقماق النحريرية من ضمن مدن الأعمال الغربية. (انظر الانتصار: ٨٦/٥).

(٣) ذكر المقريري في السلوك أن ذلك المقرر كان يقال له «مقرّر النائب» وهو يعادل ثمن بغلة.

(٤) زيادة عن السلوك.

(٥) كذا أيضاً في نزهة النفوس. وفي السلوك: «زريبة البرزخ».

(٦) كذا أيضاً في نزهة النفوس. وفي السلوك: «وقناة بالقدس».

[الترك] يقوم لفقيه، وقلّما كان يُمكن أحداً منهم من تقبيل يده؛ إلا أنه كان محباً لجمع المال. وحدث في أيامه تجاهر الناس بالبراطيل، فكان لا يكاد يُؤلى أحدٌ وظيفة ولا عملاً إلا بمال، وفسد بذلك كثير من الأحوال. وكان مُولعاً بتقديم الأسافل وحثّ ذوي البيوتات.

قلت: وهذا البلاء قد تضاعف الآن حتّى خرج عن الحدّ، وصار ذوو البيوت معيرة في زماننا هذا. انتهى.

قال: وغير ما كان للناس من الترتيب. واشتهر في أيامه ثلاثة أشياء قبيحة: إتيان الذكران [حتى تشبه البغايا لبوارهن بالغلّمان، وذلك^(١) لاشتهاره بتقريب المماليك الحسان. والتظاهر بالبراطيل، وكان لا يكاد يُؤلى أحدٌ وظيفة إلا بمال، واقتدى بهذا الملوك من بعده. وكساد الأسواق لشحه وقلة عطائه، فمساوته أضعاف حسناته. انتهى كلام المقرزيّ من هذا المعنى.

قلت: ونحن نشاحح الشيخ تقي الدين المقرزيّ في كلامه حيث يقول: «وحدّث في أيامه ثلاثة أشياء قبيحة» فأما إتيان الذكران، فأقول: البلاء قديم، وقد نسب اشتهاً ذلك من يوم دخول الخراسانية إلى العراق في نوبة أبي مسلم الخراسانيّ في سنة اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة.

وأما اقتناؤه المماليك الحسان، فأين الشيخ تقي الدين من مشتري الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى حسان المماليك بأعلى الأثمان الذي لم يقع للملك الظاهر في مثلها، حتى إن الملك الناصر محمد قدّم جماعة من مماليكه ممن شُغف بمحبّتهم وأنعم عليهم بتقادّم ألوف بمصر، ولم يُطرّ شارب واحد منهم، مثل بكتّم الساقى ويلبغا اليحايوي وألطنبغا المارديني وقوصون وملكتّم الحجازي وطُقزدمر الحموي وبشتك وطُغاي الكبير وزوجهم بأولاده، فحينئذ الفرق بينهما في هذا الشأن ظاهر. وأما قوله: أخذ البراطيل، فهذا أيضاً قديم جدّاً من القرن الثالث وإلى الآن، حتى إنه كان في دولة الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

(١) زيادة عن السلوك.

ديوان يعرف بديوان البذل (أعني بديوان البرطيل) وشاع ذلك في الأقطار وصار من له حاجة يأتي إلى صاحب الديوان المذكور ويبدل فيما يرومه من الوظائف، وهذا شيء لم يصل الملك الظاهر برقوق إليه.

وأما شحّه فهو بالنسبة لمن تقدّمه من الملوك شحيح، وإلى من جاء بعده كريم. والشيخ تقي الدين - رحمه الله - كان له انحرافات معروفة تارة وتارة؛ ولولا ذلك ما كان يحكي عنه في تاريخه السلوك قوله: «ولقد سمعت العبد الصالح جمال الدين عبد الله السكسري^(١) المغربي يخبرني^(٢) - رحمه الله - أنه رأى قرداً في منامه صعد المنبر بجامع الحاكم فخطب ثم نزل ودخل المحراب ليصلي بالناس الجمعة، فثار الناس عليه في أثناء صلاته بهم، فأخرجوه من المحراب؛ وكانت هذه الرؤيا في أواخر سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة ثمان وسبعين وسبعمئة، فكان تقدّم الملك الظاهر برقوق على الناس وسلطته تأويل هذه الرؤيا، فإنه كان متخلفاً بكثير من أخلاق القردة شحاً [وطمعاً]^(٣) وفساداً، ولكن الله يفعل ما يريد، والله الأمر من قبل ومن بعد. انتهى كلام المقرئزي.

قلت: وتعبير الشيخ تقي الدين لهذه الرؤيا أن القرد هو الملك الظاهر فليس بشيء من وجوه عديدة، منها: أن برقوقاً لم يتسلطن بعد قتل الملك الأشرف إلا بعد أن تسلطن ولد الملك الأشرف الملك المنصور عليّ وولده الملك الصالح أمير حاج. ثم تسلطن برقوق بعد ست سنين من وفاة الأشرف. ومنها أن الناس لما أخرجوا القرد في أثناء الصلاة كان ينبغي أن يعود ويصلي بالناس بعد إخراجه ثانياً صلاة أطول من الصلاة الأولى، فإن برقوقاً لما خلع عاد إلى السلطنة ثانياً ومكث فيها أكثر من سلطنته الأولى حتى كانت تطابق ما وقع لبرقوق. وقولنا: إن الشيخ تقي الدين كان له تارات يشكر فيها وتارات يذم فيها، فإنه لما صحب الملك الظاهر المذكور في سلطنته الثانية وأحسن إليه الظاهر أمعن في الثناء عليه في عدة أماكن من مصنفاته، ونسي مقالته هذه وغيرها، وفاته أن يغير مقالته هذه، فإنه

(١) في السلوك: «السكسوي». وفي نزهة النفوس: «السكسوكي».

(٢) رواية السلوك: «يخبر أبي، رحمه الله».

(٣) زيادة عن السلوك ونزهة النفوس.

أمعن^(١)، ويقال في المثل: «من شكر وذم، فكأنما كذب نفسه مرتين». ويجمع الناس أن الملك الظاهر برقوقاً كان في سلطنته الأولى أحسن حالاً من سلطنته الثانية، فإنه ارتكب في الثانية أموراً شنيعة: مثل قتل العلماء وإبعادهم والغضب منهم، لما أفتوا بقتاله عند خروجه من الكرك. ونحن أعرف بأحوال الملك الظاهر وأبنة الناصر من الشيخ تقي الدين وغيره، وإن كان هو الأسنّ ولم أريد بذلك الحطّ على الشيخ تقي الدين ولا التعصّب للملك الظاهر، غير أن الحق يُقال. والحق المحض فيه أنه كان له محاسن ومساوىء، وليس للإمعان محلّ، كما هي عادة الملوك والحكّام. وبالجملة فهو أحسن حالاً ممن جاء بعده من الملوك بلا مدافعة. والله تعالى أعلم.

* * *

السنة الأولى من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهي سنة أربع وثمانين وسبعمائة على أن الملك الصالح حاجباً حكم منها إلى تاسع عشر شهر رمضان ثم حكم الملك الظاهر في باقيها.

وفيها توفّي قاضي قضاة الحنفية بدمشق همام الدين أمير غالب ابن العلامة قاضي القضاة قوام الدين أمير كاتب الإيتقاني الفارابي الأنزاري الحنفي وليّ أولاً حسبة دمشق ثم القضاء بها وكان قليل العلم^(٢) بالنسبة إلى أبيه، إلا أنه كان رئيساً حسن الأخلاق كريم النفس، عادلاً في أحكامه. وكان في ولايته يعتمد على العلماء من نوابه، فمشى حاله وشكرت سيرته إلى أن مات في جمادى الأولى.

وتوفّي قاضي القضاة بدر الدين عبد الوهاب ابن الشيخ كمال الدين أحمد ابن قاضي القضاة علم الدين محمود^(٣) بن أبي بكر بن عيسى [بن بدران]^(٤)

(١) يريد أنه تطرّف وبالغ في حكمه.

(٢) ذكر المقرئ في السلوك أنه «كان قد بلغ غاية في الجهل». وذكر الجوهري في نزهة النفوس أنه «كان عارياً من العلوم ممتلئاً من ضدها». وذكر ابن حجر في إنباء الغمر والدرر الكامنة صوراً من جهله وفجوره.

(٣) في السلوك: «محمد».

(٤) زيادة عن السلوك.

السعديّ الإخنائي المالكيّ. وُلِدَ في حدود العشرين وسبعمئة وتولّى القضاء بعد موت القاضي برهان الدين إبراهيم الإخنائي. وكان ضعيفاً، فجاءه التشريف من الملك الأشرف شعبان وأُلقيَ عليه على لحافه، فلما عُوفِيَ لبسه. وياشر القضاء وحسنت سيرته، إلى أن صُرف بعلم الدين سليمان بن خالد بن نُعيم البساطي في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمئة، ثم أُعيد في صفر سنة تسع وسبعين وعُزل في السنة بالبساطي ثانياً ولزم داره إلى أن مات. وكان خيراً ديناً مشكور السيرة.

وتُوفِّي الوزير صاحب كَرِيم الدين عبد الكريم بن الرُّويْهَب في سابع عشر شهر رمضان، وقد اتّضع حاله وأفتقر. وكان من أعيان الأقباط، وياشر عدّة مباشرات، منها الوزرُ ونظرُ الدولة والاستيفاء وغير ذلك.

وتُوفِّي الشيخ علاء الدين أبو الحسن عليّ بن عمر بن محمد ابن قاضي القضاة تقي الدين محمد ابن دَقِيق العيد، موقّع^(١) الحُكم في خامس عشر صفر.

وتُوفِّي الشيخ جمال الدين محمد [بن محمد]^(٢) بن عليّ [بن يوسف]^(٣) الأسواني^(٣) في يوم الأحد عاشر شهر ربيع الأول. وكان معدوداً من الفضلاء.

وتوفي الأمير فخر الدين إياس بن عبد الله الصرغتمشيّ الحاجب أحد أمراء الطبلخانات في ثالث شهر ربيع الآخر. وكان فيه شجاعةٌ وعنده كرم وتعصّب لمن يلوذ به.

وتُوفِّي الشيخ الإمام عزّ الدين عبد العزيز بن عبد الحق^(٤) الأسيوطي الشافعي في يوم الأحد^(٥) عاشر ذي القعدة بعدما تصدّر للاشتغال والإفتاء عدّة سنين، ودرّس بعدة مدارس؛ وكان من أعيان الشافعية.

(١) الموقع هو الذي يكتب المكاتب والولايات في ديوان الإنشاء السلطاني. وكان يقال له: موقع الدرج وكاتب الدرج. ولعلّ المراد بموقع الحكم هنا الكاتب لدى قاضي القضاة. وكان يقال: الحكم والحكم العزيز للدلالة على عمل القضاء عامة وقضاء القضاء على وجه التحديد.

(٢) زيادة عن إنباء الغمر.

(٣) في إنباء الغمر والسلوك ونزهة النفوس: «الأسنوي».

(٤) في السلوك وإنباء الغمر والنزهة: «عبد الخالق».

(٥) في السلوك والنزهة: «يوم الأربعاء حادي عشر ذي الحجّة».

وتوفي الأمير زين الدين زُبالة الفارِقانيّ نائب قلعة دمشق بها في شعبان .

وتوفي السلطان الملك المعزّ حسين بن أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن أيلكان، المنعوت بالشيخ حسين، سلطان بغداد وتبريزوما والاهما. وكان سبط القان أرغون بن بوسعيد ملك التتار. ولي سلطنة بغداد في حياة أبيه، لأن والده أويساً، كان رأى مناماً يدلُّ على موته في يوم معين، فأعتزل المُلْك وسلطن ولده هذا؛ وقد تقدّم ذكره في ترجمة والده المذكور في سنة ست وسبعين وسبعمائة. ودام الشيخ حسين هذا في المُلْك إلى أن قتله أخوه السلطان أحمد بن أويس وملك بغداد بإشارة حَجّاشيخ الكَجحانيّ في هذه السنة. وكان الشيخ حسين هذا ملكاً شاباً جميلاً جليلاً شجاعاً مقداماً كريماً محبباً للرعية كثير البر قليل الطمع؛ ولقد كانت العراق في أيامه مطمئنة معمورة إلى أن ملكها أخوه أحمد بعده فأضطربت أحوالها إلى أن قُتِل ثم ملكها قرا يوسف وأولاده، فكان خراب العراق على أيديهم. وبالجملة فكان الشيخ حسين هذا هو آخر ملوك بغداد والعراق.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع ونصف. مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً وثلاثة أصابع. وهي سنة العَرَقى لعَظْم زيادة النيل.

* * *

السنة الثانية من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهي سنة خمس وثمانين وسبعمائة.

وفيهما تُوفِّي الأديب المقرئ الفاضل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى ابن مخلوف بن مُرّ^(١) بن فضل الله بن سعد بن ساعد السعديّ الأعرج الشاعر المشهور. كان لديه فضيلة، وعلا قدره على نظم الشعر، وكان عارفاً بالقراءات، وقال الشعر وسنه دون العشرين^(٢) سنة. ومن شعره رحمه الله: [الكامل]

(١) في السلوك: «ابن محمد». وفي إنباء الغمر: «ابن مري» وفي شذرات الذهب: «ابن سري».

(٢) في المنهل الصافي: «دون عشر سنين».

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا تَنَجَّسَ عَرَضُهُ لَوْ طَهَّرُوهُ بَزْمَزِمٍ لَمْ يَطْهُرْ
مِمَّا آعْتَرَاهُ مِنَ الْقَدَارَةِ وَالْقَذَى لَمْ يَنْتَقِ مِنْ نَجَسٍ بِسَبْعَةِ أَبْحَرٍ

وتوفي الأمير عز الدين أيدير بن عبد الله من صديق المعروف بالخطائي، وهو مجرّد بالإسكندرية. كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية ورأس نوبة وكان ممن انضمّ على الأمير بركة الجوبانيّ، فقَبِضَ عليه برقوق وحبسه مدّة ثم أفرج عنه وأعادته على إمرته إلى أن مات. وخلف موجوداً كبيراً أستولى عليه ناظر الخاص.

وتوفي الأمير سيف الدين بلاط بن عبد الله السيفي المعروف بالصغير أمير سلاح وهو بطرابلس في جمادى الأولى. وكان حشماً وقوراً مشكور السيرة.

وتوفي الأمير سيف الدين تمرباي بن عبد الله الأفضليّ الأشرفيّ نائب صفد بها في جمادى الأولى وكان من أعيان المماليك الأشرفية. وقد تقدّم أنّه وليّ نيابة حلب وغيرها، ثم عزله الملك الظاهر فنقله في عدة بلاد إلى أن ولّاه نيابة صفد، فمات بها.

وتوفي الشيخ الإمام علّم الدين سليمان بن شهاب الدين أحمد بن سليمان بن عبد الرحمن [بن أبي الفتح بن هاشم] (١) العسقلانيّ الحنبليّ، أحد فقهاء الحنابلة في ثالث [عشرين] (١) جمادى الآخرة.

وتوفي قاضي قضاة الشافعية بدمشق وليّ الدين عبد الله ابن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام السبكي الشافعي بها في هذه السنة.

وتوفي الأمير سيف الدين قُطْلُوْبُغَا بن عبد الله الكوكائيّ حاجب حُجَّاب دمشق في سادس المحرم. وكان أصله من ممالك الأمير كوكاي، وترقى إلى أن صار من جملة أمراء الألف بالديار المصرية، ثم ولي إمرة سلاح، ثم نُقِلَ إلى حجوبية الحُجَّاب في أوّل سلطنة الظاهر برقوق عوضاً عن سُودُونِ الفخريّ الشيخونّيّ بحكم

(١) زيادة عن السلوك.

أنتقال سودون إلى نيابة السلطنة بالديار المصرية، فدام قُطلوبُغًا هذا في وظيفة الحجوبية إلى أن مات؛ وشغرت الوظيفة وهي الحجوبية من بعده أربع سنين إلى أن وليها أيدكار العُمريّ.

وتُوفي الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله دَوَادِر الأمير الكبير طَشْتَمُر العلائّي في هذه السنة. وكان من جملة أمراء الطبلخانات بديار مصر وكان عارفاً عاقلاً مدبراً، وله وجهة في الدول.

وتُوفي الأمير شرف الدين موسى بن دَنَدَار بن قَرَمَان أحد أمراء الطبلخانات في ليلة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى.

وتوفي مُسْتَوْفِي ديوان^(١) المرتجع أمين الدين عبد الله المعروف بِجَعِيصِ الأَسلمي في [ثالث عشر]^(٢) المحرم. كان من أعيان الكُتَّاب القِبْطِيَّة.

وتُوفي القاضي شرف الدين موسى ابن القاضي بدر الدين محمد بن محمد ابن العلامة شهاب الدين محمود الحلبي الحنبلي، أحد موقِعي الدَّست، بمدينة الرَّملة عائداً من القاهرة إلى دمشق في رابع عشرين صفر؛ وكان من بيت كتابة وفضل.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثمانية أذرع سواء. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصباعاً. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) ديوان المرتجع: يختص هذا الديوان بالإقطاعات التي ترتجع ممن يموت من الأمراء أو ممن يتخلون عنها لحصولهم على إقطاع جديد. وكان المتحدث على هذا الديوان يسمى ناظر ديوان المرتجع ووظيفته نظر المرتجعات. ثم تعطلت هذه الوظيفة وصار أمر المرتجع موقوفاً على مستوفي المرتجع. والمستوفي من كُتَّاب الدواوين ويأتي في المرتبة الثانية بعد الناظر. (انظر صبح الأعشى: ٣٣/٤، والدولة المملوكية: ص ١٢٣ وما بعدها).

(٢) زيادة عن السلوك.

السنة الثالثة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهي سنة ست وثمانين وسبعمائة.

فيها تُوفِّي الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله الجمالي المعروف بالمشرف، أحد أمراء الألف بالديار المصرية وأمير حاج المحمل في ذي القعدة بعيون^(١) القصب من طريق الحجاز وبها دُفِن وقبره معروف هناك. وكان مشكور السيرة، ولي إمره الحاج غير مرة. رحمه الله تعالى.

وتُوفِّي قاضي القضاة علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نعيم بن مُقدم ابن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الطائي البساطي المالكي قاضي قضاة المالكية بالديار المصرية وهو معزول في يوم الجمعة سادس عشر صفر وقد أناف على الستين سنة وأصل آبائه من قرية شبرا بسيون^(٢) بالغربية من أعمال القاهرة، وولد هو ببساط^(٣). وكان فقيهاً فاضلاً بارعاً. ولي قضاء مصر في الدولة الأشرفية شعبان عوضاً عن بدر الدين الإخنائي بعد عزله، وباشر بعقبة وتقسف وأطراح التكلف، حتى عُزل في سنة ثلاث وثمانين ولزم داره حتى مات.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين طنج^(٤) المحمدي أحد أمراء الألف بالديار المصرية، بعد أن أُخرج منياً إلى دمشق، فمات بها وكان من أعيان الأمراء.

وتُوفِّي العلامة أوحده الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين الحنفي المصري المولد والدار والوفاة، كاتب السر الشريف بالديار المصرية في يوم السبت ثاني ذي الحجة. وكان فقيهاً فاضلاً مُفتناً مشاركاً في عدة علوم مع رياسة وحشمة خدَم عند الملك الظاهر برقوق موقِعاً، فلما تسلطن ولآه كتابة السر بالديار المصرية، في شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة، بعد عزل القاضي بدر الدين محمد بن

(١) عيون القصب: منزلة على البحر الأحمر في طريق الحج بين العقبة والمولح.

(٢) شبرابسيون: هي بلدة كبيرة تعرف اليوم باسم بسيون. وهي من بلاد مركز كفر الزيات بمديرية الغربية.

(محمد رمزي).

(٣) هي اليوم إحدى قرى مركز طلخا بمديرية الغربية بمصر. (محمد رمزي).

(٤) في السلوك: «طبخ» بالباء. وفي إنباء الغمر: «طبخ».

فضل الله، فباشر الوظيفة بحُرمة وافرة، وحُسنت سيرته وعُظم في الدولة، فعاجلته المنية وعمره سبع وثلاثون سنة في عُنفوان شببته، وأعيد بدر الدين بن فضل الله من بعده إلى كتابة السر.

وتُوفِّي القاضي تقي الدين عبد الرحمن ابن القاضي محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم [التيمي] (١) الحلبي الأصل المصري الشافعي ناظر الجيوش المنصورة في ليلة الخميس سادس عشر جمادى الأولى. وسبب موته أن الملك الظاهر برقوقاً غَضِبَ عليه بسبب إقطاع زامل أمير العرب، وضربه بالدواة، ثم مدّه وضربه نحو ثلاثمائة عصاة، فحُمِلَ إلى داره في مِحْفَة ومات بعد ثلاثة أيام أو أكثر.

وتُوفِّي الأمير جمال الدين عبد الله ابن الأمير بكتمر الحسامي الحاجب أحد أمراء الطبلخاناه في يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى بداره خارج باب النصر.

وتُوفِّي الأمير علاء الدين علي بن أحمد بن السائس الطبرسي أستاذار خوند بركة أم الملك الأشرف شعبان في سادس شوال. وكان من أعيان رؤساء الديار المصرية، وله ثروة.

وتُوفِّي العلامة قاضي القضاة صدر الدين محمد ابن قاضي القضاة علاء الدين علي بن منصور الحنفي قاضي قضاة الديار المصرية، وهو قاضٍ، في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول، وقد أناف على ثمانين سنة في ولايته الثانية؛ وتولَّى القضاء عوضه قاضي القضاة شمس الدين الطرابلسي، وتولَّى مشيخة الصرغتمشية من بعده العلامة جلال الدين التبانّي. قال العيني - رحمه الله -: كان إماماً عالماً فاضلاً كاملاً بَحراً في فروع أبي حنيفة، مستحضرًا قوياً وكان رِيض الخُلُق، كثير التواضع والحلم، لِيَنَ الجانب، جميل المعاشرة، حسنَ المحاضرة والمذاكرة، معتمداً على جانب الصدق في أقواله وأفعاله، سعيداً في حركاته وسكناته. رحمه الله تعالى.

(١) زيادة عن السلوك.

وتُوفِّي العلامة إمام عصره ووحيد دهره وأعجوبة زمانه أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود الرومي البَابَرْتِي الحنفيّ شيخ خانقاة شيخون في يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان؛ وحضر السلطان الملك الظاهر الصلاة عليه، ومشى أمام نعشه من مصلاة المؤمني إلى أن وقف على دَفْنِهِ بِقُبَّةِ الشَّيْخُونِيَّةِ، بعد أن همَّ على أن يَحْمِلَ نعشه غير مرة، فتحمَّلهُ أكابر الأمراء عنه. كان واحد زمانه في المنقول والمعقول، ونالته السعادة والجاه العريض، حتى إن الملك الظاهر برقوقاً مع عظمته كان ينزل في موكبِهِ ويقف على باب خانقاه شيخون، حتى يتهيأ الشيخ أكمل الدين للركوب، ويركب ويسير مع الملك الظاهر وقع له ذلك معه غير مرّة؛ وهو الذي كان سبباً لقيام الملك الظاهر برقوق للقضاة، فإنه كان يقوم له إذا دخل عليه ولا يقوم للقضاة، لما كانت عادة الملوك من قبله، فكلمه الشيخ أكمل الدين هذا في القيام للقضاة، حتى قام لهم وصارت عادةً إلى يومنا هذا. وبعد موته جلس الشيخ سراج الدين البُلْقِينِي عن يمين السلطان؛ وقد آستوعبنا أحواله في المنهل الصافي بأطول من هذا.

وتُوفِّي قاضي مكة وخطيبها كمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن علي العُقَيْلِي النُّوَيْرِي الشافعي بمكة في يوم الأربعاء ثالث عشر شهر رجب.

وتُوفِّي عالم بغداد شمس الدين محمد بن يوسف بن علي [بن] الكَرْمَانِي البغدادي الشافعي شارح البخاري في المحرم بطريق الحجاز، وحُمِلَ إلى بغداد ودُفِنَ بها. ومولده في جُمَادَى الآخرة سنة سبع عشرة وسبعمائة. وكان قَدِيمَ مصر والشام. رحمه الله.

وتُوفِّي صائم الدهر الشيخ محمد بن صديق التبريزي الصوفي في ليلة الاثنين خامس عشر شهر رمضان بالقاهرة. أقام أربعين سنة يصوم ويُفِطِر على حِمَصٍ بفلَس لا يَحْلِطُهُ إلا بالمِلْحِ فقط. وكان على قَدَمِ هائل من العبادة.

وتُوفِّي الأمير الطواشي شِبْل الدولة كافور بن عبد الله^(١) الهندي الزُمُرْدِي

(١) في إنباء الغمر: «كافور بن محمد بن أحمد بن عبد الله.

الناصرى حسن في ثامن شهر ربيع الأول وقد عُمِّرَ طويلاً. وهو صاحب التربة بالقرافة.

وتُوفِّيَ الأمير الكبير سيف الدين طَشْتَمُر بن عبد الله العلائيِّ الدوادار. كان من أجلّ الأمراء، وهو أوَّل دوادار وُلِّيها بتقدمة ألف، ثم وُلِّي نيابة الشام، ثم أتاكب العساكر بالديار المصرية إلى أن ركب عليه الملك الظاهر برقوق قبل سلطنته وقَبَضَ عليه وحبسَه مدّة، وولَّى الأتابكيّة من بعده^(١)، ثم أخرجَه إلى القدس بَطالاً، ثم ولاه نيابة صفد ثم حماة إلى أن مات. وكان ديناً خيراً، وله مشاركة في فنون، وفيه محبة لأهل العلم والفضل. وكان يكتب الخطَّ المنسوب ويُحِبُّ الأدب والشعر.

وتُوفِّيَ تاج الدين موسى بن سعد الله بن أبي الفرج ناظر الخاص وهو معزول. وكان يُعرف بأبن كاتب السعديّ. وكان من أعيان الأقباط.

وتُوفِّيَ تاج الدين بن وزير بيته الأسلمي ناظر الإسكندرية بها في شهر ربيع الآخر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثمانية أذرع وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع.

* * *

السنة الرابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهي سنة سبع وثمانين وسبعمائة.

وفيها تُوفِّيَ قاضي قضاة الحنفية بحلب تاج الدين أحمد بن شمس الدين محمد بن محمد^(٢) بدمشق في هذه السنة وكان فقيهاً فاضلاً محدثاً أديباً شاعراً. ومات عن سنّ عالية.

(١) لعل بعد هذه الكلمة سقطاً. ولم نهد إليه بعد مراجعة المصادر التي بين أيدينا.

(٢) كذا أيضاً في نزهة النفوس. وفي السلوك وإنباء الغمر: «أحمد بن محمد بن محبوب».

وتُوفِّي القاضي جمال الدين إبراهيم ابن قاضي قضاة حلب ناصر الدين محمد ابن قاضي قضاة حلب كمال الدين عمر ابن قاضي قضاة حلب عز الدين عبد العزيز ابن الصاحب فخر الدين^(١) محمد ابن قاضي القضاة نجم الدين أحمد ابن قاضي القضاة جمال الدين هبة الله ابن قاضي قضاة حلب محب^(٢) الدين محمد ابن قاضي قضاة حلب جمال الدين هبة الله ابن قاضي قضاة حلب نجم الدين أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر بن أبي جرادة بن ربعة الحنفي المعروف بابن العديم. مات عن نيّف وسبعين سنة.

قلت: هو من بيت علم ورياسة؛ وقد تقدّم ذكر جماعة من أقاربه؛ ويأتي أيضاً ذكر جماعة منهم، كل واحد في محلّه، إن شاء الله تعالى.

وتُوفِّي رئيس التجار زكيّ الدين أبو بكر بن عليّ الخروبيّ المصريّ بمصر القديمة في يوم الخميس تاسع عشر المحرم، وخلف مالاً كبيراً.

وتُوفِّي الأمير فخر الدين عثمان بن قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا أمير آل فضل بالبلاد الشامية في شهر ربيع الأول. وكان من أجلّ ملوك العرب.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين قرّا بلاط بن عبد الله الأحمديّ اليلبغاويّ نائب الإسكندرية بها في شهر ربيع الآخر. وكان من أكابر ممالك الأتابك يلبغا العمري الخاصّكي.

وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم نجم الدين أحمد بن عثمان بن عيسى بن حسن بن حسين بن عبد المحسن الراسوفيّ الدمشقيّ الشافعيّ المعروف بابن الحبال في جمادى الآخرة - بعد عوده من مصر - بدمشق. وكان فقيهاً عالماً متبحراً في مذهبه انتهت إليه رياسة مذهب الشافعيّ بدمشق في زمانه، وتصدّى للإفتاء والتدريس والاشتغال سنين عديدة.

(١) في السلوك: «محيي الدين».

(٢) في السلوك: «مجد الدين».

وتُوفِّي السيد الشريف شمس الدين أبو المجدد محمد ابن النقيب جمال الدين أحمد ابن النقيب شمس الدين محمد بن أحمد الحرَّاني الحلبي الحنفي عن سبع وأربعين سنة، ولم يل نقابة الأشراف.

وتُوفِّي الشيخ الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الهادي بن أحمد، المعروف بالشاطر الدمنهوري الشاعر المشهور، بعقبة أيلاً^(١) متوجَّهاً إلى الحجاز الشريف، في العشر الأول من ذي القعدة. ومولده في سنة ثلاث وأربعين وسبعمئة. وكان أديباً بارعاً فاضلاً، بارعاً في فنون لاسيما في [حلّ]^(٢) المترجم ونظم القريض. ومن شعره في مِرْوَحَة: [الطويل]

ومخطوبة في الحرّ من كل هاجر ومهجورة في البرد من كل خاطب
إذا ما الهوى المقصود هيج عاشقاً أتت بالهوى الممدود من كل جانب

وتُوفِّي الأمير سيف الدين آقبا بن عبد الله الدوّادار في شهر ربيع الآخر وكان من المماليك اليلبغاوية من حزب خشداشية الملك الظاهر برقوق.

وتُوفِّي الرئيس شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن سبع العبسي مستوفي ديوان الأحباس في ثامن [عشر]^(٣) شعبان. وكان معدوداً من أعيان الديار المصرية.

وتُوفِّي قاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن بن رُشد المالكي، قاضي قضاة حلب بها. وكان معدوداً من فقهاء المالكية.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وأربعة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصباعاً.

* * *

(١) ويقال: عقبة أيلة، وهي مدينة العقبة المعروفة على البحر الأحمر.

(٢) زيادة عن إنباء الغمر والشدرات.

(٣) زيادة عن السلوك.

السنة الخامسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهي سنة ثمان وثمانين وسبعمائة

فيها تُوفِّي القاضي بدر الدين أحمد بن شرف الدين محمد ابن الوزير صاحب فخر الدين محمد ابن الوزير صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المعروف بأبن حنّاء في يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الآخرة بمدينة مصر عن نيّف وسبعين سنة. وكان فقيهاً عالماً مُفْتَناً أديباً معدوداً من فقهاء الشافعية. ومن شعره:

[الكامل]

هُنَّتْ يا عودَ الأراكِ بثغره إذ أنت للأوطان غيرُ مفارقِ
إن كنتَ فارقتَ العقيقَ وبارقاً ها أنت ما بين العُدَيْبِ وبارقِ

قلت: وأحسن من هذا قول ابن دمرdash الدّمَشَقِيّ في المعنى: [الطويل]

أقول لِمَسواكِ الحبيبِ لك الهنا بلثم فم ماناله ثغرُ عاشقِ
فقال وفي أحشائه حُرْقَ الجوى مقالةً صبّ للديار مُفَارِقِ
تذكّرتُ أوطاني فقلبي كما ترى أعلُّهُ بَيْنَ العُدَيْبِ وبارقِ

ولابن قُرْناص في هذا المعنى، وهو أيضاً في غاية الحسن: [الطويل]

سألتك يا عود الأراكِ بأن تُعدّ إلى ثغرٍ من أهوى فقبّله مُشْفَقاً
ورد من ثِيّاتِ العُدَيْبِ مُنْهَلاً تسلسل ما بين الأبيرقِ والنَّقْا

وتُوفِّي السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عَجَلان بن رُمَيْثَة، واسم رُمَيْثَة مُنجد [ابن أبي نَميّ سعد]^(١) الحسنيّ المكيّ أمير مكة في حادي عشرين^(٢) شعبان عن نيّف وستين سنة بمكة ودُفِنَ بالمَعْلَة. وكان حسن السيرة مشكور الطريقة. وولي إمرة مكة بعده ابنه محمد بن أحمد بأمر كُبَيْش بن عَجَلان.

وتُوفِّي الشيخ عماد الدين إسماعيل [بن عبد الله]^(٣) أحد الأفراد في الخطّ

(١) زيادة عن المنهل الصافي للمؤلف.

(٢) في المنهل الصافي: «في العشرين من شعبان».

(٣) زيادة عن إنباء الغمر.

المنسوب المعروف بابن الزُّمُكُلْ كان رئيساً في كتابة المنسوب كان يكتب سورة الإخلاص على حبة أرز كتابة بيّنة تُقرأ بتمامها وكمالها لا يُنطَمِسُ منها حرف واحد وكان له بدائع في فنّ الكتابة وكتب عدّة مصاحف إلى أن مات - والزُّمُكُلْ: بزاي مضمومة، وميم مضمومة أيضاً، وكاف ساكنة، وحاء مضمومة مهملة وبعدها لام ساكنة.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين جُلبان بن عبد الله الحاجب أحد أمراء الطبلخانات في شهر رمضان. وكان عاقلاً ساكناً مشكوراً السيرة.

وتُوفِّي الأمير عَرَس الدين خليل بن قراجا بن دُلغادر أمير التُّركمان البيروقية وصاحب أبلُستين قتيلاً في الحرب مع الأمير صارم الدين إبراهيم بن همرا^(١) التُّركماني، قريباً من مدينة مرعش عن نيف وستين سنة.

وتُوفِّي الأمير سُودون العلائي نائب حماة قتيلاً في محاربة التُّركمان أيضاً. وكان ممن أنشأه الملك الظاهر برقوق، وأظنه من خشداشيته.

وتُوفِّي الشريف بدر الدين محمد بن عَطِيفَة بن منصور بن جَمَاز بن شَيْحَة أمير المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

وتوفي الشيخ الزاهد العابد الصالح شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القرمي الحنفي بالقدس الشريف في صفر. ومولده في ذي الحجة سنة ستة وعشرين وسبعمائة. وكان كثير العبادة والتلاوة للقرآن حتى قيل: إنه قرأ في اليوم والليلة ثمانين ختمات.

قلت: هذا شيء من وراء العقل فسبحان المانع.

وتُوفِّي الشيخ الإمام العابد الصالح الورع شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن إلياس القونوي الحنفي بدمشق عن نيف وسبعين سنة. وكان إماماً عالمياً زاهداً شديداً في الله. وقدم القاهرة غير مرة وتصدى للإقراء والتصنيف سنين عديدة

(١) في إنباء الغمر: «ابن يغمر».

وَأَنْتَفَعَ النَّاسَ بِهِ. وَمِنْ مَصْنُفَاتِهِ الْمَفِيدَةِ «شرح تلخيص المفتاح» و«كتاب درر البحار» وَنَظَّمَ فِيهِ فِقْهَ الْأَرْبَعَةِ وَ«شرح مجمع البحرين» فِي الْفِقْهِ فِي عَشْرٍ مَجَلِّدَاتٍ، وَشَرَحَ آخَرَ فِي سِتَّةِ أَجْزَاءٍ، وَلَهُ: «رسالة في الحديث» وَغَيْرَ ذَلِكَ. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَتُوفِّيَ شَيْخُ أَهْلِ الْمِيقَاتِ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْخَطَّائِيِّ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ثَلَاثَ عَشْرِينَ شَعْبَانَ. وَكَانَ إِمَامًا فِي وَقْتِهِ.

وَتُوفِّيَ أَيْضًا قَرِينُهُ فِي عِلْمِ الْمِيقَاتِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْغَزُولِيِّ فِي رَابِعِ شَهْرِ رَجَبٍ. وَكَانَ أَيْضًا مِنْ عُلَمَاءِ هَذَا الشَّانِ.

وَتُوفِّيَ مَلِكُ الْغَرْبِ صَاحِبُ مَدِينَةِ فَاسٍ وَمَا وَالَاهَا السُّلْطَانُ مُوسَى بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي عِيْنَانَ فَارِسُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِينِيِّ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ. وَأَقِيمَ بَعْدَهُ الْمُسْتَنْصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْمَخْلُوعُ، ابْنُ أَبِي سَالِمٍ فَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ وَخُلِعَ بَعْدَ قَلِيلٍ. وَأَقِيمَ الْوَائِقُ مُحَمَّدُ بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ، كُلُّ ذَلِكَ بِتَدْبِيرِ الْوَزِيرِ أَبِي مَسْعُودٍ وَهُوَ يَوْمَ ذَلِكَ صَاحِبُ أَمْرِ فَاسٍ.

وَتُوفِّيَ الْقَاضِي شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الزَّرْكَشِيِّ أَمِينُ الْحُكْمِ فَجَاءَهُ بِالْقَاهِرَةِ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشْرَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَأَتَتْهُمْ أَنَّهُ سَمَّ نَفْسَهُ، حَتَّى مَاتَ لِمَالٍ بَقِيَ عَلَيْهِ فَنَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى حَسْنَ الْخَاتِمَةِ.

وَتُوفِّيَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ بْنُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ بِمَجْلِسِهِ فِي قَلْعَةِ الْجَبَلِ بِالْحَوْشِ السُّلْطَانِيِّ.

وَتُوفِّيَ قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ التَّقِيِّ الْحَنْبَلِيِّ قَاضِي قَضَاةِ الْحَنْبَلَةِ بِدِمَشْقَ بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

وَتُوفِّيَ الْأَمِيرُ شَرَفُ الدِّينِ مُوسَى، الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ الْفَافَا، أَسْتَدَارَ الْأَمِيرَ أَيْتَمَشَ الْبَجَاسِيَّ، فِي تَاسِعِ شَوَالٍ. وَكَانَتْ لَدَيْهِ فَضِيلَةٌ وَلَهُ ثَرَوَةٌ عَظِيمَةٌ وَحَشْمٌ. وَكَانَ مِنْ رُؤُوسِ الظَّاهِرِيَّةِ^(١) مَذْهَبًا. وَأَثْنَى عَلَيْهِ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ الْمَقْرِيْزِيُّ. رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) أي أتباع المذهب الظاهري، وهو مذهب الإمام ابن حزم الأندلسي - راجع فهرس المصطلحات.

وتُوفِّي السيد الشريف هياز بن هبة الله الحسنِي المدنيّ أمير المدينة النبويّة. مات وهو في السجن بثغر الإسكندرية في شهر ربيع الأوّل.

وتُوفِّي الشيخ شرف الدين صدقة - ويُدعى محمد - بن عمر بن محمد بن محمد العادليّ، شيخ الفقهاء القادريّة بالفيوم في جمادى الآخرة. وكان ديناً صالحاً. أكرم مرّة من القاهرة.

وتُوفِّي علم الدين يحيى القبطي الأسلمي، ناظر الدولة، المعروف بكتاب ابن الديناري، في شهر ربيع الآخر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع سواء. مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً، وقيل: تسعة عشرة ذراعاً وسبعة عشرة إصباعاً.

* * *

السنة السادسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهي سنة تسع وثمانين وسبعمائة.

وفيها تُوفِّي الأمير سيف الدين طينال بن عبد الله الماردينيّ الناصريّ. كان أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، وصار في أيام الملك الناصر حسن أميراً ومقدّم ألف بالديار المصرية. ثم نفاه الناصر حسن إلى الشام، فأقام بها إلى أن طلبه الملك الأشرف شعبان وأعادته إلى تقدمة ألف بديار مصر مدّة. ثمّ أنتزعه منه وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه وجعله نائب قلعة الجبل، فدام على ذلك مدّة سنين. ثمّ عزله وأخذ الطبلخاناه منه وأنعم عليه بإمرة عشرة، وترك طرخاناً^(١) إلى أن مات في شهر رمضان وقد عمّر.

(١) الطرخان: هو الجندي أو الأمير البطال الذي يؤخذ منه إقطاعه لكبير سنّه أو لفضب السلطان عليه. وكان يعطى أحياناً راتباً شهرياً من المال.

وتوفي الأمير تاج الدين إسماعيل بن مازن الهواري أمير عرب هواره ببلاد الصعيد في هذه السنة وترك أموالاً جمّة.

وتوفي الوزير صاحب شمس الدين إبراهيم المعروف بكتاب أرنان. كان أصله من نصارى مصر، وأسلم وخدم في ديوان الملك الظاهر برقوق في أيام إمرته، بعد أن باشر عند جماعة كبيرة من الأمراء. ولمّا تسلطن ولّاه الوزارة على كره منه، وأحوال الدولة غير مستقيمة فلما وُزِرَ نفَّذَ الأمور ومشَى الأحوال، مع وفور الحرمة ونفوذ الكلمة، والتقلُّل في الملبس، بحيث إنه كان مثل أوساط الكتّاب. ودخل الوزارة وليس للدولة حاصل من عين ولا غلّة، وقد أستأجر الأمراء النواحي بأجرة قليلة وكفّ أيدي الأمراء عن النواحي، وضبط المتحصّل، وجدّد مطابخ السكر، ومات والحاصل ألف ألف درهم فضة، وثلاثمائة وستون ألف إردب غلّة، وستة وثلاثون ألف رأس من الغنم، ومائة ألف طائر من الإوز والدجاج، وألف قنطار من الزيت، وأربعمائة قنطار ماء ورد، قيمة ذلك كلّه يوم ذاك خمسمائة ألف دينار هذا بعد قيامه بكلف الديوان تلك الأيام أحسن قيام.

وتوفي الحافظ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مفلح الياصوبي الطوسي الحنفي الشافعي بقلعة دمشق قتيلاً بها، بعد أن اعتقل بها مدّة في محنة رُمي بها. وكان من الفضلاء العلماء، عارفاً بالفقه، إماماً في الحديث والتفسير عفيفاً عن أمور الدنيا.

وتوفي الأمير سيف الدين طقتمش بن عبد الله الحسني اليلبغاوي أحد أمراء الطبلخاناه في سابع شهر رجب. كان من أعيان ممالك الأتابك يلبغا العمري، وممن قام مع الملك الظاهر برقوق.

وتوفي الشيخ الزاهد الورع أمين الدين محمد بن محمد بن محمد الحوارزمي النسفي اليلبغاوي الحنفي المعروف بالخلواتي في سابع عشرين شعبان، خارج القاهرة. وكان ممن جمع بين العلم والعمل.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد القرمي الحنفي قاضي العسكر بالديار المصرية في سابع عشرين شهر ربيع الآخر. وكان فاضلاً بارعاً في

فنون من العلوم. وكان خصيصاً عند السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين.
وتوفي قاضي قضاة المالكية بحلب زين الدين أبوزيد عبد الرحمن بن
محمد بن عبد الرحمن بن الجعيد الشهير بأبن رشد المالكي المغربي السجلماسي
كان من فضلاء السادة المالكية، وله مشاركة في سائر العلوم. وأفتى، ودرّس، وتولّى
قضاء حلب، وحسنت سيرته.

وتوفي التاجر نور الدين علي بن عنان في شّوال. وكان من أعيان تجار
الكارم^(١) بمصر، وخلف مالا كبيرا.

وتوفي القاضي شمس الدين محمد بن علي بن الخشاب الشافعي في شعبان.
وكان فاضلاً عالماً محدثاً حدث عن وزيره والحجّار.

وتوفي الخطيب البليغ ناصر الدين محمد بن علي بن محمد [بن
محمد]^(٢) بن هاشم بن عبد الواحد بن عشائر الحلبي الشافعي بالقاهرة في ليلة
الأربعاء سادس عشرين شهر ربيع الآخر. وكان فقيهاً عالماً عارفاً بالفقه والحديث
والنحو والشعر وغيره. وولي هو وأبوه خطابة جامع حلب، وقدم إلى القاهرة فلم
تطل مدته حتى مات.

وتوفي القاضي فتح الدين محمد ابن قاضي القضاة بهاء الدين
[عبد الله بن]^(٢) عبد الرحمن بن عقيل الشافعي موقّع^(٣) الدرّج بالديار المصرية في
حادي عشرين صفر. وكان معدوداً من فضلاء الشافعية.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وأربعة أصابع. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وخمسة
عشر إصبعاً.

* * *

(١) تجار الكارم: هم فئة من التجار كان يدهم تجارة البهار والفلفل والقرنفل ونحوها مما يجلب من الهند -
راجع فهرس المصطلحات.

(٢) زيادة عن السلوك.

(٣) راجع ص ٢٤٢ من هذا الجزء، حاشية (١).

السنة السابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهي سنة تسعين وسبعمائة.

وفيها تُوفي قاضي القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم^(١) بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنايني الشافعي قاضي قضاة مصر ثم دمشق بها وهو على قضائها في ليلة الجمعة ثامن عشر شعبان. ومولده في سنة خمس وعشرين وسبعمائة. وسمع الكثير بمصر والشام، وبرع في الفقه والعربية، وولي خطابة المسجد الأقصى. ثم ولي القضاء بديار مصر ثم بالشام.

قلت: وهو خلاف قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة وهو جدّ عبد الرحمن والد صاحب الترجمة.

وتُوفي الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الأميوطي^(٢) الشافعي بمكة المشرفة في ثاني شهر رجب بعد أن عُمر وأسمع صحيح مسلم وغيره. وكان فقيهاً بارعاً أفتى ودرّس واشتغل سنين.

وتُوفي الشيخ المُعتدّ إسماعيل بن يوسف الإنباضي بزأوته بناحية منبابة في سلخ شعبان. وكان شيخاً معتقداً وله كرامات. وللناس فيه اعتقاد وظنون حسنة. ترجمه الشيخ تقي الدين المقرئزي، وقد رآه وحضر عنده وذكر عن الوقت الذي كان يعمل بزأوته - أعني المولد [وهو] قبائح كان الإضراب عن ذكرها أليق - وإن كان هو كما قال: مما يقع به من الفساد من المتفرجين والمترددین، اغیر أن السکات في مثل هذا أحسن، كونه رجلاً منسوباً إلى الصلاح ومن ذرية الصالحين على أنني أيضاً أنكر هذا الوقت الذي يُعمل بالزأوية المذكورة إلى الآن، وإبطاله من أعظم معروف يُعمل، لِمَا تَرْتَكِبُ الْعَامَّةُ فِيهِ مِنَ الْفَسْقِ، وَصَارَ عِنْدَهُمْ هَذَا الْوَقْتُ مِنْ جَمَلَةِ النَّزْهِ، وَتَوَاعَدُونَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ عَمَلِهِ بِأَيَّامٍ، وَتَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ أَفْوَاجاً. ومنهم من له سنين على

(١) في الأصل: «عبد الرحمن». وما أثبتناه عن السلوك والدرر الكامنة والشذرات.

(٢) كذا أيضاً في إنباء الغمر والدرر الكامنة. وفي السلوك والشذرات: «الأسيوطي». والأميوطي: نسبة إلى أميوط في كورة الغربية من أعمال مصر.

ذلك وهو لا يعرف باب الزاوية، غير أنه صار ذلك عنده عادة، يتنزّه بها هو ومن يُريد هو وأمثاله ممن لا خلاق لهم، فلا قوّة إلا بالله ما شاء الله كان.

وتُوفي الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله المنجكيّ الأستاذ وأحد أمراء الألف بالديار المصرية في أوّل جمادى الآخرة. وأصله من ممالك الأمير منجك اليوسفيّ الناصريّ. وكان الملك الظاهر برقوق لماً صار بخدمة منجك المذكور بقي بينهما أنسة وصحبة، فلما تسلطن برقوق عرف له ذلك ورقاه حتى ولاه الأستدارية العالية إلى أن مات وتولّى محمود بن علي الأستدارية بعده. وكان بهادر عنده معرفة وعقل وسياسة وتدبير ومات ولم ينتكّب كونه كان فيه إحسان للفقراء والصلحاء والغرباء، وكان له صدقات كثيرة وبرّ وافر. وكان أصله رومياً - وقيل إفرنجياً - وأخذ الأمير منجك.

قلت: وهو أعظم أستاذ ولي الأستدارية في دولة الملك الظاهر برقوق إلى يومنا هذا وأوفرهم حرمة وأوفرهم في الدول. رحمه الله.

وتُوفي الوزير صاحب علم الدين بن القسيس الأسلمي القبطي المعروف بكتاب سيدي في آخر ذي الحجة، بعد أن باشر عدّة وظائف أعظمها الوزر.

وتُوفي الرئيس أمين الدين عبد الله بن المجد فضل الله بن أمين الدين عبد الله بن ريشة القبطي الأسلمي ناظر الدولة في ليلة الأربعاء سادس جمادى الأولى. وكان معدوداً من أعيان الأقباط بالديار المصرية.

وتُوفي الأمير سيف الدين سيرج بن عبد الله الكمشبغاويّ نائب قلعة الجبل، في تاسع عشرين شهر ربيع الآخر. وكان من جملة أمراء الطبلخانات. وكان وقوراً وله وجهة.

وتُوفي الشيخ الإمام العالم العلامة علاء الدين أحمد بن محمد المعروف بالعلاء السيراميّ العجميّ الحنفيّ شيخ الشيوخ بالمدرسة الظاهرية البروقية في ثالث جمادى الأولى. وكان إماماً عالماً مقدّماً مفتناً أعجوبة زمانه في الفقه وفروعه وعلميّ المعاني والبيان والأصول. وكان أدرك المشايخ، وأخذ عنهم العلوم العقلية

والنقلية، وبرع، ودرّس، وأفتى في بلاد العجم بمدينة هَراة وخوارزم وسراي وقرم وتبريز، حتى شاع ذكره وبعُد صيته. ولما بنى الملك الظاهر مدرسته بين القصرين أرسل يطلبه على البريد حتى قَدِم فولاه شيخ شيوخ مدرسته، فدام بها إلى أن أدركته المنية، ودُفِن بتربة الملك الظاهر برقوق بالصحراء. وهو أحد من أوصى الملك الظاهر أن يُدْفَن تحت رجله ويبنى عليه مدرسة ففعل ذلك. وكان ديناً خيراً عابداً صالحاً. ولما مات طلب السلطان الشيخ سيف الدين السيرامي من حلب وولاه عوضه شيخ^(١) الظاهرية، وهو والد الشيخ نظام الدين يحيى وجد الشيخ عَضد الدين عبد الرحمن شيخ الظاهرية المذكورة الآن.

وتُوفِّي القاضي تقيّ الدين محمد بن محمد بن أحمد بن شاس المالكي أحد أعيان موقعي الدست^(٢) بالديار المصرية في سابع عشر شعبان. وكان كاتباً فاضلاً. عُيِّن لكتابة السرّ بديار مصر غير مرّة.

وتُوفِّي الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قليج^(٣) والي الفيوم في هذه السنة. كان أبوه من أمراء الألف بالديار المصرية، وكذلك جدّه، وكان هو من جملة أمراء الطبلخانات. رحمه الله تعالى.

وتُوفِّي الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قطلوبغا المحمدي المعروف

(١) لعل الصواب: «مشيخة الظاهرية».

(٢) موقع الدست أو كاتب الدست: يأتي في المرتبة الثانية بعد كاتب السرّ، وفي المرتبة الأولى قبل موقع الدرج أو كاتب الدرج. وعمله قراءة القصص في مجلس السلطان بعد قراءة كاتب السرّ، وله أن يوقع عليها بعد توقيع كاتب السرّ. أما كاتب الدرج - ويقال موقع الدرج تجاوزاً - فلا يحق له التوقيع. وكان عدد كتّاب الدست في أوائل الدولة التركية ثلاثة كتاب. ثم تزايدوا بعد ذلك شيئاً فشيئاً خصوصاً في دولة الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج حتى جاوزوا العشرين. (انظر صبح الأعشى: ١/١٣، ١٣٧ و١٤٠/٥).

(٣) في السلوك: «ابن مفلح» وفي النزهة: «ابن مليح».

بقشقلندق^(١) أحد أمراء العشرات في ثاني جمادى الآخرة. وكان له وجاهة وعنده فروسية.

وتُوفِّي القاضي عز الدين أبو اليمن محمد بن عبد اللطيف بن الكويك الرّبيعي الشافعي في ثالث عشر جمادى الأولى عن خمس وستين سنة. وكان له سماع ورواية ولديه فضيلة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع. وكان الوفاء سابع عشر مسري أحد شهور القبط.

(١) في السلوك والنزهة: «المعروف بقشقلندق». وسماه ابن حجر في إنباء الغمر: «محمد بن قطلوبغا الفخري المعروف ببيليك».

ذكر سلطنة الملك المنصور حاجي^(١) الثانية على مصر

السلطان الملك الصالح ثم المنصور حاجي ابن السلطان الملك الأشرف شعبان ابن الأمير الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون.

وقد تقدّم ذكرُ نسبه أيضاً في سلطنته الأولى.

وكان سبب عوده للملك أنه لما وقع ما حكيناه من خروج الأمير يلبغا الناصري وتمربغا الأفضلي المدعو منطاش بمن معهما على الملك الظاهر برقوق، ووقع ما حكيناه من الحروب بينهم، إلى أن ضعُف أمر الملك الظاهر، وأختفى، وترك ملك مصر، وأستولى الأمير الكبير يلبغا الناصري على قلعة الجبل، وكلمه أصحابه على أنه يتسلطن، فلم يفعل، وأشار بعود الملك الصالح هذا وقال: «إن الملك الظاهر برقوقاً خلعه بغير سبب» وطلب أكابر الأمراء من أصحابه مثل الأمير منطاش المقدم ذكره والأمير بُزْلاَر العَمْرِي الناصري والأمير قرادمرdash الأحمدي وغيرهم، وكلمهم في عود الملك الصالح إلى السلطنة ثانياً. فأجاب الجميع وطلعوا من الإسطبل السلطاني إلى الحوش من قلعة الجبل، وجلس الأتابك يلبغا الناصري به، وطلب الملك الصالح هذا من عند أهله وقد حضر الخليفة والقضاة وبايعوه بالسلطنة، وألبسوه خلعها. وركب من الحوش بأبهة المُلك وشعار السلطنة إلى الإيوان بقلعة الجبل، والأمراء المذكورون مشاة بين يديه. وأجلسوه على تخت الملك وغيروا لقبه بالملك المنصور؛ ولم نعلم بسُلطان تغيّر لقبه قبله ولا بعده، فإنه كان لقبه أولاً

(١) راجع ص ١٦٨ من هذا الجزء، حاشية (١).

الصالح وصار الآن في سلطته الثانية المنصور. وقلده الخليفة أمور الرعية على العادة، وقبل الأمراء الأرض بين يديه، ودقت النواقيس والكوسات، ونودي باسمه بالقاهرة ومصر وبالآمان والدعاء للملك المنصور، ثم للأتابك يلبغا، وتهديد من نهب، فأطمأنت الناس.

ثم قام الملك المنصور إلى القصر، وسائر أرباب الدولة بين يديه. وأستقرَّ الأمير الكبير يلبغا الناصري أتابك العساكر بالديار المصرية ومدبر المملكة وصاحب حلَّها وعقدتها^(١) ففي الحال أمر الناصري للأمير أَلطُنْبغا الأشرفي والأمير أرسلان اللفاف وقراكسك والأمير أَرْدُبغا العثماني أن يكونوا عند السلطان الملك المنصور بالقصر، وأن يمنعوا من يدخل عليه من التُّركمان وغيرهم. ونزل الأتابك يلبغا الناصري إلى الإسطبل السلطاني حيث هوسكنه وخلع على الأمير حسام الدين حسين بن علي بن الكوراني بولاية القاهرة على عادته أولاً، فسّر الناس بولايته. وتعيّن صاحب كريمة الدين بن عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس مُشير الدولة، وأخوه فخر الدين عبد الرحمن لنظر الدولة على عادته، وأخوهما زين الدين لنظر الجهات وأعاد جميع المكوس التي أبطلها الملك الظاهر برقوق.

ثم نُودي بالآمان للمماليك الجراكسة، وأن جميع المماليك والأجناد على حالهم، وأن الأمير الكبير لا يُغيّر على أحد منهم شيئاً مما كان فيه ولا يُخرج عنه إقطاعه.

ثم في يوم الأربعاء سادس الشهر قدم الأمير أَلطُنْبغا الجوباني نائب الشام كان، والأمير الطنبغا المعلم أمير سلاح كان، والأمير قردم الحسني رأس نوبة النوب كان، من سجن الإسكندرية وطلعوا إلى السلطان وترحّب بهم الأمير الكبير يلبغا الناصري.

(١) كان بمقدور يلبغا الناصري أن يتسلطن بعد أن أصبح الرجل الأول في الدولة؛ غير أنه فضّل التريث على ما يبدو بسبب كثرة المماليك الظاهرية الجراكسة وخوفاً من الأتراك الأشرفية. وفي نفس الوقت فإن البلاد غارقة في الفوضى بسبب فساد التركمان وانتشار الطاعون. لذلك فضّل إعادة حاجي بن شعبان على أن يحجر عليه ويتسلّم هو جميع الأمور من خلال منصب الأتابكية ريثما تنجلي الأمور وتتبدل الصعاب.

ثم نُودي ثانياً بالقاهرة بأن مَنْ ظهر من المماليك الظاهرية فهو على حاله باقٍ على إقطاعه، ومن آخفتى منهم بعد النداء حَلَّ ماله ودمه للسلطان.

ثم رسم الأمير الكبير للأمير سودون الفخري الشبخوني نائب السلطان للديار المصرية بلزوم بيته وأما محمود الأستادار فإنه توجه إلى كريم الدين بن مكانس وترامى عليه، فتكلم ابن مكانس في أمره مع الأمير الكبير وأصلح شأنه معه على مال يحمله للأمير الكبير يلبغا الناصري، وجمع بينهما، فأمنه الناصري، ونزل إلى داره.

ثم في ثامن جمادى الآخرة المذكورة اجتمع الأمراء في الخدمة السلطانية على العادة، فأغلق باب القلعة وقُبض على تسعة من الأمراء المقدمين وهم: الأمير سودون الفخري الشبخوني النائب المقدم ذكره، وسُودُون باق، وسُودُون طُرُنْطاي، وشيخ الصفوي، وقجماس الصالحي آبن عم الملك الظاهر برقوق، وأبوبكر بن سنقر، وأقبغا المارديني حاجب الحجاب، وبجاس النوروزي، ومحمود بن علي الأستادار المقدم ذكره أيضاً. وقُبض أيضاً على جماعة من أمراء الطبلخانات وهم: عبد الرحمن بن منكلي بُغا الشمسي، وبُوري الأحمدي، وتمربغا المنجكي، ومنكلي الشمسي الطرخاني، ومحمد بن جُمَق بن أيتمش البجاسي، وجرجي^(١)، وقرمان المنجكي، وحسن خجا، ويبرس التمان تمري، وأحمد الأرغوني، وأسنبغا الأرغون شاهي^(٢) وقتق باي اللالا السيفي ألجاي، وجرباش الشبخي الظاهري، وبغداد الأحمدي، ويونس الرماح، وبرسبغا الخليلي، وبطَّا الطُولُوتُمري الظاهري، ونُوص^(٣) المحمدي، وتَنِكز العثماني، وأرسلان اللفاف، وتَنِكز بغا السيفي، وألطنبغا شادي، وأقبغا اللاجيني، وبلاط المنجكي، وبجمان المحمدي، وألطنبغا العثماني، وعلي بن آقتمر من عبد الغني، وإبراهيم بن طشتمر الدوادار، وخليل بن تنكز بغا، ومحمد بن الدواداري، وحُسام الدين حسين بن علي الكوراني والي القاهرة، وبلبل الرومي الطويل، والطواشي صواب السعدي المعروف بشنكل مقدم المماليك، والطواشي مقبل الزمام الرومي الدواداري.

(١) في نزهة النفوس: «طرفي». وفي السلوك: «طوجي».

(٢) في الأصل: «وأسنبغا الأرغوني، وشادي» والتصحيح عن السلوك ونزهة النفوس.

(٣) في السلوك: «وقوص المحمدي». وفي النزهة: «وأنص المحمدي».

ثم قبض على نيّف وثلاثين أمير عشرة وهم: أزدمر الجوكاني، وقماري الجمالي، وجلبان أخو مامق، وقَرطاي السيفي [من] ألجاي اليوسفي، وأقبغا بوري الشيخوني، وصلاح الدين محمد بن تنكز بغا، وعبدوق العلائي، وطولو بغا الأحمدي، ومحمد بن أرغون شاه الأحمدي، وإبراهيم ابن الشيخ علي بن قرا، وغريب بن حاجي، وأسبغا السيفي، وأحمد بن حاجي بك بن شادي، وأقبغا الجمالي الهيدباني الظاهري، وأمير زاده بن ملك الكرج، وجلبان الكمشبغاوي الظاهري قراسقل، وموسى بن أبي بكر بن رسلان أمير طبر، وقتق باي الأحمدي، وأمير حاج بن أيتمش، وكمشبغا اليوسفي، ومحمد بن آقتمر الصاحب الحنبلي النائب، وأقبغا الناصري حطب، ومحمد بن سنقر المحمدي، وبهادر الفخري، ومحمد بن طغاي تمر النظامي، ويونس العثماني، وعمر بن يعقوب شاه، وعلي بن بلاط الكبير، ومحمد بن أحمد بن أرغون النائب، ومحمد بن بكتمر الشمسي، وألجبيغا الدوادار، ومحمد بن يونس الدوادار، وخليل بن قرطاي شاد العمائر، ومحمد بن قرطاي نقيب الجيش، وقطلوبك أمير جاندار، وعلى جماعة كبيرة من المماليك الظاهرية.

ثم شفعَ بجماعةٍ من الأمراء فأفرج عنهم، منهم: صواب مقدّم المماليك المعروف بشنكل، والطواشي مقبل الدواداري الزّمام، وحسين بن الكوراني الوالي، وجماعةٍ آخر وأخرج قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق على البريد إلى طرابلس.

وفيه نودي بالقاهرة ومصر: «مَنْ أَحْضَرَ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ بَرُوقَ إِلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ يَلْبِغَا النَّاصِرِي، إِنْ كَانَ عَامِيًّا خُلِعَ عَلَيْهِ وَأَعْطِيَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَإِنْ كَانَ جَنْدِيًّا أَعْطِيَ إِمْرَةَ عَشْرَةِ بِالْذِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ أَمِيرَ عَشْرَةِ أَعْطِيَ طَبْلَخَانَاهُ، وَإِنْ كَانَ طَبْلَخَانَاهُ أَعْطِيَ تَقْدِمَةَ أَلْفٍ. وَمَنْ أَحْفَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ شَتِيقَ وَحَلَّ مَالَهُ وَدَمَهُ لِلْسُّلْطَانِ».

ثم في ليلة الجمعة حُمِلوا الأمراء المسجونون بقلعة الجبل إلى ثغر الإسكندرية ما خلا الأمير محمود الأستدار، وبقيت المماليك الظاهرية في الأبراج

متفرقةً بقلعة الجبل. ثم أطلق الأمير آقبا المارديني حاجب الحجاب، وأخرج من [سجنه ونُقِلَ في] الحرّاقة^(١) لشفاعة صهره الأمير أحمد بن يلبغا العمري أمير مجلس فيه، فردّ معه أرسالن اللّفاف ومحمد بن تنكر [إذ] شَفَع فيهما أيضاً بعض الأمراء.

وفيه أيضاً نُودِيَ على الملك الظاهر برقوق، وهُدِّدَ مَنْ أخفاه، فكثُرَ الدعاء من العامة للملك الظاهر برقوق، وكثُرَ الأسف على فقده وثُقُلَت أصحاب الناصري على الناس ونَفَرُوا منهم، فصارت العامة تقول:

«راح برقوق وغزلانه، وجاء الناصري وتيرانه».

ثم قبض الناصري على الطواشي بهادر الشهابي مقدّم الممالك كان الذي كان الملك الظاهر عزله من التقدمة ونفاه إلى طرابلس، فحضر مع الناصري من جملة أصحابه، فاتّهم أنه أخفى الملك الظاهر برقوقاً، فنُفي إلى المرقب وخُتِمَ على حواصله، ونفي معه أسنبغا المجنون.

وفي ثاني عشرة سُجن محمود الأستدار وهو مقيّد بالزرديخانه.

وفيه ألزم الأمير الكبير يلبغا الناصري حسين بن الكوراني الوالي بطلب الملك الظاهر برقوق، وخشّن عليه في الكلام بسببه، فنزل ابن الكوراني من وقته وكرر النداء عليه بالقاهرة ومصر، وهُدِّدَ من أخفاه بأنواع العذاب والنكال.

هذا وقد كثر فساد التركمان أصحاب الناصري بالقاهرة، وأخذوا النساء من الطرقات ومن الحمامات، ولم يتجاسر أحد على منعهم.

وفيه قَلَع العسكرُ السلاح من عليهم ومن على خيولهم؛ وكانوا منذ دخولهم وهم بالسلاح إلى هذا اليوم.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة عُيِّنَ على الملك الظاهر برقوق من بيت أبي يزيد. وأمره أنه لَمَّا نزل بالإسطنبول بالليل سار على قدميه حتى وصل إلى

(١) الحرّاقة: نوع من السفن.

بيت أبي يزيد أحد أمراء العشرات وأختفى بداره ولم يُعرف له خبر، وكثر الفحص عليه من قبل الناصري وغيره وهُجِم في مدّة أختفائه على بيوت كثيرة فلم يقف له أحد على خبر. وتكرّر النداء عليه والتهديد على من أخفاه، فخاف الملك الظاهر من أن يُدَلَّ عليه فيؤخذ غضباً باليد فلا يُبقَى عليه، فأرسل الأمير الطنبغا الجوباني بمكانه، فتوجّه إليه الجوباني واجتمع به وأخذه وطلع به إلى الناصري على ما سنذكره.

وقيل غير ذلك؛ وهو أنه لما نزل الملك من الإسطبل السلطاني ومعه أبو يزيد المذكور لا غير، تبعه نعمان مهتار الطشتخاناة إلى الرُميلة، فردّه الملك الظاهر، ومضى هو وأبو يزيد حتى قُرباً من دار أبي يزيد، فتوجّه أبو يزيد قبله، وأخلى له داراً، ثم عاد إليه وأخفاه فيها.

ثم أخذ الناصري يتتبع أثر الملك الظاهر برفوق حتى سأل المهتار نعمان عنه، فأخبره أنه نزل ومعه أبو يزيد، وأنه لما تبعه ردّه الملك الظاهر فعند ذلك أمر الناصري حسين بن الكوراني بإحضار أبي يزيد المذكور، فشدد في طلبه، وهجم بيوتاً كثيرة، فلم يقف له على خبر، فقبض على جماعة من أصحاب أبي يزيد وغلمانهم وقرّهم فلم يجد عندهم علماً به وما زال يفحص على ذلك حتى دلّه بعض الناس على مملوك أبي يزيد، فقبض عليه وقبض ابن الكوراني على امرأة المملوك وعاقبها فدلته على موضع أبي يزيد وعلى الملك الظاهر، وأنهما في بيت رجل خياط بجوار بيت أبي يزيد فمضى ابن الكوراني إلى البيت، وبعث إلى الناصري يُعلمه، فأرسل إليه الأمراء.

وقيل غير ذلك، وجه آخر؛ وهو أن السلطان الملك الظاهر لما نزل من الإسطبل كان ذلك وقت نصف الليل من ليلة الاثنين المقدم ذكرها، فسار إلى بحر النيل، وعدى إلى برّ الجيزة ونزل عند الأهرام، وأقام هناك ثلاثة أيام ثم عاد إلى بيت أبي يزيد المذكور، فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة فحضر مملوك أبي يزيد إلى الناصري وأعلمه أن الملك الظاهر في بيت أستاذه، فأحضر

الناصرِيّ في الحال أبا يزيد، وسأله عن الملك الظاهر فاعترف أنه عنده فأخذه أَلْطُنْبغا الجوباني وسار به إلى البيت الذي فيه الملك الظاهر برقوق، فأوقف أبو يزيد الجوبانيّ بمن معه، وطلع هو وحده إلى الملك الظاهر وحدّته الخبر ثم أذن أبو يزيد للجوباني، فطلع؛ فلما رآه الملك الظاهر برقوق قام له وهَمَّ بتقبيل يديه، فاستعاذ بالله الجوباني من ذلك، وقال له: «يا خَوْنَد، أنت أستاذنا ونحن مماليكك»؛ وأخذ يُسَكِّن رَوْعَه، حتى سكن ما به.

ثم ألبسه عمامة وطيلساناً وأنزله من الدار المذكورة، وأركبه، وأخذه. وسار من صليبية ابن طولون نهراً، وشقّ به بين الملاء من الناس إلى أن طلع به إلى الإسطبل السلطاني بباب السلسلة حيث هو سكنُ الأمير [الكبير] يلغا الناصري، فأجلس بقاعة الفضة من القلعة. وألزم أبو يزيد بمال الملك الظاهر الذي كان معه، فأحضر كيساً وفيه ألف دينار، فأنعم به الناصري عليه، وأخلع عليه ورثب الناصري في خدمة الملك الظاهر مملوكين وغلامه المهتار نُعمان، وقُيّد بقيد ثقيل، وأجرى عليه من سِماطه طعاماً بكرة وعشياً ثم خلع الناصريّ على الأمير حُسام الدين حسن الكَجْكَنيّ باستقراره في نيابة الكرك عوضاً عن مأمور القلمطاوي.

ورسم بعزل مأمور، وقُدومه إلى مصر أميرَ مائة ومقدّم ألف بها.

هذا بعد أن جمع الناصري الأمراء من أصحابه وشاورهم في أمر الملك الظاهر برقوق بعد القبض عليه، فأختلفت آراء الأمراء فيه؛ فمنهم من صوّب قتله، وهم الأكثر، وكبيرهم منطاش، ومنهم من أشار بحبسه وهم الأقل، وأكبرهم الجوبانيّ فيما قيل فمال الناصريّ إلى حبسه لأمر^(١) يُريده الله تعالى. وأوصى حُسام الدين الكَجْكَنيّ به وصايا^(٢) كثيرة حسب ما يأتي ذكره في محله فأقام

(١) كان يلغا الناصري يخشى من انقلاب منطاش عليه، ولذلك أبقى على برقوق ليستعين به وبجماعته من الجراكسة عند الحاجة لما بين الجراكسة ومنطاش من كراهية. كما أن برقوقاً كان في السابق قد ألقى القبض على يلغا ثلاث مرات وعفا عنه. وسوف نرى فيما سيأتي من الأحداث تغير التحالفات لأكثر من مرة فيما بين الأطراف الثلاثة: يلغا الناصري وبرقوق ومنطاش.

(٢) أهم هذه الوصايا أنه في حال قيام منطاش على الناصري يعمد والي الكرك إلى الإفراج عن برقوق حالاً ليكون هذا الأخير عوناً له على منطاش.

الكجكني بالقاهرة في عمل مصالحه إلى يوم تاسع عشر جمادى الآخرة، وسافر إلى محل كفالته بمدينة الكرك.

وعند خروجه قدم الخبر على الناصري بأن الأمير آقبغا الصغير وآقبغا أستاذ أقتمر، إجتمع عليهما نحو أربعمئة مملوك من المماليك الظاهرية ليركبوا على جتتمر نائب الشام ويملكوا منه البلد، فلما بلغ جتتمر ذلك ركب بمماليكه وكبسهم على حين غفلة، فلم يُفِلت منهم إلا اليسير، وفيهم آقبغا الصغير المذكور فسرّ الناصري بذلك، وخلع على القاصد.

ولما وصل هذا الخبر إلى مصر، ركب منطاش وجماعة من أصحابه إلى الناصري وكلموه بسبب إبقاء الملك الظاهر، وخوفوه عاقبة ذلك ولا زالوا به حتى وافقهم على قتله، بعد أن يصل إلى الكرك ويُحبس بها وأعتذر إليهم بأنه إلى الآن لم يُفرق الاقطاعات والوظائف لاضطراب المملكة، وأنه ثم من له ميل للظاهر في الباطن، وربما يثور بعضهم عند قتله، وهذا شيء يُدرك في أي وقت كان، حتى قاموا عنه ونزلوا إلى دورهم.

ثم أخذ الناصري في اليوم المذكور يخلع على الأمراء باستقرارهم في الإمريات والإقطاعات فاستقرّ بالأمير بُزْلاَر العُمري الناصري حسن في نيابة دِمَشق، والأمير كَمَشْبُغا الحموي اليلبغاوي في نيابة حلب، وبالأمر صَنْجَق الحسني في نيابة طرابلس، وبالأمر شهاب الدين أحمد بن محمد الهيدباني في حجوية طرابلس الكبرى.

ثم في حادي عشرينه عَرَضَ الأمير الكبير يلبغا الناصري المماليك الظاهرية، وأفرد من المستجدين مائتين وثلاثين مملوكاً لخدمة السلطان الملك المنصور حاجي صاحب الترجمة، وسبعين من المشتروات أنزلهم بالأطباق، وفرق من بقي على الأمراء؛ وكان العَرَضَ بالإسْطبل وأنعم على كل من آقبغا الجمالي الهيدباني أمير آخور ويلبغا السُّودُونِي وتَنَبَك اليَحْيَاوي وسُودُون اليَحْيَاوي بإمرة عشرة في حلب — وهؤلاء الأربعة ظاهريّة من خواصّ ممالك الملك الظاهر برقوق — ورسم بسفرهم مع الأمير كَمَشْبُغا الحموي نائب حلب.

ثم في ليلة الخميس ثاني عشرين جُمادى الآخرة رسم الناصري بسفر الملك الظاهر برقوق إلى الكرك، فأُخْرِجَ من قاعة الفِضَّة في ثلث الليل من باب القرافة، أحد أبواب القلعة، ومعه الأمير أَلْطُنْبُغا الجُوباني، فأركبوه هجيناً ومعه من مماليكه أربعة ممالك صِغار على هُجُن، وهم قُطْلُوبِغا الكركي ويثغان الكركي وآقباي الكركي وسودون الكركي، والجميع صاروا في سلطنة الملك الظاهر الثانية بعد خروجه من الكرك أمراء؛ وسافر معه أيضاً مهتارهُ نُعْمان وسار به الجوباني إلى قبة النصر خارج القاهرة، وأسلمهُ إلى الأمير سيف الدين محمد بن عيسى العائدي؛ فتوجه به إلى الكرك من على عَجْرُود حتى وصل به إلى الكرك، وسلمه إلى نائبها الأمير حسام الدين الكجكيني وعاد بالجواب. فأنزل الكجكيني الملك الظاهر بقاعة النحاس من قلعة الكرك، وكانت ابنة الأتابك يلغا العُمري الخاصكي أستاذ الملك الظاهر برقوق زوجة مأمور المعزول عن نيابة الكرك هناك، فقامت للملك الظاهر برقوق بكل ما يحتاج، كونه مملوك أبيها يلغا، مع أن الناصري أيضاً مملوك أبيها، غير أنها حُبِّبَ إليها خدمة الملك الظاهر، ومدَّتْ له سِمَاطاً يَلِيقُ به، وأستمرت على ذلك أياماً كثيرة، وفعلتْ معه أفعالاً، كان أعتادها أيام سلطنته.

ثم إن الكجكيني أيضاً أعنتى بخدمته، لما كان أوصاه الناصري به قبل خروجه من مصر؛ ومن جملة ما كان أوصاه الناصري وقرَّره معه أنه متى حصل له أمر من منطاش أو غيره فليُفْرِجْ عن الملك الظاهر برقوق من حبس الكرك فأعتمد الكجكيني على ذلك، وصار يدخل إليه في كل يوم، ويتلطف به، ويَعِدُه أنه يتوجَّه معه إلى التُّركمان، فإنه له فيهم معارف، وحصَّن قلعة الكرك، وصار لا يبرح من عنده نهاره كُلُّه، ويأكل معه طُرْفِي النهار سِمَاطَه ولا زال على ذلك حتى أنس به الملك الظاهر وركن له حسب ما يأتي ذكره.

وأما الناصري فإنه بعد ذلك خلع على جماعة من الأمراء، فاستقرَّ بالأمير قُطْلُوبِغا الصَّفْوِي في نيابة صُفد، وبالأمير بُعَاجِق في نيابة مَلْطِيَة ثم رَسَم فنودي بالقاهرة بأن الممالك الظاهريَّة يخدمون مع نواب البلاد الشامية، ولا يقيم أحد منهم بالقاهرة، ومن تأخر بعد النداء حلَّ ماله ودُمهُ للسلطان، ثم نُودِي بذلك من الغد ثانياً.

وفي رابع عشرينه برز النَوَّابُ إلى الرِّيدانيَّة للسفر بعد أن أخلع الناصري على الجميع خَلَع السفر.

ثم في سادس عشرينه خَلَع السلطان الملك المنصور على الأمير يلغا الناصري بأستقراره أتأبك العساكر بالديار المصرية وأن يكون مدبّر المملكة، وعلى الأمير أَلْطُنْبغا الجوباني بأستقراره رأس نوبة الأمراء ووظيفة بركة الجوباني، وعلى الأمير قرادمرداش الأحمدي وأستقرّ أمير سلاح، وعلى الأمير أحمد بن يلغا وأستقرّ أمير مجلس على عادته أولاً، وعلى الأمير تَمْرَباي الحسني وأستقرّ حاجب الحجاب، وخَلَع على القضاة الثلاثة بأستمرارهم، وهم: القاضي شمس الدين محمد الطرابلسي والقاضي جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكي والقاضي ناصر الدين نصر الله الحنبلي؛ ولم يخَلَع على قاضي القضاة ناصر الدين ابن بنت ميلق الشافعي، لتوعّكه ثم خلع على القاضي صدر الدين المُنَاوي مفتي دار العدل، وعلى القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، الجميع بأستمرارهم.

وفي هذا اليوم سافر نَوَّابُ البلاد الشاميّة، وسافر معهم كثير من التُركمان وأجناد الشام وأمرائها، وفيه نُودي أيضاً بالأّ يتأخّر أحد من مماليك الملك الظاهر برقوق إلا من يكون بخدمة السلطان مَمَّن عَيَّن، ومن تأخر بعد ذلك شُنِق، ثم نُودي على التركمان والشاميين والغرباء بخروجهم من الديار المصرية إلى بلادهم.

وفي يوم الخميس خلع الناصري على الأمير آقبا الجوهري بأستقراره أستاذاراً، وعلى الأمير آلبغا العثماني دواداراً كبيراً، وعلى الأمير أَلْطُنْبغا الأشرفي رأس نوبة ثانياً، وهي الآن وظيفة رأس نوبة النُوب، وعلى الأمير جُلبان العلائي حاجباً، وعلى الأمير بلاط العلائي أمير جاندار، وعلى شَهْرِي نائب دوركي^(١) بأستمراره.

(١) ذكر القلقشندي أنه يقال لها دوركي (بفتح الدال وسكون الواو) أو دُوركي (بفتح الدال وسكون الباء بعدها). وهي مدينة في جهة الشمال والغرب من حلب، على نحو عشر مراحل منها. (انظر صبح الأعي: ١٣٧/٤، طبعة دار الكتب العلمية).

ثم في سلخ جمادى الآخرة فرّق الناصري المِثالاتِ على الأمراء [المقدّمين]^(١) وجعلهم أربعة وعشرين تقدمة على العادة القديمة: أراد بذلك أن يُظهِر للناس ما أفسده الملك الظاهر برقوق في أيام سلطنته من قوانين مصر، فشكره الناس على ذلك.

ثم نُودِيَ بالقاهرة بالأمان: «ومن ظلم من مدّة عشرين سنة فعليه باب الأمير الكبير يلبغا الناصريّ، ليأخذ حقه».

ثم في يوم السبت أوّل شهر رجب وقف أوّل النهار زامراً على باب السلسلة تحت الإسطل السلطاني، حيث هو سكن الناصريّ، وزعق في زمره؛ فلما سمعه الناس اجتمع الأمراء والمماليك في الحال، وطلّعوا إلى خدّمة الناصريّ ولم يُعْهَد هذا الزمّر بمصر قبل ذلك على هذه الصورة وذكروا أنها عادة ملوك التتار إذا ركبوا يزعقُ هذا الزامر بين يديه، وهو عادة أيضاً في بلاد حلب - فأستغرب أهل مصر ذلك، وأستمرّ في كلّ يوم موكب.

وفيه أيضاً رَسَمَ الناصريُّ أن يكون رُؤوس نُوب السّلاحداريّة والسّقاة والجَمَداريّة سِتّة لكل طائفة على ما كانوا أوّلاً قبل سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين، فإن الأشرف هو الذي آسَترَ بهم ثمانية. وخلع الناصري على قطلوبغا الفخري بأستقراره نائب قلعة الجبل عوضاً عن الأمير بَجَاس.

وفي خامسه قَدِمَ الأمير نُعَيْرُ بن حَيَّار بن مُهنّا ملك العرب إلى الديار المصرية، ولم يحضر قطّ في أيام الملك الظاهر برقوق، وقصد بحضوره رؤية الملك المنصور وتقبيّل الأرض بين يديه، فخلع السلطان عليه، ونزل بالميدان الكبير من تحت القلعة، وأجرى عليه الرّواتب.

(١) زيادة عن نزّه النفوس: والمراد بهم أمراء المئات مقدمو الألو. والمثال: هو أول ما كان يكتب من الأوراق الرسمية إيداناً باعطاء أحد المماليك أو أحد الأمراء إقطاعاً من الإقطاعات. ثم يخرج المثال من ديوان الجيش ويقدمه ناظر هذا الديوان إلى السلطان أثناء جلوسه بدار العدل، فإذا شمله السلطان بالموافقة أرسله ناظر ديوان النظر لتسجيله وحفظه ويكتب بذلك مربعة (ورقة مربعة تسمى المربعة الجيشية) فيها اسم المعين على الإقطاع ورتبته وغير ذلك من التفاصيل اللازمة. ثم ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء فيكتب كاتب السر بمقتضاها منشور الإقطاع. (انظر صبح الأعشى: ١٥٣/١٣ -

وفيه خُلِعَ على الأمير الألبغا العثماني الدوادار الكبير باستقراره في نظر الأعباس مضافاً لوظيفته و[خلع أيضاً على] قرقماس الطُشْتُمري وآستمرّ خازنداراً.

وفي ثامنه خُلِعَ على الأمير نُعَيْرُ خِلْعَةَ السفر. وأنعم على الطواشي صواب السعدي شُكِّلَ بإمرة عشرة، وآسْتُرِجِعَت منه إمرة طبلخاناه^(١)؛ ولم يقع مثل ذلك أن يكون مُقَدِّم الممالك أمير عشرة.

وفيه خَلَعَ السلطان الملك المنصور على شخص وعَمِلَه خِيَاط السلطان، فطلبه الناصري وأخذ منه الخِلْعَةَ، وضربه ضرباً مُبْرِحاً، وأسلمه لشادّ الدواوين، ثم أفرج عنه بشفاعة الأمير أحمد بن يَلْبُغا أمير مجلس؛ فشَقَّ ذلك على الملك المنصور، وقال: «إذا لم يُنْفَذ مرسومي في خِيَاط فما هذه السلطنة؟» ثم سكت على مَضْمُن.

وفي أوّل شعبان أمر المؤذنون بالقاهرة ومصر أن يزيدوا في الأذان، إلا أذان المغرب: «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله» عدّة مرّات. وسبب ذلك أن رجلاً من الفقراء المُعْتَقِدِينَ سَمِعَ في ليلة الجمعة بعد أذان العشاء: «الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم» وكان العادة في ليلة الجمعة بعد أذان العشاء يُصَلِّي المؤذنون على النبيّ صلى الله عليه وسلم مراراً على المثذنة، فلما سَمِعَ الفقير ذلك قال لأصحابه الفقراء: «أتحبون أن تسمعوا هذا في كل أذان؟» قالوا: «نعم»، فبات تلك الليلة، وأصبح وقد زَعَم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه يأمره أن يقول لُمَحْتَسِب القاهرة نجم الدين الطنْبُدي أن يأمر المؤذنين أن يُصَلُّوا على النبيّ صلى الله عليه وسلم عقيب كل أذان؛ فَمَشَى الشيخ إلى المحتسب المذكور وقصّ عليه ما رآه، فسره ذلك، وأمر به فبقي إلى يومنا هذا.

ثم إن الناصريّ أنزل السبعين الذين قرّهم بالأطباق من ممالك برقوق وفرّقهم على الأمراء ورَسَم أيضاً بإبطال المقدّمين والسواقين من الطواشيّة، ونحوهم،

(١) إمرة طبلخاناه: تكون على عدد من الأجناد يتراوح ما بين أربعين وثمانين مملوكاً.

وأنزلهم من عند الملك المنصور؛ فأتضح أمر السلطان الملك المنصور، وعرف كلُّ أحد أنه ليس له أمرٌ ولا نَهْيٌ في المملكة.

* * *

ذكرُ ابتداء الفتنة بين الأمير الكبير يلغا الناصري وبين الأمير تَمْرُبُغا الأفضلي المدعو منطاش:

ولما كان سادس عشر شعبان أُشيع في القاهرة بتنكر منطاش على الناصري وأنقطع منطاش عن الخدمة، وأظهر أنه مريض، ففطن الناصري بأنه يُريد [أن] يعمل مَكيدة، فلم ينزل لعيادته وبعث إليه الأمير أَلطُنْبغا الجوباني رأس نوبة كبيراً في يوم الاثنين سادس عشر شعبان المذكور ليعوده في مرضه، فدخل عليه، وسلّم عليه، وقضى حَقَّ العيادة وهم بالقيام، فقَبَض عليه منطاش وعلى عشرين من مماليكه، وضرب قَرَقماس دوادار الجوباني ضرباً مُبرِّحاً، مات منه بعد أيام.

ثم ركب منطاش حال مسكه للجوباني في أصحابه إلى باب السلسلة، وأخذ جميع الخيول التي كانت واقفة على باب السلسلة. وأراد اقتحام الباب ليأخذ الناصري على حين غفلة، فلم يتمكن من ذلك وأغلق الباب، ورمى عليه مماليك الناصري من أعلى السور بالنشاب والحجارة، فعاد إلى بيته ومعه الخيول، وكانت داره دار منجك اليوسفي التي اشتراها تَمْرُبغا الظاهري الدوادار وجددها بالقرب من مدرسة السلطان حسن، ونهب منطاش في عوده بيت الأمير آقْبغا الجوهرى الأستدار وأخذ خيوله وقماشه.

ثم رَسَم منطاش في الوقت لمماليكه وأصحابه بالطلوع إلى مدرسة السلطان حسن، فطلّعوا إليها وملكوها، وكان الذي طَلَعَ إليها الأمير تَنكِرْبُغا رأس نوبة والأمير أَرْدَمُر الجوكندار دوادار الملك الظاهر برقوق في عدّة من المماليك وحمل إليها منطاش النشاب والحجارة، ورموا على مَنْ كان بالرُميلة من أصحاب الناصري من أعلى المئذنتين ومن حول القبة، فعند ذلك أمر الناصري مماليكه وأصحابه بلبس السلاح، وهو يتعجب من أمر منطاش كيف يقع منه ذلك وهو في غاية من قلة

المماليك وأصحابه. وبلغ الأمراء ذلك، فطلع كل واحد بمماليكه وطلبه إلى الناصري.

وأما منطاش فإنه أيضاً تلاحقت به المماليك الأشرفية خُشداشيته والمماليك الظاهرية، فعظم بهم أمره، وقوي جأشه. فأما مجيء الظاهرية إليه فرجاء لخلاص أستاذهم الملك الظاهر برفوق، و[أما] الأشرفية فهم خُشداشيته، لأن منطاش كان أشرقياً وبلغا الناصري يلبغواياً خُشداشاً لبرقوق. وأنضمت اليلبغاوية على الناصري، وهم يوم ذاك أكابر الأمراء وغالب العسكر المصري وتجمعت المماليك على منطاش حتى صار في نحو خمسمائة فارس معه، بعدما كان في سبعين فارساً في أول ركوبه، ثم أتاه من العامة عالمٌ كبير، فترامى الفريقان واقتتلا.

ونزل الأمير حُسام الدين حُسين بن الكوراني والي القاهرة والأمير مأمور حاجب الحجاب من عند الناصري، ونودي في الناس بنهب ممالك منطاش، والقبض على من قدروا عليه منهم، وإحضاره إلى الناصري؛ فخرج عليهما طائفة من المنطاشية فضربوهما وهزموهما، فعادوا إلى الناصري وسار الوالي إلى القاهرة، وأغلق أبوابها. وأشدت الحرب، وخرج منطاش في أصحابه، وتقرّب من العامة، ولاطفهم وأعطاهم الذهب، فتعصبوا له وتزاحموا على ألتقاط النشاب الذي يُرمى به من أصحاب الناصري على منطاش وأتوه به وبالغوا في الخدمة لمنطاش، حتى خرجوا عن الحد؛ فكان الواحد منهم يثب في الهواء حتى يخطف السهم قبل أن يأخذه غيره، ويأتي به منطاش، وطائفة منهم تنقل الحجارة إلى أعلى المدرسة الحسنية وأستمروا على ذلك إلى الليل، فبات منطاش ليلة الثلاثاء سابع عشر شعبان على باب مدرسة السلطان حسن المذكورة والرمي يأتيه من القلعة من أعوان الناصري.

هذا والمماليك الظاهرية تأتيه من كل فجّ، وهو يعدّهم ويمنيهم، حتى أصبح يوم الثلاثاء وقد زادت أصحابه على ألف فارس كل ذلك والناصري لا يكثرث بأمر منطاش، و[لا] (١) يصلح أمره [وإنما يقبل] (١) على التراخي استخفافاً

(١) زيادة تقتضيها استقامة السياق.

بمنطاش، وحواشيه يحرّضونه على سرعة قتال منطاش ويحذّرونه التهاون في أمره. ثمّ أتى منطاش طوائف من ممالك الأمراء والبطالة وغيرهم شيئاً بعد شيء، فحسّن حاله بهم، وأشدّد بأسه، وعظّمت شوكتُه بالنسبة لما كان فيه أولاً، لا بالنسبة لحواشي الناصريّ ومماليكه؛ فعند ذلك نَدب الناصريّ الأمير بجمان والأمير قرابغا الأبوبكري في طائفة كبيرة ومعهم المعلّم شهاب الدين أحمد بن الطولوني المهندس وجماعة كبيرة من الحجّارين والنقّابين لينقبوا بيت منطاش من ظهره حتى يدخلوا منه إلى منطاش ويقاتلوه من خلفه والناصرى من أمامه ففطن منطاش بهم، فأرسل إليهم في الحال عدّة من جماعته قاتلوهم حتى هزموهم، وأخذوا قرابغا وأتوا به إلى منطاش فرتب [الناصرى] عدّة رماة على الطبلخاناه السلطانية، وعلى المدرسة الأشرفية التي هدمها الملك الناصر فرج، وجعل الملك المؤيد مكانها بيمارستاناً في الصّوة، فرموا على منطاش بالمدافع والنشّاب، فقتل عدّة من العوامّ، وجرح كثير من المنطاشية. هذا وقد أنزعج الناصري وقام بنفسه وهياً أصحابه لقتال منطاش، ونَدب من أصحابه من أكابر الأمراء جماعة لقتاله، وهم الأمير أحمد بن يلغا أمير مجلس، والأمير جُمق ابن الأتابك أيتمش البجاسي في جمع كبير من المماليك، فنزلوا وطرّدوا العامّة من الرّميلة؛ فحملت العامّة من أصحاب منطاش عليهم حملةً واحدة هزموهم فيها أقبح هزيمة.

ثم عاد أحمد بن يلغا المذكور غير مرّة، واستمرّ القتال بينهما إلى آخر النهار، والرّمى والقتال عمّال من القلعة على المدرسة الحسينية ومن المدرسة على القلعة. وبينما هم في ذلك خرّج من عسكر الناصريّ الأمير آقبا المارديني بطلبه وصار إلى منطاش، فتسلّل الأمراء عند ذلك واحداً بعد واحد، وكلّ من يأتي منطاش من الأمراء يوكل به واحداً يحفظه، ويُبعث به إلى داره، ويأخذ ممالিকে فيقاتل الناصري بهم.

فلما رأى حسين بن الكوراني الوالي جانب الناصريّ قد أتضع، خاف على نفسه من منطاش وأختفى؛ فطلب منطاش ناصر الدين محمد بن ليلي نائب حسين

آبن الكوراني وولاه ولاية القاهرة، وألزمه بتحصيل النُّشاب، فنزل في الحال إلى القاهرة، وحمّل إليه كثيراً من النشاب.

ثم أمره منطاش فنأدى بالقاهرة بالأمان والاطمئنان وإبطال المكس والدعاء للأمير الكبير منطاش بالنصر.

هذا وقد أخذ أمرُ الناصريِّ في إدبار، وتوجّه جماعةٌ كبيرة من أصحابه إلى منطاش فلما رأى الناصريُّ عسكره في قلة، وقد نفر عنه غالبُ أصحابه، بعث بالخليفة المتوكّل على الله إلى منطاش يسأله في الصلح وإخماد الفتنة فنزل الخليفة إليه وكلمه في ذلك، فقال له منطاش: «أنا في طاعة السلطان، وهو أستاذي وآبُن أستاذي، والأمراء إخوتي، وما غريمي إلا الناصريِّ، لأنه حلّف لي وأنا بسيواس ثم بحلب ودمشق أيضاً بأننا نكون شيئاً واحداً، وأن السلطان يحكم في مملكته بما شاء؛ فلما حصل لنا النصر وصار هو أتابك العساكر، آستبد بالأمر، ومنع السلطان من التَّحكّم، وحجّر عليه، وقرب خشداشيته اليلبغاوية، وأبعدني أنا وخشداشيتي الأشرفية ثم ما كفاه ذلك حتى بعثني لقتال الفلاحين». وكان الناصري أرسله من جملة الأمراء إلى جهة الشرقية لقتال العُربان، لما عظم فسأد فلاحيه.

ثم قال منطاش: «ولم يُعطني الناصري شيئاً من المال سوى مائة ألف درهم، وأخذ لنفسه أحسن الإقطاعات وأعطاني أضعفها؛ والإقطاع الذي قرّره لي يعمل في السنة ستمائة ألف درهم! والله ما أُرْجِع عنه حتى أقتله أو يقتلني، ويتسلطن ويستبد بالأمر وحده من غير شريك». فأخذ الخليفة يلاطفه فلم يرجع له وقام الخليفة من عنده وهو مصمّم على مقاتله، وطلع إلى الناصري وأعاد عليه الجواب.

فعند ذلك ركب الناصريِّ بسائر ممالিকে وأصحابه، ونزل بجمّع كبير لقتال منطاش، وصفّ عساكره تُجاه باب السلسلة وبرز إليه منطاش أيضاً بأصحابه، وتصادما واقتتلا قتالاً شديداً، وثبت كلٌّ من الطائفتين ثباتاً عظيماً فخرج من عسكر الناصري الأميرُ عبد الرحمن آبن الأتابك منكلي بغا الشمسي صهر الملك الظاهر برقوق بممالিকে، والأمير صلاح الدين محمد بن تنكر نائب الشام، وكان أيضاً من

خوَصَّ الملك الظاهر برقوق؛ وسار صلاح الدين المذكور إلى منطاش ومعه خمسة أحمال نُسَاب وثمانون حِمْل مَأْكَل وعشرة آلاف درهم. وأنكسر الناصري وأصحابه، وطلع إلى باب السلسلة، فترجع أمره وأنضمَّ عليه من بَقِي من خشداشيته اليلبغاوية، ونَدَب لقتال منطاش الأمير أحمد بن يلغا أمير مجلس ثانياً، والأمير قرادميرداش الأحمدي أمير سلاح، والأمير أَلْطُنْبغا المعلم، والأمير مأمور القَلْمَطَاوي حاجب الحُجَاب، والجميع يلبغاوية ونزلوا في جمع موفور من العسكر، وصدموا منطاش صدمة هائلة، وأحمى أظهرهم مَنْ في القلعة بالرمي على منطاش وأصحابه؛ فأخذ أصحاب منطاش عند ذلك في الرمي من أعلى المدرسة بالنشاب والنفط، وألتحم القتال، من فوق ومن أسفل، فأنكسر عسكر الناصري ثانياً، وأنهزموا إلى باب السلسلة.

هذا والعامَّة تأخذ النُشَاب من على الأرض وتأتي به منطاش، وهو يتقرب منهم ويترقَّب لهم، ويقول لهم: «أنا واحد منكم وأنتم إخواننا وأصحابنا» وأشياء كثيرة من هذه المقولة هذا وهم يبذلون نفوسهم في خدمته، ويتلاقطون النُشَاب من الرُميلة، مع شدة رمي الناصري عليهم من القلعة.

ثم ظفِر منطاش بحاصل للأمير جركس الخليلي الأمير آخور وفيه سلاح كثير ومال، وبحاصل آخر لبكلمش العلائي، فأخذ منطاش منهما شيئاً كثيراً، فقوي به؛ فإنه كان أمره قد ضعف من قلة السلاح لا من قلة المقاتلة، لأن غالب من أتاه بغير سلاح.

ثم نَدَب الناصريُّ لقتاله الأمير مأموراً حاجب الحُجَاب والأمير جُمق بن أَيْتَمَش والأمير قراكسك في عدة كبيرة من اليلبغاوية، وقد لاح لهم زوال دولة اليلبغاوية بحبس الملك الظاهر برقوق، ثم بكسرة الناصري من منطاش إن تمَّ ذلك؛ فنزلوا إلى منطاش وقد بذلوا أرواحهم، فبرز لهم العامة أمام المنطاشية، وأكثروا من رميهم بالحجارة في وجوههم ووجوه خيولهم حتى كسروهم، وعادوا إلى باب السلسلة.

كَلَّ ذلك والرمي من القلعة بالنُشَاب والنفوط والمدافع متواصل على

المنطاشية، وعلى مَنْ بأعلى المدرسة الحسينية، حتى أصاب حجر من حجارة المدفع القبة الحسينية فخرقها، وقَتَلَ مملوكاً من المنطاشية فلماً رأى منطاش شدة الرمي عليه من القلعة، أرسل أحضر المعلم ناصر الدين محمد بن الطرابُلُسي - وكان أستاذاً في الرمي بمدافع النَّفْط - فلماً حضر عنده جرّده من ثيابه ليوسّطه من تأخره عنه، فأعتذر إليه بأعدار مقبولة ومضى ناصر الدين في طائفة من الفرسان، وأحضر الآت النفط، وطلع على المدرسة ورمى على الإسطل السلطاني، حيث هوسكن الناصري، حتى أحرق جانباً من خيمة الناصري وفرّق جمعهم. وقام الناصريُّ والسلطانُ الملك المنصور من مجلسهما ومضياً إلى موضع آخر آمتنعا فيه ولم يَمْضِ النهار حتى بلغت عدّة فرسان منطاش نحو الألفي مقاتل.

وبات الفريقان في تلك الليلة لا يُبْطِلان الرمي حتى أصبحا يوم الأربعاء وقد جاء كثير من مماليك الأمراء إلى منطاش ثم خرج من عسكر الناصري الأمير تَمْرَباي الحَسَنِيّ حاجب الحجاب، والأمير قردم الحسني رأس نوبة النُوب في جماعة كبيرة من الأمراء، وصاروا إلى منطاش من جملة عسكره، وغالب هؤلاء الأمراء من اليلبغاوية.

ثم ندب الناصريّ لقتال منطاش الأمير أحمد بن يلغا أمير مجلس، والأمير قرا دمرداش الأحمدي أمير سلاح، وعيّن منهم جماعة كبيرة؛ فنزلوا وصدّموا المنطاشية صدمة هائلة انكسروا فيها غير مرّة، وأبن يلغا يعود بهم، إلى أن ضعف أمره، وأنهزم وطلع إلى باب السلسلة، هذا والقوم يتسللون من الناصري إلى منطاش، والعامّة تُمسِك مَنْ وجدوه من التُرك ويقولون له: «ناصرِيّ، أم منطاشِيّ؟» فإن قال: «ناصرِيّ» أنزلوه من على فرسه وأخذوا جميع ما عليه وأتوا به إلى منطاش.

ثم تكاثرت العامة على بيت الأمير أيّدكّار حتى أخذوه بعد قتال كبير وأتوا به إلى منطاش، فأكرمه منطاش وبينما هو في ذلك جاءه الأمير أَلْطُنْبغا المعلم بطلبه ومماليكه، وكان من أجل خُشْداشية الناصري وأصحابه، وصار من جملة المنطاشية، فُسرَّ به منطاش.

ثم عَيَّن له ولأيدكار موضعاً يقفان فيه ويُقاتلان الناصري منه . وبينما منطاش في ذلك أرسل إليه الأمير قرا دمرداش الأحمدي أمير سلاح يسأله في الحضور إليه طائعاً فلم يأذن له، ثم أتاه الأمير بلُوط الصرغتمشي بعد ما قاتله عدّة مرار، وكان من أعظم أصحاب الناصري .

ثم حضر إلى منطاش جُمَق بن أيتمش وأعتذر إليه، فقَبِل عذره وعظّم أمر منطاش، وضعف أمر الناصريّ، وأختل أمره، وصار في باب السِّلْسِلَة بعدد يسير من مماليكه وأصحابه ونَدِم الناصريّ على خَلْع الملك الظاهر برقوق وحبسه لَمَّا عَلِم أن الأمر خرج من اليلبغاوية وصار في الأشرفية حيث لا ينفعه الندم .

فلَمَّا أَدْن العصر قام الناصريّ هو وقرا دمرداش الأحمدي أمير سلاح وأحمد آبن يلغا أمير مجلس وأقبغا الجوهرى الأستاذار والأبغا العثماني الدوادار والأمير قراكسك في عدّة من المماليك، وصعد إلى قلعة الجبل ونزل من باب القرافة . وعندما قام الناصريّ من باب السلسلة وطلع القلعة ونزل من باب القرافة، أعلم أهل القلعة منطاش، فركب في الحال بمن معه، وطلع إلى الإسطل السلطانيّ ومَلَكه، ووقع النهب فيه، فأخذوا من الخيل والقماش شيئاً كثيراً . وتفرق الزُعرُ والعامّة إلى بيوت المنهزمين، فنهبوا وأخذوا ما قدروا عليه، ومنعهم الناس من عدّة مواضع؛ وبات منطاش بالإسطل^(١) .

وأصبح من الغد، وهو يوم الخميس تاسع عشر شعبان، وطلع إلى السلطان الملك المنصور حاجي، وأعلمه بأنه في طاعته، وأنه هو أحقّ بخدمته لكونه من جملة المماليك الذين لأبيه الأشرف شعبان، وأنه يَمَثِل مرسومه فيما يأمره به، وأنه يريد بما فعله عمارة بيت الملك الأشرف - رحمه الله - فسّر المنصورُ بذلك هو وجماعة الأشرفية، فإنهم كانوا في غاية ما يكون من الضيق مع اليلبغاوية من مدة سنين .

(١) أي الإسطل السلطاني، دلالة على أنه قد أضحي الرجل القوي في البلاد . وكان الإسطل السلطاني عادة يتخذ مقراً للأمير الكبير أتاك العساكر .

ثم تقدّم الأمير منطاش إلى رؤوس النُوب بجمع المماليك وإنزالهم بالأطباق من قلعة الجبل على العادة ثم قام من عند السلطان ونزل إلى الإسطبل بباب السلسلة وكان ندب جماعة للفحص على الناصري ورُفقتة، ففي حال نزوله أحضر إليه الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس، والأمير مأمور القلمطاوي، فأمر بحبسهما بقاعة الفضة من القلعة، وحبس معهما أيضاً الأمير بجمان المحمدي وكتب منطاش بإحضار الأمير سُودون الفخريّ الشبخونيّ النائب من ثغر الإسكندرية ثم قدّم عليه الخبر بأن الأمراء الذين توجهوا في أثر الناصريّ أدركوه بسرياقوس وقبضوا عليه وبعد ساعة أحضر الأمير يلبغا الناصريّ بين يديه، فأمر به، فقيّد وحبس أيضاً بقاعة الفضة، ثم حُمل هو والجوبانيّ في آخريّن إلى سجن الإسكندرية فحبسوهم وأخذ الأمير منطاش يتتبع أصحاب الناصريّ وحواشيه من الأمراء والمماليك.

فلما كان يوم عشرين شعبان قبض على الأمير قرا ديزداس الأحمدي أمير سلاح، فأمر به منطاش، فقيّد وحبس. ثم قبض منطاش على جماعة كبيرة من الأمراء، وهم: الأمير أَلطُنْبُغا المَعْلَم، والأمير كَشَلِي القَلْمَطَاوي، وأَقْبُغا الجوهريّ، وأَلطُنْبُغا الأَشْرَفِيّ، وأَقْبُغا العثمانيّ، وفارس الصرغتمشيّ، وكمشبغا، وشيخ اليوسفيّ، وعبدوق العلائيّ، وقيد الجميع وبعث بهم إلى ثغر الإسكندرية، فحبسوا بها.

ثم في حادي عشرينه أنعم منطاش على الأمير إبراهيم بن قَطْلُقْتَمُر الخازندار بإمرة مائة وتقدمة ألف، وأستقرّ أمير مجلس عوضاً عن أحمد بن يلبغا دفعةً واحدةً من إمرة عشرة ثم أخلع السلطان الملك المنصور على الأمير منطاش باستقراره أتائبك العسكر ومدبّر الممالك عوضاً عن يلبغا الناصريّ المقبوض عليه. ثم كتب منطاش أيضاً بإحضار قَطْلُوبُغا الصَفْوِيّ نائب صَفَد، والأمير أَسَنْدُمُر الشرفيّ، ويعقوب شاه، وتمان تمر الأشرفيّ، وعيّن لكل منهم إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية.

ثم في ثاني عشرينه قبض على الأمير تمرباي الحسنبي حاجب الحُجَاب بديار مصر، وعلى الأمير يلبغا المنجكيّ، وعلى إبراهيم بن قَطْلُقْتَمُر أمير مجلس الذي

ولآه في أمسه، ثم أطلقه وأخرجه على إمرة مائة وتقدمة ألف بحلب لأمر أقتضى ذلك.

ثم في ثالث عشرين شعبان المذكور قبض منطاش على أرسلان اللِّفَّاف، وعلى قراكسك السيفي، وأيدَكَار العُمريِّ حاجب الحجاب، وقَرَدَم الحسني، وأقبغا المارديني وعدة من أعيان المماليك اليلبغاوية وغيرهم.

ثم قبض على الطواشي مُقبِل الروميِّ الدواداري الزَّمام، وجَوْهر اليلبغاوي لالا السلطان الملك المنصور ثم قبض منطاش على الطواشي صندل الرومي المنجكي خازندار الملك الظاهر برقوق وعدَّبه على ذخائر برقوق وعصره مراراً حتى دل على شيء كثير، فأخذها منطاش وتَقَوَّى بها.

وفي ثامن عشرينه وصل سُودون الشيخوني النائب من سجن الإسكندرية فأمره منطاش بلزوم بيته [بطالاً]^(١).

ثم أنفق منطاش على مَنْ قاتل معه من الأمراء والمماليك بالتدريج، فأعطى لمائة واحد منهم لكل واحد ألف دينار، وأعطى لجماعة أُخر لكل واحد عشرة آلاف درهم، ودونهم لكل واحد خمسة آلاف درهم، ودونهم لكل واحد ألف درهم، ودونهم لكل واحد خمسمائة درهم.

وظهر على منطاش الملل من المماليك الظاهرية والتخوف منهم؛ فإنه كان قد وعدهم بأنه يُخْرِج أستاذهم الملك الظاهر برقوق من سجن الكرك إذا أنتصر على الناصري، فلم يفعل ذلك، ولا أنعم على واحد منهم بإمرة ولا إقطاع، وإنما أخذ يُقَرِّب خُشداشيته ومماليكه وأولاد الناس؛ فعزَّ عليهم ذلك في الباطن، وفطن منطاش بذلك، فعاجلهم بأن عمل عليهم مكيدة؛ وهي أنه لَمَّا كان يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة المذكورة طلب سائر المماليك الظاهرية على أنه ينظر في أمرهم ويُنفق عليهم ويطرُضَّاهم؛ فلَمَّا طلَعوا إلى القلعة أمر منطاش فأغلق عليهم باب القلعة، وقبض على نحو المائتين منهم.

(١) زيادة عن نزهة النفوس.

حدّثني السّيفي، إينال المحمودي الظاهري قال: «كنت من جُمَلتهم؛ فلَمّا وقفنا بين يدي منطاش، ونحن في طَمْعَة النّفَقَة والإِقطاعات، ظهرَ لي من وجه منطاش العَدْر، فتأخّرتُ خلفَ خشداشيتي؛ فلَمّا وقع القبضُ عليهم رميتُ بنفسي إلى الميدان، ثم منه إلى جهة باب القرافة، وأختفيتُ بالقاهرة». انتهى.

ثم بعث منطاش بالأمير جُلبان الحاجب، وبِلاط الحاجب، فقبضَ على كثير من المماليك الظاهرية، وسُجنوا بالأبراج من قلعة الجبل.

قلت: لا جرم، فإنه من أعان ظالماً سُلط عليه وفي الجملة فإن الناصري كان لحواشي برقوق خيراً من منطاش. غير أنه لكل شيء سبب: وكانت حركة منطاش سبباً لخلاص الملك الظاهر برقوق، وعوده إلى مُلكه على ما سيأتي ذكره. ثم أمر منطاش فنودي بالقاهرة أن من أحضر مملوكاً من ممالك برقوق فله كذا وكذا، وهدد من أخفى واحداً منهم.

قلت: وما فعله منطاش هو الحزم؛ فإنه أزال من يخشاه، وقرب ممالكه وأصحابه؛ وكاد أمره أن يتم بذلك لو ساعدته المقادير وكيف تساعده المقادير وقد قُدّر بعود برقوق إلى ملكه بحركة منطاش وبركوبه على الناصري^(١).

(١) إذا فهمنا من تعليق المؤلف هنا أنه يثني على سياسة منطاش في تقريب ممالكه وأصحابه وإزالة من يخشاه من أخصامه - هذا بالرغم من ميل المؤلف إلى برقوق - فلعله بهذا الحكم ينسجم مع القاعدة التي سادت في تلك الفترة من العصر المملوكي وهي أن السلطة باتت مشاعاً لكل أمير متغلب. هذه القاعدة التي كان برقوق قد عمل جاهداً على إرسائها بتقويضه للاتجاه الوراثي الذي بدأه المنصور قلاوون. وبالرغم من أن رفض مبدأ التوريث في الحكم المملوكي سمح بوجود سلاطين أقوياء على رأس السلطة وإبعاد الأطفال الذين يصلون بحكم التوريث، فإن هذه القاعدة - مع غياب قضية كبرى يبتناها الحاكم كمجابهة غزو خارجي صليبي أو مغولي، ومع تقادم الأزمة الاقتصادية - هذه القاعدة أدخلت البلاد في حالة شبه دائمة من الفوضى والصراعات الدموية الداخلية التي كانت تتدلع كلما لاح لأحد الأمراء أمل بالتوصل إلى السلطة، أو كلما وجد الأمراء المحرومون من إنعامات السلطان أو الأتابك الكبير فرصة للانتقام. وهكذا فإن ما فعله منطاش من محاولة القضاء على الظاهرية واليلبغاوية والاعتماد فقط على أخصائه من الأشرفية كان سبباً في قيام حلف جديد ضده مؤلف من الظاهرية الجراكسة واليلبغاوية الأتراك، أضيف إليهم أعداد غفيرة من عامة الناس والتجار الذين كانوا يعانون من تدهور الوضع الاقتصادي وكثرة الضرائب والمكوس التي أعادها منطاش أو تلك التي استجدّها. وتجدد الإشارة هنا إلى =

ثم في ثالث شهر رمضان قَبِضَ منطاش على سُودون النائب وألزمه بمال يَحْمِلُهُ إلى خِزانتِهِ. وفيه شَدَّدَ الطلب على المماليك الظاهرية، وألزمَ سودون النائب المتقدم ذكره بحمل ستمائة ألف درهم كان أنعم عليه بها الملك الظاهر برقوق في أيام سلطنته.

ثم خَلَعَ على حسين بن الكوراني بعوده إلى ولاية القاهرة، وحرَّضه منطاش على المماليك الظاهرية.

ثم قَدِمَتِ الأمراء المطلوبون من البلاد الشامية، وخالع منطاش عليهم، وأنعم على كلِّ منهم بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية دَفْعَةً، ولم يَسْبِقْ لهم قبل ذلك أخذُ إمرة عشرة بديار مصر. وفيه ظَفِرَ منطاش بذهيرة كانت للملك الظاهر برقوق بجوار جامع الأزهر.

وفيه أفرج منطاش عن الأمير محمود بن علي الأستادار بعد ما أخذ منه جملةً كبيرة من المال ثم أمسك منطاش جماعةً من أعيان المماليك الظاهرية ممن كانوا ركبوا معه في أوائل أمره، وبهم كان أستفحل أمره، وأضافهم إلى مَنْ تقدّم من خشداشيّتهم، وحبس الجميع بأبراج قلعة الجبل، ولم يَرِقْ لأحد منهم.

قلت: لعله تمثّل بأبيات المتنبي: [الكامل]

لا يخذَعَنَّكَ من عدوك دمعُه وأرحمَ شبابك من عدو ترحمُ
لا يسلّمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ

وبينما منطاش في ذلك ورد عليه البريد بخروج الأمير نُعَيْرِ [بن حيار بن مهنا أمير العربان] عن الطاعة غضباً للناصري، وأنه آتفق هو وسولي بن دُلغادر ونهباً بلاداً كثيرة من الأعمال الحليّة، فلم يَلْتَفِتْ منطاش إلى ذلك وكتب لهما يستعطفهما على دخولهما تحت الطاعة.

= أن مثل هذه السياسة نفسها التي اتبعها منطاش كانت سبباً واضحاً وراء هزيمة برقوق الأولى أمام تحالف منطاش والناصري. وبهذا المعنى فإن التاريخ يعيد نفسه وتكرر الأحداث بتوفر الأسباب نفسها.

ثم بعد أيام ورد البريدُ أيضاً بخروج الأمير بزلار العُمري الناصري حسن نائب الشام عن «طاعة منطاش غَضباً للأمير يلغا الناصري، فكتبَ إليه أيضاً مكاتبة حَشَنَ له فيها.

ثم أخذ منطاش فيما يفعله في أمر دِمَشق وغيرها - على ما سيأتي ذكره - بعد أن يُقَعَدَ له قواعدٌ بمصر فبدأ منطاش في اليوم المذكور بالقبض على الطواشي صواب السُعدِي المعروف بِشَنَكَلٍ مقدّم المماليك السلطانية.

وخلع على الطواشي جَوْهر وأعادته لتقدمة المماليك. ثم أنعم على جماعة من حواشيه ومماليكه بإقطاعات كثيرة؛ وأنعم على جماعة منهم بتقدمة ألف، وهم: ولده الأمير ناصر الدين محمد بن منطاش، وهي أحسن التقادم، والأمير قطلوبغا الصَّفوي، وأسندمر بن يعقوب شاه، وتمان تمر الأشرفي، وأيدكار العمري، وأسندمر الشرفي رأس نوبة منطاش، وجنتمر الأشرفي، ومنكلي باي الأشرفي، وتُكا الأشرفي، ومنكلي بغا خازندار منطاش، وصراي تمر دوادار منطاش، وتَمرِبا الكريمي، وألطنبغا الحلبي، ومبارك شاه.

ثم أنعم على جماعة كبيرة بإمرة طبلخاناه، وعشرينات وعشرات؛ فممن أنعم عليه بإمرة طبلخاناه: الشريف بكتمر الحسني، وأبو بكر بن سُنقر الجمالي، ودمرداش القَشْتَمري، وعبد الرحمن بن منكلي بغا الشمسي على عادته أولاً، وجُلبان السعدي، وآروس بغا صلغيه، وإبراهيم بن طشتمر الدوادار، وسرِبغا الناصري، وتنكز الأعور الأشرفي، وصراي تمر الأشرفي، وأقبغا المنجكي، ومَلِكْتَمر المحمدي، وقرابغا السيفي، وقطلوبغا الزيني، وتَمرِبا المنجكي، وأرغون شاه السيفي، ومقبل السيفي منطاش أمير سلاح، وطبيرس السيفي رأس نوبة، وبيرم حجا الأشرفي، وألطنبغا الجربُغاوي، ومنجك الزيني، وبزلار الخليلي، ومحمد بن أسندمر العلائي، وطَشْبغا^(١) السيفي منطاش، وإلياس الأشرفي، وقطلوبغا السيفي، وشيخون الصرغتمشي، وجُلبان السيفي، وألطنبغا الطازي، وإسماعيل السيفي، وحسين بن الكوراني.

(١) في نزهة النفوس: «طاس بغا السيفي» وفي السلوك: «طاش بغا السيفي».

وأنعِم على كل مَمَّن يُذكَر بِإمَرة عَشرين، وهَم: غَريب الخَطائِي، وبِابِجِي^(١) الأَشْرَفِي، ومَنكَلِي بَغَا الجُوبَانِي، وقَرَابِغَا الأَحْمَدِي، وآق كَبِك السِيفِي، وفَرَج شَادُ الدَوَاوِين، ورمضان السيفي، ومحمد بن مغلطاي المسعودي والي مصر.

وأنعِم على كل مَمَّن يذكَر بِإمَرة عَشرة [وهَم]: صَلاح الدين مَحمد بن تَنكِزَ زيادة على ما بيده، وخَضِر بن عَمَر بن بَكْتَمَر السَاقِي، ومَحمد بن يونس الدَوَادَار، وَعَلِيّ الجَرَكْتَمُورِي؛ ومَحمد بن رَجَب بن مَحمد التَرَكْمَانِي، ومَحمد بن رَجَب بن جَنْتَمَر^(٢) بن عبد الغني، وجوهر الصلاحي، وإبراهيم بن يوسف برلغي، ولؤلؤ العَلائِي الطَواشِي، وتَنكِزَ العَثمَانِي، وصَراي تَمُر الشَرفِي الصَغِير، ومَنكَلِي بَغَا المَنجَكِي، وآق سَنقَر الأَشْرَفِي - رأيت أنا المذكَور فِي دَولة المَلِك الأَشْرَف بَرَسَبَاي فِي حُدُود سَنَة ثَلاثين وثمانمائة وقد شاخ - وجاركس القرابغاوي، وأسنبغا التاجي، وسَنقَر السِيفِي، وكَزَل الجُوبَانِي، وقَرَابِغَا الشَهَابِي، وبِك بلاط الأَشْرَفِي، وِبلِغَا التَرَكْمَانِي، وأَرنبِغَا الأَشْرَفِي، وحَاجِي الِبلِغَاوِي، وأَرغون الزيني، وِبلِغَا الزينِي، وتَمَر الأَشْرَفِي، وجَنبِغَا الشَرفِي، وجَقْمَق السِيفِي، وأَرغون شاه البِكَلْمَشِي، وَأَلْطُنْبِغَا الأَشْقَر، وصَراي السِيفِي، وَأَلْطُنْبِغَا الإِبْرَاهِيمِي، وآقَبِغَا الأَشْرَفِي، وَأَلْجِيبِغَا السِيفِي. إنْتَهَى.

ثم فِي خَامِس عَشر شَهر رَمضان نُودِي على الرُّعْر بالقَاهِرة ومَصر: مَن حَمَل مَنهُم سِيفاً أَوْ سَكِيناً أَوْ شَالِقَ بِحَجَرٍ وَسُط. وَحُرِّضَ الوَالِي عَلَيْهِم، فَقَطَع أَيْدِي سِتَة مَنهُم فِي يَومٍ وَاحِد.

وفِي يَوم عَشرين شَهر رَمضان وَرد البَرِيد بِأَن بَزَلَار نَائِب الشَّام مَسَكهُ الأَمِير جَنْتَمُر أَخُوطَاز، فَكَادَ مَنطَاش أَن يَطِيرَ مِنَ الفَرَح بِذَلِكَ، لِأَن بَزَلَار كَانَ مِنَ عَظْمَاء المَلُوك مَمَّن كَانَ المَلِك الظَّاهِر بَرَقُوق يَخَافُهُ، وَنَفَاهُ إِلَى الشَّام، فَوَافَقَ النَّاصِرِي، فَوَلَاهُ النَّاصِرِي نِيَابَةَ الشَّام دَفْعَةً وَاحِدَةً مَخَافَةً مَن شَرَّهُ؛ وَكَانَ مِنَ الشَّجَعَانِ حَسَب مَا يَأْتِي ذَكَرُهُ فِي الوَفِيَّات.

(١) فِي السُّلُوك: «بَابِجِي».

(٢) فِي السُّلُوك: «مَحمد بن مَنكوتَمَر عبد الغني» وَفِي نَزْهَةِ النُّفُوس: «مَحمد بن رَجَب مَنكوتَمَر عبد الغني».

ولمّا أن بلغ منطاش هذا الخبرُ قلع السلاح عنه وأمر أمراءه ومماليكه بقلع السلاح، فإنهم كانوا في هذه المدّة الطويلة لابسين السلاح في كلّ يوم. ثمّ في الحال قبض منطاش على جُمُوق بن أَيْتمش البجاسيّ وعلى بيرم العلّائي رأس نوبة أَيْتمش.

وفيه قَدِيم سيف^(١) الأمير بُزّار المقدّم ذكره. وكان من خبره أن منطاش لما أنتصر على الناصريّ وملك مصر أرسل إلى الأمير بُزّار المذكور بحضوره إلى مصر في ثلاثة سُروج لا غير على البريد، فأجابه بزّار: «لا أحضر إلا في ثلاثين ألف مقاتل»، وخاشنه في ردّ الجواب، وخرج عن طاعته؛ فخادعه منطاش حسب ما تقدّم ذكره، وكتب في الباطن للأمير جَتتمُر أخي طاز أتابك دِمَشق بنبابة دمشق إلى أن قبّض على بزّار المذكور، ثم سَيّر إليه التشرّيف بذلك. وكتب إليه أن محمد ابن بيّدمر يكون أتابك دِمَشق عوضه، وجبريل حاجب دِمَشق فلما بلغ جتتمر ذلك عرّف الأمراء المذكورين الخبر، واتفق مع جماعة آخر من أكابر أمراء دِمَشق وركبوا على بزّار المذكور على حين غفلة وواقعوه، فلم يثبت لهم، وأنكسر ومسيك وحُبس بقلعة دِمَشق. وأرسل جتتمر سيفه إلى منطاش، واستقرّ عوضه في نيابة دِمَشق، فسّر منطاش بذلك غاية السرور.

ولم يتمّ سروره، وقَدِم عليه الخبر بما هو أدهى وأمرّ، وهو خروج الملك الظاهر برقوق من سجن الكرك، وأنه استولى على مدينتها ووافقه نائبها الأمير حسام الدين حسن الكجكني، وقام بخدمته، و[أنه] قد حضر إلى الملك الظاهر برقوق ابنُ خاطر أمير بني عُقبة من عرب الكرك ودخل في طاعته؛ وقَدِم هذا الخبر من ابن باكيش نائب غزة. فلما سمع منطاش ذلك كاد يهلك، وأضطربت الديار المصرية، وكثرت القاتلة بين الناس، وأختلفت الأقاويل، وتشغّب الرُعر.

وكان من خبر الملك الظاهر برقوق أن منطاش لما وثب على الأمر^(٢) وأقهر

(١) كان هذا كناية عن هزيمة الأمير صاحب السيف أو مقتله.

(٢) في الأصل: «الأمير» وهو خطأ.

الأتابك يلبغا الناصري وحبسه وحبس عدّة من أكابر الأمراء، عاجلاً في أمر الملك الظاهر برقوق بأن بعث إليه شخصاً يُعرف بالشهاب البريدي ومعه كتبٌ للأمير حسام الدين الكجكني نائب الكرك وغيره بقتل الملك الظاهر برقوق من غير مراجعة، ووعده بأشياء غير نيابة الكرك.

وكان الشهاب البريديّ أصله من الكرك، وتزوج بنت قاضي الكرك القاضي عماد الدين أحمد بن عيسى المقيريّ الكركي. ثم وقع بين الشهاب المذكور وبين زوجته، فقام أبوها عليه حتى طلقها منه، وزوجها بغيره. وكان الشهاب مغرماً بها، فشقّ ذلك عليه، وخرج من الكرك، وقدم مصر، وصار بريدياً. وضرب الدهر ضرباته حتى كان من أمر منطاش ما كان، فاتصل به الشهاب المذكور ووعده أنه يتوجّه لقتل الملك الظاهر برقوق؛ فجهزه منطاش لذلك سراً، وكتب على يده إلى الأمير حسام الدين الكجكني نائب الكرك كتباً بذلك، وحثّه على القيام مع الشهاب المذكور على قتل برقوق، وأنه يُنزله بقلعة الكرك ويُسكّنه بها حتى يتوصّل لقتل الملك الظاهر برقوق.

وخرج الشهاب من مصر، ومضى إلى نحو الكرك على البريد حتى وصل قرية المقيريّ^(١) بلد صهره القاضي عماد الدين قاضي الكرك الذي أصله منها، فنزل بها الشهاب، ولم يكتُم ما في نفسه من الحقد على القاضي عماد الدين، وقال: «والله لأخربن دياره وأزيد في أحكار أملاكه وأملاك أقاربه بهذه القرية وغيرها». فاستوحش قلوبُ الناس وأقاربُ عماد الدين من هذه الكلام، وأرسلوا عرفوه بقصد الشهاب وما جاء بسببه قبل أن يصل الشهاب إلى الكرك ثم ركب الشهاب من المقيريّ وسار إلى الكرك حتى وصلها في الليل وبعث للنائب مَنْ يصيح به من تحت السور، فمنعوه من ذلك. وأحسّ الكجكني بالأمر، فلما أصبح أحضره إلى دار السعادة، وقرأ كتاب السلطان الذي على يده، وكتاب منطاش، ومضمونهما أمور أخر غير قتل الظاهر برقوق؛ فأمثل النائب ذلك بالسمع والطاعة.

(١) بلد قريب جداً من الكرك، كما جاء في نزهة النفوس.

فلَمَّا آنفَضَ الناسَ أخرجَ الشهابَ إليه كتابَ منطاش الذي بقتل برقوق؛ فأخذه الكجكني منه ليكون له حُجَّةٌ عند قتله السلطان برقوق، ووعده بقضاء الشغل وأنزل الشهابَ بمكان قلعة الكرك قريباً من الموضع الذي فيه الملك الظاهر برقوق، بعد أن أستأنس به ثم قام الكجكني من فوره ودخل إلى الملك الظاهر برقوق ومعه كتاب منطاش الذي بقتله، فأوقفه على الكتاب؛ فلَمَّا سمعه الملك الظاهر كاد أن يهلك من الجزع، فحلف له الكجكني بكل يمين أنه لا يسلمه لأحد ولو مات، وأنه يُطَلِّقه ويقوم معه؛ وما زال به حتى هدأ ما به، وطابت نفسه، وأطمأنَّ خاطره.

هذا وقد أشتهر في مدينة الكرك مجيء الشهاب بقتل الملك الظاهر برقوق، لخفة كانت في الشهاب المذكور وأخذ القاضي عماد الدين يخوف أهل الكرك عاقبة قتل الملك الظاهر برقوق وينفّرهم عن الشهاب حتى خافوه وأبغضوه وكان عماد الدين مطاعاً في أهل بلده، مسموع الكلمة عندهم، لِمَا كانوا يعهدون من عقله وحسن رأيه. ونُقِلَ الشهاب على أهل الكرك إلى الغاية، وأخذ الشهاب يُلحُّ على الأمير حُسام الدين نائب الكرك في قتل الملك الظاهر برقوق، وبقي النائب يُسوِّفُ به من وقت إلى وقت، ويُدافعه عن ذلك بكلِّ حجةٍ وعُذرٍ؛ فزاد الشهاب في القول حتى خاشنه في اللفظ، فعند ذلك قال له الكجكني: «هذا شيء لا أفعله بوجه من الوجوه حتى أكتبَ إلى مصر بما أعرفه وأسأل عن ذلك ممَّن أثقُ به من أصحابي من الأمراء».

ثم أرسل البريد إلى مصر بأنه لا يدخل في هذا الأمر، ولكن يحضر إليه من يتسلمه منه ويفعل فيه ما يُرْسَمُ له به. وكان في خدمة الملك الظاهر غلامٌ من أهل الكرك يُقال له عبد الرحمن، فنزل إلى جماعة في المدينة وأعلمهم أن الشهاب قد حضر لقتل أستاذه الملك الظاهر. فلَمَّا سمعوا ذلك اجتمعوا في الحال، وقصدوا القلعة وهجموها حتى دخلوا إلى الشهاب المذكور وهو بسكنه من قلعة الكرك، ووثبوا عليه وقتلوه، ثم جرّوه برجله إلى الباب الذي فيه الملك الظاهر برقوق. وكان نائب الكرك الكجكني عند الملك الظاهر، وقد ابتدأوا في الإفطار بعد أذان

المغرب، وهي ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة المقدم ذكرها، فلم يشعر الملك الظاهر والكجكني إلا وجماعة قد هجموا عليهم وهم يدعون للملك الظاهر بالنصر، وأخذوا الملك الظاهر بيده حتى أخرجوه من البرج الذي هوفيه، وقالوا له: «دُسْ بقدمك عند رأس عدوك»، وأرّوه الشهاب مقتولاً ثم نزلوا به إلى المدينة فدهش النائب ممّا رأى، ولم يجد بدأً من القيام في خدمة الملك الظاهر وتجهيزه وأنضمّ على الملك الظاهر أقوام الكرك وأجنادها، وتسامع به أهل البلاد، فأتوه من كلّ فجّ بالتقادم والخيول، كلّ واحد بحسب حاله وأخذ أمر الملك الظاهر برقوق من يوم ذلك في أستظهار على ما سيأتي ذكره^(١).

وأما أمر منطاش فإنه لما سمع هذا الخبر وتحقّقه علم أنه وقع في أمر عظيم، فأخذ في تدبير أحواله فأول ما ابتدأ بمسك الأمير قرقماس الطشتمري الخازندار وأحد أمراء الألو ف بديار مصر، وبمسك الأمير شاهين الصرغتمشي أمير آخور، وبمسك قطلوبك أستاذار الأتابك أيتمش البجاسي، وعلى جماعة كبيرة من المماليك الظاهرية، وتداول ذلك منه أياماً.

ثم أنعم منطاش على جماعة من الأمراء بأموال كثيرة، ورسم بسفر أربعة آلاف فارس إلى مدينة غزّة صحبة أربعة أمراء من مقدمي الألو ف بالديار المصرية، وهم: أسندمر اليوسفي، وقطلوبغا الصفوي، ومنكلي باي الأشرفي، وتمربغا الكريمي، وأنفق في كلّ أمير منهم مائة ألف درهم فضّة ثم عيّن منطاش مائة مملوك للسفر صحبة أمير الרכب إلى الحجاز وأستمرّ منطاش في عمل مصالجه، إلى أن كان يوم سابع شوال خلع السلطان الملك المنصور على الأمير منطاش المذكور، وفوض إليه تدبير الأمور، وصار أتابك العساكر كما كان يلبغا. أراد منطاش بذلك إعلام

(١) وزاد الجوهري في نزهة النفوس رواية أخرى وهي أنه «لما تحقّق الناصري زوال دولته كتب بإطلاق الملك الظاهر، ولما تحقّق منطاش الظفر والغلب كتب بقتل الظاهر؛ فسوق قاصد الإفراج قبل قاصد القتل بشيء يسير. فلما ورد المرسوم من منطاش بالقتل لم يلتفتوا إليه وقتلوا قاصده».

وذكر ابن دقماق في الجواهر الثمين أن الكركيين لما «أخرجوا السلطان برقوق بايعوه يوم الثلاثاء تاسع رمضان، فحكم بالكرك، وتسامع به الناس والعربان وهرب إليه جماعة من مماليكه».

الناس أنه ليس له غرض في السلطنة، وأنه في طاعة الملك المنصور ابن أستاذه. ثم خلع الملك المنصور أيضاً على الأمير قطلوبغا الصَّفويّ المقدم ذكره في الأربعة أمراء المعينين للسفر باستقراره أمير سلاح، وعلى تمان تمر الأشرفيّ باستقراره رأس نوبة النوب، وعلى أسندمر بن يعقوب شاه أمير مجلس، وعلى الطنبغا الحلبي دوادراً كبيراً، وعلى نُكا الأشرفيّ رأس نوبة ثانياً بتقدمة ألف، وعلى إلياس الأشرفيّ أمير آخور بإمرة طبلخاناه، وعلى أرغون شاه السيفي رأس نوبة ثالثاً بإمرة طبلخاناه، وعلى تمرغا المنجكي رأس نوبة رابعاً بإمرة طبلخاناه، وعلى قطلوبغا الأَرغونيّ أستاذاراً، وعلى جَقْمَق شادّ الشراب خاناه ثم خلع على تمان تمر رأس نوبة بنظر البيمارستان المنصوري، وعلى الطنبغا الحلبي الدوادار الكبير بنظر الأحباس. ثم بطل أمر التجريدة المعينة إلى غزة خوفاً من المماليك لثلا يذهبوا للملك الظاهر برقوق.

ثم في تاسع شوال خلع على الأمير أيديكار باستقراره حاجب الحُجّاب، وعلى أمير حاج بن مغلطاي حاجباً ثانياً بتقدمة ألف.

وفيه سَمَّر منطاش أربعةً من الأمراء، وهم: سودُون الرماح أمير عشرة ورأس نوبة، والطنبغا أمير عشرة أيضاً، وأميران من الشام، ووَسَطُوا بسوق الخيل في عاشره لميلهم إلى الملك الظاهر برقوق.

ثم أخلع منطاش على تَنكِز الأعور باستقراره في نيابة حماة عوضاً عن طُغاي تمر القبلاوي.

وفيه^(١) حُمِل جهاز خَوْنَد بنت الملك الأشرف شعبان أخت الملك المنصور هذا لُتْرِفَ على الأمير الكبير منطاش، وكان [الجهاز] على خمسمائة جمل وعشرة قُطْر بغال ومشى الحجاب وغالب الأمراء أمام الجهاز، فخلع عليهم منطاش الخلع السنيّة وبنى بها من ليلته، بعد أن أهتمّ بالعُرس آهتاماً زائداً وعندما رُفَت إليه علق

(١) في السلوك ونزهة النفوس: «في ثاني عشر شوال».

منطاش على شَرْبُوشها^(١) ديناراً زنته مائتا مثقال، ثم ثاني مرّة ديناراً زنته مائة مثقال، وفتح للقصر باباً من الإسطبل بسبب ذلك بجوار باب السرّ، هذا مع ما كان منطاش فيه من شغل السرّ من اضطراب المملكة بعد مسكه الناصريّ وغيره.

وفيه أخرج [منطاش] عدّة من المماليك الظاهريّة إلى قوص وبينما منطاش في ذلك قدم عليه الخبر بأن الأمراء المقيمين بمدينة قوص من المنفيين قبل تاريخه خرجوا عن الطاعة، وقبضوا على والي قوص وحبسوه، وأستولوا على مدينة قوص، وأنضم عليهم جماعة كبيرة من عصاة العُربان؛ فندب منطاش لقتالهم ترمبغا الناصري، ويبرم حَجَا، وأروس بُغا من أمراء الطبلخانة في عدّة مماليك.

ثم قدّم الخبر بأن الأمير كَمَشْبغا الحموي اليلبغاوي نائب حلب خرج عن الطاعة، وأنه قبض على جماعة من أمراء حلب بعد أن حارب إبراهيم بن قُطْلَقْتَمَر الخازندار، وقبض عليه ووسّطه هو وشهاب الدين أحمد بن أبي الرضا قاضي قضاة حلب الشافعي، بعد أن قاتلوه ومعهم أهل بانقوسا^(٢)، فلما ظفر بهم كمشبغا المذكور قتل منهم عدّة كبيرة.

قلت: وإبراهيم بن قُطْلَقْتَمَر هذا هو صاحب الواقعة مع الملك الظاهر بقوق لما اتفق مع الخليفة هو وقُوط الكاشف على قتل الملك الظاهر، وقبض عليهما الظاهر، وعزل الخليفة وحبسه سنين، وقد تقدّم ذكر ذلك كله؛ وهو الذي أنعم عليه منطاش في أوائل أمره بإمرة مائة وتقدمة ألف بمصر، وجعله أمير مجلس عوضاً عن أحمد بن يلغا، ثم أخرجه بعد أيام من مصر خوفاً من شرّه إلى حلب على إمرة مائة وتقدمة ألف، فدام بها إلى أن كانت منيته على يد كمشبغا هذا.

ثم قدّم الخبر على منطاش بأن الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة

(١) الشربوش: قلنسوة طويلة مثلثة الشكل تشبه التاج، تجعل على الرأس بغير عمامة. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ١٩٧).

(٢) من قرى حلب. سميت باسم جبل بانقوسا القائم في ظاهر حلب من جهة الشمال. (معجم البلدان) وقال ابن الشحنة في الدرّ المنتخب: إنها حارة كبيرة ظاهر حلب من جهة الشرق والشمال، بها جوامع ومساجد وحمامات وأسواق وخانات، وهي الآن (أي زمن المؤلف المتوفى سنة ٥٨٩٠هـ) بندر عظيم.

جمع العشران^(١) وسار لمحاربة الملك الظاهر برقوق، فسّر منطاش بذلك.

وفي اليوم^(٢) وردّ عليه الحبرُ أيضاً بقوة شوكة الأمراء الخارجين عن طاعته ببلاد الصعيد، فأخرج منطاش في الحال الأمير أسندمر بن يعقوب شاه أمير مجلس في نحو خمسمائة فارس نجدة لمن تقدّمه من الأمراء إلى بلاد الصعيد فسار أسندمر بمن معه في ثالث عشرينه؛ وفي يوم مسيره ورد البريدُ من بلاد الصعيد باتفاق ولاية الصعيد مع الأمراء المذكورين.

وكان من خبرهم أنه لما استقر أبو درقة في ولاية أسوان سار إلى ابن قُوط، واتفق معه على المخامرة، وسار معه إلى قوص، وأفرج عن بها من الأمراء المقدم ذكرهم. وكان عدّة الأمراء الذين بقوص زيادة على ثلاثين أميراً، وعدّة كبيرة من المماليك السلطانية الظاهرية فلما بلغ خبرهم الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلي اجتمع معه أيضاً نحو ثلاثمائة مملوك من الظاهرية واتفقوا على المخامرة أيضاً واستمال مبارك شاه عرب هواره وعرب ابن الأحذب، فوافقوه، وأستولوا على البلاد فلما خرجت تجريدة منطاش الأولى لهم انتهت إلى أسيوط، فقبض عليهم مبارك شاه المذكور، وأفرج عنّ كان معهم من المماليك الظاهرية فلما بلغ منطاش ذلك أخرج أسندمر بن يعقوب شاه كما تقدّم ذكره، وسار إليهم من الشرق، وتوجّه إلى جهة الصعيد بمن معه، فلقّيه الخارجون عن الطاعة، فواقعهم أسندمر بمن معه، فكسروه، فرسم منطاش بخروج نجدة لهم من الأمراء والمماليك وأجناد الحلقة وبينما هو في تجهيز أمرهم جاء الخبرُ أن أسندمر واقع مبارك شاه ثانياً وكسره، وقبض عليه، وأرسله إلى منطاش، فقديم مقيداً، فرسم منطاش بحبسه في خزانة شمائل.

ثمّ في يوم سابع عشرينه عين منطاش تجريدة إلى جهة الكرك، فيها أربعة وقيل خمسة أمراء من مقدّمي الألوف، وثلاثمائة مملوك ثم أخرج منطاش الأمير بلوط الصرغتمشي والأمير غريب لكشف أخبار الملك الظاهر برقوق بالكرك.

(١) المراد عشائر العربان. ويستعمل المؤلف أيضاً لفظ «العشير» للدلالة على العشائر من العربان.

(٢) أي في الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ٥٧٩١هـ، كما في نزهة النفوس والسلوك.

وأما الملك الظاهر برقوق فإنه لما أنزله عوام الكرك من قلعته إلى المدينة وقاموا في خدمته، وأتته العربان، وصار في طائفة كبيرة، ووافقه أيضاً أكابر أهل الكرك، قويت^(١) شوكته بهم، وعزم على الخروج من الكرك، وبرز أنقاله إلى ظاهر الكرك فاجتمع عند ذلك أعيان الكرك عند القاضي عماد الدين أحمد بن عيسى المقيرري قاضي الكرك وكلموه في القيام على الملك الظاهر برقوق مراعاة للملك المنصور حاجي، وللأمير منطاش، واتفقوا على قبضه وإعلام أهل مصر بذلك، وأنهم يعتذرون لمنطاش أنه لم يخرج من حبسه بالكرك إلا باجتماع السفهاء من أهل الكرك، ليكون ذلك عذراً لهم عند السلطان وبعثوا ناصر الدين محمداً أخا القاضي عماد الدين المذكور، فأغلق باب المدينة، وبقي الملك الظاهر برقوق داخل المدينة، وحيل بينه وبين أنقاله ومعظم أصحابه.

فلما قام الملك الظاهر برقوق ليركب فرسه بلغه ذلك وكان القاضي علاء الدين عليّ كاتب سر الكرك، وهو أخو القاضي عماد الدين، يكتب للملك الظاهر في مدة خروجه من حبس الكرك، وبالغ في خدمته، وأنضمّ عليه؛ فلما رأى ما نزل بالملك الظاهر، وبلغه اتفاق أهل المدينة مع أخيه القاضي عماد الدين على القبض على الملك الظاهر برقوق، أعلم الملك الظاهر بذلك، وقوى قلبه، وحرّضه على السير إلى باب المدينة فركب معه برقوق، وسار حتى وصل إلى الباب، فوجده مغلقاً وأخوه ناصر الدين قائم عند الباب، كما أمره أخوه عماد الدين قاضي الكرك؛ فما زال علاء الدين بأخيه ناصر الدين المذكور حتى فتح له الباب، وخرج بالملك الظاهر منه ولحق ببقية أصحابه ومماليكه الذين كانوا حضروا إليه من البلاد الشامية فأقام الملك الظاهر بالثنية^(٢) خارج الكرك يوماً واحداً، وسار من الغد في يوم ثاني عشرين شوال إلى نحو دمشق، ونائبها يوم ذاك جتتمر أخو طاز، وقد وصل إليه الأمير الطنبغا الحلبي من مصر نائباً بحلب عوضاً عن الأمير كمشبغا الحموي، فاستعدوا لقتال الملك الظاهر، ومعهما أيضاً حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة بعساكرها.

(١) في الأصل: «فقوي».

(٢) في الأصل: «الثنية» بالتاء المثناة. وما أثبتناه عن السلوك.

ثم أقبل الملك الظاهر برقوق بمن معه، فالتقوا على شَقَبٍ قريباً من دمشق، واقتتلوا قتالاً شديداً، كسروا فيه الملك الظاهر غير مرّة، وهو يعود إليهم ويقاتلهم إلى أن كسرهم، وأنهمزوا إلى دمشق، وقتل منهم ما يزيد على الألف - قاله المقرئزي - فيهم خمسة عشر أميراً وقُتِل من أصحاب الملك الظاهر ستون نفساً، ومن أمرائه سبعة نفر؛ فهي أعظم وقعة كانت للملك الظاهر برقوق في عمره.

وركب الملك الظاهر أفضية الشاميين إلى دمشق، فامتنع جَنَتمر بقلعة دمشق وتوجّه من أمراء دمشق ستة وثلاثون أميراً، ونحو ثلاثمائة وخمسين فارساً، وقد أُثخِنُوا بالجراحات، ومعهم نائب صفد، وقصدوا الديار المصرية.

فلم يمض غير يوم واحد حتى عاد ابنُ باكيش نائب غَزّة بجماعة كبيرة من العُربان والعشير لقتال الملك الظاهر وبلغ الملك الظاهر ذلك فأرسل الوالد وقلمطاي لكشف الخبر، فعادا إليه بسرعة بحضور ابن باكيش؛ فركب الملك الظاهر في الحال وخرج إليه وألتقى معه وقاتله حتى كسره، وأخذ جميع ما كان معه من الأثقال والخيول والسلاح، فتقوى الملك الظاهر بذلك وأتاه عدة كبيرة من ممالিকে الذين كانوا بالبلاد الشامية في خدمة أمراء الشام، ثم دخل في طاعته الأمير جبريل حاجب حجاب دمشق، وأمير على بن أسندمر الزيّني، وجَقَمَق الصفويّ، ومُقْبِل الرومي، وصاروا من جملة عسكره فعند ذلك ركب الملك الظاهر إلى دمشق، وحصرها وأحرق القُبيبات وأخربها، فهلك في الحريق خلق كبير. وأخذ أهل دمشق في قتال الملك الظاهر برقوق، وأفحشوا في أمره بالسب والتوبيخ، وهو لا يفتر عن قتالهم؛ وبينما هو في ذلك أتاه المدد من الأمير كمشبغا الحمويّ نائب حلب، ومن جملة المدد ثمانون مملوكاً من المماليك الظاهرية البرقوقية فلما بلغ جنتمر مجيئهم أخرج إليهم من دمشق خمسمائة فارس ليُحْلُوا^(١) بينهم وبين الملك الظاهر، فقاتلتهم المماليك الظاهرية وكسرتهم، وأخذوا جميع ما كان معهم، وأتوا بهم إلى أستاذهم الملك الظاهر، ففرح بهم غاية الفرح.

(١) في الأصل: «ليحلو».

قال الوالد: فعند ذلك قوي أمرنا وأستفحل. وأستمروا على حصار دمشق؛ وبينما هم في ذلك، وإذا بُعِثَ قد أقبل في عربانه يريد قتال الملك الظاهر برقوق، فخرج الملك الظاهر وقاتله فكسره، واستولى على جميع ما كان معه. فقوي الملك الظاهر بما صار إليه من هذه الوقائع من الخيل والسلاح، وصار له برك كبير بعد ما كان معه خيمة صغيرة لا غير، وكانت مماليكه في أخصاص، وكل منهم هو الذي يخدم فرسه بنفسه، والآن فقد صاروا بالخيم والسلاح والغلمان هذا وممالك الملك الظاهر يتداول مجيئهم إليه شيئاً بعد شيء ممن كان نفاهم الناصري ومنطاش إلى البلاد الشامية.

ووصل الخبر بهذه الوقائع كلها إلى منطاش في خامس عشر ذي القعدة، فقامت قيامة منطاش لما سمع هذه الأخبار. وأخذ [منطاش] في تجهيز الملك المنصور حاجي للسفر لبلاد الشام لقتال الملك الظاهر برقوق، وأمر الوزير موقق الدين بتجهيز ما يحتاج إليه السلطان، فلم يجد في الخزانة ما يُجهز به السلطان، واعتذر بأن المال أنتهب وتفرق في هذه الوقائع، فقبل عذره. وسأل منطاش قاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي، وكان ولأه قضاء القضاة قبل تاريخه بمدة يسيرة بعد عزل ناصر الدين آبن بنت الميلىق، وقال له: «أقرضني مال الأيتام»، وكانت إذ ذاك أموالاً كثيرة، فأمتنع المناوي من ذلك، ووعظه، فلم يؤثر فيه الوعظ، وختم على جميع مال الأيتام. ثم رسم منطاش لحاجب الحجاب ولناصر الدين محمد بن قرطاي نقيب الجيش بفرقة النقباء على أجناد الحلقة، وحثهم على التجهيز للسفر وبينما هم في ذلك قدم عليه الخبر بكسرة آبن باكيش نائب غزة ثانياً من الملك الظاهر برقوق، وأخذ الملك الظاهر ما كان معه، فاشتد عند ذلك الاضطراب وكثر الإرجاف ووقع الاهتمام بالسفر، وأزعج أجناد الحلقة. وأستدعى منطاش الخليفة المتوكل على الله والقضاة، والشيخ سراج الدين عمر البلقيني، وأعيان الفقهاء، ورتبوا صورة فتياً في أمر الملك الظاهر برقوق، وأنفصوا من غير شيء.

وفي اليوم ورد على منطاش [خبر] واقعة صَفَد وكان من خبرها أن مملوكاً من

ممالك الملك الظاهر برقوق يقال له يَلْبُغا السالمي كان أسلمه الظاهر إلى الطواشي بهادر الشهابي مقدّم الممالك، فرباه بهادر ورّبه خازن داره. وآسَتمر على ذلك إلى أن نَفَى الملك الظاهر بهادر إلى البلاد الشامية، فصار يَلْبُغا السالمي المذكور عند صواب السعدي شُكُل، لَمَّا آسَتمر مقدّم الممالك بعد بهادر المذكور، وصار دواداره الصغير فلما قَبَضَ الناصريّ على شُكُل المذكور، خَدَمَ يلبغا السالمي هذا عند الأمير قُطْلُوبُك النظامي نائب صفد، وصار دواداره وسار مع أهل صفد سيرة حميدة، إلى أن قدم إلى صفد خبير الملك الظاهر برقوق، وخروجه من حبس الكرك، جمع النظامي عسكر صفد ليتوجّه بهم إلى نائب دمشق نجدة على الظاهر، وأبقى يلبغا السالمي بالمدينة، فقام يلبغا السالمي في طائفة من الممالك الذين آسَتمالهم، وأفرج عن الأمير إينال اليوسفي نائب حلب كان، وعن الأمير قَجْمَاس ابن عم السلطان الملك الظاهر برقوق، ونحو المائتين من الممالك الظاهرية من سجن صفد، ونادى بشعار الملك الظاهر برقوق، وأراد القَبْضَ على الأمير قُطْلُوبُك النظامي فلم يثبت النظامي، وفرّ في مملوكين؛ فأستولى السالمي ومنّ معه على مدينة صفد وقلعتها، وصار الأمير إينال اليوسفي هو القائم بمدينة صفد، والسالمي في خدمته، وأرسلوا إلى الملك الظاهر بذلك. وكان هذا الخبر من أعظم الأمور على منطاش، وزاد قلقه، وكثرت مقالة الناس في أمر الملك الظاهر، ثم تواترت الأخبار بأمر الملك الظاهر.

وفي حادي عشرينه ورد الخبر على منطاش بوصول نائب غزة حُسام الدين بن باكيش، وصحبته الأمير قُطْلُوبُك النظامي نائب صفد المقدّم ذكره، والأمير محمد ابن يَبْدَمَر أتابك دمشق، وخمسة وثلاثون أميراً من أمراء دمشق، وجمّع كبير - من الأجناد هُزِمُوا جميع من الملك الظاهر برقوق، وقدموا إلى القاهرة وهم الذين قاتلوا برقوقاً مع جَنَتمر نائب الشام، وقد تقدّم ذكر الواقعة - فرسم منطاش بدخولهم القاهرة.

وفي هذا اليوم أستدعى منطاش الخليفة المتوكل على الله والقضاة والعلماء بسبب الفُتيا في الملك الظاهر برقوق وفي قتاله، فكتب ناصر الدين الصالحي موقع

الحُكْمُ قُتِيَا فِي الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقٍ تَتَضَمَّنُ [السُّؤَالُ] (١) عَنْ رَجُلٍ خَلَعَ الْخَلِيفَةَ وَالسُّلْطَانَ، وَقَتَلَ شَرِيفًا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ وَهُوَ مُحَرَّمٌ، يَعْنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنَ عَجْلَانَ صَاحِبِ مَكَّةَ، وَاسْتَحْلَ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ وَقَتَلَ الْأَنْفُسَ، وَأَشْيَاءَ غَيْرَ ذَلِكَ ثُمَّ جَعَلَ الْفُتْيَا عَشْرَ نَسَخٍ، فَكُتِبَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْقَضَاةِ.

ثم رسم منطاش بفتح سجن قديم بقلعة الجبل كان قد آرتدم وسجن فيه عدّة من المماليك الظاهرية المقبوض عليهم قبل تاريخه.

ثم وجد منطاش ذخيرة بالقاهرة للأمير جركس الخليلي في بيت جمال الدين (٢) أستاذه، فيها خمسمائة ألف درهم، ونحو خمسين ألف دينار (٣)، فأخذها منطاش، ثم أخذ أيضاً من مال ابن جركس الخليلي نحو ثلاثمائة ألف دينار مصرية.

[وفيه] دخل الأمراء المنهزمون من الشام إلى القاهرة، وهم: قُطْلُوبُكُ النَّظَامِي نَائِبُ صَفَدٍ، وَتَنْكُزُ الْأَعُورِ نَائِبُ حِمَاةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي دَمْرٍ أُنَابِكُ دِمَشْقَ، وَيَلْبَغَا الْعَلَائِي أَحَدُ مَقْدَمِي دِمَشْقَ، وَأَقْبَايُ الْأَشْرَفِي نَائِبُ قَلْعَةِ الرُّومِ (٤). وَمِنَ الطَّبَلْخَانَاتِ: دَمْرِدَاشُ الْأَطْرُوشِ وَالِي الْوَلَاةِ، وَأَحْمَدُ بْنُ تَنْكُزٍ، وَجُوبَانُ (٥) الْخَاصِكِي الْأَشْرَفِي، وَقُطْلُوبُكُ جَنْجَقُ (٦)، وَخَيْرِيكُ (٧). وَمِنَ الْعَشْرِينَاتِ آقْبَغَا الْوَزِيرِي، وَأَزْدَمُرُ الْقَشْتَمَرِي، وَقَنْقُ الزَّيْنِي، وَمَنْكَلِي بَغَا النَّاصِرِي، وَأَقْبَغَا الْإِيْنَالِي،

(١) زيادة عن السلوك.

(٢) في السلوك ونزهة النفوس: «عماد الدين إسماعيل بن المشرف أستاذ جركس الخليلي».

(٣) في السلوك والنزهة: «فيها ستمائة ألف درهم ونحو الخمسين ألف دينار».

(٤) في السلوك ونزهة النفوس: «نائب قلعة المسلمين وقلعة الروم: كانت من قلاع حلب، وكانت مقراً لخليفة الأرمن. افتتحها الملك الأشرف خليل بن قلاوون وسماها قلعة المسلمين. (التعريف بالمصطلح

الشريف: ص ٢٣٢.

(٥) في الأصل: «وجوبك». وما أثبتناه عن السلوك والنزهة.

(٦) في السلوك: «قطلوبغا ججق» وفي النزهة: «قطلوبغا ججق».

(٧) في السلوك والنزهة: «وجبرائيل».

وأحمد بن ياقوت^(١) ومن العشرات: أسنبغا^(٢) العلائي، وطغاي تمر الأشرفي، ومصطفى البيدُمري، وقرابغا السيفي من أمراء صفد، وتغري برمش الأشرفي، ومنجك الخاصكي، وقجقار السيفي^(٢).

ومن أمراء حماة: جنتمر الإسعدي، وألطنبغا المارديني، وبكلمش الأرخوني القرمي، وأسنبغا الأشرفي، وحسين الأيتشي ومن الممالك عدّة مائتين وعشرين نفرًا.

وفي يوم قدم هؤلاء أفرج منطاش عن الأمير قرقماس الطشتمري، واستقر خازنداراً على عادته، وعن شيخ الصفوي الخاصكي، وعن أرغون السلامي، وبلبغا اليوسفي، ونزلوا إلى دورهم.

ثم نُودي بأمر منطاش أن الفقهاء والكتّاب لا يركب أحد منهم فرساً، وأن الكُتّاب الكبار يركبون البغال.

ثم رسم بأخذ أكاديش الحمالين وخيل الطواحين الجياد، ورسم بتبّع الممالك الجراكسة، فطلبهم حسين بن الكوراني وأخذهم من كل موضع.

ثم رسم منطاش بتخشيب الممالك الظاهرية المسجونين بقلعة الجبل في أيديهم وأرجلهم.

ثم في حادي عشرينه اجتمع الأمراء وأهل الدولة مع الأمير منطاش وأتفقوا على استبداد السلطان الملك المنصور حاجي بالأمر، وأثبتوا رُشدَه بحضرة القضاة والخليفة، فرسم السلطان بتعليق الجاليش على الطبلخاناه ليعلم الناس بسفر السلطان إلى الشام لقتال الملك الظاهر برقوق.

ثم أحضر منطاش نسخَ الفَتَوَى في الملك الظاهر برقوق، وقد أُزِيدَ فيها: «وَأَسْتَعَانَ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ بِالْكَفَّارِ»، وحضر الخليفة المتوكّل على الله، والقضاة

(١) كذا أيضاً في نزهة النفوس. وفي السلوك: «أحمد بن ياقوت».

(٢) جاء السياق في السلوك على النحو التالي: «... ومن أمراء صفد: تغري بردي الأشرفي، ومنجك الخاصكي، وقجقار السيفي».

الأربعة، والشيخ سراج الدين عمر البلقيني، وولده جلال الدين عبد الرحمن قاضي العسكر، وآبن خلدون المالكي، وآبن الملقن، وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء، وجماعة أخرى؛ فحضر الجميع بحضرة السلطان الملك المنصور بالقصر الأبلق^(١) وقُدِّمت إليهم الفتوى فكتبوا عليها بأجمعهم كتابة شنيعة^(٢) على قدر النهي، وأنصرفوا إلى منازلهم.

ثم نُودي على أجناد الحلقة للعرض، وهُدِّدَ مَنْ تأخر منهم. وكتب لعرب البحيرة بالحضور للسفر مع السلطان إلى الشام.

ثم خلع منطاش على أمير حاج بن مغطاي الحاجب باستقراره أستاذاراً. ثم أنعم السلطان على الأمراء القادمين من الشام لكل أمير مائة ومقدم ألف بفرس بقماش ذهب، ولمن عداهم بأقبية، ورتب لهم اللحم والجامكيات والعليق، وأخذ منطاش يستعطفهم بكل ما تصل إليه القدرة.

وفي سابع عشرينه أخلت خزانة الخاص بالقلعة وسُدَّتْ شبابيكها وبابها وفُتِحَ من سقفها طاقة، وعُملت سجنًا للمماليك الظاهرية.

ثم في يوم السبت أول ذي الحجة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة قدم الخبير على منطاش من الصعيد بأن العسكر الذي مع أسندمر بن يعقوب شاه واقع الأمراء الظاهرية بمدينة قوص وكسرهم وقبض عليهم، فسر منطاش بذلك، وخفَّ عنه بعض الأمر، ودقَّتْ البشائر لذلك ثلاثة أيام.

وفيه أنفق منطاش على الأمراء نفقة السفر، فأعطى لكل أمير من أمراء الألف مائة ألف درهم فضة، وأعطى لكل أمير من أمراء الطبليخانات خمسين ألف درهم فضة. ثم أمر منطاش بسدِّ باب^(٣) الفرج أحد أبواب القاهرة وخوخة أيدغمش.

(١) القصر الأبلق: أحد قصور القلعة، بناه السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٥٧١٣هـ. (خطط القريري: ٢٠٩/٢).

(٢) عبارة السلوك: «فكتبوا عليها بأجمعهم وانصرفوا». وعبارة النزهة: فكتب الحاضرون بأجمعهم عليها ما يقتضيه الشرع وانصرفوا إلى منازلهم.

(٣) هو أحد الأبواب الثلاثة التي في الجهة الغربية من القاهرة. (انظر خطط القريري: ٣٨٠/١).

ثم قبض منطاش على متى بطرك النصارى وألزمه بمال، وعلى رئيس اليهود وألزمه أيضاً بمال. فقرّر على البطرك مائة ألف درهم، وعلى رئيس اليهود خمسين ألف درهم.

ثم طلب منطاش الشيخ شمس الدين محمد الرُّكراكي المالكي وألزمه بالكتابة على الفتوى في أمر الملك الظاهر برقوق، فامتنع من الكتابة غاية الامتناع، فضربه منطاش مائة عصاة وسَجَنَه بالإسْطبل.

ثم في خامس عشر ذي الحجة برز الأمراء الشاميون من القاهرة إلى ظاهرها للتوجه إلى الشام أمام العسكر السلطاني. وفيه قبض منطاش على الخليفة المخلوع من الخلافة زكريا، وأخذ منه العهد الذي عهدَه إليه أبوه بالخلافة، وأشهد عليه أنه لا حقَّ له في الخلافة.

ثم قَدِمَت الأمراء ما خلا أسندمر بن يعقوب شاه من تجريدة الصعيد ومعهم المماليك الظاهرية الذين كانوا خرجوا عن الطاعة بقوص مقيدين، فخلع منطاش على الأمراء، وأخذ المماليك وغرَّق منهم جماعة في النيل ليلاً، وأُخْرِجَ بستة من الجب بالقلعة موتى خنقاً.

ثم قدم الأمير أسندمر بن يعقوب شاه من بلاد الصعيد ومعه الأمراء الخارجون عن الطاعة وهم: الأمير تَمْرَباي الحسني، وقربغا الأبوبكري، وبُجْمان المحمدي، ومنكلي الشمسي، وفارس الصرغتمشي، وتمربغا المنجكي، وطوجي الحسني، وقرمان المنجكي، وبيبرس التمان تمري، وقراسك السيفي، وأرسلان اللِّفاف، ومقبل الرومي، وطغاي تمر الجركتمري، وجرباش التمان تمري الشخي، وبغداد الأحمدي، ويونس الإسعدي، وأردبغا العثماني، وتنكرز العثماني، وبلاط المنجكي، وقربغا المحمدي، وعيسى التركماني، وقراجا السيفي، وكمشباغ اليوسفي، وأقبغا حطب، وبك بلاط، فأوقفوا الجميع بين يدي السلطان ومنطاش زماناً، ثم أمر بهم فحبسوا. وأفرج عن جماعة: منهم الأمير قنق باي الألباني اللالا، وأقبغا السيفي، وتمرباي الأشرفي، وفارس الصرغتمشي وخلع عليهم. ثم سَجَنَ منطاش بخزانة

شمائل وخزانة الخاص التي سُدَّ بأبها قبل تاريخه الأمير محمود بن علي الاستادار، وأقبغا المارديني، وآيدمر أبوزلطة، وشاهين الصرغتمشي أمير آخور، وجمق بن أيتمش البجاسي، وبطا الطولو تمرى الظاهري، وبهادر الأعسر، وعدة كبيرة من الأمراء والمماليك الظاهرية.

وفيه أُلزم منطاش سائر مباشري الديوان السلطاني وجميع الدواوين بأن يحمل كل واحد خمسمائة درهم وفرساً، وقرّر ذلك على الوظائف لا على الأشخاص، حتى من كان له عشرة وظائف في عدة دواوين يحمل عن كل وظيفة خمسمائة درهم وفرساً، فنزل بالناس ما لم يعهدوه، فتوزّعوا ذلك فجاء جملة الخيل التي أخذت من المباشرين خيلاً وعيناً ألف فرس.

ثم أحضر منطاش من أُلزم من أجناد الحلقة للسفر فأعفاهم، على أن يُحضِر كلُّ منهم فرساً جيداً؛ فأحضروا خيولهم، فأخذ جياها، وردّ ما عداها.

ثم أُلزم منطاش رؤوس نوب الحجاب وغيرها بحمل كل واحد منهم خمسة^(١) الآف درهم وعدتهم أربعة.^(٢)

وفي يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة نزل السلطان الملك المنصور حاجي من قلعة الجبل ومعه الأمير الكبير منطاش وتوجّها بالعساكر إلى الريدانية خارج القاهرة بتجمل عظيم إلى الغاية.

فلما نزل بالمخيم استدعى منطاش قاضي القضاة صدر الدين محمد المنأوي الشافعي إلى الريدانية وألزمه بالسفر معه إلى الشام، فأمتنع من ذلك وسأل الأعفاء فأعفي. وخلع على قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء بأستقراره عوضه في قضاء ديار مصر على أن يُعطي مال الأيتام ويُعطي من ماله مائة ألف درهم أخرى فضة، وخلع عليه، ودخل القاهرة من باب النصر بالتشريف.

(١) كذا أيضاً في النزهة. وفي السلوك: «خمسين ألف درهم».

(٢) وزاد في السلوك: «ثم استقرّ على كل واحد أربعة عشر ألف درهم، وأفرج عنه».

قلت: هذا هو الكريم الذي تكرم بماله ودينه.

ثم رسم منطاش بحبس الخليفة زكرياء والأمير سُودون الشيخوني النائب بقاعة الفضة من القلعة.

ثم نزل الوزير موفق الدين أبو الفرج وناصر الدين [محمد بن] (١) الحسام [شاد الدواوين] إلى خان (٢) مسرور بالقاهرة حيث هو مودع مال الأيتام، وأخذ منه بأمر منطاش ثلاثمائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بالقاهرة أن يحصل تمة خمسمائة ألف درهم. وألزم أمين الحكم بمصر (٣) أن يحمل مائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بالحسينية أن يحمل مائة ألف درهم قرصاً، كل ذلك حسب إذن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء.

وفيه استدعى منطاش القضاة إلى الريدانية بكرة، فأجلسوا بغير أكل إلى قريب العصر، ثم طُلبوا إلى عند السلطان، فعقدوا عقده على بنت الأمير أحمد ابن السلطان حسن بصداق مبلغه ألف دينار وعشرون ألف درهم.

وعقدوا أيضاً عقد الأمير قطلوبغا الصفوي على ابنة الأمير أيدير الدوادار.

وفي ثاني عشرينه رحل الأمير الكبير منطاش في عدة الأمراء جاليشاً (٤) للسلطان، ثم رحل السلطان الملك المنصور والخليفة والقضاة وبقية العساكر، بعد أن أقيم نائب الغيبة بالقلعة الأمير تكا الأشرفي ومعه الأمير دمرداش القشتمري، وأقيم بالإسطنبول (٥) السلطاني الأمير صراي تمر، وبالقاهرة الأمير قطلوبغا الحاجب،

(١) في الأصل: «ناصر الدين أبي الحسام» والتصحيح والزيادة عن السلوك ونزهة النفوس.

(٢) ينسب هذا الخان إلى مسرور أحد خدام القصر لصالح الدين الأيوبي بالقاهرة. وقد أدركه المقرئزي عامراً، وهو يتألف من مكانين: أحدهما كبير وثانيها صغير، وكان يقال لهما الفندق الكبير والفندق الصغير. ويشتمل الكبير منها على تسعة وتسعين بيت للسكنى ومسجد جامع. وكان فيه أيضاً مودع الحكم الذي فيه أموال اليتامى. (خطط المقرئزي: ٩١/٢).

(٣) المراد مصر القديمة أو الفسطاط.

(٤) أي طليعة جيش السلطان.

(٥) أي في مقر الأتابك الكبير منطاش.

وجعل منطاش أمر الولاية والعزل إلى صراي تمر^(١).

ثم رحل السلطان من العكرشة^(٢) إلى جهة بلبّيس، فتقنطر عن فرسه، فتطير الناس من ذلك بأنه يرجع مقهوراً، وكذلك كان.

ثم سار السلطان وسائر العساكر إلى غزة في ثامن المحرم من سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وعليهم آلة الحرب والسلاح.

وأما أمراء الديار المصرية فإن منطاش أمر قبل خروجه حسين بن الكوراني بالاحتفاظ على حواشي الملك الظاهر برقوق؛ فأخذ ابن الكوراني يتقرب إلى منطاش بكل ما تصل قدرته إليه: من ذلك أنه توجه إلى قاعة^(٣) البيسرية بين القصرين حيث هو سكن الخوندات إخوة الملك الظاهر برقوق الكبرى والصغرى أم الأتابك بيبرس، وهجم عليهن بالقاعة المذكورة، وأخذ بيبرس من أمه أخذاً عنيفاً، بعد أن أفحش في سبهن، وبالغ في ذم الملك الظاهر والحط منه؛ وأخذ الخوندات حاسرات هن وجواريهن مسبيات يسحبهن بشوارع القاهرة وهن في بكاء وعويل حتى أبكين كل أحد، وحصل بذلك عبرة لمن اعتبر؛ ولا زال يسحبهن على هذه الصورة إلى باب زويلة، فصادف مرورهن بباب زويلة دخول مقبل نائب الغيبة من باب زويلة، فلما رأى مقبل ذلك أنكره غاية الإنكار، ونهر حسين بن الكوراني على فعله ذلك، وردهن من باب زويلة، بعد أن أركب الخوندات وسترهن إلى أن عُدن إلى قاعة البيسرية، فكان هذا من أعظم الأسباب في هلاك حسين بن الكوراني على ما يأتي ذكره في سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية إن شاء الله تعالى.

(١) أي توكيداً لسلطات منطاش باعتبار أن صراي تمر هذا عين نائباً عنه أثناء غيابه؛ علماً أن أمر الولاية والعزل إنما كان يجب أن يكون بيد نائب الغيبة الذي ينوب عن السلطان.

(٢) العكرشة: بركة لها حوض لا يزال موجوداً إلى الآن ضمن أراضي أبي زعبل شرقي مساحتها. (محمد رمزي).

(٣) ذكرها المقرئ باسم الدار البيسرية (خطط: ٦٩/٢) وهي من إنشاء الأمير بدر الدين بيبرس الشمسي الصالح أحد عماليك بيبرس البندقداري سنة ٦٥٩هـ.

ثم نادى حسين بن الكوراني على المماليك الظاهرية أن مَنْ أحضر مملوكاً منهم كان له ألفا درهم.

وأما السلطان الملك المنصور ومنطاش فإن الأخبار أتهمتا بأن الأمير كمشُبغا الحموي نائب حلب لم يزل يبعث يَمُدُّ الملك الظاهر من حلب بالعساكر والأزواد والآلات والخيول وغير ذلك، حتى صار لبرقوق بَرَكٌ عظيم؛ ثم خرج من بعد ذلك من حلب بعساكرها وقدم على الملك الظاهر لنصرته، فعظم أمر الملك الظاهر به إلى الغاية، وكثرت عساكره، وجاءته التركمان والعربان والعشير من كلِّ فجٍّ فلما بلغ ذلك منطاش جدًّا في السير هو والسلطان والعساكر إلى نحو الملك الظاهر برقوق.

وبلغ الملك الظاهر مجيء الملك المنصور ومنطاش لقتاله، فترك حصار دمشق وأقبل نحوهم بعساكره ومماليكه حتى نزل على شقحب، ونزل العسكر المصري على قرية المليحة، وهي عن شقحب بنحو البريد، وأقاموا بها يومهم وبعثوا كشافتهم، فوجدوا الملك الظاهر برقوقاً على شقحب؛ فتقدم منطاش بالسلطان والعساكر إلى نحوه، بعد أن صف منطاش عساكر السلطان ميمنة وميسرة، وقلباً وجناحين، وجعل للميمنة رديفاً، وكذلك للميسرة، هذا بعد أن رتبَّ الملك الظاهر برقوق أيضاً عساكره، غير أنه لم يتصرف في التعبئة كتصرف منطاش لقلته جنده.

ووقف منطاش في الميمنة على ميسرة الظاهر برقوق، وألتقى الفريقان في يوم الأحد رابع عشر للمحرم في سنة اثنتين وتسعين وتصادما، وأقتتل الفريقان قتالاً عظيماً لم يقع مثله في سالف الأعصار. وحمل منطاش من الميمنة على ميسرة الظاهر، وحمل أصحاب ميمنة الظاهر على ميسرة الملك المنصور، وبذل كلِّ من الفريقين جهده، وثبتت كلُّ طائفة للأخرى، فكانت بينهما حروب شديدة أنهزم فيها ميمنة الملك الظاهر وميسرته، وتبعهم منطاش بمن معه، وثبت الملك الظاهر في القلب، وقد أنقطع عنه خبر أصحابه، وأيقن بالهلاك وبينما هو في ذلك لاح له طلائع السلطان الملك المنصور، وقد انكشف العُبار عنه، فحمل الملك الظاهر

بمن بقي معه على الملك المنصور، فأخذه وأخذ الخليفة المتوكل على الله والقضاة والخزائن؛ ومالت الطائفة التي ثبتت معه على أنقال المصريين، فأخذوها على آخرها، وكانت شيئاً يخرج عن الحد في الكثرة.

ووقع الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر في قبضة منطاش ولم يتعوق [منطاش] واستمر^(١) في أثر المنهزمين وهو يظن أن الملك الظاهر أمامه إلى أن وصل إلى دمشق وبها نائبها الأمير جتتمر أخو طاز فقال له منطاش: «قد كسرنا الظاهر برقوقاً، وفي الغد يقدم السلطان الملك المنصور، فأخرج إلى لقائه» فمشى ذلك على جتتمر. وأحتر منطاش فيما يفعل في الباطن، ولم يعرف ما حصل بعده للملك المنصور، ومع هذا كله في نفسه أن الملك الظاهر برقوق قد آنكسر.

وأما أمر السلطان الملك الظاهر برقوق وأصحابه فإن الأمير كمشبغا نائب حلب كان على ميمنة الملك الظاهر برقوق، فلما أنهزم من منطاش تم^(٢) في هزيمته إلى حلب وتبعه خلائق من عساكر حلب وغيرها، وفي ظن كمشبغا أن الملك الظاهر قد آنكسر وتبعه في الهزيمة الأمير حسام الدين حسن الكجكني، نائب الكرك، ومعه أيضاً عدة كبيرة من عساكر حلب والكرك، فسار بهم إلى الكرك، كما سار كمشبغا إلى حلب، فلم يصل كل واحد من كمشبغا والكجكني حتى قاسى شدائد ومحنأ. هذا مع أنهم قطعوا رجاءهم من نصرة الملك الظاهر برقوق، غير أن كل واحد ينظر في مصلحة نفسه فيما يأتي.

وأما الملك الظاهر فإنه لم يتأخر عنده إلا نحو من ثلاثين نفراً، أعني من المماليك الظاهرية الذين كانوا معه عند أخذه الملك المنصور. وأما من بقي من التركمان والغوغاء فأزيد من مائتي نفر.

ولما قصد الملك الظاهر السلطان الملك المنصور حاجياً والخليفة والقضاة وأخذهم وملك العصائب السلطانية، وقف تحت العصائب؛ فلما رآه المنصور

(١) عبارة الأصل: «فلم يتعوق ومر في أثر المنهزمين...» والتعديل والزيادة عن نزهة النفوس.

(٢) أي استمر على ذلك، وهو فصيح

آرتاع، فسكن الملك الظاهر روعه، وأنسه بالكلام، وسلم على الخليفة والقضاة، وبس في وجوههم وتلطف بهم؛ فإنه لما رآه الخليفة كاد يهلك من هيئته، وكذلك القضاة؛ فما زال بهم حتى طمان خواطرهم.

هذا بعد أن سلبت النهاية القضاة الثلاثة جميع ما عليهم، قبل أن يقع بصر الملك الظاهر عليهم، ما خلا القاضي الحنبلي ناصر الدين نصر الله، فإنه سلم من النهب، لعدم ركوبه وقت الحرب، ولم يركب حتى تحقق نصره الملك الظاهر برقوق، فعند ذلك ركب وجاء إليه مع جملة رفقته وأما مباشرو الدولة فإنهم كانوا توجهوا الجميع إلى دمشق، هذا بعد أن قتل من الطائفتين خلائق كثيرة جداً يطول الشرح في ذكرها.

وآستمر الملك الظاهر واقفاً تحت العصائب السلطانية، والملك المنصور والخليفة بجانبه وتلاحق به أصحابه شيئاً بعد شيء، وتداول مجيئهم إليه، وجاء جمع كبير من العساكر المصرية طوعاً وكرهاً؛ فإنه صار الرجل منهم، بعد فراغ المعركة، يقصد العصائب السلطانية، فيجد الملك الظاهر تحتها، فلا (١) يجد بدأ من النزول إليه وتقبييل الأرض له، فإن خافه الملك الظاهر قبض عليه، وإلا تركه من جملة عسكره.

وآستمر الملك الظاهر برقوق يومه وليلته على ظهر فرسه بسلاحه، وحوله مماليكه وخواصه.

قال الوالد فيما حكاه بعد ذلك لمماليكه وحواشيه: «وبات كل منا على فرسه، على أن غالبنا به الجراح الفاشية المنكية، وهو مع ذلك بسلاحه على فرسه [و] لم يغف أحد منا تلك الليلة، من السرور الذي طرقتنا، وأيضاً من الفكر فيما يصير أمرنا بعد ذلك إليه؛ غير أننا حصل لنا ولخيولنا راحة عظيمة، ببياتنا تلك الليلة في مكان واحد. وتشاورنا فيما نفعل من الغد، وكذلك السلطان الملك الظاهر، فإنه أخذ يتكلم معنا فيما يرتبه من الغد، في قتال منطاش ونائب الشام؛ فما أصبح بأكر نهار

(١) في الأصل: «فلم».

الاثنين إلا وقد رتبنا جميع أحوالنا، وصار الملك الظاهر في عسكر كثيف، وتهيأنا لقتال منطاش وغيره. وبعد ساعة إذا بمنطاش قد أقبل من الشام في عالم كبير، من عسكر دمشق وعوامها وممن تراجع إليه من عسكره بعد الهزيمة، فتواقعنا، فحصل بيننا وقعة من شروق الشمس إلى غروبها، ووقع بيننا وبينهم قتال لم يعهد مثله في هذا العصر. وبذل كل منا ومنهم نفسه، فقاتلنا عن أرواحنا لاعن أستاذنا، لأننا تحقّق كل منا أنه إن انهزم بعد ذلك لا بقاء له في الدنيا، والمنطاشية أيضاً قالوا كذلك. وأنكسر كل منا ومنهم غير مرة وتراجع. هذا والملك الظاهر يكرّ فينا بفرسه كالأسد ويشجّع القوم ويعدّهم ويؤمنهم ثم قصدني شخص من الأمراء يقال له آقبا الفيل، وحمل عليّ، فحملت عليه وطعته برمحي ألقيته عن فرسه، فرآه الملك الظاهر، فسأل عني، فقيل له: تغري بردي، فتفاءل بأسمي. وقال ما معناه: الله لا يُنوّلي ما في خاطري إن كنت ما أرقيك إلى الرتب العالية». انتهى.

قلت: ومعنى اسم تغري بردي باللغة التركية: «الله أعطى»، فلهذا تفاءل الملك الظاهر به، لما قيل له «تغري بردي».

واستمر كل من الطائفتين تبذل نفسها لنصرة سلطانها إلى أن أرسل الله سبحانه وتعالى في آخر النهار ريحاً ومطراً في وجه منطاش ومن معه، فكانت من أكبر الأسباب في هزيمته وخذلانه. ولم تغرب الشمس حتى قُتل من الفريقين خلائق لا يُحصىها إلا الله تعالى: من الجند والتركمان والعربان والعامّة. وولّى منطاش هو وأصحابه مُنهزماً إلى دمشق، على أقبح وجه.

وعاد الملك الظاهر برقوق بمماليكه إلى مخيمه بالمنزلة المذكورة، ولم يكن في أحد من عسكره منعة أن يتبع منطاش ولا عسكره. وأستمرّ الملك الظاهر بمنزلة شقّح سبعة أيام، حتى عزّت عنده الأقوات، وأبيعت البقسماطة^(١) بخمسة دراهم فضة، وأبيع الفرس بعشرين درهماً، والجمل بعشرة دراهم، وذلك لكثرة الدواب وقلة العلف. وغنم أصحاب الملك الظاهر أموالاً جزيلة.

(١) البقسماط: نوع من الخبز يجذب ويجفف. ويقال له في المغرب بشماط.

وفي مدة إقامة الملك الظاهر بشقحب، قَدِمَ عليه جماعة كبيرة من الأمراء والتركمان والعربان والمماليك.

ثم جَمَعَ الملك الظاهر مَنْ معه من الأمراء والأعيان بحضرة الخليفة والقضاة، وأشهد على الملك المنصور حاجي بخلع نفسه من السلطنة، وحكم بذلك القضاة.

ثم بُويع الملك الظاهر برقوق بالسلطنة وأثبت القضاة بيعته وخلع على الخليفة والقضاة.

ثم وُلِّيَ الأميرُ إياس الجرجاوي نيابةً صفاً، والأميرُ قُدَيْدُ القلمطاوي نيابة الكرك؛ والأميرُ آقبا الصغير نيابة غزّة.

ثم تهيأ الملك الظاهر للعود إلى الديار المصرية، ورحل من شقحب، فاتاه عند رحيله منطاش بعسكر الشام ووقف على بُعد؛ فأستعدّ الملك الظاهر للقاءه فلم يتقدّم منطاش.

ثم وُلِّيَ [منطاش] إلى ناحية دمشق، فأراد الملك الظاهر أن يتبعه، فمنعه من ذلك أعيان دولته وقالوا له: «أنت سلطان مصر أم سلطان الشام! امض إلى مصر وأجلس على تخت الملك، فتصير الشام وغيرها في قبضتك». فصوّب الملك الظاهر هذا الرأي، وسار من وقته بمن معه من الملك المنصور والخليفة والقضاة إلى جهة الديار المصرية.

ثم أرسل الملك الظاهر يأمر منصور حاجب غزّة بالقبض على حُسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة، فقبض عليه وأستولى على مدينة غزّة وقيدَ ابن باكيش المذكور وبعث به إلى الملك الظاهر، فوافاه بمدينة الرملة فأوقفه بين يديه ووبّخه، ثم ضربه بالمقارع، ثم حمّله معه إلى غزّة فضربه بها أيضاً ضرباً مُبرِّحاً. وكان يوم دخول السلطان الملك الظاهر إلى غزّة يومَ مستهلِّ صفر من سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.

وأما أمر الديار المصرية، فإنه أشيع بكسرة الملك الظاهر لمنطاش، يوم رابع

عشر المحرم، وهو يوم الوقعة، قاله الشيخ تقي الدين المقرئزي - رحمه الله - وهذا شيء من العجائب.

وفي هذه الأيام ورد من الفيوم محضرٌ على نائب الغيبة مُفتعلٌ بأن حائطاً سقط على الأمراء المسجونين بالفيوم، ماتوا تحته، وهم: الأمير ترمباي الحسيني حاجب الحجاب، وقرباغا الأبوبكري أحد مقدمي الألف، وطوغاي تَمْر الجَرَكَتْمُري أحد أمراء الألف أيضاً، ويونس الإسعدي الرماح الظاهري، وقازان السيفي، وتَنكِز العثماني، وأردبغا العثماني، وعيسى التركماني.

قال المقرئزي: هذا والكتبُ المزورة ترد على أهل مصر في كل قليل، بأن السلطان الملك المنصور أنتصر على الملك الظاهر بقوق، ومَلِك الشام، وأن الظاهر هَرَب، فدَقَّت البشائرُ لذلك أياماً، ولم يَمْسِ ذلك على أعيان الناس، مع أن الفتنة لم تنزل قائمةً في هذه المدة بين الأمير صَرَاي تَمْر نائب الغيبة وبين الأمير تَكا الأشرفي المقيم بقلعة الجبل، وكل منهما يحترز من الآخر.

وأتفق مع ذلك أن الأمراء والمماليك الظاهريّة الذين سُجنوا بخزانة الخاص من القلعة زرعوا بصلاً في قصرين فخار وسقوهما، فنجب بصلٌ إحدى القصرين ولم يَنْجِب الآخر؛ فرفعوا القصرية التي لم ينجب بصلها، فإذا هي مثقوبة من أسفلها وتحتها خلُوت؛ فما زالوا به حتى اتسع وأفضى بهم إلى سِرْداب مشوا فيه حتى صعد بهم إلى طبقة الأشرفية^(١) من قصور القلعة القديمة، وكان منطاش سدّ بابها الذي يُنزل منه إلى الإسطبل السلطاني فعاد الذين مشوا وأعلموا أصحابهم، فقاموا بأجمعهم وهم نحو الخمسمائة رجل ومشوا فيه ليلة الخميس ثاني صفر، وقد عملوا عليهم الأمير بَطَا الطولوتُمري الظاهري رأساً، وحاولوا^(٢) باب الأشرفية حتى فتحوه، فثار بهم الحُرّاس الموكّلون بحفظ الباب، وضربوا مملوكاً يُقال له تَمْرِبغا فقتلوه، وكان آبتداً بالخروج، فبادر بَطَا بعده ليخرج فضربه الحارس ضربة كما ضرب ترمبغا

(١) أي القاعة الأشرفية.

(٢) في الأصل: «وحاربوا». والتصحيح عن السلوك.

قبله، سقط منها بطا إلى الأرض، ثم قام وضرب بقيده الرجل الحارس ضربةً كما ضربه فصّرعه، وخرج البقية. وصرخوا المماليك: «يأتك يا منصور» وجعلوا قيودهم سلاحهم، يقاتلون بها. وقصدوا الإسطبل السلطاني، فأنتبه صرّاي تمر، فسمع صياحهم «تكا يا منصور»، فلم يشك أن تُكا ركب عليه ليأخذه بغتة، لما كان بينهما من التخاصم. وقوي خوفه، فنهض في الحال ونزل من الإسطبل من باب السلسلة، وتوجّه إلى بيت الأمير قطلوبغا الحاجب، وكان قريباً من الإسطبل بالرُميلة ومَلَك بطا ورُفقتُه الإسطبل، وأحتوى على جميع ما كان فيه من قماش صرّاي تمر وخيله وسلاحه، وقبض على المنطاشية، وأفرج عن المحبوسين من الظاهرية، وأخذ الخيول التي كانت هناك. وأمر في الوقت بدق الكوسات، فدقت في الوقت نحو ثلث الليل الأوّل فاستمروا على ذلك إلى أن أصبحوا يوم الخميس. وندم صرّاي تمر على نزوله من الإسطبل، ولبس هو وقطلوبغا الحاجب آلة الحرب، وأرسلوا إلى تُكا بأن يُقاتل المماليك الظاهرية من أعلى القلعة، وهم يقاتلونهم من تحت؛ فرمى تُكا عليهم من الرفرف والقصر، وساعده الأمير مقبل أمير سلاح ودمرداش القشتمري بمن معه من مماليكهم والمماليك المقيمين بالقلعة، فقاتلهم المماليك الظاهرية. وتسامعت المماليك الظاهرية البطالة ومن كان مختفياً منهم، فجاؤوهم من كل مكان، وكذلك المماليك اليلبغاوية، وغيرهم من حواشي الملك الظاهر برقوق، ومن حواشي يلبغا الناصري وغيره من الأمراء الممسوكين، وكبسوا سجن الدئيم، وأخرجوا من كان به محبوساً من المماليك وغيرهم. ثم بعثوا إلى خزانه شمائل فكسروا بابها وأخرجوا من كان بها أيضاً من المماليك اليلبغاوية والظاهرية وغيرهم، ثم فعلوا ذلك بحبس الرحبة، فقوي أمرُ بطا ورفقته وكثر جمعهم، فخاف حسين بن الكوراني وهرب وأختفى.

ثم ركب الأمير صرّاي تمر والأمير قطلوبغا حاجب الحجاب في جمع كبير من مماليكهم وغيرها وخرجوا لقتال بطا وأصحابه فنزل بطا بمن معه، وقد تهيأ للقتال، وقد صار في جمع كبير، واجتمعت عليه العوام لمعاونته فلما تصافوا خامر جماعة من المنطاشية وجاؤوا إلى بطا وصدّم بطا المنطاشية فكسروهم، فأنحازوا إلى مدرسة

السلطان حسن فلما رأى تُكا ذلك خرج إلى الطبلخاناة ورمى على بطا وأصحابه بالنشاب ومدافع النفط؛ فنزل طائفة من الظاهرية إلى بيت قطلوبغا وملكوه، ونقبوا منه نقباً طلَعوا منه إلى المدرسة الأشرفية بالصُّوَة، وصعدوا إلى سطحها تجاه الطبلخاناة السلطانية ورموا على مَنْ بالطبلخاناة من أعوان تُكا فانهزموا. فملك الظاهرية الطبلخاناة وحاصروا مَنْ هو بمدرسة السلطان حسن وكان بها طائفة من التركمان قد أعدّهم منطاش لحفظها فصاحوا وسألوا الأمان لشدة الرمي عليهم بمكاحل النفط، فانهزم عند ذلك أيضاً مَنْ كان من الرماة على باب المدرج أحد أبواب القلعة، وسارت الظاهرية واللبغاوية إلى بيوت الأمراء فنهبوا.

كُلُّ ذلك والقاهرة في أَمْنٍ مع عدم [وجود] مَنْ يحفظها. ولم يمضِ النهار حتى وصل عددُ الظاهرية إلى ألف، وأمدهم ناصر الدين أستاذار منطاش بمائة ألف درهم. ثم طلب بَطَا ناصر الدين محمد بن العادليّ، وأمره أن يتحدّث في ولاية القاهرة عوضاً عن آبن الكوراني، فدخلها آبن العادلي ونادى فيها بالأمان والدعاء للملك الظاهر برقوق، فسُرَّ الناس سروراً زائداً.

ثم في يوم الجمعة ثالث صفر سلّم الأمير تُكا قلعة الجبل إلى الأمير سُودون الشبخوني النائب. ثم أقام بَطَا في ولاية القاهرة منجك المنجكي، عوضاً عن ابن العادلي، فركب ودخل القاهرة ونادى أيضاً بالأمان والدعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق.

وفيه نزل الأمير سُودون النائب من القلعة ومعه تُكا الأشرفي ودمرداش القَشْتَمَرِي ومُقبِل السيفي أمير سلاح إلى عند الأمير بَطَا، فقبض بَطَا عليهم وقيدهم؛ وبالغ في إكرام الأمير سُودون النائب، وبعثه إلى الأمير صراي تمر؛ فنزل سُودون إلى صراي تمر، وما زال به حتى كَفَّه عن الرمي وأخذه هو وقطلوبغا وسار، فتكاثر العامة عليهما يريدون قتلهما، والأمير سُودون النائب يمنعهم من ذلك أشدَّ المنع، فلم يلتفتوا إليه، ورجموهما رجماً متتابعاً كاد يهلك الجميع، فأحتاجوا إلى الرمي بالنشاب عليهم وضربهم بالسيوف، فقتل منهم جماعة كبيرة، فطلع سُودون النائب

بهما وبمن كان معهما إلى الإسطبل، فقيدهم بطاً أيضاً وسجنهم، وأمر بمن في المدرسة من المقاتلة فنزلوا كلهم.

وأذهب الله تعالى الدولة المنطاشية من مصر في نحو ثلاثة أيام كأنها لم تكن وربك الأمير سُودون الشبخوني النائب وعبر إلى القاهرة، والنادي يُنادي بين يديه بالأمان والدعاء للملك الظاهر برقوق. وأرسل إلى خطباء الجوامع فدعوا له في خطبة الجمعة. وأطلق بطاً زكرياء المخلوع عن الخلافة والشيخ شمس الدين محمد الركراكي المالكي وسائر من كان بالقلعة من المسجونين. وصار بطاً يتتبع المنطاشية ويقبض عليهم كما كان منطاش يتتبع الظاهرية ويقبض عليهم.

وفي أثناء ذلك قدم أحمد بن شكر الدليل وأشاع الخبر بالقاهرة بأن الملك الظاهر برقوقاً قادم إلى الديار المصرية ثم قدم جُلبان العيسوي الخاصكي وأخبر برحيل الملك الظاهر برقوق من مدينة غزة في يوم الخميس ثاني صفر، فدقت البشائر، وتخلت الظاهرية بالزعفران. وكتب بطاً للسلطان يخبره بما أتفق، وأنهم ملكوا ديار مصر، وأقاموا الخطبة باسمه، وبجميع ما وقع لهم مفصلاً، وبعثوا بهذا الخير الشريف عنان بن مغامس، ومعه آقبا الطولوتمري المعروف باللكاش أحد المماليك الظاهرية، في يوم السبت رابع صفر ثم كتب بطاً إلى سائر الأعمال بالقبض على المنطاشية والإفراج عن الظاهرية وإرسالهم إلى الديار المصرية.

ثم طلب بطاً حسين بن الكوراني في الإسطبل؛ فلما طلع أراد المماليك الظاهرية قتله لقبح ما فعل فيهم، فشفع فيه سُودون النائب.

ثم خلع عليه بطاً وأعادته إلى ولاية القاهرة وأمره بتحصيل المنطاشية؛ فنزل في الحال ونادى: «مَنْ قَبَضَ عَلَى مَمْلُوكٍ مَنْطَاشِيٍّ أَوْ أَشْرَفِيٍّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا». ثم قبض بطاً على الأمير قطلوبغا، والأمير بوري صهر منطاش، والأمير بيدمرشاد القصر، والأمير صلاح الدين محمد بن تَنَكز وحبسهم بالقلعة ثم حصن بطاً القلعة تحصيناً زائداً ورتب الرماة والنفطية والرجال حتى ظن كلُّ أحد أنه يمنع الملك الظاهر من طلوع القلعة.

قلت: وكان الأمر كما ظنه الناس، حسب ما حكاه الوالد بعد ذلك، كما سنذكره الآن في محله.

قال: وكثر الكلام في أمر بَطَا ثم أمر الفخريّ بن مكانس بعمل سِمَاط في الإسطبل السلطاني، فصار الأمراء والمماليك بأجمعهم يأكلون منه في كل يوم عند الأمير بَطَا.

ثم قَدِمَ كتابُ الملك الظاهر إلى بَطَا على يد سيف الدين محمد بن عيسى العائديّ يأمره بتجهيز الإقامات إليه.

ثم قَدِمَ كتاب الملك الظاهر بتفصيل الواقعة بينه وبين منطاش، ثم قَدِمَ كتاب آخر عقبيه كل ذلك ولم تطمئن النفوس بعود الملك الظاهر إلى ملكه ولا أرتفع الشك، بل كان بَطَا يخشى أن يكون ذلك مكيدة من مكاييد منطاش، وهو ينتظر جواب كتابه للملك الظاهر، حتى قَدِمَ آقبا الطولوتمري اللكاش، وقد ألبسه الملك الظاهر خِلعة سنّية شقّ بها القاهرة، فعند ذلك تحقّق كل أحد بنصرة الملك الظاهر برقوق ونودي بالأمان والاطمئنان، ومن ظلم أو قهر فعليه بباب الأمير بَطَا.

ثم قبض بَطَا على حسين بن الكوراني وقيده بقيد ثقيل جداً ونهت دأره، وصار الصارم يأخذ ابن الكوراني في الحديد، كما يؤخذ اللصوص، ويضربه ويعصره. ثم نُقِلَ من عند الصارم الوالي إلى الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا أص شادّ الدواوين، فعاقبه أشدّ عقوبة.

وفي تاسعه قَدِمَ تَغْرِي بَرْدِي البشباويّ الظاهريّ، وهو والد كاتبه، إلى القاهرة بكتاب السلطان يتضمّن السلام على الأمراء وغيرهم وبأمر آخر.

وأما ما وعدنا بذكره من أمر بَطَا، وأنه كان حدّثته نفسه بملك مصر في الباطن [فقد]، حكى لي الوالد - رحمه الله - قال: لما قَدِمْتُ إلى مصر، تلقاني بَطَا وسلّم عليّ وعانقني، وأخذ يسألني عن أستاذنا الملك الظاهر برقوق، وكيف كانت الواقعة بينه وبين منطاش، وصار يفحص عن أمره حتى رايني أمره؛ فكان من جملة ما سألني عنه بأن قال: يا أخي تَغْرِي بَرْدِي، مع أستاذنا صبيان ملاح شجعان

أم ممالك ملققة؟! فقلت: مع أستاذنا جماعة إذا أجروا خيولهم هدموا باب السلسلة أنقابها^(١)، وأقلهم أنت وأنا. إيش هذا السؤال؟! أما تعرف أغواتك^(٢) وخشداشيئك؟! فقال: صدقت، وكم مثلنا في خجداشيئنا عند أستاذنا! وأخذ ينتقل بي إلى كلام آخر بما هو في مصالح السلطان الملك الظاهر. إنتهى.

وعند قدوم الوالد إلى الديار المصرية تزايد سرور الناس وفرحهم، وتحققوا عود الملك الظاهر إلى ملكه.

ثم قديم تبنك الحسيني الظاهري المعروف بتنم من الإسكندرية، وكان أرسله بطا لنائب الإسكندرية وقد أمتنع من الإفراج عن الأمراء المسجونين إلا بكتاب السلطان.

ثم ألزم بطا الفخر بن مكناس بتجهيز الإقامات والشقق للحريير للفرش في طريق الملك الظاهر حتى يمشي عليها بفرسه عند قدومه إلى القاهرة.

ثم قديم من ثغر دمياط الأمير شيخ الصفيوي، وقبق باي السيفي، ومقبل الرومي الطويل، وألطنبغا العثماني، وعبدوق العلاني، وجرجي الحسيني، وأربعة أمراء آخر.

وفي عاشره شدد العذاب على آبن الكوراني وألزم بحمل مائة ألف درهم فضة ومائة فرس ومائة لبس حربي.

وفي حادي عشر صفر قديم البريد بنزول السلطان الملك الظاهر إلى منزلة الصالحية، فخرج الناس أفواجا إلى لقائه، ونودي بزينة القاهرة ومصر، فتفاخر الناس في الزينة، ونزل السلطان بعساكره إلى العكرشة في ثالث عشر صفر.

(١) كذا وردت. ولعلها: «من أنقابها» تعبير عامي.

(٢) الأغوات: جمع «أغا» أو «أغا». كلمة تركية من المصدر «أغمت» ومعناه الكبر وتقدم السن. وقيل إنها من الكلمة الفارسية «أقا». وتطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة. كما تطلق على الخادم الحصري الذي يؤذن له بدخول غرف النساء. (تأصيل ما ورد في تاريخ الجبري من الدخيل: ص ١٧؛ والألقاب الإسلامية: ١١٨) والخشداشية من الممالك هم الذين ينشؤون في خدمة سيد واحد، فهم إخوة في الولاء له. (راجع فهرس المصطلحات).

وأما أمر منطاش وما وقع له بعد ذلك، وبقية سياق أمر الملك الظاهر برقوق، ودخوله إلى القاهرة، وطلوعه إلى قلعة الجبل، وجلسه على تخت الملك، يأتي ذكر ذلك كله مفصلاً في ذكر سلطنته الثانية من هذا الكتاب، بعد أن نذكر من توفّي من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة التي حَكَمَ في غالبها على مصر الملك المنصور حاجي، ثم نعود إلى ذكر الملك الظاهر وسلطنته الثانية - إن شاء الله تعالى -.

وأما الملك المنصور حاجي فإنه عاد إلى ديار مصر صحبة الملك الظاهر برقوق محتفظاً به وهو في غاية ما يكون من الإكرام، وطلّع إلى القلعة وسكن بها بالحوش السلطاني على عادة أولاد الأسياد، ودام عند أهله وعياله إلى أن مات بها في ليلة الأربعاء تاسع عشر شوال سنة أربع عشرة وثمانمائة، ودُفِنَ بتربة جدته لأبيه خوند بركة بخط التبانة بالقرب من باب الوزير خارج القاهرة، بعد أن تسلطن مرتين. وكان لُقّب في أول سلطنته بالملك الصالح وفي الثانية بالملك المنصور، ولا نعلم سلطاناً غير لقبه غيره. ومات الملك المنصور هذا عن بضع وأربعين سنة؛ وقد تعطلت حركته وبطلت يداه ورجلاه مدة سنين قبل موته. وكان ما حصل له من الاسترخاء من جهة جواريه على ما قيل: إنهنّ أطعمنه^(١) شيئاً بطلت حركته منه، وذلك لسوء خلقه وظلمه^(٢).

حدّثني غير واحد من حواشي الملك الظاهر برقوق ممّن كان يُبَاشِر أمر الملك المنصور المذكور قال: كان إذا ضرب أحداً من جواريه يتجاوز ضربه لهنّ الخمسمائة عصاة؛ فكان الملك الظاهر لما يسمع صياحهنّ يُرسل يشفع فيهنّ، فلا يُمكِنه المخالفة فيطلق المضروبة، وعنده في نفسه منها كمين، كونه ما أشتفى فيها. وكان له جوقه مغان^(٣) كاملة من الجواري، كما كانت عادة الملوك والأمراء

(١) في الأصل: «إنهم أطعموه».

(٢) ذكر ابن إياس في بدائع الزهور «أنه مات وهو مقعد في الفراش مما حصل له في يوم وقعة شقحب لما كبس عليه الظاهر برقوق».

(٣) المراد بالمغاني: المغنيات. وهي صيغة جمع كثيرة الاستعمال في العصر المملوكي: نجدتها في كتابات المقرئزي وابن تغري بردي وابن دقماق وغيرهم.

تلك الأيام، نحو خمس عشرة واحدة، يُعرَفَن من بعده بمغاني المنصور وكنَّ خَدَمَن عند الوالد بعد موته فلَمَّا صار الملك الظاهر برقوق يَشْفَع في الجوارى لَمَّا يسمع صياحهنَّ، بَقِيَ المنصور إذا ضرب واحدة من جواريه يأمر مغانيه أن يَزْفُوا بالدُفوف، وتَزَعَق المواويل^(١)، فتصيح الجارية المضروبة فلا يسمعها الملك الظاهر ولا غيره؛ فَفَطِنَ بذلك حريمُ الملك الظاهر وأعلموه الخبرَ، وَقُلْنَ له: «إِذَا سَمِعَ^(٢) زَفَّ المغاني في غير وقت المغنى، فيعلم [أن] السلطان يضرب جواريه وخدمه» فعلم الظاهر ذلك؛ فصار كُلُّمَا سَمِعَ المغاني تَزَفُّ، أرسل إليه في الحال بالشفاعة؛ وله من ذلك أشياء كثيرة. وكان الملك الظاهر - قبل أن يتكسَّح^(٣) - يُرسل خلفه في مجلس أنسه ويُنادمه في غالب الأوقات؛ وتكرر ذلك منه سنين. وكان إذا غَلَبَ عليه السُّكْر تَسَفَّهُ على الملك الظاهر، ويُخاطبه بأسمه من غير تحشُّم، فيبتسم الملك الظاهر ويقول لحواشي الملك المنصور: «خُذُوا سَيِّدِي أمير حاج ورُدُّوه إلى بيته»، فيقوم على حاله، وهو مستمرٌّ في السَّبِّ واللَّعن، فيعظُم ذلك على حواشي الملك الظاهر، ويكَلِّمُون الملك الظاهر في عدم الاجتماع به، فلا يلتفت إلى كلامهم، فيُصْبِح المنصور يعتذر للسلطان فيما وقع منه في أمسه فلَمَّا تكرر منه ذلك غير مرَّة، تركه وصار لا يجتمع به إلا في الأعياد والمواسم؛ فلما بَطَلَتْ حركته انقطع عنه بالكلية.

* * *

(١) لم نجد هذا الجمع في كتب اللغة التي بين أيدينا. ولعله صيغة عامية للفظ: واصلة، وهي المرأة البغي. أولعله أراد بالمواويل النساء اللواتي يرافقن المغنيات عادة في الإنشاد والغناء. ولعل هذه الصيغة العامية مشتقة من اللفظ الفصيح: الوصيلة، بمعنى الرفقة.

(٢) عبارة الأصل: «إِذَا سَمِعَ السلطان زف المغاني في غير وقت المغنى، فيعلم السلطان أنه يضرب جواريه وخدمه». والتعديل لإيضاح المعنى.

(٣) أي قبل أن يتكسَّح الملك المنصور أمير حاج.

السنة التي حكم في أولها الملك الظاهر برقوق

إلى ليلة الاثنين خامس جمادى الآخرة، وحكم في باقيها الملك المنصور حاجي، ولم يكن له في سلطنته إلا مجرد الاسم فقط والمتحدث في المملكة الأتابك يلبغا الناصري ثم تمرىغا الأفضلي الأشرفي المدعو منطاش.

وهي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

وفيها كان خلع الملك الظاهر برقوق من السلطنة وسلطنة الملك المنصور هذا كما تقدم ذكره.

وفيها في ذي الحجة كانت وقائع بين الملك الظاهر برقوق وبين جنتمر نائب الشام بعد خروجه من سجن الكرك.

وفيها توفي خلائق كثيرة بالطاعون والسيف. وكان الطاعون وقع بالديار المصرية في أيام الفتنة، فكان من أجل ذلك أشد الطواعين وأعظمها خطباً لما دها الناس من شدة الطاعون وأهوال الوقائع. فممن قتل من الأعيان: القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن أبي الرضا قاضي قضاة الشافعية بحلب. وخبره أن الملك الظاهر برقوقاً لما خرج من سجن الكرك ووافقه الأمير كمشيفا الحموي نائب حلب، ثار عليه شهاب الدين هذا محاماةً لمنطاش، وجمع أهل بانقوسا وخرضهم على قتال كمشيفا المذكور، وأفتى بجواز قتال برقوق فركب كمشيفا، وقتلهم، فكسرهم، وقتل كثيراً من البانقوسية ممن ظفر به، ففر شهاب الدين هذا إلى ظاهر حلب، فأخذ قريباً من حلب، وأتى به إلى كمشيفا فقتله صبراً، وعمره زيادة على أربعين سنة. أثنى على علمه القاضي علاء الدين بن خطيب الناصرية والشيخ تقي الدين المقرئ رحمهما الله. وذكر عنه قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني - رحمه الله - مساوية وقبائح، نسأل الله تعالى السلامة في الدين، ذكرناها في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي.

قلت: والجمع بين هذه الأقوال هو أنه كان عالماً. غير أنه كان خبيث اللسان، يرتكب أموراً شنيعة مشهورة عنه عند الحلبيين.

وتُوفِّي قتيلاً الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير قُطْلَقْتَمُر الخازندار بحلب: قتله أيضاً الأمير كمشبغا الحموي بحلب، وقد قام بِنُصْرَة منطاش وقاتل كمشبغا، فلَمَّا ظَفِرَ به كمشبغا وسَطَه في شوال. وإبراهيم هذا هو الذي كان وقع له مع الملك الظاهر برقوق ما وقع، لَمَّا اتَّفَق مع الخليفة المتوكِّل على الله، ووافقهما الأمير قُرْط الكاشف على قتل الملك الظاهر برقوق؛ ونَمَّ عليهم وظَفِرَ بهم برقوق، وخلع الخليفة، وحَبَسَه، ووسَطَ قُرْط الكاشف، وحبس إبراهيم هذا مُدَّة، ثم أطلقه لأجل أبيه قطلقتمر، ثم أنعم عليه بإمرة. فلَمَّا خُلِع الملك الظاهر وحُجِس، قام عليه إبراهيم هذا وأنضم مع الناصري ومنطاش، وصار من جملة أمراء الطبلخانة ثم كان مع منطاش على الناصري فلَمَّا ملك منطاش الديار المصرية أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمه ألف بديار مصر، وأستقرَّ أميرَ مجلس عوضاً عن الأمير أحمد بن يلبغا، فلم يقنَع بذلك، وبدا منه أمور، فأخرجه منطاش بعد أخذه الإمرة بدون السبعة أيام إلى حلب أميرَ مائة ومقدَّم ألف بها، فدام بها حتى ثار أهل بانقوسا على كمشبغا نائب حلب ووافقهم إبراهيم هذا، فظَفِرَ به كمشبغا ووسَطَه.

قلت: ما كان جزاؤه إلا ما فعله به كمشبغا. وكان شجاعاً، غير أنه كان يحب الفتن ويثير الشرور — عفا الله تعالى عنه —.

وتُوفِّي الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن أبي يزيد بن محمد المعروف بمولانا زادة السَّيرامي العجمي الحنفي والد العلامة محبَّ الدين محمد ابن مولانا زادة في يوم الأربعاء حادي عشر المحرم بالقاهرة. وكان إماماً مُفْتَنّاً في علوم كثيرة؛ وهو أوَّل من وُلِّي درس الحديث بالمدرسة الظاهرية البرقوقية، ودام على ذلك إلى أن مات في التاريخ المقدم ذكره.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين تُلَكْتَمُر بن عبد الله أحد أمراء الطبلخانات بالطاعون في جمادى الأولى. وكان من خواصَّ الملك الظاهر برقوق.

وتُوفِّي قتيلاً الأمير سيف الدين جاركس بن عبد الله الخليلي اليلبغاوي الأمير آخور الكبير وعظيم دولة الملك الظاهر برقوق: قُتِل في محاربة الناصري خارج

دِمَشق، في يوم الاثنين حادي عشر شهر ربيع الأول؛ وبقتله تخلّخت أركانُ دولة الملك الظاهر برقوق. وكان أميراً مهاباً عاقلاً عارفاً خبيراً سيّوساً. وله بالقاهرة خان يعرف بخان الخليلي^(١)، ومآثر بمكة وغيرها. وخلف أموالاً كثيرة أخذها منطاش وفرّقها في أصحابه.

وتُوفِّي الأمير يونس بن عبد الله النوروزي اليلبغاوي الدوادار الكبير: قتله الأمير عنقاء بن شطّي أمير آل مرا بخربة اللصوص وهو عائد إلى الديار المصرية، بعد انهزامة من الناصري. وكان أيضاً أحد أركان الملك الظاهر برقوق، وإليه كان تدبير المملكة. وكان خدّمه وياشر دواداريتّه من أيام إمرته. وكان عاقلاً مدبراً حازماً. وهو صاحب الخان^(٢) خارج مدينة غزّة، وغيره، معروفة عمائرّه بأسمه، ولا يحتاج ذلك إلى التعريف به، فإننا لا نعلم أحداً في الدولة التركيّة سُمّي بيونس الدوادار غيره، ثم دوادار زماننا هذا الأمير يونس الدوادار السيفي آقباي، انتهى.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين بزلا بن عبد الله العمريّ ثم الناصري نائب الشام قتيلاً بها. وكان أصله من ممالك الملك الناصر حسن: اشتراه، وربّاه مع أولاده، وقرأ القرآن، وتآدّب، ومهّر في الخط المنسوب، وبرّع في عدة علوم لا سيما علم الفلك والنجوم، مع تقدّمه في أنواع الفروسية، والشجاعة المفترّطة، وأنواع الملاعب، مع ذكاء وفطنة، وذوق وعقل، ومحاضرة حسنة، وحسن شيكالة^(٣) ولاء الملك الظاهر برقوق نيابة الإسكندرية، ثم عزله وجعله من جملة

(١) انظر خطط الميرزي: ٩٤/٢.

(٢) المراد بذلك «خان يونس» في فلسطين. وقد أرسل الظاهر برقوق دواداره الأمير يونس النوروزي لبناء قلعة في ذلك الموضع، وبنيت القلعة عام ٧٨٩هـ على شكل نزل، ولذلك أطلق عليها اسم الخان. وكانت القلعة أشبه بمجمع حكومي كامل، وكانت تقيم فيها حامية من الفرسان، وفيها مسجد تطلّ مئذنته من فوق أسوار القلعة، وأقيم فيها نزل للمسافرين وإسطبل للخيل. ويبدو أنه بعد مرور نحو ثلاثمائة عام على إنشاء القلعة استطابت إحدى الحاميات الإقامة فيها مع أسرها، ثم جاء آخرون وسكنوا خارج الأسوار، فنشأت بذلك مدينة خان يونس. (الموسوعة الفلسطينية: ٣١٦/٢).

(٣) كذا في الأصل. ولعل الصواب: «حسن شاكلة» أي حسن طبع وسجيّة؛ إلا إذا كان المؤلف يريد بذلك حسن الشكل، ويستعمل بذلك تعبيراً عاماً على عاداته في كثير من المواضع في هذا الكتاب.

أمراء الألوفا بالديار المصرية، ثم خافه، فقبض عليه ونفاه إلى طرابُلس. فلما كانت نوبة الناصرية^(١)، آتفق مع جماعة قليلة من أصحابه ومَلِك طرابُلس من نائبها أَسَنْدُمُر، ووافق الناصريَّ على قتال الملك الظاهر برقوق فلما ملك الناصريَّ مصر خلع عليه بِنِيابة دِمَشق، فَوَلَّى دِمَشق، ودام بها إلى أن قبض منطاش على الناصريَّ؛ فغَضِبَ بُزْيار المذكور للناصرى، وخرج عن الطاعة. فخادعه منطاش، وأرسل مُلَطَّفَات إلى جَنَّتَمُر بِنِيابة دِمَشق، فأَتفق أمراء دِمَشق مع جنتمر ووثبوا عليه على حين غفلة، فركب وقاتلهم، وكاد يهزمهم لولا تكاثرها عليه ومسكوه وحبسوه بقلعة دِمَشق، حتى أرسل منطاش بقتله فُقْتِل، وسنُّه نَيْف على خمسين سنة وكان من محاسن الدنيا. حدَّثني الشيخ موسى الطرابُلسيَّ قال: «لَمَّا نفاه الملك الظاهر برقوق إلى طرابُلس، صَحِبْتُهُ، أَعَدُّ لَتَكْييسه، فأجد أضلاعه صفيحة واحدة». انتهى.

وتُوفِّي الشيخ المعتقد حسن الخباز الواعظ. كان صاحب الشيخ ياقوت الشاذلي، وتلقن منه، وتزوج بأبنته، وترك بيع الخبز، وأنقطع بزاولته خارج القاهرة، وجلس للوعظ حتى مات في حادي عشرين شهر ربيع الآخر، ودُفِن بالقرافة. وكان للناس فيه اعتقاد حسن، ولوعظه تأثير في القلوب.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين سُودون المظفريَّ أتابك حلب قتيلاً بها بيد ممالك الأمير يلبغا الناصري، حسب ما تقدم ذكره في ترجمة الملك الظاهر برقوق. وكان أصله من ممالك قُطلوبغا المظفري أحد أمراء حلب، وبها نشأ، وخدم الأمير جُرْجي الإدريسيَّ نائب حلب وصار خازن داره، ثم صار من جملة أمراء حلب ثم وُلَّاه برقوق حجوية حلب ثم أتابكاً بها، ثم نقله إلى نِيابة حَمَاة، ثم إلى نِيابة حلب بعد القبض على يلبغا الناصريَّ، ثم عزله الظاهر عن نِيابة حلب بالأمير يلبغا الناصريَّ المذكور وجعله أتابك حلب، فكان بينهما مباينة كبيرة. وكان الناصري يزدرىه؛ ودام على ذلك حتى بلغ الظاهر خروج الناصري عن الطاعة، وكتب ملطفاً لسُودون المظفري هذا بِنِيابة حلب على عادته، وأرسل الملك الظاهر بصلحهم؛ فلَمَّا دخل سُودون المذكور إلى دِهليز دار السعادة أخذته سيوف ممالك الناصري حتى قُتِل.

(١) المراد بذلك قيام يلبغا الناصري ومنطاش على الظاهر برقوق.

وتُوفِّي الأمير سيف الدين صَرَاي الطويل، أحد أعيان المماليك اليلبغاوية، خارج القاهرة في شهر ربيع الأول. وكان أحد أمراء الطبلخانة بالديار المصرية.

وتُوفِّي قاضي القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن سليمان بن خير السكندري المالكي في يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان، وكنيته أبو القاسم. مولده بالإسكندرية في يوم الأحد سابع جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وبها نشأ، وطلب العلم، وسمع الحديث، وتفقه بأبيه وغيره، وبرع في الفقه والأصول، وشارك في غيره، وجلس مع الشهود بالثغر، ثم ولي به نيابة الحكم، ثم نُقل إلى قضاء الديار المصرية، عوضاً عن قاضي القضاة علم الدين سليمان بن خالد البساطي بعد عزله في سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة. وحُمدت سيرته إلى الغاية، ودام مدة سنين إلى أن عُزل بالقاضي ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون؛ ثم أعيد بعد ذلك إلى أن مات قاضياً؛ وتولَّى بعده تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميمري.

وتُوفِّي إمام السلطان الملك الظاهر برقوق الشيخ شرف الدين عثمان بن سليمان بن رسول بن يوسف بن خليل بن نوح الكرادبي (بتخفيف الراء المهملة) الحنفي المعروف بالأشقر، في يوم الخميس رابع عشرين ربيع الآخر. كان أصله من [تركمان]^(١) البلاد الشمالية، وأشتغل بها. ثم قَدِم القاهرة في عُنفوان شبابه في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين، وأشتغل بها على علماء عصره، حتى شارك في عِدَّة فنون. وصَحِب الملك الظاهر في أيام إمرته، فلما تسلطن الملك الظاهر قرره إمامه؛ وتقدم في دولته، ثم ولي قضاء العسكر، ثم مشيخة الخانقاه البيبرسية، إلى أن مات. وكان حسن الهيئة جميل الطريقة؛ وهو والد القاضي محب الدين محمد بن الأشقر كاتب سر الديار المصرية الآن. وقد سألت من ولده المذكور عن أصل آبائه فقال: أصلنا من بلاد القرم، وكان جدِّي عالماً مفتناً، وكان والد جدِّي ملكاً بتلك البلاد، انتهى.

(١) زيادة عن إنباء الغمر.

وتوفي الأمير سيف الدين إشقتمُر بن عبد الله المارديني الناصري، نائب حلب والشام غير مرة، بطالاً بحلب في شوال كان أصله من ممالك صاحب ماردين، وبعثه إلى الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، فرباه الناصر وأدبه. وكان يعرف ضرب العود، ويحسن الموسيقى، وكان ماهراً في عدة فنون، فقرّبه أستاذه الملك الناصر حسن، وجعله من أعيان خاصيّته، ثم أمره. ثم تنقل بعد موت أستاذه في عدة وظائف إلى أن ولّاه الملك الأشرف شعبان نيابة حلب بعد وفاة قطلوبغا الأحمدي، فباشرها نحو سنة ونصف، وعُزل بالأمير جُرّجي الناصري الإدريسي ثم ولي نيابة طرابلس عوضاً عن قشتمُر المنصوري ثم أعيد بعد مدة إلى نيابة حلب عوضاً عن قشتمُر المنصوري المذكور، في سنة إحدى وسبعين [وسبعمائة] بعد قتل يلبغا أستاذ الملك الظاهر برقوق - وكان إشقتمُر خُجداش يلبغا وصاحبه ومن أقرانه - فباشر نيابة حلب مدة، ثم عُزل وأعيد إلى نيابة طرابلس والسواحل^(١) عوضاً عن أيذمر الدودار ثم أعيد إلى نيابة حلب مرة ثالثة في سنة أربع وسبعين [وسبعمائة] فباشر نيابة حلب إلى أن عُزل في سنة خمس وسبعين بالأمير بيدمر الخوارزمي. وتولى نيابة دمشق، فباشر نيابة دمشق أربعة أشهر، وعُزل وأعيد إلى نيابة حلب رابع مرة، فطالت مدته في هذه الولاية. وغزا سبيس^(٢) وفتحها في سنة ست وسبعين، وكان فتحاً عظيماً، وسرّ الملك الأشرف شعبان بفتحها، وفيه يقول الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب: [السريع]

الملك الأشرف إقباله	يهدي له كل عزيز نفيس
لما رأى الخضراء في شامة	تختال والشقراء عجباً تميز
وعاين الشهباء في ملكه	تجري وتبدي مايسر الجليس
ساق إلى سوق العدى أذهماً	وساعد الجيش على أخذ سبيس

وأستمر على نيابتها إلى أن عُزل بالأمير منكلي بغا الأحمدي البلدي، وقبض عليه وحبس بالإسكندرية، ثم أُطلق وتوجه إلى القدس بطالاً؛ كل ذلك وإلى الآن

(١) المراد: السواحل الشاميه.

(٢) سبيس: مدينة في تركيا في إيالة أطنه.

لم يكن برقوق من جملة المماليك السلطانية، بل كان في خدمة مَنْجك، ثم من بعده في خدمة الأسياد أولاد الملك الأشرف شعبان. ثم أُعيد إلى نيابة حلب خامس مرة عوضاً عن تمرباي الأفضليّ الأشرفيّ في سنة إحدى وثمانين، ثم نُقل [إشقتمر] بعد عشرة أشهر إلى نيابة دمشق، عوضاً عن بيدمر الخوارزميّ في سنة اثنتين وثمانين، فدام بدمشق إلى أن عُزل في محرم سنة أربع وثمانين؛ وتوجّه إلى القدس بطالاً، فدام بالقدس إلى أن أُعيد إلى نيابة دمشق ثالث مرة، من قِبَل الملك الظاهر برقوق في سنة ثمان وثمانين؛ ثم عُزل بعد أربعة أشهر ورُسِم له أن يتوجّه إلى حلب بطالاً، فدام بحلب إلى أن مات. وكان فيه كل الخصال الحسنة لولا حُبّه لجمع المال.

وتُوفّي الشيخ الإمام العلامة بدر الدين محمد آبن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينيّ الشافعيّ، قاضي العساكر، في يوم الجمعة سابع عشر شعبان، ودُفن بمدرسة^(١) أبيه بحارة بهاء الدين قراقوش. وكان أعجوبةً في الذكاء والحفظ، مفتناً في عدّة علوم. وهو أسنُّ من أخيه قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينيّ. وكان له نظم ونثر؛ ومما يُنسب إليه من الشعر: [الرمل]

كسروا الجرّة عمدا [و] سقوا الأرض شرابا
قلتُ والإسلام ديني ليتني كنت ترابا

وتُوفّي العلامة شمس الدين محمود بن عبد الله النيسابوريّ الحنفيّ المعروف بابن أخي جار الله، في سابع جمادى الأولى. وكان عالماً مفتناً في علوم كثيرة.

وتُوفّي تاج الدين عبد الله (وقيل: أمين الدين) بن مجد الدين فضل الله بن أمين الدين عبد الله بن ريشة القبطيّ المصريّ ناظر الدولة، في سادس جمادى الأولى.

(١) أنشأها الشيخ سراج الدين عمر البلقينيّ بالقرب من منزله في حارة بهاء الدين سنة ٥٧٩٥هـ. (انظر الضوء اللامع: ٨٩/٦). وهذه المدرسة لا تزال باقية إلى اليوم باسم جامع البلقينيّ بشارع بين السيارج الذي كان يعرف قديماً بحارة بهاء الدين قراقوش. (محمد رمزي).

وتُوفِّي الأمير قرا محمد التُّركمانيّ صاحب الموصل، قتيلاً، في هذه السنة. وهو والد قرا يوسف صاحب تِيريز، وجدّ بني قرا يوسف ملوك العراق، الذين خربت بغدادُ وغيرها في دولتهم وأيامهم.

وتُوفِّي الأمير الطواشي سابق الدين مثقال بن عبد الله الجماليّ الحبشيّ الزّمام؛ وأصله من خدام الملك الأمجد والد الأشرف شعبان. تنقل في عدة وظائف إلى أن صار زماماً للدور السلطانية؛ فلما أن قُتِل الملك الأشرف عزله أئبُك البدريّ وولّى عوضه مقبلاً الرومي الطواشي اليلبغاويّ. ودام مثقال بطّالاً سنين، وصادره برقوق، وحصل له مِحْن، ثم أفرج عنه فصار يتردّد إلى مكة والمدينة إلى أن مات يبدر من طريق الحجاز في ذي القعدة، ودُفِن عند الشهداء في ليلة الجمعة تاسع عشرينه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع، والله تعالى أعلم.

* * *

المصادر والمراجع

الجزء الحادي عشر

- ١ - الأعلام، لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦.
- ٢ - الألقاب الإسلامية، لحسن الباشا - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧.
- ٣ - إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦.
- ٤ - الانتصار لواسطة عقد الأمصار، لابن دقماق - دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٥ - بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس - سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، فيسبادن ١٩٦٠ - ١٩٦٣.
- ٦ - بلدان الخلافة الشرقية - تأليف لسترانج - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد ١٩٥٤.
- ٧ - تاريخ ابن قاضي شعبة - تحقيق عدنان درويش - دمشق ١٩٧٧.
- ٨ - تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، لأحمد السعيد سليمان - دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤.
- ٩ - التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، لمحمد فنديل البقلي - الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٨٤.
- ١٠ - الجواهر الثمين، لابن دقماق - تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي - عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥.
- ١١ - الخطط التوفيقية الجديدة، لعلي باشا مبارك - الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٨٠ - ١٩٨٦.
- ١٢ - خطط الشام، لمحمد كرد علي - مطبعة الترقى، دمشق ١٩٢٧.
- ١٣ - الخطط المقرزية (المواعظ والاعتبار) - دار صادر، بيروت.
- ١٤ - المدارس في تاريخ المدارس، للنعمي - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠.
- ١٥ - دائرة المعارف الإسلامية (النسخة العربية) - إصدار كتاب الشعب، القاهرة.
- ١٦ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني - تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٧.
- ١٧ - الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، لابن الشحنة - دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٤.

- ١٨ - الدولة المملوكية، لأنطوان ضومط - دار الحدائق، بيروت ١٩٨٠.
- ١٩ - ذيل تذكرة الحفاظ، لأبي المحاسن الحسيني الدمشقي - دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٠ - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، لخليل بن شاهين الظاهري - باريس ١٨٩٤م.
- ٢١ - السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقرئزي - (ج ١ - ٢) تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨ - (ج ٣ - ٤) تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٢.
- ٢٢ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي - دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٣ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي - طبعة المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٣ - وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
- ٢٤ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي - دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٢٥ - قضايا لغوية في ضوء القراءات القرآنية، للشيخ صبحي الصالح - منشورات الجامعة اللبنانية، كلية الآداب، بيروت.
- ٢٦ - القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، لمحمد رمزي - دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٤.
- ٢٧ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة - دار الفكر، بيروت ١٩٨٢.
- ٢٨ - الكلبيات، للكفوي - تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري - وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٢.
- ٢٩ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري - تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ١٩٨٥ - ١٩٨٦.
- ٣٠ - المشترك وضعاً والمفترق صقماً، لياقوت الحموي - تحقيق وستفيلد، جوتنجن ١٨٤٦.
- ٣١ - المعارف، لابن قتيبة - دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٢ - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، للمستشرق زامبور - مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥١.
- ٣٣ - معجم البلدان، لياقوت الحموي - دار صادر، بيروت ١٩٨٤.
- ٣٤ - معجم متن اللغة، للشيخ أحمد رضا - دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٨.
- ٣٥ - المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- ٣٦ - ملحق دوزي: Supplément aux Dictionnaires arabes. 2vols. Paris-Leyden 1927.
- ٣٧ - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، لابن تغري بردي - الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
- ٣٨ - الموسوعة الفلسطينية - إعداد هيئة الموسوعة الفلسطينية: أحمد المرعشلي، عبد الهادي هاشم، أنيس صايغ - دمشق ١٩٨٤.
- ٣٩ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي - طبعة كاليفورنيا للمستشرق وليم بوهر - وطبعة دار الكتب المصرية.

- ٤٠ - نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، للخطيب الجوهري - تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠.
- ٤١ - نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري - دار الكتب المصرية ١٩٥٥.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	ذكر سلطنة الملك المنصور محمد على مصر
٨	السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور محمد، وهي سنة ٧٦٢
١١	السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور محمد، وهي سنة ٧٦٣
١٤	السنة الثالثة من سلطنة الملك المنصور محمد، وهي سنة ٧٦٤
٢٠	ذكر سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر
٦٦	السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٦٥
٦٩	السنة الثانية من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٦٦
٧٢	السنة الثالثة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٦٧
٧٤	السنة الرابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٦٨
٧٩	السنة الخامسة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٦٩
٨٤	السنة السادسة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٧٠
٨٦	السنة السابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٧١
٩١	السنة الثامنة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٧٢
٩٦	السنة التاسعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٧٣
٩٨	السنة العاشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٧٤
١٠١	السنة الحادية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٧٥
١٠٥	السنة الثانية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٧٦
١٠٩	السنة الثالثة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٧٧
١١٤	السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان، وهي سنة ٧٧٨
١١٨	ذكر سلطنة الملك المنصور علي على مصر
١٥٣	السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور علي، وهي سنة ٧٧٩
١٥٦	السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور علي، وهي سنة ٧٨٠
١٥٩	السنة الثالثة من سلطنة الملك المنصور علي، وهي سنة ٧٨١

١٦٨ ذكر سلطنة الملك الصالح حاجي الأولى على مصر
١٧٦ السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح أمير حاج، وهي سنة ٧٨٣
١٨١ ذكر سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر
٢٤١ السنة الأولى من سلطنة الملك الظاهر برقوق، وهي سنة ٧٨٤
٢٤٣ السنة الثانية من سلطنة الملك الظاهر برقوق، وهي سنة ٧٨٥
٢٤٦ السنة الثالثة من سلطنة الملك الظاهر برقوق، وهي سنة ٧٨٦
٢٤٩ السنة الرابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق، وهي سنة ٧٨٧
٢٥٢ السنة الخامسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق، وهي سنة ٧٨٨
٢٥٥ السنة السادسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق، وهي سنة ٧٨٩
٢٥٨ السنة السابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق، وهي سنة ٨٩٠
٢٦٢ ذكر سلطنة الملك المنصور حاجي الثانية على مصر
٣١٨ السنة التي حكم في أولها الملك الظاهر برقوق، وهي سنة ٧٩١
٣٢٧ المصادر والمراجع